

هزج سطر

الادب العربي في إقليم خوارزم

منشورات وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

سلسلة الكتب الحديثة

الأدبُ العربي في إقليمِ خوارزم

منذ الفتح العربي (٥٩٣هـ) حتى سقوط الدولة الخوارزمية (٦٥٨هـ)

هناك حسين طه

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط يديك < mktba.net

الأهداء

إلى كل مخلص يبحث في تراثنا المجيد ، ويعمل في سبيل نصفه
العرب ، وإحياء روائعهم ومآثرهم الفكرية الخالدة ...
إلى فلسطين ... تلك الحبيبة الأزلية المسافرة في جسدي ، وإلى
إخوتي في خطوط النار ... وإلى رفاقي في معاناتي ...
أهدي هذا الجهد المتواضع ، ايماناً مني بتاريخ أمتنا المشرق ،
وحضارتها العريقة ..

هند

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة فريدة في بابها ، تحدث فيها الكتابة الفاصلة عن إقليم خوارزم ، وهو اقليم لا يكاد الكثير من قراء العربية الآن يعرفون تحديد موقعه ، ولا بلدانه . لقد كان هذا الاقليم من اقاليم المملكة الاسلامية التي يعنى بها الدارسون ، وقد عقد الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر باباً لشعرائه ، شأنه في ذلك شأن الأبواب التي عقدها لشعراء الشام وشعراء العراق و . . . كان هذا في القرن الخامس الهجري ، أما الآن فكل الذي نعرفه عنه انه نبغ منه علماء وكتاب وشعراء نسبوا اليه ، وخلدوا على الزمن في ثقافتنا العربية الاسلامية ، وكان خلودهم مدعاة لخلود اسم هذا الاقليم في نفوسنا .

ونحن نحمد للكتابة اختيارها هذا الموضوع الذي لفتت به اذهاننا الى اقطار ما وراء النهر ، وما جاور النهر ، وفيها بلدان كانت مسرحاً للثقافة العربية الاسلامية فاضت بالعديد من العلماء والكتاب والشعراء الذين اغنوا العربية ببحوثهم وكتبهم في العلم والادب ، نشره ونظمه .

وقد بينت في بداية حديثها ما عانته من جهد في هذا البحث ، لأن مصادره في العربية قليلة ، وأكثر هذا القليل قد استتقته من نتف متفرقة في الكتب القديمة التي عاصرت هذه الثقافة يوم كانت في أوجها في القرن الرابع الهجري ، والفرون الثلاثة التي تلتها .

لقد عنيت دراساتنا الحديثة بالاندلس . ولعل من أسباب هذه العناية ، ان الاسبان في عصرنا هذا نظروا الى فترة حكم العرب عندهم على أنها حقبة من تاريخ بلدهم عليهم ان يستقصوها بحثاً ودراسة ، ويرصدوا اثرها في المواطنين وفي اللغة وفي الثقافة .

هذا كله مع بعدهم الآن عن الدين الاسلامي وعن اللغة العربية . ولقد التفتنا ، ولهم كبير الفضل الى الاندلس حتى جعلنا الأدب الأندلسي يدرس في جامعاتنا ومدارسنا شأنه شأن بقية آداب بلداننا العربية اليوم . ان اندلس العرب أصبحت أثراً بعد عين ، ولكنها ما زالت حية في نفوسنا ، وكأنها في ازهى عصورها . وحسبك بها مقرونة في الدراسة الآن بالعراق والشام ومصر والمغرب وغيرها من اقطار عالما العربي الاسلامي .

اما اقليم ما وراء النهر فلا نجد لها في حياتنا الحاضرة، ما نجده للانديس . وربما كان اهل هذه البلدان قد نحووا نحو الاسبان في استقصاء ما كان للعرب وللثقافة الاسلامية من اثر فيهم . لقد رايناهم يحرسون على الكتب العربية القديمة كل الحرص ، واعجبنا بكثرة ما رايناه عندهم من هذه الكتب ، ومن العناية الفائقة في حفظها وتجليدها . واعجبنا بما رايناه بطشقند(١) وسمرقند خاصة من آثار اسلامية ومن كتب قديمة مخطوطة . وسررنا ان راينا تمثال البيروني يقف شامخاً في ميدان من ميادين طشقند . كما سررنا برؤيتهم يحضرون البحوث عن الدراسات والثقافة في تلك العصور .

نقول : ان الكثير منا يجهل هذا عنهم ، ولا تكاد تجد شيئاً من مؤلفاتهم في مكتبتنا . ونرى ان من واجب العرب الآن ، ان يسعوا الى استقصاء هذا ، وعسى ان تكون هذه الرسالة وسيلة تنبيه الى ما قلناه ، وعسانا نرى بعض الطلبة العرب يقصدون هذه البلدان فيتعلمون لغة أهلها ويطلمعون على ثقافتهم، ويشيرون ما للعرب والاسلام من اثر فيها . وتلك خدمة انسانية للعرب ولغيرهم . وعندى ان التنبيه الى هذا وحده له من الاهمية ما يستوجب شكرنا للباحثة الفاضلة ، كما نرجو لها شكر الأجيال المقبلة فيه .

هذا حديثنا في البحث وموضوعه . اما اقليم خوارزم فيقع على حافتي نهر جيحون في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم . وقد عده قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٢٠هـ من اعمال خراسان . واعتبره الاصطخري من اقليم ما وراء النهر ، وزاره ياقوت سنة ٦١٦هـ وقال : « اقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر » .

وواضح ان اختلافهم في تحديد موقع هذا الاقليم انما يرجع لسبب اداري، لا لسبب جغرافي .

واقليم خوارزم الآن موزع بين جمهوريتين في الاتحاد السوفيتي ، هما اوزبكستان وتركمانستان ، وكان الروس قد ضموه اليهم بعد ان خلعوا اميره السيد عبدالله خان بهادر سنة ١٩٢٤ .

والعرب بداوا غزوهم لهذا الاقليم في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٢ هـ غزاه سلكم بن زياد عامل الحجاج بن يوسف والي العراق ، ثم دخل في حكمهم صلحاً سنة ٩٣ هـ على يد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وقد استبشروا بدخوله

(١) زرنا هذه البلدان بدعوة من الاكاديمية السوفياتية لثلاثة من اعضاء المجمع العراقي في العام الماضي ، كنت احدهم .

في حكمهم وعدت هذه ماثرة لقتيبة بن مسلم مدحه فيها الشعراء ، ومنهم نعب
الاشقري والكميت بن زيد الاسدي .

واقليم خوارزم هذا واسع عامر ، وفي كتاب نخبة الدهر : « ان عمل
خوارزم يشتمل على ستين الف قرية » ووصفه ابن حوقل : بانه ناحية خصبة
كثيرة الاطعمة والحبوب والفواكه . وقال القزويني عن بلدانه : انها جامعة
لاشتات الخيرات والمسرات ، وزاره ياقوت سنة ٦١٦ هـ وبين انه : « موفور
الخيرات كثير الثمرات ، جميل المناظر ، كثير المزارع والاشجار .

وظل هذا الاقليم في المملكة العربية الاسلامية ايام حكم الامويين
والعباسيين ، ثم آل الامر فيه الى ثلاث دول ، هي : الدولة السامانية وقد
حكمت من سنة ٢٦١ - ٣٨٩ هـ ثم السلاجقة وقد حكموه الى سنة ٥٥٢ هـ ثم
الاسرة الخوارزمية الى سنة ٦٢٨ هـ وقد خربه التتر وقتلوا الكثير من سكانه .

واهل هذه البلاد موصوفون بحسن معاشرتهم وحسن معاملتهم ، زارهم
ابن بطوطة وقال : انه لم ير في بلاد الدنيا احسن اخلاقاً منهم ، وقال الزمخشري :
ان بخوارزم فضائل لا توجد في غيره من سائر الاقطار .

وشهر هذا الاقليم بمدارسه الكثيرة ، وكانت تجرى الارزاق على الطلاب
فيها ، والمقدسي يقول عنهم : « انهم اهل فهم وعلم وقرائح وادب ... وانه قلما
وجد هناك امام في الفقه والقرآن والادب الا وله تلميذ خوارزمي .

وانتشر مذهب الاعتزال ، وهو مذهب يؤمن بسلطان العقل ويتصف به ،
بينهم حتى اصبحت لفظة « الخوارزمي » مرادفة للفظه المعتزلي من حيث العقيدة ،
يقول ياقوت انه سأل الاديب الشاعر القاسم بن الحسين عن مولده ، فقال :
« حنفي ولكن لست خوارزمياً ، « لست خوارزمياً » يريد بهذا انه ليس معتزلياً .
قالوا : والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى في الأسواق والدروب . وكانوا
ينظرون من غير تعصب ، واذا راوا من احد تعصباً أنكروا عليه ذلك قائلين :
الغلبة بالحجة واياك وفعل الجهال ! وكانت المناظرات - وهي وسائل تثقيف
وتعليم عندهم - تعقد في البيوت والقصور والأسواق ، والمساجد ، بعد الصلاة
وخاصة في ايام الجمع ، وكانوا يفخرون بالكرم والعلم والقدرة على الجدل وافحام
الخصم المجادل .

واحب هؤلاء العرب ، وتعلقوا بهم ، وربما كان من اسباب هذا ، ان
العرب فتحوا بلدهم صلحاً وعاملوهم احسن المعاملة . ورحل رجال منهم الى
مصر والعراق والشام والحجاز وخراسان طلباً للعلم ، وكان من رجالهم من

يقتصر للعرب على الشيعيين كالامام الزمخشري ، ووفد كثير من العرب ، علماء وشعراء وادباء الى بلادهم ، ولقوا احسن المعاملة واطيب الإقامة بينهم .
وشهر رجال منهم بعلم القراءات ، ومن مقرئينهم المشهورين محمد بن احمد الكركنجي - وكركنج هذه من مدنهم العظمى ، وقد سماها العرب ((الجرجانية)) يقول عنه ياقوت : انه رحل الى الافاق وصنف تصانيف مفيدة في علم القراءات ، ونشطت عندهم الدراسات البلاغية التي اتسمت بنزوعها الى الناحية العقلية وكان من رجالهم الذين لمعوا في هذا السكاكي والمطرزي . ويكفيهم ان يكون من رجالهم الزمخشري ، من قرية ((زمخشر التابعة)) ، وهو علم الدنيا في الادب والتفسير واللغة والنحو والبيان .

ومن رجالهم البيروني وشهرته في علمه وفضله لا تنقل عن شهرة الزمخشري، ومن شعرائهم الخوارزمي ابو بكر ، وهو علم في الشعر وفي انشاء الرسائل ..
وشعرهم يتصف بالفوص على المعاني العقلية ، لشيوع مذهب الاعتزال فيهم ، وفيه ما يمس شفاف النفوس في الحنين الى الوطن يهجره حبا في طلب العلم ، ويعودون اليه وقد تعلقوا بالبلدان الاسلامية التي ارتحلوا اليها وقضوا بها صور شبيبتهم طلبا للعلم ايضا .

هذه اشارات اشرت اليها عن اهل خوارزم وقد تفضلت الكاتبة الفاضلة ففصلتها في كتابها هذا .

وبعد ، فهذا بحث اختارته الكاتبة الفاضلة ، وكنت اعجب لما تبذله من جهد في استقصائه ، مع ان هناك جوانب كثيرة من ادبنا العربي ما زالت في حاجة الى الاستقصاء والكتابة فيها ، ثم هي اسهل على الباحث العربي من الجري وراء بحث غير واضح المعالم كهذا البحث . ولطالما ساءلت نفسي عن هذا ، وقلت في الجواب : لعلها - وهي فلسطينية - وجدت بعض العزاء لنفسها في البحث في امور الدول والمواطن تقرا اخبارها في الكتب وتراها كيف تمحى وكيف تزول .
واني ليسرني وانا اختم كلمتي هذه ان ابين ان اسانذتها المتحنيين اعجبوا ببحثها هذا ، وقدروا لها جهدها فيه ، فمنحوها عليه درجة ((الماجستير)) بمرتبة امتياز .

وعسى ان يكون هذا مشجعا لها في المضي في حياتها العلمية المقبلة باتحاف المكتبة العربية بالجديد النافع من الكتب .

واساله تعالى ان يمدّها بمزيد من عونّه وهدايته ، وهو وحده الهادي والمعين .

الدكتور جيل سعيد

المقدمة

حين كنت ادرس في الجامعة ، وقع بين يدي كتاب الاستاذ حافظ أحمد حمدي ، الموسوم بالدولة الخوارزمية والمغول ، ولا أدري لماذا توقفت عند كلمة « الخوارزمية » ورحت اقرأ المقدمة بعناية تامة ، فأثار انتباهي قول المؤلف : إن طلاب الدراسات العليا يتعدون عن الخوض ، في المواضيع التي تخص هذا الاقليم ، خوفاً من تفرق المادة في المصادر ، ووجودها في مصادر أجنبية منها : الفارسية والتركية والصينية ، وفي هذا كل الجهد والعناء •

وبدلاً من أن تُشبَّط همتي هذه الكلمات ، رأيت فيها حافزاً يشجعني على أن اقوم بمثل تلك الدراسة في المستقبل ، على الرغم من أنني لا أجيد اللغة الفارسية ، ولا أعرف اللغتين الأخرين •

وقرأت مثل هذا في مقدمة كتاب البلاغة عند السكاكي ، للدكتور أحمد مطلوب ، فزاد اصراري وتمسكي بهذا الموضوع ، بغية لقاء بعض الضوء ، وكشف حجب الظلام المخيم على هذا الاقليم ، من خلال دراستي للادب العربي الذي نشأ فيه •

وحينما أكملت السنة التحضيرية ، وبدأت أبحث عن موضوع ، يصلح لأن يكون موضوعاً لرسالتي ، وجدت أن رغبتني القديمة ما زالت كامنة في نفسي ، بل تأججت بعدما تأكدت ان التراث العربي في تلك النواحي ، لم ينل من البحث والدراسة ، الحظ الذي ناله في مناطق أخرى •

وعلى الرغم من كل الصعوبات التي تحيط بالموضوع ، والتي لمستها بنفسي ، ورغم كل التحذيرات التي تفضل كثير من اساتذتي ، في قسم اللغة العربية ، وفي قسم التاريخ ، وغيرهم ممن استشرتهم ، وتأكيد الجميع صعوبة الموضوع ووعورته • رغم ذلك كله استمسكت بالبحث ايماناً به ، وشعوراً بالمسؤولية تجاه جزء من تراثنا العربي ، وقررت الخوض فيه ، محاولة

استكشاف تلك الحقبة من تاريخ أدبنا العربي ، في ذلك الاقليم الذي كان في يوم ما ، من ربوع الدولة الاسلامية •

وقد واجهتني تساؤلات عديدة ، عن اختياري هذا المسلك الوعر ، وأسباب ايثاري له وتمسكي به ، وأنا اعلم ما يكتنفه من اهمال وغموض ، وأن الفترة التي يتناولها البحث طويلة جدا ، بالإضافة الى كون الموضوع بكرا لم يطرق بعد ، والأخبار عنه قليلة وغامضة •

وردا على هذه التساؤلات أقول : إنني اخترت اقليم خوارزم بالذات ، موضوعا لبحثي في الأدب العربي ، لعدة أسباب منها : إن اقليم خوارزم وموقعه من الأدب العربي ، يصلح لأن يكون موضوع دراسة ادبية متكاملة الجوانب ، وخاصة ان الادباء والباحثين ، لم يولوه العناية الكافية التي هو بها جدير •

وكان من الواجب عليّ السعي الحثيث ، لإحياء الجوانب الغامضة ، من تراثنا العربي ، في بقعة كانت لها مكاتنها في العالم الإسلامي ، على الرغم من بعدها عن مركزه •

أما مادة البحث فمتوفرة ، ولكنها متفرقة متنوعة ، متناثرة هنا وهناك ، دون أن تقوم عليها دراسة جدية ، لربطها وجلاء الغموض الذي يلف ذلك الاقليم ، ويكتنف أعلامه • وكان ذلك حافزا آخر لي ، على السعي جاهدة لضم ما تنائر منها ، والخروج من ذلك كله بدراسة وافية مستفيضة ، جهد الامكان عن ذلك الموضوع الذي ظل غامضا فترة طويلة ، في تاريخ أدبنا العربي ، معتمدة على مختلف النصوص ، وشتى المصادر ، التي دأبت على دراستها وتحليلها ، مذلة كل الصعاب التي جابهتني في تحقيقها وشرحها ، وتحليلها ونقدها •

ومن الأسباب الاخرى ، التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع ، جدته وطرافته ، واغفال الباحثين له فيما مضى ، كما ذكرت سابقا •

ولاتساع البحث وشموله ، كان عليّ أن أقوم برحلة طويلة مع المادة ، لأجمعها من مصادرها القديمة والحديثة ، أدبية كانت أو لغوية ، أو تاريخية أو جغرافية • وقد اقتضاني هذا العمل وقتا كبيرا ، وجهدا مضنيا •

وقامت دراستي هذه ، على أسس دراسة أدبية لبيئة معينة ، متبعة في

ذلك الأسلوب المنهجي الحديث ، باعتبار ان لكل بيئة خصائصها المميزة ،
وسماتها الخاصة بها .

لم أحدد بحثي بقرن من القرون - وقد تعمدت هذا - ، لأن في تقسيم
الأدب تقسيتاً لتطوره ، ولذلك رأيت أن انتهج مذهب الضم ، لا مذهب التفريق ،
أو تخصيص قرن دون آخر . وغرضي من ذلك الإحاطة التامة ، بتطور الأدب
شعره ونثره ، ومعرفة اتجاهات كل منهما ، منذ النشأة الأولى لهما .

كما دفعني الى عدم التحديد ، الغموض الشامل الذي يتصل بهذا
الاقليم ، في جميع نواحيه . وقد حاولت أن أكون من الرواد لدراسة تكون
خطوة أولى ، لدراسات تأتي بعدها ، تكون أكثر تخصصاً ، أو لدراسات
أخرى مشابهة .

ومن الجدير بالذكر أن أشير ، الى أنني اتبعت في دراستي النظرية
الاقليمية ، والاستعانة بالنظريات الاخرى المعروفة . وقد أكدت كتب
الجغرافية والتاريخ ، اقليمية خوارزم كما سرى في اللمحة الجغرافية ، التي
سنستهل بها بحثنا فنطلع من خلالها على البيئة العامة لاقليم خوارزم . ولقد
أكدت كتب الأدب تلك الاقليمية ، في تقسيمها للشعراء ، فقسمتهم حسب
الأقاليم . فهناك شعراء اقليم فارس ، وشعراء اقليم خوارزم ، وغيرهما . وأول
ما وصل إلينا من الكتب التي اتبعت هذا المنهج : يتيمة الدهر لابي منصور
الثعالبي . ودمية القصر وعصرة أهل العصر للباخري . وخريدة القصر
وجريدة العصر للعماد الاصفهاني .

وعلى هذا الأساس كان منهج البحث في دراستي هذه ، يقوم على الربط
بين هذه النظرية ، وبين أكثر النظريات الاخرى . وحاولت أن اقيم دراستي على
سبيل الربط ، بين المنهج التاريخي والمنهج الفني ، وترك الباب مفتوحاً أمام
النظرية الإقليمية ، التي اتخذتها أساساً للبحث ، والنظرية التي تقوم على دراسة
الأجناس ، والاستفادة بقدر الامكان من النظريات الأخرى . ويتضح هذا
جلياً في تقسيمنا البحث الى تمهيد وباين . حيث يقوم التمهيد برسم الأبعاد
السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والأبعاد الثقافية العقلية والأدبية ، باعتبار
أن هذه العوامل ، ذات تأثير فعال في الأدب شعراً ونثراً . وهذا التمهيد خير
مثال للمنهج التاريخي ، الذي يدرس الأدب فيه من خلال التاريخ .

أما المنهج الفني ، فيظهر واضحا في دراستنا للشعر ، في الباب الأول من هذا البحث ، الذي اتسع لدراسة الشعر العربي في هذا الاقليم ، دراسة تقوم على تبيان أغراضه وفنونه وخصائصه ، وتقويم نصوصه ، ثم تعمد الى التعريف بأهم شعرائه ، مع دراسة وافية عن شاعرين منهم ، متخذة في دراستي للشعراء ، الشهرة العامة ، أو وفرة الشعر ، أو التمكن من الصنعة •

واشتمل هذا الباب من البحث على ستة فصول : الفصل الأول دراسة الشعر ، دراسة عميقة متفحصة ، بيّنت فيها تطوره وأغراضه وموضوعاته ، واستخلصت اتجاهاته وخصائصه ، وجوانبه الفنية •

وتناولت في الفصل الثاني ، الشاعر أبا بكر الخوارزمي ، في دراسة وافية ، بيّنت فيها مقدراته الشعرية ، وأثرها في اتجاهات الشعر العربي في هذا الاقليم • كما بيّنت مدى تأثيره أو تأثره بالشعر العربي ، خارج هذا الاقليم •

وخصصت الفصل الثالث ، لدراسة الإمام الشاعر ، أبي القاسم الزمخشري ، مبيّنة أهم الأغراض الشعرية ، التي تناولها هذا الإمام الشاعر ، من خلال دراسة ديوانه •

أما الفصل الرابع ، فقد اتسع لدراسة شعراء آخرين ، هم القاسم بن الحسين ، ومحمد بن حامد ، والرقاشي • دراسة تحليلية نقدية وافية ، كلفتنا الجهد والعناء ، لقلة أخبارهم ، وضياح الكثير من شعرهم ، وتصميمنا مع ذلك على استجلاء أخبارهم ، وتقصي أحوالهم ، لما يمثل كل منهم من طريقة فنية ، في اتجاهه الشعري •

واتسع الفصل الخامس ، لدراسة الشعراء الوافدين الى اقليم خوارزم • بيّنت فيها مدى تأثيرهم أو تأثيرهم في الاتجاهات الشعرية ، التي عرفها أهل هذا الاقليم •

أما الفصل السادس ، فهو دراسة وافية ، للشاعر رشيد الدين الوطواط ، الشاعر المختص ببلاط الخوارزميين ، ولا سيما بلاط السلطان خوارزم شاه آتسز ، وما أضافه هذا الشاعر الى التراث العربي ، متوصلة في دراستي الى تغلب النزعة الدينية ، التي تتجلى في شعره ، وإلى تعصبه للعرب والعربية ،

والدين الاسلامي • معللة كل ذلك باتسابه للخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه •

ومن الجدير بالذكر أن نشير ، الى أن جميع هؤلاء الشعراء ، لم يدرسهم أحد من قبل ، وقد توفر لدينا جزء غير يسير من أشعارهم ، فتسنى لنا - من خلال ذلك - دراستهم • وكانوا على الأغلب - شعراء وناثرين في آن واحد •

وبالباب الثاني من هذا البحث ، جاء تكملة للمنهج الفني ، الذي اتخذته سبيلا في دراستي للشعر • وخصصته لدراسة النثر ، دراسة عميقة متفحصة مستقصية - مثله في ذلك مثل الشعر - وقسمته الى خمسة فصول : تناولت في الفصل الأول منه ، النثر في هذا الاقليم ، محاولة توضيح كل ما أحاط به منذ نشأته الاولى ، حتى نهاية الفترة التي تناولها البحث ، مع التعريف ببعض الكتاب ، الذين كانوا بمثابة النواة الأولى لذلك النثر •

أما الفصل الثاني من هذا الباب ، فقد حاولت فيه أن أتوصل الى أهم الأنماط النثرية ، التي سادت ذلك الاقليم ، فوجدت نمطين مهمين من النثر ، هما النثر الأدبي ، والنثر العلمي • واعتبرت النثر الأدبي ، ثراً خالصاً تمثل في الرسائل والمقامات ، وثرأ تأليفاً صيغت به المعارف الانسانية ، التي ألفت في أسلوب أدبي • ويراد بالنثر الخالص ، تصوير عاطفة ، أو نقل تجربة ، لها بعض الاتصال بالعاطفة ، مع خلو النثر التأليفي منها ، لانه قيل من أجل التأليف ، لا من أجل التعبير عن عاطفة ما •

والنمط الثاني هو النثر العلمي ، الذي شمل علوم الفلك والرياضيات ، والجغرافية والفلسفة ، والعلوم الصرفة وغير ذلك •

أما الفصل الثالث ، فقد خصصته لدراسة أبي بكر الخوارزمي ، بصفته هذه المرة كاتباً دراسة فنية وافية ، من خلال دراسة بعض رسائله وتحليلها ، أو دراسة بعضها الآخر دون تحليلها ، بحيث استطعت أن اتوصل الى تقدير منزلة هذا الكاتب ، في النثر العربي •

ومما تجب الإشارة اليه ، ان هذا الكاتب في حاجة الى وجوب التفات الكتاب اليه ، وعنايتهم به ، نظراً لما يستحقه من دراسة مستقلة ، من خلال

ديوان رسائله • وقد اخترت هذا الكاتب بالذات ، لأنه يمثل النثر الخالص ،
الذي يتمثل في رسائله الاخوانية •

وخصصت الفصل الرابع ، لدراسة الكاتب أبي القاسم الزمخشري ، من
خلال مقاماته الوعظية ، ومقالاته في كتابه : أطواق الذهب • ومن خلال حكمه
المسجوعة في كتابه : الكلم النوابع ، وما مثلته مقاماته لأبرز الاتجاهات النثرية
في هذا الاقليم • وخصصناه بهذه الدراسة،لأنه يمثل هذا الفن بنثره ،ولأنفراده
— في حدود علمنا — بفن المقامات في هذا الاقليم •

واتسع الفصل الخامس من هذا الباب ، لدراسة رشيد الدين الوطواط ،
وما أضافه هذا الكاتب ، الى التراث العربي في هذا الاقليم • وقد مثل بنثره
العلو في الصنعة خير تمثيل •

وأخيراً أوجزت في خاتمة البحث ، ما توصلت اليه هذه الدراسة من نتائج.
ثم عمدت الى التنبيه الى أهم الموضوعات ، التي رأيت من الضروري أن يلتفت
اليها الباحثون ، وأن يصرفوا اليها العناية والجهد • وقد كانت المصادر والمراجع
الرئيسة التي اعتمدتها في هذا البحث ، كتب التراجم والسير ، والتأريخ
والأدب ، والجغرافية ، ودواوين الشعراء أحياناً ، وثمة كتب حديثة قام بها
كتاب محدثون ، تناولوا فيها بعض النواحي الخاصة بهذا الاقليم ، اكتفيت
بالإشارة الى بعضها في هوامش البحث ، وفي قائمة المراجع •

وبعد فأرجو أن أكون قد أسديت بهذا البحث ، الذي بذلت في سبيله
جهداً وصبراً غير قليل ، بعض النفع في تاريخ الأدب العربي ، وجلوت جوانب
ظلت غامضة مدة طويلة ، وأكملت نقصاً في دراسة الأدب العربي ، في أحد
أقاليم الدولة الاسلامية •

لقد حاولت جهد ما استطعت أن أقرب من الصواب ، في بحثي هذا ،
فان وفقت فهذا غاية ما أرجو ، وان كان الصواب قد جانبني في شيء منه ،
فحسبي أنني بذلت كل جهدي وطاقتي ، مخلصاً فيما هدفت اليه • والله من
وراء القصد ، وما العصمة الا لله •

تمهيد

اسم خوارزم

اقليم خوارزم

الحالة السياسية والادارية

الحالة الاقتصادية والاجتماعية

الحالة العقلية

الحالة الأدبية

اسم خوارزم :

قال ياقوت الحموي في هذا الاسم : « خوارزم أوله بين الضمة والفتحة ، والألف مسترقة مختلصة ، ليست بألف صحيحة ، هكذا يتلفظون به ^(١) » .

وتابعه في هذا القول ، كل من أبي عبيد الله ، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي ^(٢) . وصفي الدين عبدالمؤمن ، بن عبدالحق البغدادي ^(٣) . وعن هؤلاء أخذت بعض المراجع الحديثة مادتها ^(٤) .

وأهل العصر يلفظونها « خوارزم » كما تكتب جهلاً منهم ان الواو بين الخاء والألف لا تلفظ .

وقيل في سبب تسميته ، إن أحد ملوك الشرق القدماء ، غضب على اربعمائة من أهل مملكته وخاصة الحاشية ، فأمر بحملهم الى موضع منقطع عن العمران ، على مائة فرسخ منها ، فاتفق ذلك بموضع « كاث » ^(٥) ، وبعد مدة بعث من يستقضي خبرهم ، وكانوا قد بنوا لانفسهم بيوتاً واستقروا . وكانوا

(١) ينظر : معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ . (طبعة السعادة ١٩٠٦ م) . وضبطها الجواليقي في المغرب . ص ١٣٣ « خوارزم » . قال ويروي : « خوارزم » ، تحقيق : أبو الاشبال احمد محمد شاكر . دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦١ هـ .

(٢) ينظر كتابه : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٢ : ٥١٥ .

(٣) ينظر كتابه : مراسد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ١ : ٣٧٠ . (ليدن . بريل) .

(٤) The Encyclopedia of Islam. V. 11, P. 908—912.

وفي (الترجمة العربية) ٩ : ٣ .

القاموس الاسلامي ٢ : ٢٩٣ ، مجلة لغة العرب — الآباء الكرمليين ٣ : ١٣٤ للسنة الخامسة ، مط الايتام للآباء الكرمليين . بغداد ١٩٢٧ م .

(٥) كاث : من أجل مدن اقليم خوارزم . وصفها ياقوت بأنها بلدة كبيرة ، في الجهة الشرقية من نهر جيحون ، بخلاف نواحي خوارزم ، فانها في الجهة الغربية منه . ينظر : معجم البلدان ٤ : ٤٢٧ . (طبعة بيروت) ،

يصيدون السمك • يشوئونه على النار التي يضرمونها من الحطب الموجود هناك وهو كثير • ورجعوا بهذا الخبر الى الملك ، فسألهم : وماذا يسمون اللحم ؟ قالوا : « خوار » قال : والحطب ؟ قالوا : « رزم » قال : فاني أقررتهم بتلك الناحية ، وسميتها خوارزم^(٧) • وأمر أن يحمل اليهم أربعمائة جارية تركية ، فالى اليوم قد بقي فيهم شبه من الترك ، على حد قول المقدسي^(٨) •

وليس بخفي ما في هذه الرواية ، من تعليل أسطوري ، قد يكون بعيداً عن الحقيقة •

وذكر المقدسي أيضاً^(٩) : أن الملك لما تفاهم الى ذلك الموضع ، شقّ اليهم نهراً من عود جيحون يعيشون به ، وكانوا قوماً فيهم جلادة وقوة ، فاعتمدوا على أنفسهم في تدبير أمورهم ، وعرفوا كيف ينون حياتهم بجدهم وجلدهم •

وسواء صحت هذه الرواية أم لا ، فإن العرب لما جاءوا الى تلك البلاد وفتحوها ، كانت تسمى بهذا الاسم ، وبقيت على ما هي عليه ، بعد الفتح العربي •

وفي : Encyclopedia Britannica ان اسمها مشتق من اللفظة الفارسية "Khur" أي الشمس ، وهذا لا يكفي ، لأنه كما يتبين لنا أنّها جزأت الكلمة مقطعين ، واكتفت بتعريف المقطع الأول ، ولم تتعرض لتعريف المقطع الثاني • وقال أبو الفتح الجرجاني : « إنّ معنى خوارزم هيّن حربها ، لأنها في سهلة لا جبل فيها »^(١٠) •

(٧) أصلها « خوارزم » خفت وقيل : « خوارزم » استثقلا لتكرير الراء . وقد جاء به بعض العرب على الاصل ، فقال الاسدي :

وخافت من جبال الصغد نفسي وخافت من جبال خوارزم
ينظر : معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ (السعادة) •

(٨) ينظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ص ٢٨٥ ، القاموس الاسلامي ٢ : ٢٩٣ •

(٩) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ص ٢٨٥ •

(١٠) ١٣ : ١٣٣ مادة (Khorezm) •

(١١) معجم ما استعجم ٢ : ٥١٥ •

والظاهر ان أبا الفتح الجرجاني ، أخذ ذلك من فهمه للمعنى ، بعد تقطيع الكلمة الى مقطعين هما : « خوار » و « رزم » • ومن بين معاني « خوار » « سهل » ومن بين معاني « رزم » : حرب • فمزج بين الحرب والسهولة ، فقال معناها : هين حربها (١٢) •

(١٢) من معاني « خوار » ذليل ، سهل ، مستقيم . كما ورد في برهان قاطع - لابن خلف التبريزي ص ٥٣ « مادة خور » .
ومن معاني رزم : حرب ، حطب الطبخ ، كما ورد في المصدر السابق .
ص ٥٣٩ « مادة رزم » .

اقليم خوارزم :

أصبح اقليم خوارزم بعد الفتح العربي ، من أمهات الأقاليم الاسلامية ، وأصبحت له مكاتته المرموقة بين أقاليم العالم الاسلامي .

وهو يقع على حافتي نهر جيحون^(١) ، في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم^(٢) .

والجغرافيون المسلمون متفقون ، في تحديدهم لهذا الاقليم ، حيث ذكروا أن حدوده من الشرق : بلاد ما وراء النهر ، ومن الغرب بلاد الترك الغزية^(٣) ، ومن الشمال بلاد الترك أيضاً ، ومن الجنوب خراسان^(٤) . واعتبر الاصطخري هذا الاقليم ، من أقاليم ما وراء النهر^(٥) . بينما عدّه قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٠هـ ، من أعمال خراسان^(٦) ، معللاً ذلك بقوله

-
- (١) ينظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ص ٢٨٤ .
 - (٢) بحيرة خوارزم : وتسمى ايضاً : بحيرة « آرال » او « بحر آرال » ، وهي بحيرة كبيرة في آسيا الوسطى ويصب فيها اهم نهري في تركمنستان الروسية ، وهما نهر امودريا او « جيحون » وسردريا او « سيحون » . وصفها الاصطخري في كتابه : المسالك والممالك . ص ١٧٠ (القاهرة) بأنها بحيرة ملحة لا منفذ لها الا البحر ، وكذا وصفها ياقوت الحموي في كتابه : المشترك وضعاً والمفترق صقعا . ص ٣٨ . وينظر ايضاً : دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » ٨ : ٤٧٧ .
 - (٣) جاء في رسالة ابن فضلان . ص ٩١ أن الغزية قبيلة من الاتراك ، لهم بيوت من الشعر ، يرتحلون من مكان الى مكان ، على عمل اهل البادية وتنقلهم . ويصفهم ابن فضلان بقوله : أنهم كالحمير الضالة ، لا يدينون لله بدين ، ولا يرجعون الى عقل ، ولا يعبدون شيئاً ، بل يسمون كبراءهم اربابا .
 - (٤) ينظر المسالك والممالك . ص ١٦٨ ، صورة الارض . ص ٣٩٥ ، تقويم البلدان . ص ١٠٥ .
 - (٥) ينظر كتابه : الاقاليم « مصور بالأوفست . مكتبة المثنى - بغداد » . ص ١٥٥ .
 - (٦) ينظر كتابه : نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة . ص ٢٤٣ . « هذا الكتاب ضمن كتاب المسالك والممالك » .

انها : « ربّما أضيفت الى أعمالها لاتصالها لها^(٧) » . وعدّه ابن عبد ربه الأندلسي، المتوفى سنة ٣٣٨هـ من مدائن^(٨) ، وكذلك فعل أبو اسحاق المنجم^(٩) .

وذكره ابن حوقل ، وليس فيما ذكره اختلاف كبير عما جاء به الاصطخري ، وربّما هو نقل عنه^(١٠) . ولم يحدّ أبو الفداء في وصفه للاقليم . عما جاء به سابقوه ، ولا سيّما الاصطخري وابن حوقل^(١١) .

وسمّاه المقدسي « كورة »^(١٢) وقال : « هي كورة على حافتي جيحون ، قصبته العظمى بهيطل^(١٣) ، ولها قسبة اخرى بخراسان^(١٤) » .

أما ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، الذي زار هذا الاقليم سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ، فقد وصفه بأنّه : « اقليم منقطع عن خراسان » وعن ما وراء النهر^(١٥) .

(٧) ينظر كتابه : صنعة الكتابة « مخطوط » . ورقة ٧٤ .

(٨) ينظر كتابه : العقد الفريد ٧ : ٢٤٥ .

(٩) هو جغرافي من اهل القرن الخامس الهجري . ينظر كتابه : آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان - ورقة ١٤ . (خ) تصوير المجمع العلمي العراقي ، عن نسخة مصورة بمكتبة الفاتيكان . برقم (٢١٦) في المجمع العلمي العراقي .

(١٠) ينظر كتابه : صورة الارض . ص ٣٩٥ .

(١١) ينظر كتابه : تقويم البلدان . ص ٤٧٧ .

(١٢) الكورة : اسم فارسي بحت ، يقع على قسم من اقسام الستان ، وقد استعارتها العرب ، وجعلتها اسما للستان ، كما استعارت الاقليم من اليونانيين ، فجعلته اسما للكشخ . فالكورة والستان واحد . وقيل : الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قسبة او مدينة ، او نهر يجمع اسمها . ينظر معجم البلدان ١ : ٣٦ (طبعة بيروت) .

(١٣) هيطل : اسم لبلاد ما وراء النهر ، وهي بخارى وسمرقند وخجند . ينظر معجم البلدان ٥ : ٤٢٢ (بيروت) .

(١٤) ينظر كتابه : احسن التقاسيم . ص ٢٨٤ .

(١٥) معجم البلدان ٤ : ٤٠٠ (طبعة لايزك) .

ووصفه شيخ الرتبة المتوفى سنة ٧٢٧هـ بأنه : « سقع^(١٦) جليل يحيط به المفاوز^(١٧) » .

ويقع اقليم خوارزم حالياً ، ضمن الإتحاد السوفيتي ، بعد أن وزع بين جمهوريتي أوزبكستان^(١٨) وتركمانستان السوفيتيتين^(١٩) ، بعد غزو الروس له ، وخلعهم أميره « خان خيوه » السيد عبدالله خان بهادر ، في سنة ١٩٢٤م^(٢٠) .

وقد اتفقت الروايات ، على أن هذا الاقليم فتحه العرب صلحاً ، في سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م^(٢١) ، على يد قتيبة بن مسلم الباهلي . وقد سبق فتح قتيبة هذا ،

(١٦) السقع : هكذا وردت بالأصل بالسین . والسقع والصقع : الناحية . « والصاد أحسن » .

(١٧) ينظر كتابه : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . ص ٢٢٣ .

(١٨) تقع جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفيتية ، في أقصى جنوب الإتحاد السوفيتي ، نحو الشرق من بحر قزوين . ينظر عنها : جغرافية الإتحاد السوفيتي - سترويف - ص ٢٨٩ . مط ، دارالتقدم . موسكو ، نظرة الى الإتحاد السوفيتي - نقولا ميخائيلوف . ص ١٦٨ . مط . دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية . موسكو .

(١٩) ينظر : جغرافية الإتحاد السوفيتي الاقتصادية - بارانسكي - « الترجمة العربية » . ص ٣٢٥ ، ٣٣٠ . مط . دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية . موسكو . سنة الطبع ١٩٦٠م ، اطلس التاريخ الاسلامي - هازارد « الترجمة العربية » . ص ٣٩ - ٤٠ ، مط . النهضة المصرية - القاهرة . سنة الطبع : ١٩٥٤م .

(٢٠) ينظر : تقويم العالم الاسلامي - جمعية الدراسات الاسلامية . ص ٢٦٢ . القاهرة . ١٩٧٠م .

(٢١) ينظر : تاريخ الرسل والملوك ٨ : ٨٣ ، تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٣٧ ، النجوم الزاهرة ١ : ٢٢٦ ، وانفرد الذهبي في كتابه : تاريخ الاسلام ٣ : ٣٢٦ بأنه فتح سنة ٩١هـ . ونود ان نشير الى ان اسم هذا الكتاب ورد في طبعة السعادة باسم : تاريخ الاسلام السياسي ، وورد في نشر مكتبة القدسي باسم : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام . كما انفرد المنصوري في تاريخه . ص ٨١ بأنه فتح سنة ٩٢هـ . وقد رأينا ان الروايات اجمعت على انه فتح صلحاً . وانفرد مؤلف كتاب : الميعون والحدائق في اخبار الحقائق ٣ : ٢ بقوله : انه فتح عنوة من قبل قتيبة بن مسلم الباهلي ، مثله في ذلك مثل كش وغيرها .

عدة غزوات لهذا الاقليم ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة ، وأشهر تلك الغزوات، غزوة سلم بن زياد^(٢٢) ، سنة ٦٢هـ، في زمن يزيد بن معاوية . وغزوة يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة ، الذي كتب اليه الحجاج بن يوسف الثقفي ، عندما كان والياً على العراق ، على ما يذكر الطبري في تاريخه ، موعزاً اليه بغزو هذا الاقليم ، ولكن يزيد رد عليه بقوله : «أيها الأمير انها قليلة السلب، شديدة الكلب^(٢٣)»، وعند ذلك أمره الحجاج ان يستخلف أحداً على خراسان ، ويذهب هو اليه ، فردّ عليه يزيد بأنه يريد غزو هذا الاقليم ، وقد عزم على ذلك ، فغزاه وأصاب سبياً ، وصالحوه على مال كثير^(٢٤) ، وافتتح كنداكين^(٢٥) وبخارى^(٢٦) .

وقد كان لهذا الفتح أثره في النفوس ، حيث تغنى به الشعراء ، مباركين لقتيبة بن مسلم بهذا النصر ، الذي حققه في ضم هذا الاقليم الى حظيرة الاسلام . ويقول الكميت الأسدي في ذلك ، منوهاً بفتح قتيبة لهذه البلاد ، وبغزوته لبلاد الصفد^(٢٧) .

وَبَعْدُ فِي غَزْوَةٍ كَانَتْ مُبَارَكَةً
تَرْدِي زَرَاةَ أَقْوَامٍ وَتَحْتَصِدُ^(٢٨)

(٢٢) كان والياً على خراسان سنة ٨٢هـ ، وعزله الحجاج بن يوسف الثقفي ، سنة ٨٥هـ ، وولى بعده قتيبة بن مسلم الباهلي . ينظر تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١١٤٣ ، مختصر التاريخ . ص ٨٤ ، الاعلاق النفيسة ٧ : ٢٢٩ ، الوزراء والكتاب - الجهشياري . ص ٢١ . تحقيق : مصطفى السقا وآخرون . مط ، البابي الحلبي - القاهرة . ط ١ ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م . وفي العبر في خبر من غير ١ : ٦٦ جاء اسمه : « سلم بن أهور » .

(٢٣) الكلب : انف الشتاء وشدته .

(٢٤) ينظر تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١١٤٣ . وفي كتاب البدء والتاريخ المنسوب للبلخي ٦ : ٣٨ «ان سبي خوارزم وفرغانة بلغ مائة الف رجل» .

(٢٥) كنداكين : من قرى الصفد . وفي معجم البلدان ٣ : ٢٢٢ أن الصحيح ان يقال : السفد « بالسین » ، وربما يقال بالصاد .

والصفد : ناحية من نواحي بخارى ، كثيرة المياه ، نضرة الاشجار .

(٢٦) ينظر البلدان - اليعقوبي . ص ٦٣ مط ، الحيدرية . التجف ١٩٣٩ م .

وفي طبعة ليدن . ص ٢٩٩ . تاريخ الاسلام للذهبي ١ : ٢٩٨ .

(٢٧) ينظر تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١٢٨١ « حوادث سنة ٩٦هـ » .

(٢٨) الزراعة : الارض التي تزرع .

نالتْ غَمَامَتَهَا فِإِلَّا بَوَائِلَهَا
 والسُّعْدُ حِينَ دَنَا شَوْبُوبُهَا الْبَرْدُ^(٢٩)
 إِذْ لَا يَزَالُ لَهُ نَهَبٌ يَنْقَلُتُهُ
 مِنَ الْمَقَاسِمِ لَا وَخْشٌ وَلَا نَكْدُ^(٣٠)
 تِلْكَ الْفُتُوحُ الَّتِي تُدْلي بِحِجَّتِهَا
 عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنَا مَعْشَرُ حُشْدُ
 لَمْ تَتَّخِ وَجْهَكَ عَنْ قَوْمٍ غَزَوْتَهُمْ
 حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ بَعْدُأُ وَقَدْ بَعِدُوا
 لَمْ تَرْضَ مِنْ حِصْنِهِمْ إِنْ كَانَ مُتَّعَا
 حَتَّى يَكْبُرَ فِيهِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ
 وَمَا قَالَه كَعْبُ الْأَشْقَرِي فِي هَذَا الْمَجَالِ^(٣١) :

(٢٩) فيل : هي مدينة الجرجانية ، كانت قديما تسمى فيل ، ثم سميت المنصورة ، ثم كركانج . ينظر عنها معجم البلدان ٤ : ٢٨٦ (بيروت) .
 البرد ، والبرد من السحاب : ذو البرد ، ويقال : سحاب برد وبرد ،
 لشدة برده .

(٣٠) النفل : الغنيمة والهبة . ونفلت فلانا اعطيته نفلا وغنما .
 الوخش : الرذل من كل شيء . وجمعه اوخاش ووخاش : وهم رذال
 الناس وسقاطهم ، ووخش توخيشا بعبطية : أي أقلها له .
 نكد : نكده حاجته : اذا منعه ايها ، او منعه ما سأله ، او لم يعطه
 الا اقله ، ونكد نكدا عيشه : اشتد وعسر ، فهو نكد وفيه نكاد .

(٣١) ينظر : تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١٢٣٩ - ١٢٤٠ . « حوادث سنة
 ٩٣هـ » . وفي فتوح البلدان . ص ٤١١ « البيت الاول من هذه الابيات »
 وفيه بعض الاختلاف .

وكعب الاشقري : هو كعب بن معدان الاشقري ، نسبة الى الاشاعر
 « قبيلة من الازد » وامه من عبد القيس . وهو شاعر فارس خطيب معدود
 في الشجعان .

تنظر ترجمته في : الاغاني ١٤ : ٢٦٦ . (طبعة بيروت ١٩٥٩ م) .

رَمَتْكَ فِيلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمَتْ
وَرَامَهَا قَبْلَكَ الْفَجْفَاجَةُ الصِّلَفُ (٣٢)
لَا يُجْزِيءُ الثُّغْرَ خَوَارُ الْقَنَاقَةِ وَلَا
هَشُّ الْمَكَاسِرِ وَالْقَلْبُ الَّذِي يَجِفُ (٣٣)
هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي الثَّرَكِ تَقْتُلْتُهُمْ
مَا دُونَ كَاذَةِ وَالْفَجْفَاجُ مِلْتَحِفُ (٣٤)
لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبِرُوا
فَهُمْ ثِقَالٌ عَلَى اكْتِافِهَا عُنْفُ
لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ الْعَجْزِ مَا اقْتَسَمُوا
سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزَّ السُّفْدِ مُؤْتِنِفُ (٣٥)
وَفِي سَمَرٍ قُنْدٌ أُخْرَى أَتَتْ قَاسِمَهَا
لَتْنٌ تَأَخَّرَ عَنْ حَوَائِيكَ التَّلَفُ (٣٦)
مَا قَدَّمَ النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ
وَلَا يَفُوتُكَ مِمَّا خَلَقُوا شَرَفُ

ففي هذه القصيدة نرى الاشقري يمدح قتيبة بن مسلم ، لفتح فيل

(٣٢) الفجفج والفجفاج والفجافج : الرجل الكثير الكلام ، المتشيع بما ليس عنده ، أو الكثير الصباح والجلبة ، أو الكثير الكلام بلا نظام .
الصلف : البين الصلف : الصِّلَفُ : التمدح بما ليس عندك ، ومجازة قدر الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا .

(٣٣) يجزيء : يكتفي ويقتنع .

(٣٤) كاذة : من قرى مرو . والنسبة اليها « كازاقي » بالقاف ، وقد ينسب اليها كازي ايضاً . واليها ينسب أحمد بن عبدالرحمن بن المنذر الكازي .
ينظر معجم البلدان ٤ : ٤٣٠ (بيروت) .

(٣٥) مؤتلف : المؤتلف من المراعي : الذي لم يؤكل بعد .

(٣٦) حوائك : الحوباء والحبوب : النفس ، وجمعها حوباوات .

والصُّغْدَ وَسَمَرٌ قَنْدَ ، ولعله يعرّض في هذه الأبيات ، يزيد بن المهلب ، لأنه غزاها قبل قتيبة ولم يفلح في فتحها .

ويقال إنَّ قتيبة بن مسلم الباهلي ، استطاع أن يفتح خوارزم وكش وسمرقند وغيرها من البلاد في عام واحد ، وفي ذلك يقول كعب الأشقر أيضا (٣٧) :

كُلَّ يَوْمٍ يَحْوِي قَتِيْبَةٌ نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ نَهْبًا جَدِيدًا
بَاهِلِيٌّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كُنٍّ سَوْدَا
دَوَّخَ الصُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ الصُّغْدَ بِالْعَرَاءِ قَعُودَا
فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مَوْجَعٌ يَبْكِي الْوَلِيدَا
كَلَّمَا حَلَّ بَلَدَهُ وَأَتَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أُخْدُودَا

يضم اقليم خوارزم مدناً وقرى عديدة ، وجاء في كتاب نخبة الدهر (٣٨) :
« ان عمل خوارزم يشتمل على ستين ألف قرية » . ومن أهم مدنها : مدينة « كُرْكانج » وهي قسبة الاقليم ومدينته العظمى ، وكركانج اسمها بلغتهم ، وقد عربوها فقليل لها « الجرجانية » ، وهي على ضفة جيحون الغربية، اشتهرت بعلمائها وفضلائها ، وصناعها الماهرين . وقد خربها التتر سنة ٦١٨ هـ ، وقتلوا أهلها ، ولم يبق منها الا معالمها على ما تروي الأخبار . وأهل هذه المدينة ، كلهم معتزلة على ما ذكر القزويني (٣٩) ، والغالب عليهم ممارسة علم الكلام ، حتى في الاسواق والدروب يناظرون من غير تعصب في علم الكلام ، واذا رأوا من أحد التعصب ، انكروا عليه ذلك قائلين : « إنَّ الغلبة بالحجة ، وإيَّاكَ وفعل الجهال » .

وذكر ياقوت الحموي (٤٠) ، والقلقشندي (٤١) ان هناك مدينة أخرى

(٣٧) ينظر العيون والحدائق في اخبار الحقائق - مؤلف مجهول ٣ : ٣ .

(٣٨) ينظر ص ٢٢٣ .

(٣٩) ينظر كتابه اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٤٠) ينظر كتابه : المشترك وضعا والمفترق صقعا . ص ٣٧٠ ، معجم البلدان ٤ : ٤٥٢ .

(٤١) ينظر كتابه : صبح الاعشى ٤ : ٤٥٥ .

بنفس الاسم ، وتميز عن الأولى بتسميتها الصغرى ، وتعرف بالجرجانية أيضاً ، بينها وبين الكبرى عشرة أميال . قال ياقوت في « المشترك » : إنها كانت حينما زارها سنة ٦١٦ هـ ، عامرة أهلة ، ذات سوق مستطيل . وقد خربها التتر أيضاً سنة ٦١٨ هـ . وإلى هذه المدينة ينسب أبو نصر محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي^(٤٢) ، المقريء المعروف ، الذي يقول ياقوت الحموي عنه : إنه رحل إلى الآفاق في علم القراءات ، وصنف تصانيف مفيدة .

وتأتي مدينة « كاث^(٤٣) » بالدرجة الثانية ، بعد مدينة « كركانج » الكبرى ، وقد كانت قاعدة خوارزم في القديم ، ومن أجل مدنه .

وضم إقليم خوارزم إلى جانب هاتين المدينتين مدناً أخرى أهمها : دَرَّغان^(٤٤) : على شاطئ جيحون ، في آخر حدود خوارزم ، إلى جهة مرو^(٤٥) . بينها وبين هزاراسب أربعة وعشرون فرسخاً . وتقع على جرف عال ، على سن جبل بناحية البر ، وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين ، وتبعد عنه نحو ميلين^(٤٦) . ويقول ياقوت الحموي إنه رآها سنة ٦١٦ هـ ، عندما زار إقليم خوارزم ، وقد كانت عامرة ، مزدهمة السكان .

ومن هذه المدينة المحدث المشهور ، أبو بكر محمد بن أبي سعيد بن محمد الدَرَّغاني .

(٤٢) ذكر ياقوت الحموي في « المشترك » ص ٣٧١ انه ولد بمرو في حدود سنة ٣٩٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٨٤ هـ .

(٤٣) و « كاث » الحائط في الصحراء ، من غير أن يحيط به شيء . وهي بلدة كبيرة من نواحي خوارزم ، إلا أنها من شرقي جيحون ، وأكثر نواحي خوارزم من ناحية جيحون الغربية . بينها وبين كركانج عشرون فرسخاً . ينظر معجم البلدان ٤ : ٢٧ (السعادة) .

(٤٤) هكذا ضبطها ياقوت الحموي في كتابه : معجم البلدان ٢ : ٥٦٧ (لايزك) . وضبطها القلقشندي في كتابه : صبح الاعشى ٤ : ٥٦ « دَرَّغان » بالدال .

(٤٥) صبح الاعشى ٤ : ٥٦ .

(٤٦) ينظر معجم البلدان ٢ : ٥٦٧ - ٥٦٨ . (لايزك) .

أما هِزاراسب^(٤٧) التي مرّ ذكرها قبل قليل ، فهي أيضاً من المدن المهمة ، ويقال لها بالفارسية « هِزاراسْتَف » وهي قلعة حصينة ، ذكرها السمعاني في كتابه الأنساب^(٤٨) .

ويحيط الماء بهذه المدينة ، وليس لها الاّ طريق واحد ، وهي بهذا تشبه الجزيرة . وبين هزاراسب وبين مدينة « كاث » ستة فراسخ^(٤٩) . وإلى هذه المدينة تنسب رحمة بنت ابراهيم الهزاراسبية ، التي تدور حولها حكاية أشبه بالأساطير ، فهي على حدّ قول القزويني ، مشهورة بأنها ما تناولت طعاما ثلاثين سنة . ويروي القزويني أيضاً : أنه سمع من أبي العباس المروزي : أنها إذا شمّت رائحة الطعام تأذت ، وأنها ذكرت أن بطنها لاصق بظهرها . ولذا فإنها أخذت كيساً فيه حب القطن ، وشدته على بطنها ، لئلا يقصف ظهرها . وقد توفيت سنة ثمان وستين ومائتين^(٥٠) . وأهل هِزاراسب أهل ثروة . وفي المدينة أسواق كثيرة وبزازون^(٥١) على ما ذكر ياقوت الحموي . ثم قال : « عهدي بها كذلك في سنة ٦١٦ هـ ، والله أعلم بما جرى عليها في فتنة التتر »^(٥٢) .

أما « خِيَوَق » فهي بلد من نواحي خوارزم ، وحصن من حصونها . وأهل خوارزم يقولون « خيوه »^(٥٣) ، وذكر صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، أن أهلها كلهم شافعية ، دون بلاد خوارزم كلّها ، فإنها حنيفة معتزلة^(٥٤) . وإلى هذه المدينة ينسب الشيخ الإمام قدوة المشايخ ، أبو الجَنَاب أحمد بن عمر بن محمد الخِيَوَقِي ، المعروف بكبرى ، وقد كان أستاذاً وقته ،

(٤٧) معناها بالفارسية الف فرس . ينظر معجم البلدان ٥ : ٤٠٤ (طبعة بيروت) .

(٤٨) ينظر : ورقة ٥٩٠ « مخطوط مصور » .

(٤٩) ينظر تقويم البلدان . ص ٤٧٨ ، صبح الاعشى ٤ : ٥٥ .

(٥٠) ينظر اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٦٧ .

(٥١) البزاز : يباع البز . والبز : الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها والسلاح .

(٥٢) ينظر معجم البلدان ٥ : ٤٠٤ .

(٥٣) ينظر : ذيل لب اللباب « مخطوط » . ورقة ٢٣ .

(٥٤) ينظر : مرآصد الاطلاع . ص ٣٨٠ . (بريل ١٨٥٢) .

وشيوخ الطائفة ، وفريد عصره ، على حد قول القزويني . قتله التتار عندما اجتاحتوا البلاد ، وهو يدافع عن خوارزم ، سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م^(٥٥) .

كما ينسب اليها الشيخ الفاضل العالم ، شهاب الدين الخيواني ، الذي كان نائباً للسلطان خوارزم شاه ، في جميع مملكته ، والذي يقال بأن المدرسين والقضاة والعلماء ، كانوا يحضرون درسه ، كلما دخل مدينة من المدن . وقال القزويني عنه إنه كان : « شافعي المذهب ، متعصباً لأصحابه »^(٥٦) .

ومن مدن هذا الإقليم أيضاً : « برقان » : وهي من قرى شرقي جيحون ، على شاطئه ، بينها وبين الجرجانية يومان ، وقد خربت أثناء الغزو التتاري لها . وإلى هذه المدينة ينسب الإمام الحافظ ، أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني « ٣٣٦ - ٤٢٥ هـ »^(٥٧) .

أما « منقشلاخ » فهي من القلاع الحصينة ، في آخر حدود خوارزم . وهي بين خوارزم وسقسين ونواحي الروس ، قرب البحر الذي يصب فيه جيحون ، وهو بحر طبرستان .

وفي هذه المدينة قال أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي ، مادحاً خوارزم شاه اتسز حينما فتحها^(٥٨) :

أرسلت في شمر منقشلاخ صاعقةً من الظبى صَعِقَتْ مِنْهَا أَهَالِيهَا^(٥٩)
أما « كَرْدَر » فهي ناحية من نواحي هذا الإقليم ، ولأهلها لسان ليس خوارزمياً ، ولا تركياً . وصف ياقوت الحموي أهلها بأنهم أدنياء النفوس ، بالرغم من أن لهم أموالاً ومواشي .

(٥٥) ينظر عطار نامه ص ١٦٤ ، وينظر كتاب دول الاسلام للذهبي ١ : ٩٣ وفيه انه استشهد سنة ٦١٩ هـ والصحيح انه استشهد سنة ٦١٨ هـ . كما ورد في اكثر المصادر .

ينظر طبقات الشافعية - الاسنوي ٢ : ٣٥٦ ، شذرات الذهب ٥ : ٧٩ .

(٥٦) آثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٩ .

(٥٧) ينظر معجم البلدان ١ : ٣٨٧ (بيروت) ، المشترك . ص ٤٦ .

(٥٨) ينظر معجم البلدان ٤ : ٩٧٠ (لايبزك) .

(٥٩) الظبى : الظبة : طرف السيف وحده ، وكذلك في السنان والخنجر وما اشبه ذلك ، والظبي : سمة لبعض العرب .

وفي هذه المدينة ، نبغ كثير من المحدثين منهم : عبدالغفور بن لقمان ابن محمد أبو الفاخر الكركدري ، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . وتشتمل هذه الناحية على عدة قرى (٦٠) .

أما زَمْخَشَرُ فهي قرية من قرى خوارزم (٦١) ، عليها حصن وخنـدق ومحبس ، وأبواب محددة ، وجسور ترفع كل ليلة ، وجادة تشق البلد . وفيها جامع بطرف السوق . ينسب اليها الامام الزمخشري .

ومن قرى هذا الاقليم « ثَمَرُ تَاش » وفيها يقول بعض فضلائها :

حَلَكْنَا ثَمَرُ تَاشَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَبِتْنَا هُنَاكَ بَدَارَ الرَّئِيسِ
هذه أهم المدن التي رأيت أن أشير اليها ، وهذا لا يعني أن غيرها من مدن هذا الاقليم ، يقلّ عنها أهمية ، فهناك الكثير من المدن الأخرى مثل : غزنيز وجعنين وأرد خيوه ونوكماغ وخاص وغيرها ، وكلّها لا تقلّ أهمية عما ذكرنا .

أما مناخ اقليم خوارزم ، فيتصف بالبرودة الشديدة ، التي جعلت ابن خلكان يبالغ في قوله : إنّ بردها يؤثر على أطراف الإنسان ، فتقع أو تسقط ، وكأنه يستدرك ما في قوله هذا من مبالغة ، فنراه يؤكد كلامه قائلاً : « وإنه من الخطأ أن يستبعد الانسان مثل هذا القول ، لأنه رأى بنفسه خلقاً كثيراً ممّن سقطت أطرافهم بسبب البرد (٦٢) » .

وهذا القول وإن كان مبالغاً فيه ، إلاّ أنه يدل على أن تلك البلاد ، شديدة البرد الى درجة التلج ، وقد سألت بعض من زاروا المنطقة ، فأكدوا لي أن البرد في تلك البلاد لا يطاق ، وأنهم رأوا تجمد نهر جيحون ، ومسير القوافل والناس والدواب عليه .

(٦٠) ينظر عنها المصدر السابق ٤ : ٤٥٠ (طبعة بيروت) ، الجواهر المضية ٢ : ٨٢ .

(٦١) في أحسن التقاسيم . ص ٢٨٩ انها قرية كبيرة من قرى خوارزم . وفي تاج العروس ٣ : ٢٤٢ انها قرية صغيرة بنواحي خوارزم ، وان الزمخشري لما سئل عن مولده ، قال : انه بقرية مجهولة من خوارزم ، يقال لها « زمخشـر » .

(٦٢) ينظر وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٥ .

وهذا يؤكد قول ياقوت الحموي الذي زار المنطقة ، وذكر أنه رأى
جيحون وقد تجمد ، وأصبح حاله حال الارض ، كما رأى مسير الناس عليه
ومسير القوافل والدواب كالخيل والفيلة والأغنام (٦٣) .

ويؤيد قول ياقوت ما جاء في رسالة ابن فضلان ، الذي زار كركانج
عاصمة هذا الاقليم ، ومكث فيها أياماً ، ورأى تجمد نهر جيحون ، ورأى مسير
الناس والحيوانات عليه . يقول : إن جيحون بقي متجمداً لا يتخلخل ثلاثة
أشهر . ووصف البلد عندما دخلها بقوله : « فرأينا بلداً ما ظننا الا أن باباً من
الزمهير قد فتح علينا منه (٦٤) » .

ولذلك رأينا ياقوت الحموي وابن فضلان وغيرهما من المؤرخين يقولون
عن أهل ذلك الاقليم : « إذا أتخف الرجل من أهله صاحبه ، وأراد برّه قال له :
تعال اليّ حتى نتحدث فإن عندي ناراً طيبة ، هذا إذا بالغ في برّه وصلته ،
الا أن الله قد لطف بهم في الحطب ، وأرخسه عليهم ، حملة عجلة (٦٥) من
حطب الطاغ (٦٦) بدرهمين ، من دراهمهم » .

وقيل أبرد البلدان ثلاثة : همذان وقاليقلا (٦٧) وخوارزم (٦٨) . قال
الشعالي في برد هذا الاقليم (٦٩) :

(٦٣) ينظم معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ . (السعادة) .

(٦٤) ينظر رسالة ابن فضلان . ص ٨٣ .

(٦٥) العجلة : خشب تؤلف فتحمل عليها الاثقال .

(٦٦) الطاغ : الفضا وهو من نباتات الرمل ، ترعاه الاغنام والمواشي ايضاً ،
والكلمة تركية معربة .

(٦٧) قاليقلا : بأرمينية العظمى . وتقع في الاقليم الرابع ، من اقاليم الارض
السبعة على ما قسمها الجغرافيون . وينسب اليها الاديب العالم ابو علي
اسماعيل بن القاسم القالي . فتحت في زمن عبدالملك بن مروان ، فتحها
ابنه عبيد الله ، سنة احدى وثمانين . وينظر معجم البلدان ٤ : ٢٩٩ -
٢٣٠ . (طبعة بيروت) .

وينظر : الكامل في التاريخ ٤ : ٤٥٧ « حوادث سنة احدى وثمانين » .

(٦٨) ينظر مختصر كتاب البلدان - الهمداني . ص ٢٢٩ .

(٦٩) ينظر كتابه : خاص الخاص . ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، لطائف المعارف ص ٢٢٧ ،

لَهُ بَرْدٌ خُورَزْمٍ إِذَا كَلِبَتْ
 أَيْبَاهُ ، وَكَسَتْ أَيْدَانَنَا الرَّعْدَا (٧٠)
 فالشمسُ محجوبةٌ والريحُ مدميةٌ
 جُلُودَ قَوْمٍ أَضَاعُوا الصَّبْرَ وَالْجَلْدَا
 والماءُ مُسْتَحْجَرٌ ، وَالْكَلْبُ مُنْحَجِرٌ
 وَالزَّهْمُ هَرِيرٌ يَسُوقُ الصَّرَّ وَالصَّرْدَا (٧١)
 فَلَوْ تَقَبَّلَ مَعْشُوقًا مُخَالِسةً
 رَأَيْتَ فَالَكُ عَلَى فِيهِ وَقَدْ جَمَدَا
 وهذا معنى مبتكر .

ومثل هذا ما قيل عن همدان في قول أبي سرح (٧٢) :
 النَّارُ فِي هَمْدَانَ يَبْرُدُ حَرُّهَا
 وَالْبَرْدُ فِي هَمْدَانَ دَاءٌ مُسَقِّمٌ
 وَالْفَقْرُ يَكْتُمُ فِي بِلَادٍ غَيْرِهَا
 وَالْفَقْرُ فِي هَمْدَانَ مَا لَا يَكْتُمُ
 قَدْ قَالَ كِسْرَى حِينَ أَبْصَرَ بَلَدَكُمْ
 هَمْدَانَ فَانْصَرَفُوا فَتَلَكَ جَهَنَّمُ
 أو قول بعض الشعراء يصف بردها ، الذي لا يتخلص الإنسان منه ، مهما
 لبس من الملابس والفراء (٧٣) :

- (٧٠) الكلب : انف الشتاء وشدته . وقد جاء تفسيره في ص ١٦ من هذا الكتاب .
 (٧١) الصر : البرد . ويقال : ربح صر : أي شديدة البرد أو الصوت .
 الصرد : « يسكون الرءاء وفتحها » : البرد أيضا ، وقيل شدته .
 (٧٢) ينظر مختصر كتاب البلدان . ص ٢٢٩ . ، معجم البلدان ٥ : ٤١٣ (بيروت) .
 (٧٣) ينظر المصدر السابق . ص ٢٣٧ .

وليسَ يَتَقِي مِنْ بَرْدِهَا جِلْدُ ثَعْلَبٍ
 بخوارِزْمَ مَدْبُوحٌ بِغَبَرٍ تَوَانِي
 ولا جِلْدُ سَمُورٍ ولا الفَنَكُ الَّذِي
 يَتَوَقَّى بِهِ المَقْرُورُ حَرًّا عُمَانِ
 وليسَ يَقِيهِمْ مِنْهُ لَفْحُ جَهَنَّمَ
 وما لَهُمْ بِالزَّمْهِرِيرِ يَسَدَانِ

وقد ذكر الشاعر في هذه الأبيات ، بعض أنواع الفراء ، التي اشتهر بها
 اقليم خوارزم ، كما سئرى أثناء كلامنا عن الحياة الاقتصادية •

ويرى الثعالبي ان احسن ما قيل في البرد هو قول الهمداني (٧٤) :

يوم من الزمهرير مقرر عليه جيب الضباب مزور
 وشمسه حرة مخدرة لم يبدلي من ضيائها نور
 كأنما الجو حشوه برد والأرض من تحته قوارير

وأكثر المصادر التاريخية التي اطلعت عليها ، لم تتعرض لشيء عن مناخ
 هذا الاقليم عدا شدة برودته وثلوجه. وانقردت Encyclopedia Britnnica
 بأن وصفت مناخه بأنه : قاري شديد الجفاف (٧٥) •

وأكثر المصادر التاريخية التي اطلعت عليها ، لم تتعرض لشيء عن مناخ
 تغذي أراضيها عدة أنهار ، ذكرها المستشرق كي لسترنج "Guy-Lestrange"
 في كتابه : بلدان الخلافة الشرقية أهمها : نهر « كاو خواره » وتفسيره : آكل
 البقر • عمقه نحو قامتين ، وعرضه خمس ، يأخذ من ضفة جيحون اليمنى (أي
 الشرقية) ، ويسقي الكثير من مزارع الاقليم ، وتجري فيه السفن •

ومن غرب جيحون يأخذ جملة انهار ، يمر أحدها بمدينة « هزاراسب »
 ويسقي جميع رساتيقها ، وتجري فيه السفن أيضاً ، على الرغم من أنه نصف
 سعة نهر « كاو خواره » •

(٧٤) احسن ما سمعت ص ٦٩ •

(٧٥) ينظر : ١٣ : ٣٣٣ •

وقد فصل المستشرق لسترنج القول في انهار هذا الاقليم ، التي تروي أراضيهِ وبساتينه^(٧٦) .

وتحدّثنا المصادر التاريخية والجغرافية^(٧٧) عن خيرات هذا الاقليم ورخائه ، وانتعاشه ، وازدهار التجارة فيه لازدهار زراعته . فالقزويني وصفه بأنه من : « أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً ، وهوأؤها أصح الأهوية ، ومياهها أعذب المياه وأخفها ، وترباها أطيب التربة » .

ووصفه البشاري المتوفى سنة ٣٧٥هـ بأنه : « متصل البساتين ، كثير المعاصر والمزارع ، والشجر والفواكه والخيرات » .

وجاء في وصف ياقوت له أنه : « موفور الخيرات ، كثير الثمرات ، جميل المناظر ، كثير المزارع والأشجار » . ولكنه قال عن أرضه : إنها رديئة وكثيرة السبخ والنزوز ، ومع ذلك كثيرة العمارة .

وأخيراً نقول : إنّ اقليم خوارزم لم يكن بمعزل عما يجاوره من أقاليم وأمصار ، على الرغم من أن بعض الجغرافيين وصفوه - كما رأينا - بأنه منعزل ، أو شبه منعزل ، ولعل نشاط الحركة التجارية ، والحركة العلمية والثقافية ، من أهم الأسباب لاستمرار اتصاله بالأقاليم الاخرى ، فقد وصل تجارهم - كما سنرى - الى حدود الصين ، ورحل منهم من رحل الى مصر والعراق ، والشام وخراسان وبخاري وغيرها لطلب العلم ، ووفد الى اقليمهم كثير من العلماء والفقهاء ، والأدباء والشعراء الذين استقروا به ، واتخذوه وطناً لهم ، ومن هؤلاء الشاعر رشيد الدين الوطواط ، من أهل بلخ ، والشاعر محمد ابن عبدالملك الكلثومي ، من اهل خراسان ، والشاعر القاضي ، يعقوب بن الجندي ، من أهل جند من بلاد تركستان وغيرهم . ولعل هذا يفسر لنا الحياة الثقافية العالية ، التي كان عليها هذا الاقليم ، حيث أثر وتأثر بالثقافات المحلية والوافدة .

(٧٦) ينظر كتابه بلدان الخلافة الشرقية . ص ٤٩٥ - ٥٠٢ .

(٧٧) ينظر آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٥٢٥ ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ص ٢٨٤ . ، معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ (السعادة) .

الحالة السياسية والادارية :

وأما الحياة السياسية فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاجتماعية وتُعدّ مدة حكم العرب إقليم خوارزم ، خير فترة مرّت به استقراراً وقوة ، فقد تسلموا مقاليد الحكم بعد الحكم الساساني ، الذي ظلم البلاد وأرهقها بالضرائب .

وقد وجدنا أكثر المصادر التاريخية والجغرافية^(١) ، تتفق على أن هذا الاقليم فتح صلحاً عام ٩٣هـ ، فتحه قتيبة بن مسلم الباهلي ، حين دعاه ملك خوارزم ، الذي كان ضعيفاً مغلباً ، فقد كان أخوه « خَرْزَاد » مغلباً عليه ، سيء الخلق ، يعيش في الأرض فساداً ، ويسلب وينهب ، حتى كان إذا بلغه أن لدى أحدهم جارية أو زوجة جميلة أو بنتاً ، أو متاعاً فاخراً ، أرسل اليه وأخذ ذلك الشيء عنوة .

خضع إقليم خوارزم للحكم العربي مدة ، وقسمت البلاد الى ولايات ، يعين على كل ولاية وال أو عامل^(٢) ، من قبل الأمويين ، ثم العباسيين رأساً^(٣) ، ويذكر البلاذري في كتابه : فتوح البلدان^(٤) ، أن أهل خوارزم ، قد وثبوا على ملكهم خوارزم شاه ، بعد الفتح العربي فقتلوه ، لضعف شخصيته . وعند ذلك ولّى قتيبة بن مسلم أخاه عبيد الله بن مسلم على هذا الاقليم^(٥) .

(١) ينظر تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١٢٣٦ ، فتوح البلدان . ص ٥٩١-٥٩٢ (بيروت) . ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٦٩ ، تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٣٧ ، البداية والنهاية ٩ : ٨٤ .

(٢) كان عامل قتيبة على خوارزم اباس بن عبدالله بن عمرو وكان ضعيفاً ، ولذلك نحاه قتيبة ووجه عاملاً آخر هو عبدالله بن المغيرة بن عبدالله . وكان على خراجها عبيد الله بن ابي عبيد الله ، مولى بني مسلم . ينظر تاريخ الرسل والملوك ٨ : ١٢٥٢ - ١٢٥٣ .

(٣) للتفصيل ينظر تاريخ ايران - مكاريوس . ص ١٠٤ - ١٠٩ .

(٤) ينظر ص ٤١٠ (طبعة السعادة) .

(٥) ينظر المصدر السابق . ص ٤١٠ .

ثم آل الأمر فيه الى ثلاث دول متتابعة ، أولاها الدولة السامانية .
(٢٦١ - ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٩٩ م) ، وقد نشأ هؤلاء في بلخ ، وأتخذوا بخارى
عاصمة لهم . وكان أمراؤهم يحكمون ولايات من خراسان وسجستان وبلخ ،
وما وراء النهر ، ولا يقرون بالسيادة للعباسيين^(٦) . وكانوا في عصرهم أصحاب
سلطان ونفوذ بالشرق كله ، ثم تقلص ظلهم فشمّل خراسان وما وراء النهر ،
حتى قضى محمود بن سبكتكين الغزنوي على دولتهم سنة ٣٨٩ هـ ، وبهذا أصبح
أقليم خوارزم ، من ممالك محمود بن سبكتكين ، وابنه مسعود من بعده ،
وعين التوتناش حاجب محمود والياً عليه ، فولية لهما معاً^(٧) .

والدولة الثانية التي حكمت هذا الاقليم ، هي الدولة السلجوقية العظمى ،
(٤٢٩ - ٥٥٢ هـ / ١٠٣٧ - ١١٥٧ م) ، وعدد ملوكهم أربعة عشر ملكاً ، أولهم
السلطان ركن الدين ميكائيل ، وآخرهم السلطان مغيث الدين طغرل بك بن
أرسلان^(٨) ، الذي قتل على يد خوارزم شاه ، علاء الدين تكش^(٩) . وبهذا زال
حكم السلاجقة عن اقليم خوارزم .

وقد اشتهر السلاجقة بعد دخولهم بلاد الاسلام بلقب « التركمان » وقد
انحازوا الى مذهب أهل السنة ، واتخذوا النظام الاقطاعي أساساً للملكيتهم .

(٦) ينظر تاريخ ايران - مكاريوس - ص ١٠٩ ، ١٣٠ .

(٧) تاريخ ابن خلدون م ٤ . ق ١ . ص ٨٢٥ . ويقول السكتواري البسنوي في
كتابه : محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر . ص ١٢٠ . ان السلطان
محمود اول من لقب بالسلطان في الاسلام ، وكان اول ملوك الغزنوية من
افراد الرجال .

(٨) ينظر عنها : محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر . ص ٢٥٠ ، تاريخ
الكافي ٣ : ٤ ، والقلقشندي في كتابه مآثر الاناقة في معالم الخلافة ١ : ٣٤٨ ،
جمل ابتداء هذه الدولة سنة ٤٣٢ هـ .

(٩) هو السلطان علاء الدين تكش بن الملك أرسلان شاه بن اتسر . وتقل
الذهبي عن ابي شامة انه من ولد طاهر بن الحسين . وبلغ جيشه مائة
الف مقاتل ، وكان ادبياً وله معرفة بمذهب ابي حنيفة ، وقد بنى مدرسة
بخوارزم . توفي سنة ٥٩٦ هـ .

ينظر عنه : تاريخ الاسلام - الذهبي - (مخطوط) . ورقة ٥٧ ، اخبار
الدولة السلجوقية . ص ٩٥ - ٩٦ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٢٧٥ ، البداية
والنهاية ١٣ / ٢٢ .

وكان نظام ترقّي الممالك الى أمراء ، في عصرهم كثير الشيوع ، اذ اعتمدوا كثيراً عليهم في ادارة دولتهم ، وتكوين جيوشهم ، وكان باستطاعة أولئك الممالك أن يتحرروا بالشراء او بمنح الحرية ، أو باغتصابها ، ومن بين أولئك الممالك والمحررين من ارتقى الى طبقة الأمراء ، وأسند اليه الاشراف على بعض المناصب الادارية ، وقيادة الجيش ، وخير مثال لنا في هذا آتسز ، رأس الأسرة الخوارزمية ، وهي الدولة الثالثة التي حكمت هذا الاقليم ، والتي نشأت امامة « أنابكية »^(١٠) في خوارزم ، وجعلت تقوى شيئاً فشيئاً ، على حين أخذت الدولة السلجوقية تضعف وتضيق ، حتى قضى عليها ، وقد حكمت الدولة الخوارزمية ، في خوارزم من سنة ٤٩٠ هـ - ٦٢٨ هـ / ١٠٩٧ - ١٢٣١ م^(١١) .

وهي تنتسب ، الى أنوشنكين أحد الاتراك في بلاط ملكشاه السلجوقي ، ومملوك أمير من أمراء السلاجقة يدعى « بلكباك » وكان قد اشتراه من رجل من غرّ شستان^(١٢) ، ولذكائه سلّمه مولاه كل أموره . وقد أخلص أنوشنكين لمولاه فخدمه بإخلاص طول حياته^(١٣) ، وحصل على منصب الطشت دار^(١٤) .

(١٠) اتابك : لفظ تركي وهو مكون من مقطعين (اتا) بمعنى أب ، و « بك » بمعنى أمير او شيخ . وكانوا يطلقونها على من يربى اولاد السلاجقة من الاتراك .

ينظر وفيات الاعيان ١ : ٣١٦ ، صبح الاعشى ٤ : ١٨ ، القاموس الاسلامي ١ : ١٨ .

(١١) ينظر الكامل في التاريخ ١ : ٢٦٧ « حوادث سنة ٤٩٠ هـ » . وجاء في تاريخ مفصل ايران . ص ١١٧ بداية حكمها كان سنة ٤٩١ هـ .

(١٢) غرّ شستان : ولاية بين غزنة وكابل وهراة وبلخ . والعوام يسمونها « غرجستان » وهي واسعة كثيرة القرى . والغالب على تسميتها على لسان أهل خراسان « الغور » .

ينظر معجم البلدان ٤ : ١٩٣-١٩٤ . وورد اسمها في كتاب المختصر في اخبار البشر ٤ : ١٢٣ « غرستان » ، وفي تاريخ ابن خلدون ٥ : ٣٩ « غرشقان » . وينظر : تاريخ كزبده . ص ٤٨٠ .

(١٣) ينظر المختصر في اخبار البشر ٤ : ١٢٣-١٢٤ ، تاريخ دول الاسلام ، منقربوس ٢ : ٢٠٠ - ٢٠١ .

(١٤) ينظر تاريخ مفصل ايران « فارسي » . ص ٢١٣ . الطشت دار : هو احد الموظفين الذين يعملون في « الطشت خاناه » أي المكان الذي يحوي الطشت الذي تغسل فيه الايدي والاقمشة . ينظر : صبح الاعشى ٤ : ١٠ - ١١ .

وكان لأنوشتكين هذا ولد اسمه محمد ، أحسن أبوه تربيته ، وعلمه
فَسَبَّ عالماً جذب اليه الأنظار مما جعل السلطان بركياروق^(١٥) ، يوصي الأمير
« حبشي^(١٦) » والي خراسان أن يوليه خوارزم ، لما رأى من نشاطه وعلمه ،
فأصبح حاكماً على خوارزم ، في سنة ٤٩١ هـ ، من قبل السلطان سنجر الذي
كان يحكم خراسان في ذلك العهد . وقد أطلق سنجر عليه لقب «خوارزم شاه» ،
فقام بمهمته على أحسن وجه ، وكان عادلاً سليم الطوية ، محباً لأهل العلم ،
فأحبه الجميع ، ولما توفي قام مقامه ابنه آتسز سنة ٥٢١ هـ^(١٧) .

ولم تكن العلاقات بين آتسز وولي نعمته سنجر على ما يرام ، وحدثت
بينهما منازعات وحروب كثيرة ، فصلها ابن الاثير في كتابه الكامل ، والنسوي
في كتابه سيرة جلال الدين منكبرتي . وبارتولد في كتابه :

Turkestan Down to the Mongol Invasion.

وعن هؤلاء وغيرهم أخذ أكثر المؤرخين المحدثين مادتهم^(١٨) .

ومما يهمننا من تلك الحروب ، أن الشعر دخل ميدان المعركة ، التي قامت
بين هاتين الدولتين ، فقد كان لكل من سلطانها شاعره الخاص ، الذي اختص
بمدح صاحبه ، وهجو عدوه ، فكان الشاعر أنوري^(١٩) مع السلطان سنجر ،
وكان رشيد الدين الوطواط ، مع السلطان اتسز . وفي اثناء حصار سنجر

(١٥) بركياروق : لقب ركن الدولة . وقد خطب له ببغداد في اول سنة ٤٨٧ هـ .

توفي سنة ٤٩٨ هـ . ينظر تاريخ الاسلام « مخطوط » ورقة ٣٣٣ ، ٣٧٥ .

(١٦) حبشي : احد امراء الدولة السلجوقية . ينظر عنه : الكامل في التاريخ .
١ : ٢٦٧ « حوادث سنة ٤٩٠ هـ » .

(١٧) الكامل في التاريخ . ١ : ٢٦٧ ، تاريخ مفصل ايران . ص ٢١٣ ، وكتاب
بارتولد .

Turkestan Down to the Mongol Invasion. P. 324.

(١٨) مثل براون في كتابه : تاريخ الادب في ايران ، والدكتور حافظ احمد
حمدي في كتابه : الدولة الخوارزمية والمغول ، الشرق الاسلامي قبيل
الغزو المغولي .

(١٩) هو اوحده الدين علي بن اسحاق . تنسب اليه اشعار تدل على تشيعه .
توفي في بلخ سنة ٥٤٧ هـ . ينظر عنه : الكنى والالقب ٢ : ٥٨ .

لقلعة « هزراسب » أمر شاعره ان ينشيء أبياتاً لكي يكتبها على سهم ،
ويقذف به داخل المدينة المحاصرة ، فكتب أنوري هذه الرباعية (٢٠) :

أيها المليكُ إنَّ ملكَ العالمين رهنُ اشارتِكَ
والعالمُ كسبُ لكَ بفضلِ اقبالِ حظِّكَ ودَوَلتِكَ
فخذ اليومَ بحملةٍ واحدةٍ قلعةَ هزراسب
وغدا تكون لك خوارزم ومائة هزراسب (٢١)

ومما جاء في هذه الرباعية قوله أيضاً (٢٢) :

أيها ذا المليك ذو التاج يا من كل ملك بالارض في راحتِكَ
قدَّر الله أن تسودَ بني الدنيا بمجدٍ القى الزمامَ إليكَ
فاتزعُ في الهجومِ حصنَ هزارا سب بجيشٍ يموج في جانبيكَ (٢٣)
مائة الالف من مهارى خوارزم أراها الفداة بينَ يديكَ (٢٤)

ويقال إنَّ الوطواط ردَّ على هذه بأبيات أغضبت السلطان سنجر ، فشدد
الحصار على هزراسب ، حتى استولى عليها بعد حصار دام شهرين (٢٥) .
والايات هي (٢٦) :

(٢٠) ينظر تاريخ الادب في ايران (الترجمة العربية) . ص ٣٨٧ . أما نص
هذه الايات فهي كما يلي :

شاه همه ملك زمين حسب تراست وزدولت واقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله هزار سف لكبر مزدخوارزم وصد هزار اسف تراست
ينظر تاريخ جهانكشاي ٢ : ٨ ، تاريخ كزیده . ص ٤٨٣ .

(٢١) ومعنى هزراسف بالفارسية : مائة فرس .

(٢٢) ينظر : الدولة الخوارزمية والمغول . ص ٨٧ .

(٢٣) هزراسب : مدينة كبيرة وقلعة حصينة بارض خوارزم . ينظر : آثار
البلاد واخبار العباد . ص ٥٦٧ ، تقويم البلدان . ص ٢٦٣ ، صبح
الاعشى ٤ : ٤٥٥ .

(٢٤) المهارى : ابل منسوبة الى مهرة بن حيدان ابي قبيلة والمهر : ولد الفرس .
وجمعه القليل امهار والكثير مهار ومهارة .

(٢٥) ينظر : Turkestan Down to the Mongol Invasion. P. 328
وتاريخ مفصل ايران . ص ٢١٣ .

(٢٦) ينظر : الدولة الخوارزمية والمغول . ص ٨٧ .

إذا كان رستم ياذا المليك أهاجَ لحربك نفعاً مثارا
 فدون هزاراسب شم الجبال وصيد الكواكب دون المهارى
 أيحلم في الفلك الصافيان ويعجز ، لو رام منها حمارا (٢٧) ؟
 ولما توفي آتسر حل محله ابنه ايل ارسلان ، الذي كان حاكماً على مدينة
 « جند » (٢٨) في زمن والده ، والذي توفي بعد مرضه فجأة ، في سنة
 ٥٦٧هـ ، بعد سلطنة دامت ١٧ سنة (٢٩) .

وولي بعده ابنه الصغير سلطان شاه ، دون أخيه الأكبر تكش (٣٠) ، في
 مدينة « جند » ، ولذلك فقد قامت الحرب بين الأخوين ، واستمر النزاع
 بينهما مدة طويلة ، دامت الى أن توفي تكش ، سنة ٥٩٦هـ (٣١) . وبعد وفاته
 جاء الى الحكم قطب الدين ، أو علاء الدين ، محمد خوارزم شاه ، وكان من
 كبار الملوك . وعلى الرغم من قوته ولياقته وفتح ممالك واسعة ، استولى عليه
 الجبن ، حين حمل المغول على بلاده ، فهرب ومات في جزيرة « ابسكون » (٣٢)

(٢٧) الصافن : الاكل من البعير .

(٢٨) جند : مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبين خوارزم عشرة ايام ،
 تلقاء بلاد الترك ، مما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون ، واهلها
 ينتحلون مذهب ابي حنيفة . ينظر معجم البلدان ٢ : ١٦٨ . (طبعة
 بيروت) .

(٢٩) ينظر المصدر السابق ٢ : ٢١٤ ، وفي تاريخ ابن خلدون ٥ : ١٧٧ « ان
 وفاته كانت سنة ٥٦٨هـ » .

(٣٠) ينظر عنه : لباب الالباب : ص ٤٣ فقد وصفه محمد عوفي باحلى الالفاظ ،
 واحسن الصفات ، تاريخ الضيائي . ورقة ١٤١ .

(٣١) ينظر : الكامل في التاريخ ١٢ : ١٥٦ ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان .
 ج ٨ . ق ٢ . ص ٤٧١ ، الدليل على الروضتين . ص ١٧ ، وفي تاريخ
 مختصر الدول . ص ١٧٨ وفاته سنة ٥٩٤هـ .

(٣٢) ابسكون : مدينة على ساحل بحر طبرستان ، بينها وبين جرجان أربعة
 وعشرون فرسخا ، وهي فرضة للسفن والمراكب . والفرضة من النهر :
 المشرع يستسقى منه ومن البحر : مرفأ السفن .

ينظر : معجم البلدان ١ : ٧٣ (بيروت) . وتنظر : ترجمة هذا السلطان
 في : تاريخ الغياثي ورقة ١٤١ .

على ما ذكر عبدالله رازي ، في كتابه : تاريخ مفصل ايران (٣٣) ، سنة ٦١٧هـ (٣٤) .

وأخيراً تسلم البطل الشجاع ، جلال الدين منكبرتي ، هذا العرش المتهاوي ، تحت ضربات التتار سنة ٦٢٨هـ (٣٥) . وعلى الرغم من شجاعته وقوته ، لم يستطع أن يحافظ على عرشه فقتل ، وانهى حكم هذه الدولة على يد المغول ، بانهاء بطلها جلال الدين منكبرتي ، آخر بطل اسلامي صمد أمام الجموع المغولية الفاتكة .

وتختلف الروايات في سبب غزو التتار لاقليم خوارزم ، فهناك رواية تقول (٣٦) : إن سببه استجداد الخليفة العباسي الناصر بهم ، ليشغل خوارزم شاه بهم ، حتى يأمن هو شره ، ويأمن الاخطار التي تحدق ببلاده من سيطرة وقوة الدولة الخوارزمية .

وهناك رواية تقول (٣٧) : إن سببه قتل خوارزم شاه ، للتجار الموفدين من قبل جنكزخان الى تلك البلاد ، في سنة ٦١٢هـ . وإن جنكزخان نتيجة لتلك الفعلة ، جهز حملة مكونة من (٧٠) ألف مقاتل ، وجعل قيادتها لاثنيين من أبنائه ، وحصر مدينة « أترار (٣٨) » ، وأخذها عنوة بعد أن دافعت عن

(٣٣) ينظر ص ٢١٦ .

(٣٤) ينظر : تاريخ الخميس - حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري ٢ : ٣٦٨ . مط / . سنة الطبع ١٢٨٣هـ .

وينظر : العبر في خبر من غبر ٥ : ٢٦٩ ، الذيل على الروضتين . ص ١٢٢ .

(٣٥) ينظر عنه : تاريخ الفياثي . ورقة ١٤٢ ، دول الاسلام ٢ : ١٠١ ، غرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان - الامير حيدر أحمد الشهابي - ١ : ٤١١ مط السلام بمصر ١٩٠٠ م ، تاريخ كزيدة . ص ٤٩٧ .

(٣٦) ينظر : تاريخ الادب في ايران . ص ٥٥٦ ، التاريخ الاسلامي العام . ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٣٧) ينظر : تاريخ دول الاسلام - منقربوس - ٢ : ٢٠٨ - ٢٠٩ ، التاريخ الاسلامي العام . ص ٤٦٥ .

(٣٨) اترار : قلعة حصينة في خوارزم .

نفسها ، نحو خمسة أشهر^(٣٩) . وبهذا قامت الحرب بينهما ، وانتهت بتدمير البلاد ، وسقوط الدولة الخوارزمية .

وسواء صحت هذه الروايات أم لا ، فإن تدخل المغول بين هاتين القوتين المتصارعتين^(٤٠) ، وأقصد بهما الدولة الخوارزمية ، والدولة العباسية ، كان خطراً كبيراً على المشرق الإسلامي كله .

١٠٤

(٣٩) ينظر تاريخ المغول والبول الإسلامية الآسيوية . ص ٣٤ .
(٤٠) كثيراً ما هددت الدولة الخوارزمية الدولة العباسية ، وكثيراً ما هدد خوارزم شاه بغداد ، وقد قصدها ولكنه فشل وخاب ظنه ، في الاستيلاء عليها .

ينظر : المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك (خ) . ح ٢ . ورقة ١٠٤ ، تاريخ الخلفاء . ص ٤٤٩ (السعادة) .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

يتصف الوضع الاقتصادي في اقليم خوارزم ، بالرخاء والازدهار ، نتيجة الاستقرار واستتباب الامن ، كما كان لموقعه الجغرافي أهمية كبرى ، في هذا الازدهار ، وذلك الرخاء ، الذي نتج عنه ازدهار الزراعة والتجارة ، وهما الدعمان اللتان قام عليهما اقتصاد تلك البلاد .

قال ابن حوقل^(١) : إنَّ خوارزم « ناحية خصبة كثيرة الأطعمة والحبوب والفواكه » . وقال غيره^(٢) : « إنَّها جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات » . وقد ساعدت الأنهار الكثيرة التي تغذي أراضي هذا الإقليم ، وتسقي الكثير من مزارعه وبساتينه ، على وفرة الخيرات ، التي أدت بدورها الى رخص الأسعار .

وأهم غلات هذا الاقليم : البندق والعنب والسمسم ، والقطن والأرز^(٣) . أما البطيخ فيعد من أهم محاصيل هذا الاقليم ، كما يعد من عجائبه وغرائب ، فهو على حد قول القزويني وابن بطوطة^(٤) : إنه لا مثيل له في بلاد الدنيا ، إلا ما كان من بطيخ بخارى ، يليه بطيخ اصفهان .

ومن عجائب هذا البطيخ ما ذكره ابن بطوطة ، من أنه « يقدر وييس في الشمس ، ويجعل في القواصر^(٥) ، ويحمل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين ، وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه » . ويقال إنه كان

(١) ينظر كتابه : صورة الارض . ص ٣٩٧ .

(٢) ينظر القزويني في كتابه : اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٥ .

(٣) ينظر : تحفة الالباب . ص ٣٩ ، بلدان الخلافة الشرقية . ص ٥٠٢ .

(٤) ينظر اثار البلاد واخبار العباد . ص ٢٥١ ، مهذب رحلة ابن بطوطة . ص ٣٠٢ .

وينظر ايضا : تحفة الالباب . ص ٣٩-٤٠ . وقد زار ابو حامد الاندلسي هذه البلاد ومكث بها مدة .

(٥) القواصر : جمع قوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ، وقال ابن دريد : ولا احسبه عربيا « لسان العرب مادة قصر » .

يحمل إلى الخليفة العباسي « المأمون » وإلى الخليفة « الواثق » في قوالب من الرصاص ، معبأة في الثلج^(٦) .

وعلى الرغم مما ذكره ابن حوقل ، من أنه ليس ببلادهم معدن ولا ذهب ، ولا فضة ، ولا شيء من جواهر الأرض ، إلا أنهم كانوا ذوي يسار ، وكان يسارهم من متاجرة الرقيق الاتراك ، ومن اقتناء المواشي . كما كان تجارهم يصلون حتى نواحي يأجوج ومأجوج (بلاد الصين) ، لاستخراج الخروز والأوبار^(٧) .

وقد ساعدت هذه الامور ، على ازدهار التجارة ، كما ساعد موقع الجرجانية ، قصبة خوارزم ، على ذلك ، فهي أهم مركز تجاري على الطريق البري ، من شرقي أوروبا ، الى شرقي آسيا^(٨) ، وهي متجر الغزبية^(٩) أيضا ، ومنها تخرج القوافل الى جرجان والخزر وخراسان^(١٠) ، وهي محملة بأنواع الأمتعة ، وخاصة الأوبار^(١١) .

كما كان لقصبتها الثانية « كاث° » أهميتها في ذلك ، ولا سيما في القرن الرابع الهجري ، فقد كانت من أفخم المدن مظهراً ، كما كانت عامرة الأسواق ،

(٦) ينظر لطائف المعارف . ص ٢٢٦ .

(٧) ينظر كتابه : صورة الارض . ص ٣٩٨ .

(٨) ينظر دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ٩ : ٧ .

(٩) الغزبية : في دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة) ٢ : ١٧٨ ان الغز سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخاري ، ومشوا على اطراف الفولغا والدانوب وعمرؤا شرقي أوربا ، والسلجوقيون جاءوا من الغز . وفي رسالة ابن فضلان . ص ٩١ ان الغزبية قبيلة من الاتراك ، لهم بيوت من الشعر يحلون ويرتحلون ، لا يدينون لله بدين ، ولا يعبدون شيئاً ، بل يسمون كبراءهم اربابا .

(١٠) ينظر كتاب صورة الارض . ص ٣٩ .

الخزر : وهي بلاد الترك خلف باب من الأبواب المعروف « بالدَرْبَنْد » معجم البلدان ٣٦٧/٢ . (طبعة بيروت) .

(١١) ينظر كتاب التنبيه والاشراف - ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي . ص ٦٢ .

تحقيق : عبدالله اسماعيل الصاوي . مط . دار الصاوي للطباعة والنشر والتأليف - القاهرة . ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

دائرة التجارة ، لتوفر الطرق التجارية الهامة فيها ، وكانت البضائع تنقل منها عبر نهر « وِذاك » أو « وِذاك » إلى الجرجانية وغيرها من مدن وقرى هذا الاقليم (١٢) .

وهكذا ازدهرت التجارة الخارجية لهذا الاقليم ، لاتصاله مع غيره من الاقاليم المجاورة ، والبلاد البعيدة . كما ازدهرت التجارة الداخلية أيضا ، وأصبح هذا الاقليم من أعظم الأقاليم وأكثرها تجراً وأموالاً ، وأحسنها منازل وأسواقاً ويساراً ، لنشاط أهله وحجهم للأسفار ، فهم على ما ذكر الاصطخري ، أكثر أهل خراسان انتشاراً وسفراً (١٣) . وهذا ما جعل ابن حوقل وغيره من المؤرخين يقولون : إنه ليس بخراسان مدينة كبيرة ، الا وفيها من أهل خوارزم جمع كبير (١٤) .

ومن البضائع التي يصدرونها : السجاجيد والمنسوجات الحريرية والصوفية ، والقطنية ، التي تشغلها نساؤهم بالمنزل (١٥) . كما كان يحمل منه أصناف كثيرة من الجبن واللبن .

أما الفراء ففي أسواق الجرجانية ، أشهر الأنواع وأغلاها ، والذي يجلب اليها من بلاد البلغار على القولجا . وذكر المقدسي وغيره اصنافاً كثيرة منها . كما ذكرها المستشرق لسترنج (١٦) .

ومن أنواع الفراء عندهم ، فراء الدِّلَق (١٧) ، وفراء السمور (١٨)

(١٢) ينظر كتاب صورة الارض . ص ٣٩٥ .

(١٣) ينظر كتاب الاقاليم . ص ١١٧ .

(١٤) ينظر صورة الارض . ص ٣٩٨ ، المسالك والممالك . ص ١٧٠ .

(١٥) ينظر دائرة معارف القرن الرابع عشر - محمد فريد وجدي ٣ : ٧٩٥

مط . دائرة معارف القرن العشرين . ط ٤ ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

(١٦) ينظر كتابه : بلدان الخلافة الشرقية . ص ٥٠٢ .

(١٧) الدلق : دويبة « فارسي معرب » .

(١٨) السمور : دابة تشبه السنور تتخذ من جلودها الفراء الغالية الاثمان .

والثعالب ، والقنـدس^(١٩) ، وفراء السـنـجـاب^(٢٠) والقاقوم^(٢١)
والفـنـك^(٢٢) ، وابن عـرس^(٢٣) . وكانوا يعملون منها الحلـل الطويلة
والقصيرة .

ويحمل من هذا الاقليم ، الى الاقاليم الأخرى ، جلود الحمر الوحشية،
وجلود الأرانب ، والمعزى المدبوغـة^(٢٤) .

وقال القزويني^(٢٥) : « وما اختصت به خوارزم ، الخيل الهمالج
الفرّـة^(٢٦) » .

وذكر الثعالبي^(٢٧) أن هذه البلاد : « تقارب بلاد الترك باتسابها في
الخصائص والمتاجر » وهي بلاد مصدرة للرقيق والاغنام والأوبار ، لاسيما

(١٩) القنـدس : كلب الماء ، وقيل القنـدز : فارسي دخيل : حيوان مائي مفلطح
الذنب ، لونه احمر قاتم ، وله غشاء بين برائن رجليه ، يعينه على
السباحة . يتخذ من جلده الفراء .

(٢٠) السـنـجـاب : حيوان اكبر من الفأر ، يعيش في الشجر العالي ، وبره في
غاية النعومة ، تتخذ منه الفراء النفيسة ، وبعضهم يقول : هو
« القرقـذون » ومنه جنس له غشاء بين يديه ورجليه ، يظفر
من شجرة الى شجرة ، وهو السـنـجـاب الطائر .

(٢١) القاقوم : او القاقم : حيوان تركي ، على شكل الفأرة ، الا انه اطول ،
ويأكل الفأرة . له شعر ابيض ناعم ، تتخذ منه الفراء ، وهو اعز قيمة
من السـنـجـاب .

(٢٢) الفنـك : دابة يفتري جلدها ، وهو من احسن انواع الفراء ، وهي دويبة
لطيفة ، لها وبر حسن ابيض ، يخالطه بعض الحمرة ، يتخذ من جلودها
الفراء ، او هو نوع من جراء الثعلب التركي .

(٢٣) ابن عرس : دويبة دون السنور ، لها ناب وجمعه بنات عرس .

(٢٤) ينظر بلدان الخلافة الشرقية . ص ٥٠٢ .

(٢٥) ينظر اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٦ ، ربيع الابرار (خ) ح ١ .
ورقة ٩٧ .

(٢٦) الهمالج : الهملجة والهملاج : حسن سير الدابة في سرعة ، وقيل حسن
السير في بخترة . والفرهة : النادرة . ودابة فارهة : اي نشيطة حادة
قوية .

(٢٧) ينظر لطائف المعارف . ص ٢٢٦ .

الثعالب الحمر والسود ، والقسيّ الفاخرة ، والسّموك^(٢٨) الملحّة ،
والرحقين^(٢٩) الذي هو بها كالمثري بمر^(٣٠) » .

وذكر المستشرق لسترنج ، من خصائصها أيضاً : الكرايس^(٣١) ، التي
يقال لها : الآرنج .

ومن صناعاتها التي ذكرها لسترنج أيضاً : صناعة المنسوجات
والشمع ، الذي يتخذ من لحاء الشجر ، والخور الابيض المسمى « التوز »
الذي يتخذ غلافاً للدروع . وغراء السمك وأسنانها وغير ذلك^(٣٢) .

وقال القزويني عن أهل جرجانية ، بأنهم أهل الصناعات الدقيقة
كالحدادة والنجارة وغيرهما . وهم يبالغون في التدقيق في صناعاتهم .
والسكافون^(٣٣) يعملون الآلات من العاج والأبنوس ، الذي يقال انه لا يعمل
في غير خوارزم ، الا بقرية يقال لها « طرق » من أعمال أصفهان^(٣٤) .

وقد كان من شأن هذه الموارد ، أن تساعد على انخفاض اسعار
الأطعمة والاشربة والالبسة ، انخفاضاً كبيراً ، مما أدى إلى رخاء العيش
وازدهاره .

أما عن حياتهم الاجتماعية ، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاقتصادية
للبلاد ، كارتباطها بالحياة السياسية أيضاً . وهناك عاملان كان لهما أثر هام
في حياة الناس الاجتماعية ، في هذا الاقليم ، وهما طبيعة البلاد والاسلام .

(٢٨) السموك : جمع السمك .

(٢٩) الرحقين : هكذا وردت في لطائف المعارف . ص ٢٢٦ ، ولعلها الرحبين
وقد جاء في القاموس المحيط مادة (كبح) والكبح : نوع من المصل اسود
وهو الرحبين . والمصل : اللبن صار في وعاء خوص ، او خرق ليقطر
ماؤه .

(٣٠) المثري : ما يؤتمد به ، يتخذ اما من السمك المالح واللحوم المالحه ، واما من
خبز الشعير ، او خبز الحنطة المحروق .

(٣١) الكرايس : جمع الكرباس : وهو ثوب من القطن الابيض .

(٣٢) ينظر كتابه : بلدان الخلافة الشرقية . ص ٥٠٢ .

(٣٣) اي النجارون .

(٣٤) ينظر بلدان الخلافة الشرقية . ص ٤٩٢ .

أما عن طبيعة البلاد ، فهي من أبرد البلاد ، حتى أن جيحون يجمد في الشتاء ، كما مرّ بنا - فيمشي عليه الناس والقوافل والعساكر . ومع هذا فاقليم خوارزم ، لا يختلف اختلافاً بيناً ، عن الأقاليم الأخرى ، وإن وصف بأنه اقليم منعزل ، أو شبه منعزل .

ومن خلال دراستنا لأحوالهم العامة ، يتبين لنا أن أهل هذا الاقليم كانوا يتصلون بعضهم ببعض ، مما قلل الفوارق بينهم ، وساعدهم على الانسجام . وربما كان لأخلاقهم الطيبة ، أكبر الأثر في ذلك . يقول ابن بطوطة^(٣٥) : «إنه لم يرَ في بلاد الدنيا أحسن أخلاقاً منهم» . ويقول القزويني عن لستان الزمخشري^(٣٦) : «إنّ بخوارزم فضائل لا توجد في غيره، من سائر الأقطار» . أما الاسلام فهو دين يحارب التفرقة ، وليس فيه تمايز بين الناس الا بالتقوى ، والعمل الصالح .

هذان العاملان كان لهما أثرهما ، وقد صادفا الرخاء الاقتصادي ، والخيرات الكثيرة والأمن الدائم ، والرابطة القوية بين الناس والتعاون والمحبة بينهم .

كان المجتمع الخوارزمي يتكون من عنصرين مهمين ، ثم من أقليات أخرى . وأول هذين العنصرين : سكان البلاد الأصليون ، بعضهم تنار من قبائل مختلفة ، وبعضهم الآخر من قبائل الأوزبك والتركمان ، وبعضهم من قبائل بخارية^(٣٧) .

وثانيهما : العرب الذين دخلوا الى البلاد ، بعد الفتح الاسلامي ، والذين لم تسعفنا المصادر بأي خبر عنهم ، وإن كنا نرجح أنهم جاءوا اليه مع الجنود ، كما هي العادة ، فقد كان كثير من الجنود يصحبون معهم عوائلهم ، أو كانوا يجلبون عوائلهم بعد أن تستقر بهم الحال ، في الاقاليم المفتوحة .

(٣٥) ينظر مذهب رحلة ابن بطوطة ١ : ٢٩٨ .

(٣٦) ينظر اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٥ . وفي ربيع الابرار . ح ١ . ورقة ٩٦ ان ابن سميّة الكاتب ، عدد فضائلها ، وذكر ان لهم خصالا محمودة لا يتفق في غيرها من الامصار .

(٣٧) ينظر دائرة معارف القرن الرابع عشر ٣ : ٧٩٤ .

وبما أن هذا الاقليم فتح صلحاً ، فمن المرجح أن الانسجام كان قائماً بين العرب والسكان الأصليين ، الذين اعتنقوا الاسلام ، وصاروا ينظرون الى القادمين نظرة محبة وإخاء .

وكان فيه مع الاسلام النصارى ، الذين لم يكونوا على مذهب النساطرة ، شأن معظم نصارى فارس ، وأواسط آسيا ، بل كانوا من الروم الارثودوكس (٣٨) .

وبجانب هؤلاء عاش الزرادشتيون ، الذين ظلوا متمسكين بدينهم القديم ولم يسلموا (٣٩) .

أما أتباع الأديان الأخرى : كاليهود فقد ذكر أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان (٤٠) ، انه كان في خوارزم مائة بيت من اليهود (٤١) ، ومائة بيت من النصارى ، لا يسمح بأكثر من ذلك .

وكانت القبائل التركية والتركمانية التي تسكن هذا الاقليم ، يعيشون على رعي مواشيهم ، التي تعيش على الغضا (٤٢) الذي ينبت في الرمال المحيطة بتلك البلاد (٤٣) .

ومن العناصر الفعالة في هذا المجتمع ، العبيد والجواري ، الذين يأتون عن طريق الشراء أو الغزو أو السرقة . فأولاد الأتراك يشترون أو يسرقون ، من بدو تلك البراري ، وبعد أن يعلّموا ويؤدّبوا بالآداب الاسلامية ، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام . وقد يتولون أجل مناصب الدولة ووظائفها (٤٤) .

(٣٨) ينظر دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ٩ : ٤ .

(٣٩) كان اهل خوارزم ابان الفتح الاسلامي ، يدين اكثرهم بالزرادشتية ، كما كان بعضهم يمتنق المسيحية ، كما جاء في القاموس الاسلامي ٢ : ٢٩٣ .

(٤٠) ينظر ص ٢٦٣ .

(٤١) جاء في دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة . ع) ٩ : ٤ انه لا يرد اي ذكر لليهود ، ضمن هذا الاقليم .

(٤٢) الغضا : نبات طرى ترعاه الماشية ، وهو من نبات الرمل .

(٤٣) ينظر معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ .

(٤٤) ينظر بلدان الخلافة الشرقية . ص ٥٠٢ .

ولذلك كان أهل اقليم خوارزم ، في خوف دائم من هذا الأُسْر ، للشبه الكبير بينهم وبين الترك . يذكر البشاري أنه سأل أحدهم عن اختلاف رؤوسهم ، عن رؤوس الناس ، فأجابه : بأن قدماءهم كانوا يغزون الترك فيأسرونهم ، وربما وقعوا هم في الأُسْر ، للشبه المشترك بينهما ، فبيعوا في الرقيق ، ولذلك أمروا النساء اذا ولدن ، أن يربطن أكياس الرمل ، على رؤوس الصبيان من الجانبين ، حتى ينسبط الرأس ، وبعد ذلك لم يُسترقوا . وردَّ من وقع منهم الى الكورة (٤٥) .

وقد أورد ياقوت الحموي أيضاً هذه الرواية ، ولكنه علق عليها بقوله : « وهذا من أحاديث العامة ، لا أصل له ، هب أنهم فعلوا ذلك فيما مضى ، فالآن ما بالهم ، فان كانت الطبيعة ورثته وولدتها على الأصل ، الذي صنعتها بهم أمهاتهم ، كان يجب أن الأعور الذي قلعت عينه ، أن يلد أعور ، وكذلك الأحدب وغير ذلك ، وانما ذكرت ما ذكر الناس (٤٦) . »

وقال أبو الحسن اللِّحَام في اختلاف رؤوسهم (٤٧) :

ما أهلُ خوارزم سِلالةَ آدم
ما هم - وحقُّ الله - غَيْرُ بهائمٍ
أرني شَبِيهَ رؤوسهم وجباههم
ولغاتهم وخفافهم في العالم
إنْ كانَ يَقْبَلُهُمُ أبونا آدمُ
فأنا بَريٌّ مِنْ أَيْنِنا آدمُ

هذه الافواج من العبيد والاماء ، وجدت صدراً رجباً في المجتمع الذي حلَّت فيه ، فوصل كثير منهم الى المناصب العالية ، وتقلدوا أرفع الرتب

(٤٥) ينظر احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ص ٢٨٥ .

(٤٦) ينظر معجم البلدان ٢ : ٣٩٧ . (طبعة بيروت) .

(٤٧) ينظر المصدر السابق ٢ : ٣٩٥ وفي روايته بعض الاختلاف . وفي لطائف

المعارف . ص ٢٨٨ (لاهم) .

وروايته في معجم البلدان .

ابصرت مثل خفافهم ورؤوسهم وثيابهم وكلامهم في العالم

العلمية ، وكان المجتمع ينظر اليهم نظرة احترام ، فنجدهم لا يأتقون من التصريح بأنسابهم ، وخير مثال لذلك أنوشتكين ، مؤسس الدولة الخوارزمية ، فهو عبد تركي ، اشتراه أحد امراء السلاجقة ، ثم أظهر هذا العبد من اللياقة والكفاءة ، ما فتح أمامه باب التقدم ، في عهد السلطان ملكشاه الذي عينه والياً على خوارزم^(٤٨) .

ونجد الى جانب هؤلاء الجواري ، اللواتي شاركن في الحياة اللاهية ، فكثيراً ما نرى في شعرهم ذكر مجالس الشراب ، وذكر الخمرة . فالبيهقي ينقل قولاً عن لسان البيروني^(٤٩) : ان أبا العباس المأمون بن مأمون خوارزم شاه ، آخر امراء الاسرة المأمونية ، كان رجلاً فاضلاً شهماً ، يتحلى بالأخلاق الفاضلة ، ومع هذا كان يفرط أحياناً في شرب الخمر ، وكان يجلس للشراب ويدعو صفوة الأولياء ، والحشم والندماء ، وأبناء الامراء ، الذين كانوا في البلاط ، من السامانيين وغيرهم ، وكان يأمرهم بدعوة الرسل ، الذين جاءوا من الأطراف ، فيدعونهم بما يليق بمكائتهم ويجلسونهم ، فكان اذا أمسك بالقدح الثالث يقف ويشربه في نخب ذكرى السلطان محمود^(٥٠) ، ثم يشير اليهم واحداً واحداً فيقبلون الأرض ، ويقفون حتى يشربوا الكأس جميعاً . ثم يشير اليهم بالجلوس ، ويحيى الخادم وفي أثره ، يؤتى بصلات المغنين ، لكل واحد منهم حصان قيم وكسوة وكيس به عشرة آلاف درهم على حد قول البيهقي .

ويحدثنا ابن جرير الطبري في كتابه : تاريخ الرسل والملوك^(٥١) ، وابن الاثير في كتابه : الكامل في التاريخ^(٥٢) عن دعوة خوارزم شاه ، لأجناده ودهاقنته^(٥٣) ، الى الشراب والتنعيم ، عندما أراد قتيبة بن مسلم الباهلي فتح

(٤٨) ينظر : الكامل في التاريخ ١٠ : ٢٦٧ ، تاريخ مفصل ايران « فارسي » . ٢١٣ .

(٤٩) ينظر تاريخ البيهقي . ص ٧٣٤ .

(٥٠) هو السلطان محمود الغزنوي ، وكانت اخته متزوجة من ابي العباس مأمون بن مأمون .

(٥١) ينظر ص ٨ : ١٢٣٧ .

(٥٢) ينظر : ٤ : ٥٧٠ « حوادث سنة ثلاث وتسعين » .

(٥٣) الدهقان والدهقان : التاجر . فارسي معرب . وهم الدهاقنة والدهاقين والدهقان : القوى على التصرف مع حدة .

بلادهم ، وتم الاتفاق بينهما على تسليمها اليه مقابل أن يسلم قتيبة لخوارزم شاه أخاه المتمرّد العابث ، وكان أن أقبلوا على الشرب والتّنعّم ، فلم يشعروا حتّى نزل قتيبة في هزاراسب^(٥٤) ، وكان هذا العمل حيلة من خوارزم شاه ، حتّى يضعهم أمام الأمر الواقع .

وذكر البيهقي أيضاً : أنه سمع الثعالبي يقول : إنّه كان يحضر مجلس الشراب الذي كان يرأسه خوارزم شاه ، وإنّ خوارزم شاه كثيراً ما كان يشرب حتّى الثمالة . ويدل هذا على الحياة اللاهية ، التي كان يحياها الناس في ذلك المجتمع ، وعلى تشجيع رجال الدولة للهو . ويقول ابن الطقطقا : إنّ الخذلان ما دخل على ملك ، من طريق اللهو واللعب ، كما دخل على جلال الدين بن خوارزم شاه ، فانه لما هرب من المغول ، تبعوه من مكان الى آخر ، وهو مع ذلك مواصل لشرب الخمر ، عاكف على الدف والزمر ، لا ينام الا سكران ، ولا يصبح الا مخمورا نشوان^(٥٥) .

وليس بعيد ان خيرات البلاد الكثيرة ، وخلو البال ، والفراغ الكبير في حياتهم ، أدت الى هذه الحياة المترفة اللاهية .

أما طباعهم ففيها شبه من طباع البربر كما يصفهم ياقوت الحموي^(٥٦) ، وزعيم القراطق^(٥٧) والقلائس^(٥٨) المعوجة . ويقول ابن حوقل^(٥٩) : « ولهم في تعويجها زيّ ورسم » . « ولهم بأس على الغزوية ومنعه^(٦٠) » .

(٥٤) قرية حصينة بخوارزم ، غربي جيحون ، بينها وبين مدينة كاث ستة فراسخ . ينظر معجم البلدان ٥ : ٤٠٤ (طبعة بيروت) . ، اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٦٧ ، تقويم البلدان . ص ٧٨ .

(٥٥) ينظر كتابه : الفخري في الاداب السلطانية - محمد بن علي بن طباطبا ، المعروف بابن الطقطقا . ص ٤٥ . مط . دار صادر . بيروت . سنة الطبع : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

(٥٦) ينظر كتابه : معجم البلدان ٣ : ٤٧٤ (السعادة) . ، احسن التقاسيم . ص ٢٨٦ .

(٥٧) القراطق : القرطق : ملبوس يشبه العباء من ملابس العجم . والعباء : ضرب من الاكسية معروف .

(٥٨) القلائس : من ملابس الرأس .

(٥٩) ينظر كتابه : صورة الارض . ص ٣٩٨ .

(٦٠) ينظر مسالك الممالك . ص ١٧٠ .

ومن آثار الوضع الاقتصادي لاقليم خوارزم ، شيوع عادات اجتماعية منها : اكرامهم الضيف ، فاذا أتى احدهم ضيف ، أناه الناس بالطعام الكثير^(٦١) ، ويمثل هذا أجمل صورة للتعاون والمحبة السائدين بين طبقات المجتمع ، غنيهم وفقيرهم . ولعل هذا ما دفع ابن بطوطة الى القول : إنه لم يرَ في بلاد الدنيا ، احسن اخلاقاً من أهل خوارزم ، ولا أكرم نفوساً ، ولا أحب للغرباء ، فهم يحسنون الى الضعفاء ، ويعطفون عليهم ، وهم بهذا يختلفون عن أهل الجانبين في الخلق والطباع .

ولعل ظاهرة شرب الخمرة التي نوهنا عنها قبل قليل ، ما هي الا أثر من آثار الوضع الاقتصادي لاقليم خوارزم ، بخيراته الكثيرة ، وغناه وترفه .

وقال ابن بطوطة^(٦٢) : « إنَّ لأهل تلك البلاد عادة جميلة في الصلاة ، لم أرها لغيرهم وهي أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور حيران مسجده ، معلماً لهم بحضور الصلاة ، فمن لم يحضر للصلاة ضربه الإمام بمحضر الجماعة » .

كما ذكر ابن بطوطة أيضاً : أنه كان بكل مسجد « درة^(٦٣) » معلقة ، يضرب بها كل من تخلف عن الصلاة ، ويغرم خمسة دنانير ، تنفق في مصالح المسجد ، أو تطعم للفقراء والمساكين . وهذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان ، كما يقال .

ومن عوائدهم أيضاً : أن أميرهم يأتي القاضي ، في كل يوم فيجلس عنده ، بمجلس معد له ، ومعه الفقهاء وكتّابه ، ويجلس في مقابلته أحد الأمراء الكبراء ، ومعه ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم ، يسمون « الأَرْغَجِيَّة » ويتحاكم الناس اليهم ، فما كان من القضايا الشرعية ، حكم فيها القاضي ، وما كان من سواها حكم فيها أولئك الأمراء ، وأحكامهم على ما يقول ابن بطوطة : « مضبوطة عادلة ، لأنهم لا يتهمون بميل ، ولا يقبلون رشوة^(٦٤) » .

(٦١) ينظر رحلة ابن بطوطة . ص ٣٦١ .

(٦٢) ينظر المصدر السابق . ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٦٣) الدرة : السوط يضرب به .

(٦٤) ينظر رحلة ابن بطوطة . ص ٣٦٢ .

وذكر ياقوت الحموي : أنهم يتبرأون من أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في دُبُر^(٦٥) كل صلاة . ولا ندرى صحة هذه الرواية ، لأننا وجدنا في شعر بعضهم مدحاً لآل البيت وللامام علي رضي الله عنه . يقول الموفق بن أحمد بن محمد ، المعروف بخطيب خوارزم^(٦٦) :

هَلْ أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ فِي الْمَحْرَابِ كَأَبِي تَرَابٍ مِنْ فَتَى مِحْرَابٍ^(٦٧)
لَهُ دَرُّ أَبِي تَرَابٍ إِنَّسَهُ أَسَدُ الْحَرَابِ وَزِينَةُ الْمَحْرَابِ
هُوَ ضَارِبٌ وَسِوْفُهُ كَثَوَاقِبٍ هُوَ مُطْعِمٌ وَجَفَاثُهُ كَجَوَابِ
هُوَ قَاصِمٌ الْأَصْلَابِ غَيْرُ مَدَافِعٍ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقَاسِمُ الْأَسْلَابِ

وذكر القمي أن هذه الأبيات قالها الموفق ، في آخر كتابه الذي صنفه في مناقب أهل البيت عليهم السلام .

وللتبسيبي في هذا قوله^(٦٨) :

وَأَثَقَ^(٦٩) بِاللَّهِ يَرْجُو الْمُصْطَفَى وَأَخَاهُ الْمُرْتَضَى وَالْحَسَنَيْنِ

وكان لأهالي هذا الاقليم أعيادهم وأسواقهم ، التي تقام في أيام معلومة ، وقد فصل البيروني في كتابه : « الآثار الباقية »^(٧٠) « القول عمّا لأهل خوارزم في شهورهم من الأعياد . كما بين في كتابه : التفهيم لأوائل صناعة التنجيم »^(٧١) ، أن أهل خوارزم تبع للصغد في شهورهم ، وهم يختلفون عنهم في اللغة . وعيد النيروز المشهور الذي أولع الشعراء بذكره واعتنى الأمراء بأمره ،

(٦٥) ينظر : معجم البلدان ٢ : ٣٩٧ (بيروت) ، رسالة ابن فضلان . ص ٨٢ .
ودبر كل صلاة : أي عقب . والدُبُر والدُبُر من كل شيء : عقبه ومؤخره
واخـره .

(٦٦) ينظر الكنى واللقاب ٢ : ١١-١٢ (طبعة العرفان - صيدا) .

(٦٧) أبو تراب : كنية الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٦٨) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٢ (طبعة السعادة) .

(٦٩) يقصد بالمرتضى الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . والحسنين : ابنه الحسن والحسين . وهذا من باب التغليب .

(٧٠) ينظر ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، وينظر ايضا القانون المسعودي ١ : ٢٦٩ .

(٧١) ينظر ص ١٨٤ .

هو من أهم اعيادهم ، وهم يسمونه بلغتهم « بَاوَسَّاوُدي » . ويقول
المستشرق الدنماركي آرثر كريستنسن « Arthur Christensen (٧٢) إنَّ
النَّيروز كان أكبر أعيادهم الشعبية ، كما هو اليوم في إيران . وأول من رسم
هدايا النيروز والمهرجان في الاسلام ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأول من
رفع ذلك عمر بن عبدالعزيز (٧٣) .

ومن أعيادهم أيضاً « أجفار » أي الذهب ، وفيه يوقدون النيران بالليل ،
وهو بهذا يشبه السَّدَق (٧٤) المعروف عند الفرس .

ويقول المستشرق كريستنسن : إنَّ العرب لما فتحوا هذا الاقليم ،
والاقاليم الأخرى من بلاد فارس ، اعترف الدين الرسمي بهذه الأعياد ، وصار
الاحتفال بها ذا مراسيم دينية ، واحتفالات مصحوبة بكثير من الملاهي الشعبية ،
وقد فصل المستشرق كريستنسن الكلام في أيامهم واعيادهم ، واكبر الظن انه
أخذ معلوماته من كتاب البيروني الآثار الباقية ، وكتابه : التفهيم لأوائل صناعة
التنجيم ، ففي هذين المصدرين مادة وافية عن أعياد الخوارزميين ، قبل الفتح
العربي .

(٧٢) ينظر كتابه : إيران في عهد الساسانيين (الترجمة العربية) . ص ١٥٢ .

(٧٣) بلوغ الارب ١ : ٣٥١ .

(٧٤) السَّدَق : ليلة الوقود ، وهو فارسي معرب ، معروف عند الفرس .

الحالة العقلية :

ازدهرت الحياة العلمية العقلية في اقليم خوارزم ، بعد الفتح العربي ازدهاراً ملحوظاً ، وكان لها أثر واضح في عقلية الادباء ، وفي تتاجهم الادبي من شعر ونثر . وظهر ذلك واضحاً في آساليبهم وصورهم الشعرية ، وفنونهم المختلفة ، وطابعها العلمي الذي تميزت به حياتهم العقلية . وربما كان هذا أثراً من آثار الثقافات التي تمازجت في أفكار أدباؤهم وعلمائهم .

وهكذا كان نضج الحياة العلمية والعقلية ، وتنوع الثقافات في هذا الاقليم ، من الأسباب المهمة ، في وجود حياة علمية وأدبية عالية ، فقد ضم اقليم خوارزم — بحكم موقعه الجغرافي — أمماً شتى ، كالفرس والترك ، والروم الارثودكس ، واليهود الى جانب العنصر العربي الفاتح . وليس ببعيد أن نعزو ما تميز به هذا الاقليم من حياة عقلية ، الى هذه الأجناس المختلفة . وما لكل منها من مزايا خاصة بها ، كما يمكننا أن نعزوه الى انه كان عامراً ببنائه . ومعلوم ان العمران له أثره في الحياة العلمية والثقافية . وقد أشار ابن خلدون ، الى أن العلوم تكثر حيث يكثر العمران^(١) .

كما يمكننا أن نعزوه الى تعاقب الثقافات المختلفة عليه ، بتعاقب الدول من بويهيين ، وسامانيين وسلاجقة وخوارزميين . ومع ان هذه المنطقة كانت موحدة الحكم في عهد كل هؤلاء ، فقد كانت تياراتها الثقافية ، تجري هنا وهناك بين مجتمع من الفرس والترك والعرب ، والأقليات الاخرى ، مما جعل جغرافياً كالمقدسي يقول فيه^(٢) : « إن اقليم خوارزم من أجل الأقاليم ، وأكثرها أجلة وعلماء » . ووصفه غيره بأنه كان مزداً بالمدارس والمكاتب ، وأهل الفضل^(٣) . ويرجع الفضل في ذلك الى السلاطين الخوارزميين ، الذين شجعوا الأدباء

(١) قال ابن خلدون في مقدمته . ص ٩٩ . « طبعة لجنة البيان العربي » :

« ان تعليم العلم من جملة الصنائع ، انما تكثر في الامصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة ، والحضارة والترّف » .

(٢) ينظر كتابه : احسن التقاسيم . ص ٢٦٠ .

(٣) ينظر : كنز العلوم واللغة . ص ٤٤٨ .

والعلماء ، فازدانت دولتهم بكثير منهم ، وأنتج اولئك العلماء والأدباء ، آثارهم بالعربية والفارسية . وقد كان بلاط الخوارزميين ، وخاصة بلاط خوارزم شاه ، مأمون بن مأمون ، منتجاً لهؤلاء العلماء والأدباء ، على مختلف مستوياتهم . وكذلك كانت حالته في عهد السلطان خوارزم شاه آتسز فيما بعده وليس أدل على احترام الخوارزميين لذوي المكانة العلمية ، من رعايتهم لبعض الأسر هناك ، كأسرة الجويني^(٤) التي عظم نفوذ أفرادها في عهدهم ، ووصل كثير منهم الى أرقى مناصب الدولة ، في عهد علاء الدين خوارزم شاه ، وجلال الدين منكبرتي ، آخر سلاطين الدولة الخوارزمية .

كما اهتموا كذلك بالافراد ، ونصبوهم في مراكز مهمة في الدولة ، ومثال ذلك : نصره الدين حمزة بن محمد بن عمر ، الذي حكم مدينة « نسا » ، وكان ممن برعوا في الانتاج بالعربية والفارسية ، ونظموا الشعر بها .

ومن خلال دراستنا لأحوال هذا الاقليم ، رأينا أن الخوارزميين ، عملوا على تثقيف الطبقات الفقيرة من الشعب ، فأسسوا لهم المدارس الكثيرة ، في جميع انحاء الدولة ، وقد أنشأ السلطان خوارزم شاه بخوارزم ، مدرسة للحفنية ، وأسس داراً للكتب ، لينافس بهما سلاطين السلاجقة ، وليتقرب الى العلماء والأدباء ، كما كان يفعل سلاطين السلاجقة .

وقد بنى الأمراء دوراً كثيرة للعلم ، تحتوي كل منها على مكتبة ، تفتح لطلاب العلم وأهله ، وفي بعض المدارس كانت تجري الأرزاق على المشتغلين بالعلم فيها .

ومن اشتهر بالتدريس في هذا الاقليم ، الصانعي^(٥) ، الذي كان بالإضافة

(٤) نسبة الى « جوين » : اسم كورة جليظة نزهة ، على طريق القوافل ، من بسنظام الى نيسابور . تسميها اهل خراسان « كوبان » ، فعربت فقيل : « جوين » .

ينظر : معجم البلدان ٢ : ١٩٢ (طبعة بيروت) .

(٥) هو محمد بن ابراهيم ، ابو عبدالله . جاء بغداد سنة ٣٩٠ هـ ، فتفقه على الاسفرايني والباقي وغيرهما ، ورجع الى خوارزم سنة ٤١٢ هـ ، وتوطن « حشراخون » احدى نواحي الاقليم .
تنظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٤ : ١١٨ .

الى تدريسه ، خطيباً وواعظاً ومفتياً . ومنهم سيف الدين بن عصبه ، ذكره ابن بطوطة في رحلته^(٦) . وكذلك الفراوي^(٧) . وقيل عن أبي موسى الخوارزمي : إنه كان يتقن التدريس ، كما كان يتقن الفتوى ، فهو شيخ في كليهما^(٨) . وعُرف أبو الحسن الخوارزمي ، علي بن عراق الصّتاري بهذه المهنة^(٩) .

ومما لا ريب فيه ، أنّ تلك المدارس والمكتبات ، كان لها دور كبير ، في نشر التعليم بين المسلمين ، وخاصة الطبقة المتوسطة ، والفقيرة منهم . أما الأغنياء والأمرء والوزراء ، فلم يقصروا استفادتهم على ما في تلك المكاتب والمدارس ، بل عهدوا بالاضافة الى ذلك ، الى معلمين يعلمون أبناءهم ، وكانوا يحترمونها ويعطونها الاموال والهدايا الكثيرة . وكانت لدى بعضهم مكاتب خاصة بهم .

ولم يقتصر هذا العمل على رجال الدولة ، وانما قام به بعض الأفراد كذلك ، حيث بنوا المدارس ، على حسابهم الخاص . وكان يدرس بهذه المدارس ، كبار الفقهاء والأدباء والعلماء . هذا شهاب الدين أبو سعد بن عمران^(١٠) ، الذي يروى عنه أنّه درّس في خوارزم ، في خمس مدارس من

(٦) ينظر ص ٣٦٠ .

(٧) هو أبو عبدالله ، محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي النيسابوري ، المعروف بالفراوي ، نسبة الى « فراوة » : بلدة في طرف خراسان ، مما يلي خوارزم ، وهي تحسب من نواحي هذا الاقليم . بناها عبدالله ابن طاهر ، في خلافة المأمون ، لما كان اميراً على خراسان .

ينظر طبقات الشافعية للأسنوي ٢ : ٢٧٦ ، تكملة الاكمال (خ) ورقة ١٦٢ ، الجواهر المضية ١ : ٢٨٨ ، الكنى والالقب ٣ : ١٧ (طبعة الحيدرية . النجف) .

(٨) ينظر عنه : الوافي بالوفيات ٥ : ٩٣ ، تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٧ ، العبر في خبر من غبر ٣ : ٨٦ ، تاريخ الحكماء . ص ٢٨٦ (طبعة لايبزك) ، طبقات الفقهاء . ص ١٢٣ ، الفهرست . ص ٣٩٧ . مط : الاستقامة بالقاهرة . سنة الطبع / .

(٩) توفي سنة ٥٣٩ هـ بمذانة من قرى خوارزم . ينظر معجم الادباء ١٤ : ٦٣ - ٦٤ ، بغية الوعاء ٢ : ١٧٩ .

(١٠) ذكر النسوي في كتابه : سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ١٠٩ - ١١٠ ، انه كان فقيها فاضلاً مبرزاً ، مفتياً في مذهب الشافعي ، عارفاً باللفظة

مدارسها ، وبني جامعاً للشافعية ، وداراً للكتب ذات شهرة واسعة ، كما ذكر النسوي . ومثله في ذلك نظام الدين مسعود بن علي ، الشافعي المذهب ، الذي بنى مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامعاً عظيماً ، وبني جامعاً آخر في مدينة « مرو » (١١) . وذكر السبكي عن ابن السمعاني (١٢) ، ان أبا عمر النسوي (١٣) ، الذي تولى قضاء خوارزم مدة ، أطلق فيها عليه قاضي القضاة في هذا الاقليم ، وفي مدينة « نسا » ، قد بنى أيضاً مدرسة .

وأهل هذا الاقليم محبوبون للعلم والثقافة ، مما جعل المقدسي يصفهم بقوله (١٤) : « أهل فهم وعلم وقرائح وأدب » . ووصفهم في موضع آخر بقوله : إنه قلما وجد هناك إماماً في الفقه والقرآن والأدب ، الا وله تلميذ خوارزمي ، قد خصّهم الله بصحة القراءة والذهن » .

وذكر المقدسي أيضاً ، أنه رأى في مدينة « كاث » علماء وأدباء وقراء حذاقاً ، لم يرَ مثلهم في جودة القراءة ، وحسن النظم (١٥) .

ولا ننسى ما كان لحركة الترجمة والتأليف ، وخاصة في عهد الدولة الخوارزمية ، التي عايشت الدولة العباسية ، والتي زاد من نشاطها تقدم صناعة الورق ، فكثر بذلك المكتبات ، وزخرت بالكتب الدينية ، والعلمية والأدبية .

ومن وسائل التعليم والبحث المناظرات ، وكانت هذه تعقد في قصور

والطب والخلاف ، وسائر العلوم ، والفصاحة واللسن ، ولذلك فقد نال رتبة عالية ، عند جلال الدين منكبرتي الذي كان يشاوره في الامور العظام ، ويفاوضه في جلال الامور .

(١١) ينظر البداية والنهاية ١٣ : ٢٣ .

(١٢) ينظر طبقات الشافعية ٤ : ١٧٥ .

(١٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن علي . تنظر ترجمته في : سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ٢٤ - ٢٥ ، دمية القصر وعصرة اهل العصر (خ) ترجمة رقم ١١٩ ، طبقات المفسرين . ص ٣٦ ، هدية العارفين ٢ : ١٢١ طبقات الشافعية السبكي ٤ : ١٧٥ - ١٧٧ . ، تاريخ اداب اللغة العربية ٣ : ٦٧ .

(١٤) ينظر : احسن التقاسيم . ص ٢٨٤ .

(١٥) المصدر السابق . ص ٢٨٧ .

الأمراء والوزراء ، فيحضرها العلماء والأدباء ، على اختلاف طبقاتهم . وقد تقام في المساجد بعد الصلاة ، وخاصة في أيام الجمع ، وتكون هذه بمثابة حلقات يعقدها الشيوخ . ونجد في هذا المجال أسماء شيوخ اشتهروا بهذه الحلقات ، كما اشتهروا بالتأليف ، منهم الشيخ الفاضل العالم ، شهاب الدين الخيوقى^(١٦) ، الذي كان نائباً للسلطان خوارزم شاه، في جميع مملكته^(١٧) . والذي يقال عنه : إنه كان إذا دخل مدينة حضر المدرسون والقضاة درسه . وكان شافعي المذهب ، متعصباً لأصحابه . وكان الفقهاء يذهبون اليه ، في أي بلد يحل به ، فيقرءون عليه محفوظهم . وكان الشيخ يوليهم الاشغال كل حسب صلاحيته^(١٨) .

وكذلك كانت حال الشيخ الامام ، قدوة المشايخ ، أبي الجناح أحمد بن محمد الخيوقى^(١٩) ، المعروف بكبرى ، فقد كان أستاذ عصره ، وشيخ طائفته^(٢٠) .

واشتهرت طائفة اخرى من علماء هذا الاقليم ، بعلم القراءات ، ومن مقرئيه : الكثر كائجي^(٢١) ، الذي اشتهر بهذا العلم ، وقرأ عليه الأئمة ، ورحل هو الى الشام ليقراً هناك على علمائه ، كما رحل في سبيل ذلك الى العراق

(١٦) نسبة الى « خيوق » من قرى خوارزم . ينظر : اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٨ ، معجم البلدان ٢ : ٤١٥ (طبعة بيروت) . ، مرصد الاطلاع ١ : ٣٨٠ (لندن) .

(١٧) يقول القزويني في كتابه : اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٩ : « ان القضاة والمدرسين والمفتين في جميع المملكة ، كانوا نوابا له »

(١٨) ينظر : المصدر السابق . ص ٥٢٩ .

(١٩) ينظر : المشتبه في الرجال ١ : ٢٠٥ ، تكملة الاكمال (خ) . ورقة ١٨٧ ا ، الوافي بالوفيات (خ) . ورقة ٢٣ ، فوائج الجمال وفوائج الجلال . ص ٧٩ ، عطار نامه . ص ١٦٤ . واجمعت أكثر المصادر على أنه يلقب بالكبرى « تخفيفاً من الطامة الكبرى » ، لكون الغلبة له دائماً .

(٢٠) نسبة الى كركانج ، أو الجرجانية قصبة اقليم خوارزم ، تقع في غربي جيحون ، على شاطئه . وهي كثيرة الخيرات . ينظر : قانون المسعودي ٢ : ٥٧٥ ، اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، معجم البلدان ٤ : ٥٢ (بيروت) صبح الاعشى . ص ٤٥٤ ، المشترك وضعاً والمفترق صقلاً . ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

والحجاز . وكانت هذه حال ابنه ، أبي محمد عبدالرحمن بن محمد الكركنجي ، الذي كان اماماً فاضلاً في هذا العلم ، كما كان حسناً للاخذ والاقراء^(٢١) . ومنهم يوسف بن محمد بن الفيدي الخوارزمي ، صدر القراء الخوارزمية ، على ما يذكر اللكنوي^(٢٢) ، فقد كان عالماً فاضلاً ، وفقياً مفسراً أديباً ، وماهراً في القرآن الكريم .

ويحكى عن أهل هذا الاقليم ، انهم كانوا يناظرون حتى في الأسواق والدروب . يقول القزويني عن أهل جرجانية : كلهم معتزلة ، والغالب عليهم ممارسة علم الكلام ، حتى في الأسواق والدروب . يناظرون من غير تعصب بارد في علم الكلام . واذا رأوا من أحد التعصب ، أنكروا عليه كلهم وقالوا : ليس لك الا الغلبة بالحجة ، وإيّاك وفعل الجهال^(٢٣) .

وكان لهذه المناظرات ، أكبر الأثر في التعليم ، وفي إذكاء القرائح . ومن هنا كانوا علاوة على ما وصفهم به المقدسي ، أهل جدل ونقاش ، لتضلّعهم في علم الكلام ، لأنه جزء من مذهبهم الاعتزالي . فقد كان علماءهم ، يحضرون المجالس ، ويتناظرون في الفقه ، والنحو والصرف واللغة ، وفي المسائل الدينية .

ومن فحول المناظرين : أبو الحسين الكاظمي^(٢٤) ، الذي قالوا عنه : إنه كان من كبار الخوارزميين فضلاً ورتبة ، وبيته بيت علم وصلاح . وفيه يقول السبكي^(٢٥) : « لم يكن في كاث بعد الامام اسماعيل الدّرّعاني انظر منه » . وقد تولى قضاء كاث أيضاً ، بعد سعيد بن محمد الكعبي .

(٢١) ينظر : الانساب (خ) مصور . ورقة ٤٧٩ ب .

(٢٢) ينظر : الجواهر المضية ٢ : ٢٣٣ ، الفوائد البهية . ص ١٨٥ ، والفيدي : نسبة الى فيد : منزل بطريق الحجاز والعراق . وقيل : القندي (بالقاف والنون) : نسبة الى قند : اصل السكر .

(٢٣) ينظر : اثار البلاد واخبار العباد . ص ٥٢٠ .

(٢٤) هو محمد بن ابراهيم بن الحسين بن احمد بن عبدالله الشنشدانقي ، ابو الحسين . توفي سنة ٤٩٨ هـ . ينظر عنه : طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ١١٤ .

(٢٥) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ١١٤ .

ومن مناظري مدينة « كاث » أيضاً ، العقيلي الكاظمي (٢٦) ، وهو من مشاهير صدور خوارزم ، وفضلائها وفقهائها . تولى القضاء في هذه المدينة ، وكان قاضياً عادلاً ، كما كان خطيباً ومناظراً فحلاً .

ومنهم البقالي (٢٧) ، وكان إماماً فاضلاً فقيهاً ، خبيراً بالمعاني والبيان ، من علوم البلاغة . وكان ممن تلمذ على الإمام ، جار الله الزمخشري ، والعارض (٢٨) الذي يناظر في مسائل الخلاف . وكان الزمخشري يسميه الجاحظ الثاني ، لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . وقد أقام في خوارزم مدة ، في خدمة السلطان خوارزم شاه ، ثم ارتحل الى مرو ، وذبح بها نفسه ، على حد قول ياقوت الحموي ، في أوائل سنة ٥٢١ هـ (٢٩) .

ومن المناظرين أيضاً : الخاصي (٣٠) ، الذي كان فقيهاً مناظراً ، عالماً بالأدب . وأبو الرجاء الغزّميني (٣١) : كان من كبار الأئمة ، وأعيان الفقهاء . له اليد الطولى في الخلاف والمذهب ، والكلام والمناظرات .

(٢٦) هو محمد بن أحمد بن سعيد بن موسى ، بن أحمد بن كعب بن زهير العقيلي الكاظمي ، نسبة الى كاث : قصبة اقليم خوارزم . ينظر عنه : المصدر السابق ٤ : ٩٣ - ٩٤ .

(٢٧) محمد بن أبي القاسم الخوارزمي النحوي المعروف بالبقالي ، وهو البقال الذي يبيع الاشياء اليابسة . والعجم يزيدون الياء ، فهي ليست زيادة نسبة . ينظر : المشتبه في الرجال ١ : ٨٧ ، معجم الادباء ١٩ : ٥ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٣٤٠ ، طبقات النحاة واللغويين (خ) . ورقة ٥٢ ، بغية الوعاة ١ : ٢١٥ ، طبقات المفسرين . ص ٤٠ ، الاعلام ١٠ : ٢٢١ ، الفوائد البهية . ص ١٣٢ .

(٢٨) هو محمود بن عزيز العارضي ، أبو القاسم الخوارزمي ، الملقب شمس المشرق . كان من افضل الناس في عصره ، في علم اللغة والادب ، لكنه تخطأهما الى على الفلسفة ، وفتن بها .
تنظر ترجمته في : معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٧٩ .

(٢٩) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ .

(٣٠) هو الوفاق بن محمد بن الحسن ، ابو المؤيد صدرالدين الخاصي . نسبة الى خاص من قرى خوارزم . ينظر : ذيل لب الابواب (خ) . ورقة ٢١ ، تاج التراجم . ص ٧٨ ، هدية العارفين ٢ : ٤٨٣ .

(٣١) مختار بن محمود بن محمد ، ابو الرجاء نجم الدين الزاهدي الغزميني . نسبة الى « غزمين » : قصبة من قصبات خوارزم . ينظر عنه : الجواهر



ومن مناظري هذا الاقليم ، الوبري (٣٢) ، وهو من رؤساء أصحاب أبي حنيفة وأئمتهم . كان عالماً متكلماً ، أصولياً فصيحاً . واليه كانت ترجع الفتوى والتدريس في هذا الاقليم ، فقد كان أستاذاً يشار اليه في الفنون الأدبية ، حافظاً للفقه والأشعار . ومنهم الفراوي الذي أشرنا اليه قبل قليل .

وشارك الوافدون بمجالس المناظرات ، ومن أشهر هؤلاء الامام فخرالدين الرازي ، أحد الفقهاء الشافعية ، وقد قالوا عنه : « أوجد زمانه في المعقول والمنقول ، وعلوم الأوائل » . وقد اشتهر بمناظرات له مع المعتزلة ، أدت الى خروجه من خوارزم ، الى بلاد ما وراء النهر ، فجرى له هناك ما جرى له بخوارزم ، حيث تركها الى الري (٣٣) .

وكذلك كان أمر النسوي ، الوافد اليه من مدينة « نسا » ، فقد ناظر وأفتى في هذا الاقليم (٣٤) .

والى جانب هؤلاء كان هناك الوعاظ ومجالسهم ، ومن أشهرهم المشاطي ، الذي كان خطيباً واعظاً مذكراً ، وفيه يقول ابن بطوطة : « أحد الخطباء الأربع الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم » (٣٥) ، ومنهم أبو عبدالله محمد بن الفضل ابن أحمد الصاعدي ، المعروف بالفراوي ، الذي كان واعظاً ومحدثاً ومناظراً ،

المضية ٢ : ١٦٦ ، الفوائد البهية . ص ١٧٠ ، تاج التراجم . ص ٧٣ ، مفتاح السعادة ٢ : ٢٧٩ .

(٣٢) هو عبد الخالق بن عبد الحميد ، بن عبدالله الوبري . نسبة الى الوبر . ينظر عنه : الجواهر المضية ١ : ٢٩٨ ، ٢ : ٣٥٦ .

(٣٣) ينظر : مفتاح السعادة ٢ : ١١٧ . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة هذا الامام .

ينظر في ذلك : العبر في خبر من غبر ٤ : ٢٨٥ ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ح ٨ . ق ٢ . ص ٥٤٢ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء . ص ٤٦٦ ، هدية العارفين ٢ : ١٠٧ ، الاعلام ٧ : ٢٠٣ ، تاريخ مختصر الدول . ص ٢٤٠ .

(٣٤) ينظر : طبقات الشافعية ٤ : ١٧٦ .

(٣٥) ينظر ص ٥٢ . ولم نتوصل الى معرفة الخطباء الثلاثة الذين قصدهم ابن بطوطة بهذا القول .

كما مرّ بنا قبل قليل . ومنهم الكرد رانخاسي ، ذكره السبكي قائلاً : إنّه أقام بقرينته كردر انخاسية^(٣٦) ، وكان واعظاً بها ، كما كان خطيباً وثقة صالحاً .

ومن أشهر الوعاظ الوافدين الامام فخرالدين الرازي ، الذي كان يعظ باللغتين ، العربية والفارسية ، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ، فيكثر البكاء ، على حد قول القمي^(٣٧) . وقيل إنّه عندما كان يذهب الى هراة ، كان يحضر مجلسه أرباب المذاهب والمقالات ، ويسألونه وهو يجيب كل سائل^(٣٨) .

ولعل من أهم عوامل ازدهار الحياة العقلية العلمية ، وغلبة الطابع العقلي عليها ، اعتناقهم مذهب الاعتزال وشيوعه فيهم ، حتى ليندر أن نجد خوارزميا ليس معتزلياً . فإن كان كذلك وأراد أن ينفي عن نفسه الاعتزال ، اكّد فيه ، كما روى ياقوت الحموي عن الأديب الشاعر القاسم بن الحسين ، حينما سأله عن مولده ، فقال : « حنفي » ، ولكن لست خوارزميا ، لست خوارزميا^(٣٩) .

وقد امتازت دراساتهم ، بأنها دراسات عقلية ، يغلب عليها الطابع الكلامي وطابع الجدل والنقاش .

وقد نشطت الدراسات العقلية في هذا الاقليم ، وفي اقليم خراسان ، منذ أواسط عصر السلجوقيين ، وكان للملوك السلاجقة والخوارزميين الأتراك ، عناية كبيرة بالعلوم ، وخاصة علم الفلك والتنجيم^(٤٠) ، الذي ألف فيه كتب ، مثلما

(٣٦) لم نجد هذا الاسم فيما بين ايدينا من المعاجم وكتب البلدان ، وانما وجدنا كردر ، « والنسبة اليها كردري » وهي ناحية من نواحي خوارزم او ما يتاخمها من نواحي الترك ، ولاهله لسان خاص ، ليس خوارزميا ولا تركيا . وفيها عدة قرى . ينظر : معجم البلدان ٤ : ٥٠ (طبعة بيروت) .

(٣٧) ينظر : الكنى والالقب ٣ : ١٣ (طبعة الحيدرية النجف) .

(٣٨) ينظر : مفتاح السعادة ٢ : ١٢٢ .

(٣٩) ينظر : معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ .

(٤٠) للتفصيل في ذلك ينظر : محاضرات عن الشعر الفارسي والحضارة الاسلامية في ايران . ص ١٠٢ - ١٠٣ .

الفت في التأريخ والجغرافية ، وبرع في هذا العلم المنجم الشهير والفلكي الجفميني^(٤١) ، الذي اشتهر بمؤلفاته الفلكية^(٤٢) .

وقد ظهر من رجال المعتزلة ، من أعلام الحركة العقلية ، في هذا الاقليم ، عمر بن أحمد بن عمر بن نجم الدين الكاوخشتواني ، الذي كان من مشايخهم كما ذكر اللكنوي^(٤٣) . واشتهر منهم الامام جار الله الزمخشري ، الذي كان من أئمة هذا المذهب ، ومنهم ناصر الدين المطرزي ، كان من فقهاء الحنفية ، ورأساً في الاعتزال ، حتى قيل عنه : خليفة الزمخشري ، لسيره على طريقته . ويقول ياقوت الحموي فيه^(٤٤) : « كان رأساً في الاعتزال داعياً اليه ، يتحل في الفروع مذهب أبي حنيفة » . ويقول السيوطي^(٤٥) : « وكان للحنفية كالأزهري للشافعية » .

ونشطت عندهم الدراسات البلاغية ، وهي دراسات متأثرة بالفلسفة والمنطق ، وعلم الكلام ، شأنهم في ذلك شأن المشاركة عامة ، على حين أن دراسة المغاربة وأهل العراق ، وأهل الشام ومصر والأندلس ، لهذا الفن ، كانت متأثرة بالمذهب الأدبي . ونستطيع أن نقول : إن مذهب المشاركة بصورة عامة ، قد اتضح عند الزمخشري ، وناصر الدين المطرزي ، وفخر الدين الرازي والسكاكي ، من علماء هذا الاقليم ، وقد تنبه ابن خلدون الى عناية المشاركة عامة ، بالبيان والمعاني ، نتيجة دراساتهم العقلية ، وأرجع ذلك الى أن المشرق أوفر عمراناً من المغرب^(٤٦) .

(٤١) هو محمود بن محمد بن عمر ، ابو علي شرف الدين الجفميني . نسبة الى « جفمين » من اعمال خوارزم . ينظر : الاعلام ٨ : ٥٩ ، القاموس الاسلامي ١ : ٦١٧ .

(٤٢) ذكر بروان في كتابه : تاريخ الادب في ايران . ص ٦١٨ ان سائر مؤلفاته ضاعت باستثناء مؤلف واحد هو الملخص ، وفي هدية العارفين ٢ : ٤١٠ . ذكر هذا المؤلف . وفي الاعلام ٨ : ٥٩-٦٠ ذكر هذا المؤلف ، مع مؤلفات اخرى .

(٤٣) ينظر الجواهر في طبقات الحنفية ١ : ٣٨٥ .

(٤٤) ينظر معجم الادباء ١٩ : ٢١٢ . ، وفيات الاعيان ٥ : ٦ .

(٤٥) بغية الوعاة ٢ : ٣١١ ، الفوائد البهية . ص ١٧٤ .

(٤٦) ينظر مقدمة ابن خلدون ٤ : ١٢٦٥ « القاهرة ١٩٦٠ م » .

وكما نشطت الدراسات الدينية والفقهية ، نشطت رواية الشعر والأخبار ، وظهر كثير من علماء هذا الاقليم ، في هذه المجالات ، وعُرِفَ عن الكثير منهم المقدرة والتبحر في فنون مختلفة ، وقد برز عندهم من علماء الحديث عدد كبير ، نذكر منهم : مظهر الدين الخوارزمي^(٤٧) ، الذي رحل الى سمرقند وبخارى وبغداد ، في طلب الحديث . وعندما دخل بغداد على ما يقول السبكي ، وعظ بالمدرسة النظامية ، وحدث بها ، وحينما رجع الى بلاده ، أخذ ينشر العلم ويفيد الناس . ويقول السبكي أيضا انه رأى المجلد الأول من (تاريخه) وفيه دلالة واضحة على انه كان متبحرا في صناعة الحديث . أما جلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني ، فقد كان عالماً فاضلاً في هذا المجال ، تشدد اليه الرجال للاستفادة من علمه^(٤٨) . ومنهم التمرتاشي^(٤٩) ، وكان إماماً جليل القدر ، عالي الاسناد ، مطلعاً على حقائق الشريعة . له كتاب التراويح ، وشرح الجامع الصغير ، ذكرهما اللكنوي . ومنهم أبو العلا القرظي^(٥٠) ، الذي طاف البلاد وسمع الحديث ، ورجع الى بلاده ، وصار شيخها وملجأ كل غريب ، وكان عظيم الجاه ، لا يخاف في الله لومة لائم ، كما وصفه الصفدي . ومنهم أبو المؤيد الخوارزمي الذي قدم بغداد من أجل ذلك ، ثم ذهب الى دمشق وسمع بها وحدث ، ولما رجع الى بلاده ، تولى قضاء خوارزم وخطابتها ، ورجع الى بغداد بعد أخذ التتار لبلاده ، ودرّس بها ، وصنّف مسانيد الإمام أبي حنيفة ، في مجلدين ، كما ذكر ابن قطلوبغا^(٥١) . ومنهم داؤد بن رشيد الخوارزمي ، الذي سكن بغداد ، وروى عنه ابن ماجة والنسائي وغيرهم^(٥٢) . ومنهم البرقي ، الذي كان

(٤٧) هو محمود بن محمد بن العباس بن ارسلان ، أبو محمد العباسي . ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٧ : ٢٨٩ .

(٤٨) ينظر : الفوائد البهية في طبقات الحنفية . ص ٤٨ .

(٤٩) هو احمد بن اسماعيل ظهر الدين التمرتاشي الخوارزمي . والتمرتاشي : نسبة الى « تمرتاش » من قرى خوارزم . ينظر عنه : الجواهر المضية ٢ : ٢٩٣ ، الفوائد البهية . ص ١٢ ، معجم المؤلفين ١ : ١٦٧ .

(٥٠) من قرية خيوق من قرى خوارزم . ينظر عنه : الوافي بالوفيات « مخطوط » ج ٦ . ورقة ١٥٩ .

(٥١) ينظر : تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٦٦ .

(٥٢) ينظر عنه : الانساب ٥ : ٢١٣ ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٦٧ ، هدية العارفين ١ : ٣٥٩ ، الجواهر المضية ١ : ٢٣٧ ، الفوائد البهية . ص ٦٢ .

إماماً في الحديث على مذهب أبي حنيفة^(٥٣) . والبرقاني الذي روى عنه الخطيب البغدادي في كتابه : (تاريخ بغداد) الشيء الكثير^(٥٤) . والتاجر^(٥٥) الذي يقول فيه اللكنوي^(٥٦) : « من أئمتنا المسلمين من أصحاب أبي حنيفة ، والملازمين لمجالس أبي هارون الفقيه الحنفي ، الحاكم المزني ، المعروف بالتيان^(٥٧) » ، ومنهم الحارث بن سريج النقال ، الذي حدث عن حماد بن سلمة ، حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة^(٥٨) . ومنهم نجم الدين الكبرى أبو الحنّاب ، اندلسي والفقيه الصوفي ، الذي يقول فيه ابن نقطة انه كان شيخ خوارزم ، لأنه صاحب مذهب وسنة ، وكان على مذهب الشافعي^(٥٩) .

(٥٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن اسماعيل ابن شاه الخوارزمي البرقي . والبرقي نسبة الى برق بيت كبير من بيوت خوارزم . ينظر عنه : الاكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف من الاسماء والكنى والانساب ١ : ٨٣ ، الانساب ٢ : ١٧٢-١٧٣ ، الباب في تهذيب الانساب ١ : ١١٤ ، المشتبه في الرجال ١ : ٦٧ .

(٥٤) هو ابو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي البرقاني . والبرقاني : نسبة الى « برقان » من قرى خوارزم . ينظر عنه : طبقات الفقهاء - الشيرازي - ص ١٠٦ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٧٤ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٨ ، النكت الظراف على الاطراف - ابن حجر العسقلاني ٢ : ٨٩٥ . « هذا الكتاب ضمن كتاب تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف - للامام جمال الدين بن يوسف المرسي » ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٢٣٠ .

(٥٥) هو محمد بن سهل بن ابراهيم بن سهل ، ابو عبدالله ، المعروف بالتاجر ، والد قاضي القضاة أبي نصر محمد بن محمد بن سهل . وهو غير عبدالعزيز أحمد بن علي ، أبي بكر التاجر ، المعروف بالادمي المحدث . ينظر عنه كتاب : ذكر اخبار اصبهان « للاصبهاني » ٢ : ١٢٧ .

(٥٦) ينظر : الجواهر المضية ٢ : ٦٠ .

(٥٧) عرف بالتيان نسبة الى بيع التين . توفي سنة ٣٤٩ هـ .

(٥٨) قيل له النقال : لانه نقل رسالة الشافعي ، الى عبدالرحمن بن مهدي ، وحملها اليه ، كما يذكر السبكي في طبقات الشافعية ٢ : ١١٢ .

وينظر عنه ايضا : طبقات الشافعية للاسنوي ١ : ٢٣ .

طبقات الحنابلة . ص ١٠٥ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢٠٩ .

(٥٩) ينظر عنه : الواقي بالوفيات « مخطوط » ح ٦ . ورقة ١٥٩ ، شذرات الذهب ٥ : ٧٩ ، العبر في خبر من غبر ٥ : ٧٣ ، تكملة الاكمال . ورقة

١٨٧ .

ومن المحدثين في هذا الاقليم : أبو عبدالله الخوارزمي مؤلف كتاب : مختصر الوجوه في اللغة^(٦٠) ومنهم الفراءوي والنسوي ، ومحمد بن موسى الخوارزمي ، ومحمد بن الحسن الخوارزمي ، الذي قطن الموصل مدة ، كما يذكر الخطيب البغدادي^(٦١) .

ومن حدث من الوا فدين الى هذا الاقليم ، الامام فخرالدين الرازي ، والواسطي^(٦٢) ، والغرناطي^(٦٣) .

ووافق نشاطهم في العلوم العقلية والدينية ، نشاطهم اللغوي ، وظهر من اللغويين والنحويين ، أعلام فضجت هذه الدراسات على أيديهم ، وشهروا بها ، ومنهم : محمود بن عزيز العارضي ، الذي وصفه ياقوت الحموي بقوله : « كان من أفضل الناس في عصره ، في علم اللغة والأدب »^(٦٤) . وأبو اسحاق المؤذني الخوارزمي ، من العلماء المجيدين للغة والأدب في العربية والفارسية ، هذا الى جانب اجادته الفقه وعلم التفسير والحديث والأصل والكلام ، مع معرفة بال نجوم^(٦٥) ، ومنهم شهاب الدين أبو سعد بن عمران ، من علماء اللغة ،

(٦٠) جمع هذا الكتاب اسحاق بن محمد الالوسي من كتاب « وجوه الاصمعي » وكتاب « العين » للخليل ، وكتاب : تكملة العين ، للخازنجي ، وكتاب المواقيت لابي عمر محمد بن عبدالواحد ، غلام ثعلب ، وامالي ابن دريد ، وسائر كتب اللغة . والكتاب حوالي ألفي ورقة ، اختصره محمد بن احمد ابن يوسف ، أبو عبدالله الخوارزمي ، وقد حقق هذا الكتاب مصطفى احمد الزرقا . تنظر هذه المعلومات في مقدمة المحقق للكتاب . المطبعة العلمية بحلب . سنة الطبع / .

(٦١) ينظر تاريخ بغداد ٢ : ١٨٦ .

(٦٢) هو فخرالدين أبو محمد عبدالرحمن بن يحيى بن الربيع بن سليمان الواسطي الفقيه الرسول . من بيت اشتهر بالعدالة والقضاء والفقه والرواية . ينظر عنه : تلخيص مجمع الاداب : ج ٤ . ق ٣ . ص ٢٠٩ .

(٦٣) هو ابو حامد بن أبي الربيع سليمان بن الربيع بن عاصم الغرناطي المازني . نسبة الى غرناطة من بلاد المغرب كما في : الباب في تهذيب الانساب ٢ : ١٦٩ . ولعل المقصود ببلاد المغرب ، بلاد الاندلس .

(٦٤) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٧٩ .

(٦٥) هو ابراهيم بن محمد بن حيدر بن علي . ينظر عنه : معجم الادباء ٢ : ١٥ - ١٦ ، معجم المصنفين ٤ : ٣٤٣ ، الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١ : ٢٦٢ .

وسائر العلوم والفصاحة . وعلي بن عراق الصنّاري ، الذي كان نحويّاً لغويّاً هروزيّاً ، بالإضافة الى كونه عالماً بالتفسير^(٦٦) ، ومنهم محمود بن جرير الضبي الاصفهاني ، أستاذ الزمخشري ، وهو من الوافدين الى هذا الاقليم . كان وحيد عصره في علم اللغة والنحو . أقام بخوارزم مدة ، وانتفع الناس بعلومه ، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو ، منهم جار الله الزمخشري^(٦٧) . ومنهم أبو يعقوب السكاكي ، الامام العالم المتبحر في النحو والتصريف ، وعلمي المعاني والبيان والعروض والشعر .

ومع أن التخصص في العلوم ، يكاد يكون معدوماً ، في هذا الاقليم ، فإننا نجد من مال الى التخصص ، مثل ابن سينا الذي غلبت عليه الفلسفة ، ومحمد ابن موسى الخوارزمي ، الذي غلب عليه علم الفلك والرياضة ، والجعيني الذي عُرف بعلم الفلك والتنجيم . والبيروني في علم الهيئة والنجوم والطب والفلسفة ، وغير ذلك من العلوم ، فقد كان كما نعتة الصفدي وحيد زمانه في فنون شتى .

وللاستفادة من هؤلاء الأعلام ، قصد خوارزم الطلبة من كل مكان . جاء بعضهم من العراق ، وبعضهم من الشام ، ووجد بعضهم من الأقاليم المجاورة اليها ، مثل سجستان وطبرستان وبلخ وبخارى وغيرها . وفي سبيل العلم رحل علماءهم وأدباؤهم ، وجابوا الآفاق ، رحلوا الى العراق والشام ومصر^(٦٨) ، والحجاز والقدس ، وهكّذان وخوزستان ومرو ، ونيسابور ، ووصل بعضهم بلاد الروم وتوطنها ، كما فعل الغزيني^(٦٩) .

ومن الجدير بالذكر ، أنه كان لكل هؤلاء أثرهم في الأدب نظمه ونثره ،

(٦٦) توفي سنة ٥٣٩هـ . ينظر معجم الادباء ١٤ : ٦٣-٦٤ ، بغية الوعاة ٢ : ١٧٩ .

(٦٧) ينظر معجم الادباء ١٩ : ١٢٣ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٧٦ ، روضات الجنات . ص ٧٢٠ ، الاعلام ٨ : ٤٢ .

(٦٨) مثال ذلك العلامة محمد بن فضل الله بن احمد الخوارزمي : شمس الدين الكويحي ، الذي مكث في مصر مدة ، وانتفع الناس من علمه . ينظر : نظم العقيان في اعيان الاعيان - السيوطي - ص ١٥٨ .

(٦٩) ينظر : الفوائد البهية . ص ٧٠ .

منهم من نظم الشعر ، كما فعل الباقي والتاجر وغيرهما ، ومنهم من نقده وعلق عليه ، كالعمراني تلميذ الامام الزمخشري ، الذي كان كما يصفه السيوطي^(٧٠) مطلعاً على غوامض كلام العرب ، ومحيطاً بأسرار الأدب . وكذلك كان ابن بايجوك المعروف بالبقالي ، الذي وصفه كل من ياقوت الحموي ، والذهبي بأنه كان إماماً في الأدب ، وحجة في العربية ، وعلم الإعراب ، الذي أخذه عن الامام الزمخشري^(٧١) .

وهكذا كان أقليم خوارزم ، غنياً بعلمائه وأدبائه ، وكانت عاصمته الجرجانية ، من أجلّ المراكز العلمية وأرقاها ، وقد قامت بدور فعال في نشر الثقافة الاسلامية . وبقيت الحياة العلمية والأدبية حية ، حتى بعدما اجتاحت التتار هذا الاقليم ، سنة ٦١٨هـ / ١٢٢٠م ، وأبادوا الكثير من ثقافته وذخائره ، وأحرقوا الكتب ومزقوها .

وحسبنا أن نقول : إنّ هذا الاقليم الذي كان أعجيباً ، خرّج مئات من العلماء والفقهاء ، والمحدثين والمفسرين والأدباء ، الذين كان لهم أثر كبير ، في الدراسات الاسلامية والفكر الاسلامي .

(٧٠) ينظر بغية الوعاة ٢ : ١٩٥ ، معجم الادباء ١٥ : ١٦ .

(٧١) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ٥ ، المشتبه في الرجال ١ : ٨٧ ، طبقات النحاة واللغويين - ابن قاضي شهبه - « مخطوط » . ورقة ٢٠٥ .

الحالة الادبية :

ما كاد هذا الاقليم يخضع للحكم العربي حتى جعل يستعرب ، وساعدت بيئته الكثيرة الخيرات ، على اجتذاب الوافدين اليها ، واقبل أهله على الاسلام بشغف ، فتعلموا اللغة العربية لغة الدين . وهذه الأسباب اعانت على ازدهار الحياة الأدبية ، ولم يقتصر الادب في هذا الاقليم ، وفي غيره من أقاليم ما وراء النهر ، على الشعب وحده ، بل شارك في ذلك الحكام والوزراء ، كالرقاشي^(١) والسهيلي^(٢) ، وأبي عبدالله بن ابراهيم التاجر^(٣) ، والباجري^(٤) .

ويقول الدكتور مجيب المصري في هذا المجال^(٥) : إنّ من الظواهر المشتركة في أدب العرب والفرس والترك ، كثرة الشعراء من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء . وإنّ رواة الأدب اجمعوا في هذه الامم الثلاث ، على نسبة بواكير الشعر الى شاعر ينتمي الى قوم ممن استحضفت لهم أسباب الملك ، وتوطد عندهم أساس السلطان . وهذا الصاحب بن عباد يقول قولته المشهورة وهي : « بديء الشعر بملك ، وختم بملك^(٦) » . فعند الفرس أن الشعر ، كما

(١) هو أبو محمد عبدالله بن ابراهيم الرقاشي ، احد أبناء الوزراء في هذا الاقليم .

تنظر ترجمته في : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٥ - ٢٤٧ (طبعة السعادة) .

(٢) أبو الحسين أحمد بن محمد . توفي ٤١٨ هـ - ١٠٢٧ م . كان من بيت رئاسة ووزارة . كان وزيرا لعلي بن مأمون خوارزم شاه ، واخيه أبي العباس . ينظر عنه : معجم الادباء ٤ : ٢٦١ ، الوافي بالوفيات ٨ : ١٤٧ ، تمة اليتيمة ٢ : ٢٣-٢٤ وفيه وردت كنيته « أبو الفضل » بدلا من « أبي الحسين » . وفي هدية العارفين ١ : ٧٢ « أبو الحسن » .

(٣) أبو عبدالله محمد بن ابراهيم التاجر ، كان وزيرا بخوارزم . ينظر عنه : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٤ (طبعة السعادة) .

(٤) محمد بن ابراهيم أبو عبدالله الباجري . ينظر المحدثون من الشعراء واشعارهم . ص ٩٦ .

(٥) ينظر كتابه : في الادب العربي والتركي . ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٦) يعني امرا القيس وابا فراس . ينظر : الكشكول . ص ٣٥ .

يذكر رواة الأدب ، دار أول ما دار على لسان أمير من أمراء الساسانيين ، هو بهرام جور^(٧) . وعند العرب دار كما نوه صاحب بن عباد ، على لسان امرئ القيس .

رأينا أن الحياة العقلية في هذا الاقليم ، وقد بلغت أوجها ، وكذلك الحياة الأدبية فيه ، وهي في كثرة أدبائها ، كالحياة العقلية في كثرة علمائها ، وقد رأينا أثناء دراستنا الحياة العقلية ، ترحال علمائهم الى اقصى البلاد ، من أجل الفقه والحديث وغيرهما ، وكانت هذه حال الأدباء ، فقد رحلوا الى بغداد والشام ومصر وغيرها ، ونقلوا أدب القدماء ، واطلعوا على أدب المعاصرين لهم ، فأبوا بكر الخوارزمي جاب كثيرا من الأقطار ، فطوّف بالشام ، ونزل ضيفاً على سيف الدولة الحمداني في حلب ، وعلى الصاحب بن عباد في الري ، وذهب الى نيسابور وغيرها ، وكان يحاضر في أخبار العرب وأيامها ، ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو^(٨) .

يرى المستشرق اربري ARBARY^(٩) ان النشاط الأدبي الفارسي في جميع بلاد فارس ، بما فيها اقليم خوارزم ، اقتصر في القرون الاسلامية الثلاثة الاولى ، التي تلت الفتح الاسلامي ، أي من القرن السابع ، الى القرن التاسع الميلاديين ، « الأول - الثالث الهجريين » على تسجيل النصوص الزرادشتية المقدسة وروايتها ، ولعل هذا يفسر لنا عدم عثورنا على أدب عربي في هذه القرون التي تلت الفتح .

وبعد هذه الحقبة عرف اقليم خوارزم ، طائفة من الشعراء ، كان بعضهم قد أسهم بنشاط شعري غزير ، كما سنرى اثناء دراستنا لهم ، حيث وجدنا لديهم الشيء الكثير ، على الرغم من أن بعضهم قد ضاع أكثر شعره ، وان بعضهم قد

(٧) بهرام جور : هو ابن يزدجرد الخشن بن بهرام بن كرمان شاه بن سابور ، ذي الاكتاف . ينظر : تاريخ الرسل والملوك ح ٢ . ق ١ . ص ٨٥٤ .

(٨) ينظر عنه مقدمة كتابه : المكارم والمفاخر ، يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٤ (طبعة السعادة) ، بغية الرعاة ١ : ١٢٥ ، وفيات الاعيان ٤ : ٣٣ .

(٩) ينظر كتابه : تراث فارس . ص ٢٥٧ - ٢٥٨ . نقله الى العربية : محمد كفافي وآخرون . مط . دار احياء الكتب العربية - البابي الحلبي . ١٩٥٩ م .

فقد ديوان شعره بكامله ، كما حدث لديوان أبي بكر الخوارزمي ، ومع أن فترة استيلاء المغول على البلاد ، دمّرت كل شيء تقريباً ، مع ذلك استطعنا الوقوف على أشعار كثيرة لأدباء معروفين ، وغير معروفين ، مما يجعلنا لا نغالي إذا قلنا : إنّ اقليم خوارزم حريّ بأن يفخر بشعرائه وأدبائه ، كما هو حريّ بنا أيضاً أن نفخر بهم ، لأنهم تركوا لنا تراثاً حسناً في لغتنا العربية ، ووصلوا قمة المجد في الأدب العربي ، شعره ونثره .

عرف اقليم خوارزم في القرن الرابع الهجري ، عدداً من الشعراء ، ساروا على النهج التقليدي . ففي عهد الدولة السامانية ٢٦١ - ٣٨٩ هـ ، عمل هؤلاء على انعاش الأدب ، ورعوا الأدب العربي . مثلما رعوا الأدب الاسلامي الحديث^(١٠) الذي يعلل محمد عوفي ظهوره برأيه فيقول^(١١) : « ولما سطعت شمس الملة الحنفية على بلاد العجم ، جاور ذوو الطباع اللطيفة من الفرس ، فضلاء العرب ، واقتبسوا من أنوارهم ، ووقفوا على أساليبهم ، واطلعوا على دقائق البحور ، وتعلموا الوزن والقافية والروي والاسناد والأركان والفواصل ، ثم نسجوا على هذا المنوال » . ثم يروي أبياتاً أربعة لشاعر اسمه عباس ، مدح بها المأمون في مرو سنة ١٩٣ هـ . ونبغ في أيامهم شعراء عديدون ، كان على رأسهم أبو سعيد الشيبيني ، الذي اختص بمدح أمراء هذه الدولة ، والدولة البويهية ، ولذلك سمي بصاحب الجيشين وشيخ الدولتين^(١٢) .

وعلى ذكر السامانيين ، لابد من الإشارة الى بلاط المأمونيين^(١٣) ، ولا يخفى أن الأدباء كانوا كثيرين في بلاطهم ، ولا سيما بلاط أبي العباس ، مأمون ابن مأمون خوارزم شاه .

(١٠) هو الادب الفارسي الاسلامي ، الذي كتب بالفارسية الحديثة . ومن خصائصه اتخاذ الحروف العربية ، ودخول كثير من الكلمات العربية فيه ، وهو كثير في دواوين شعراء الفرس .

(١١) ينظر كتابه : لباب الالباب . ص ٢١ . والترجمة مقارنة تماماً للمعنى .

(١٢) ينظر : معجم الادباء ٤ : ٢٤٢ .

(١٣) ذكر العروضي السمرقندي في كتابه : جهار مقالة . ص ١٦٩ . ان اسمهم يرد في التاريخ منذ سنة ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م . وذكر أسماء حكام هذه الاسرة .

وكان من عادة الأدباء التنقل في القصور ، فهم تارة في بلاط السامانيين ،
وتارة في بلاط المأمونيين ، وتارة في بلاط الغزنويين •

كان المأمونيون كما ذكر النظامي العروضي السمرقندي^(١٤) ، قد بدأوا
حياتهم ولاية تابعين للسامانيين ، وكانوا شبه مستقلين في الفترة بين سقوط
الدولة السامانية ، وقيام الدولة الغزنوية ، ولكنهم عادوا حكاما تحت حماية
الغزنويين •

ومن أشهر حكام هذه الأسرة : مأمون بن محمد خوارزم شاه ، وابنه علي
ابن مأمون بن محمد خوارزم شاه ، وأبو العباس مأمون بن مأمون بن محمد
خوارزم شاه ، وهو من أفاضل الملوك ، على حد قول العروضي السمرقندي •
صادق أهل العلم والحكمة ، وكان بلاطه مجمعا لهم^(١٥) •

ومن أشهر الشعراء في عصر هؤلاء ، أبو الفضل الهلالي^(١٦) ، الذي كان
مختصا بأبي العباس ، مأمون بن مأمون بن محمد خوارزم شاه ، والذي قال فيه
القنطري : « أديب شاعر مفلح »^(١٧) •

ومن شعرائهم أيضا : أبو الحسين أحمد بن محمد السهيلي ، وزير علي بن
مأمون بن محمد خوارزم شاه ، وأخيه أبي العباس ، مأمون بن مأمون خوارزم
شاه^(١٨) •

(١٤) ينظر المصدر السابق . ص ١٦٩ •

(١٥) ينظر : جهاز مقالة . ص ١٦٩ •

(١٦) هو محمد بن احمد ابو الفضل الهلالي . تنظر ترجمته في المحمدين من
الشعراء . ص ٥٣ •

(١٧) ينظر المصدر السابق . ص ٥٣ •

(١٨) ينظر حواشي المقالة الرابعة من جهاز مقالة . ص ١٧٠ . وذكر ياقوت
الحموي ، في كتابه : معجم الادباء ٥ : ٣١ . ان أبا الحسين هرب من
ظلم أبي العباس : خوارزم شاه الى العراق . وتوفي في سامراء ، سنة
٤١٨هـ •

وذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات ٨ : ١٤٧ . انه خرج من خوارزم
سنة ٤٠٤هـ ، الى بغداد تاركا وزارة خوارزم شاه ، وأقام مدة عند
عريب بن معن ، صاحب البلاد العليا ، تكريت ودجيل وما لاصقها ،
وبقي عنده حتى وفاته •

ومن شعراء هذا القرن : أبو الفضل احمد بن علي الصفار الخوارزمي ،
الذي قال فيه ياقوت الحموي إنه كان من : « فضلاء خوارزم وبلغائهم وكتابهم ،
وله أشعار مونة لطيفة ، ورسائل لبقة خفيفة » .

وقد قضى الغزنويون على هذه الأسرة ، سنة ٤٠٨ هـ / ١١٠٧ م^(١٩) .

أما بنو بويه الذين أمتد حكمهم في فترة قصيرة ، الى هذا الاقليم ، فإن
لهم فضلاً يمتد على الآداب العربية ، فأكثر أمرائهم كانوا شعراء بها ، ويكفي
أن تمثل بوزيرهم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، اللذين كانا من حملة
لواء الأدب العربي . كما تمثل بالأديب الكبير أبي بكر الخوارزمي ، الذي عاش
في ظلهم ومدحهم وتعصب لهم .

وفي عصر السلاجقة ، نبغ شعراء كثيرون ، وكان للمنافسة الشديدة بين
السلطان السلجوقي سنجر ، والسلطان الخوارزمي آتسز ، أثر كبير في ذلك .
ولم تمنع الحروب الدامية التي استغرقت الوقت الأكبر ، من حكم هؤلاء
من ظهور الأدباء والشعراء والكتاب ، بفضل تشجيع سلاطين كل من الدولتين
المتعاديتين ، للحركة الأدبية والعلمية ، على سبيل المنافسة وبعد الصيت ، وتكريم
الأدب والأدباء ، والعلم والعلماء ، ولذلك فقد عمروا قصورهم بالشعراء
والكتاب والعلماء ، من العرب والفرس ، وقربوهم اليهم ، وابتاع هؤلاء الكثير
باللغتين : العربية والفارسية ، ولذلك كان بلاط هاتين الدولتين ، منتجاً للأدباء
والعلماء ، على مختلف مستوياتهم .

وربما كانت تلك الحروب التي وقعت بين الدولة السلجوقية والدولة
الخوارزمية عاملاً مساعداً في نشاط الشعراء والأدباء ، اذ يكثر الشعر في مثل
هذه المناسبات ، كالشعر الحماسي ، والشعر الهجائي ، من جانب الطرفين
المتحاربين ، نرى هذا في شعر رشيد الدين الوطواط ، شاعر السلطان آتسز ،
وأنوري شاعر السلطان سنجر ، وما كان بينهما من معارضا شعرية ، كذلك
التي جرت بينهما اثناء محاصرة السلطان سنجر لقلعة « هزكاراسب » سنة

(١٩) للتفصيل في ذلك ينظر : جهار مقالة . ص ١٦٩ .

٥٤٢هـ/١١٤٧م والتي ظهرت فيها المباريات الشعرية بأوضح صورها بين شاعرين متعادين ، لدولتين متنازعتين^(٢٠) .

وفي عصر هؤلاء ، عصر السيادة التركية ، عاش الامام الأديب والمفسر الشاعر ، جارا الله الزمخشري ، والأديب الشاعر ابن الاصباغي ، وزير السلطان محمد خوارزم شاه ، وكان من رجال دولتهم في الأدب والانشاء .

ومن نبغ في عصرهم من الأدباء ، محمود بن عزيز العارضي ، الملقب بشمس المشرق^(٢١) . وابو الفتح ناصر الدين بن أبي المكارم الفقيه النحوي الأديب ، إمام العربية والبيان ، والأدب والعروض والشعر^(٢٢) . وأبو القاسم ابن الحسين بن محمد الخوارزمي^(٢٣) ، والذي قال عنه ياقوت الحموي^(٢٤) ، « صدر الأفاضل حقا ، وواحد الدهر في علم العربية صدقا ، ذو الخاطر الوقاد ، والطبع النقاد ، والقريحة الحاذقة ، والنحيزة^(٢٥) الصادقة ، برع في علم الأدب ، وفاق في نظم الشعر ونظم الخطب ، فهو انسان عين الزمان ، وغرة جبهة هذا الأوان » .

وبهذا نقول : إنَّ عصر السلالات التركية ، كان من أعظم عصور الأدب العربي في هذا الاقليم ، على الرغم من الأصل التركي ، لحكام تلك السلالات الغزنوية والسلجوقية والخوارزمية .

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز ، للحالة الأدبية في هذا الاقليم ، والسلالات الحاكمة تبين لنا أن القرون الثلاثة الأولى ، كانت مرحلة بناء هذا الأدب ، وان اللغة العربية أخذت فيه في النهوض ، واستطاعت أن تصل الى

(٢٠) للتفصيل ينظر : الدولة الخوارزمية والمغول . ص ٨٧ - ٨٩ .

(٢١) قتل نفسه سنة ٥٢١هـ . ينظر معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ ، بغية الرعاة ٢ : ٢٧٩ .

(٢٢) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ٦١٢ ، الفوائد البهية في طبقات الحنفية . ص ١٧٣ .

(٢٣) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ : ١٧٨٩ : ان القاسم بن الحسين ، قتل بغدر التتار سنة ٦١٧هـ .

(٢٤) ينظر : معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ .

(٢٥) النحيزة : الطبيعة . وجمعها نحائر .

منزلة اللغات الأدبية ، وأخذ أصحاب اللسانين يكثر ، وأخذت تصانيفهم في اللغتين تكثر وتزيد . وفي القرن الرابع وجدنا منهم الأدباء والشعراء الذين ألفوا ونظموا باللغتين على حد سواء ، والذين كانوا يتقنون العربية، ويجيدون الشعر والنثر الفني باللغتين .

وعلى الرغم من أن العنصر العربي قلّ في القرن السادس الهجري ، في الثقافة بصفة عامة ، ولم ينبغ منهم شعراء مشهورون ، ولا شعراء مبرزون ، لأن الفرس كانوا قد بدأوا يكونون قومية فارسية ، ويعيدون أمجادهم القديمة ولغتهم . ويحتفظون بتقاليدهم ونشاطهم السياسي والعلمي والأدبي، طوال هذا القرن ، إلا أن هذا القرن على الرغم مما ذكرناه، تميز بكثرة علمائه وأدبائه أمثال جار الله الزمخشري ، وفخرالدين الرازي ، ورشيد الدين الطوطا ، والعمري وابن شيرين الجندي ، تلميذ الزمخشري ، والقاسم بن الحسين ، والمطرزي .

وهناك طائفة من الشعراء المغمورين ، الذين أسهموا اسهاما فعّالا ، في ارساء قواعد الاتجاهات الشعرية المختلفة في هذا الاقليم ، كما سنرى حين كلامنا على الشعر واتجاهاته . ومن أشهر هؤلاء الهراسي والباقي ، والتاجر وغيرهم . هذا بالإضافة الى الشعراء الوافدين الى هذا الاقليم ، والذين أضافوا ثروتهم الشعرية والنثرية ، الى الثروة الأدبية ، وعلى رأس هؤلاء الشاعر رشيد الدين الطوطا من بلخ ، والكلثومي من خراسان ، وابن عني من الشام ، والفَرّناطي من غرناطة من بلاد الأندلس . ومنهم محمد بن احمد النسوي من مدينة « نسا » .

ومن وفد الى هذا الاقليم ، العالم الحكيم الفيلسوف الشاعر ابن سينا، الذي عاش تحت رعاية خوارزم شاه ، علي بن مأمون بن محمد ، ووزيره أبي الحسن السهيلي .

ومن تقاذفته الغربة الى هذا الاقليم ، وأقام به حتى وفاته ، محمد بن الحسين ، الكاتب المعروف بالقصاب ، والملقب بصريع الكأس ، وهو من أهالي نيسابور ، له كتابة حسنة ونظم بارع على حد قول القفطي^(٢٦) .

(٢٦) ينظر كتابه : المحدثون من الشعراء وأشعارهم . ص ٢٥٢ .

والى جانب هؤلاء عرف هذا الاقليم عددا لا بأس به من الكتاب ، كان لهم أثر كبير في الكتابة الفنية ، وعلى رأس هؤلاء الكاتب الكبير ، أبو بكر الخوارزمي .

ومن الجدير بالذكر أن الشعراء ، أنفسهم كانوا كتاباً أيضاً . وقد اتحفنا كتب التراجم بأسماء غير قليلة ، من كتاب هذا الاقليم ، منهم من غزر ثره فوجدناه ، كما هي الحال في نثر أبي بكر الخوارزمي ، ورشيد الدين الوطواط . ومنهم من غزر ثره فوجدنا بعضه ، أو وجدنا أقله . ومنهم من غزر ثره ولم نجد منه شيئا نتيجة الضياع . ويكفي أن نذكر من كتّاب هذا الاقليم ، علاوة على ما ذكرنا : السهيلي ، والحسن بن مظفر النيسابوري ، وأبا عبدالله بن حامد ، والرقاشي ، والزمخشري وغيرهم .

وبهؤلاء الشعراء والكتاب ، رفعت راية الأدب العربي في هذا الاقليم ، وازدهرت الحياة الأدبية ، وخاصة في القرن الرابع والقرنين التاليين ، حتى فوجيء العالم الاسلامي في مطلع القرن السابع الهجري ، وفي الجانب الشرقي منه ، بظهور المغول ، الذين اصطدموا مع ملوك خوارزم ، وخرّبوا ملكهم ، وقتلوا علماءهم وأدباءهم ، وبدّدوا كتبهم ، فجمدت اللغة العربية في هذه المناطق بعد هذا ، جموداً لم تنتعش بعده .

الباب الأول

الشعر

- الفصل الأول : الاتجاهات الشعرية
- الفصل الثاني : أبو بكر الخوارزمي
- الفصل الثالث : أبو القاسم الزمخشري
- الفصل الرابع : شعراء آخرون :

١ - محمد بن حامد

٢ - القاسم بن الحسين

٣ - الرقاشي

- الفصل الخامس : شعراء وافدون
- الفصل السادس : رشيد الدين الوطواط

الفصل الأول

الاتجاهات الشعرية

بعد أن عرفنا ما كانت عليه الحياة الأدبية من الرقي ، في هذا الاقليم بعد الفتح العربي ، تتساءل عن الاتجاهات الشعرية التي عرفها هذا الاقليم ؟ وقبل الجواب عن هذا التساؤل ، تتساءل أيضاً عن الأدب الذي وجدته العرب الفاتحون فيه ، ثم عن قيمة هذا الأدب ؟ وجواب هذا أن نقول : إئتنا لا نعرف شيئاً عن الشعر الفارسي قبل الاسلام ، سواء في هذا الاقليم أم في غيره من الأقاليم الايرانية . ولكننا وجدنا بعض المؤرخين من الفرس^(١) ، ينسبون أول شعر فارسي الى بهرام جور^(٢) ، الذي بعث به أبوه الى الحيرة ، فنشأ بها وعرف العربية وشعر بها .

ويقول شمس الدين الرازي^(٣) : إن بهرام جور أول من نظم شعراً فارسياً ، وإنه أخذ الشعر عن العرب في الحيرة ، وإن علماء الفرس استهجنوا منه قرض الشعر ونهوه عنه تنزهاً عن معاييه ، وإنه انتصح ومنع أولاده وذوي قرباه عن قرضه .

ومن هذا كما يرى عوفي كانت مدائح باربد^(٤) وأغانيه ، عند كسرى أبرويز ، كلها منشورة خالية من النظم .

على أن أكثر نقاد الأدب الايراني ، يشيرون الى أن الشعر الفارسي ،

(١) منهم محمد عوفي في كتابه : لباب الالباب . ص ٢٠ . وشمس الدين محمد ابن قيس الرازي في كتابه : المعجم في معايير اشعار العجم . ص ١٨٩ - ١٩٩ .

(٢) مرت ترجمته في ص ٧٨ من هذا الكتاب .

(٣) ينظر كتابه : المعجم في معايير اشعار العجم . ص ٢٣ .

(٤) هو مطرب كسرى « أبرويز » يقال ان اصله من جهرم من توابع شيراز . وكان وحيداً في عزف العود ، واليه ينسب اختراع النشيد المسجع الذي يسمى النشيد الخسرواني أو الكسرواني . ينظر : برهان قاطع « مادة باربد » . ص ١٤٨ .

شأ مع دخول الاسلام ، ومع تلاحم الأمتين : العربية والفارسية ، بلحسام القرآن وحب العربية ، وطعّم بالأدب العربي : الجاهلي منه والاسلامي .

وقد ذكرنا في بحثنا للحياة الأدبية ، أن الشعراء الذين نظموا الشعر في هذا الاقليم ، لا يتقدمون الدولة السامانية ، وأن السامانيين حموا في قصورهم الشعراء والكتاب ، من العرب والفرس . الا أن الشعراء الايرانيين المترنمين في قصورهم ، كما يذكر بارتولد ، كانوا يذيعون آراء لا تتفق مع الاسلام ، كالشاعر الرودكي السمرقندي ، الذي قال^(٥) : « لا معنى لتحويل الوجه الى القبلة ، والقلب منجذب الى القدسية المجوسية ، ويجب الايمان بحب الإله العام لجميع الأديان .. »

ويؤيد المستشرق بارتولد Barthold ذلك بقوله : إن الشاعر الدقيق ، قد صرّح بالعقيدة الزرادشتية قائلاً : إته يفضل الخمر وشفتي حببته ودين زرادشت ، على كل شيء آخر .

ونحن نخالف المستشرق بارتولد في هذا ، ونقول : إن هذا القول لا يعني التصريح بالعقيدة الزرادشتية ، ولعل هذه اقوال شعراء ، يقولونها وهم مسلمون ، على نحو ما نرى عند الشعراء المسلمين العرب الخليعيين .

وروى شمس الدين الرازي أيضاً : أن أول من قال الشعر الفارسي هو أبو حفص السغددي^(٦) . ولكن مؤرخي الآداب اتفقوا على أن أول شاعر فارسي عظيم هو أبو عبدالله ، جعفر الرودكي ، شاعر نصر بن أحمد الساماني . والى جانب هذا النوع من الشعر ، انتشر الشعر الصوفي التركي^(٧) ،

(٥) ينظر : تاريخ الحضارة الاسلامية - ف بارتولد . ص ٧٠ . نقله الى العربية : حمزة طاهر . وقدم له : د . عبدالوهاب عزام . ط ٢ . مط دار المعارف بمصر . سنة ١٩٥٢ م .

والرودكي : شاعر متقدم على كل من الدقيقى والعنصرى .

(٦) نسبة الى سفد سمرقند . عاش حتى سنة ٣٠٠ هـ . وكان حاذقاً في الموسيقى .

(٧) هو نوع من الادب التركي الاسلامي ، ظهر في خوارزم بعد ان توطنها الترك ، الذين استفادوا من حضارتها الراقية ، وافادوا منها في النهوض بهذا الادب .

الذي يعدّ من أدب الترك الشعبي . وقد انتشر هذا في بلاد الترك ، من شمال نهر سيحون ، وشاع في بلاد ما وراء النهر وخوارزم^(٨) .

ولسنا نريد من هذا الذي ذكرنا ، التعرض الى الأدب الفارسي ، أو الأدب التركي ، لأننا لسنا بصدد الكلام عنهما ، وإنما ذكرناهما لنشير الى الآداب الأخرى التي سائرت أدبنا العربي في هذا الاقليم ، وبهذا عرفنا أن أدبنا قد سار جنباً الى جنب مع الآداب الأخرى في هذا الاقليم النائي ، عن مركز الدولة الاسلامية .

ومن خلال دراستنا للحياة الأدبية في هذا الاقليم ، لاحظنا ظهور جيل من الأدباء ممن نظموا أشعارهم باللغة العربية . وقد عاش كثير منهم في بلاط حكام وسلاطين الدول التي تعاقبت على حكم هذه البلاد ، وكانوا يكتبون في دواوينها ، ويمدحون وينادمون ، ويلون في مدارسها ، ومنهم من كان ينتقل من مملكة الى أخرى . لم يجاور هؤلاء شعراء الشام ومصر والجزيرة والأندلس ، لأنهم في بيئة اعجمية ومع ذلك سلكوا مسلك الشعراء المتقدمين في أغراضهم الأدبية المختلفة .

ومن النماذج الشعرية التي لدينا رأينا أن الشعر في هذا الاقليم ، هو تقليد للشعر العربي ، يسير على خطى الشعر الجاهلي ، ولا سيما شعر طرفة ابن العبد ، وشعر عنترة ، وعمر بن كلثوم التغلبي ، والناطقة الذيباني ، وزهير ابن أبي سلمى وغيرهم ، وعلى خطى الشعر الاسلامي ولا سيما شعر جرير والفرزدق والأخطل ، في العهد الأموي ، وشعر أبي تمام ، والمتنبي ، وابن الرومي ، في العصر العباسي .

ومن هنا نستطيع القول : إنّه شعر يسير في اتجاه المدرسة المحافظة التقليدية ، ولكنه مع ذلك تميز بسمات خاصة ، شكلت أولى ملامحه ، منذ أن نشأ في بلاد المشرق ، وفي اقليم بعيد عن مركز الخلافة الاسلامية ، كغيره من أقاليم ما وراء النهر .

وأهم مظاهر الشعر في هذا الاقليم ، تتمثل في أنه كان يهتم اكثر ما يهتم بالموضوعات التقليدية ، من مدح وفخر وهجاء ، وشكوى وحنين ، وغزل

(٨) ينظر : في الادب العربي والتركى . ص ٢٨٣ .

ونسب وما الى ذلك ، ثم في انه كان يسير على منهج الأقدمين ، في بناء القصيدة ، وفي تجميع صورها ، وتأليف أسلوبها ، من لغة تستوحي الذاكرة والتراث ، كما تستوحي عصرهم وواقعهم كما سنرى .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى أن سير هؤلاء الشعراء ، على النهج المحافظ ، لم يكن دائماً بدافع التقليد ، كما يتراءى لنا أول وهلة ، وإنما كان له ما يقتضيه من حياتهم الخاصة ، وواقعهم وظروفهم ، بالإضافة الى أن الطبيعة الانسانية ، إنما هي طبيعة مجبولة على حب التقليد والمحاكاة .

أما عن واقعهم وظروفهم ، فقد كانت تتطلب هذه الموضوعات التقليدية، التي عرف بها الشعر المحافظ ، فالفخر والحماسة هما لازمتان من لوازم الصراع والغلبة ، وقد عرف أقليم خوارزم الكثير منهما ، لتداول الدول المختلفة عليه . وقد جاء هذا في شعرهم مضمناً في شعر المديح ، الذي قيل في السلاطين والوزراء والمسؤولين .

والمدح والهجاء كذلك لازمتان من لوازم البيئة العربية القديمة ، وقد كانت بيئة خوارزم ، متسمة بالطابع العربي الى حد كبير ، وخاصة حينما كان حكامها يدعمون حكمهم ، ويقوّون سلطانهم فيتخذون حينئذ من الشعر أداة ترويح ، ووسيلة دعاية ، كما لاحظنا ما حدث بين السلطان سنجر ، والسلطان اتسز ، اثناء كلامنا عن الحياة الأدبية ، فقد كانت المنافسة على أشدها ، وكان كل منهما يحاول أن يكون هو المتفوق على صاحبه في كثرة الأدباء والعلماء في بلاطه . وقد روي عن السلطان محمود الغزنوي ، أنه أرسل في طلب بعض الأدباء ، ممن كانوا يعيشون في بلاط الخوارزميين ، ليعيشوا في بلاطه ، فلبى قسم منهم الدعوة ، ورفضها قسم آخر . وكان على رأس هؤلاء : الفيلسوف الشهير ابن سينا ، والبيروني ، والمسيحي^(٩) ، وابن الخمار^(١٠) .

(٩) هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني ، ابو سهل . ولد في جرجان، ونشأ وتعلم ببغداد ، وسكن خراسان فتقدم عند سلطانها . توفي سنة ٤٠١هـ . متقن للعربية فصيح العبارة . تنظر ترجمته في : تاريخ الحكماء . ص ٦٠٨ (طبعة لايبزك) ، الاعلام ٥ : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(١٠) هو ابو الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام او بهنام ، المعروف بابن الخمار

والغزل كذلك كان من لوازم البيئة العربية القديمة، ومظهراً من مظاهرها الرئيسية ، لأن العرب عاطفيون في طبيعتهم ، كما أن من طبيعة الرجل حب المرأة والتغزل بها .

وهكذا يمكن أن يقال في بقية الأغراض التقليدية ، التي عالجها الشعر العربي المحافظ في هذا الاقليم ، فكلها يمكن عدّها من مقتضيات واقع أهل هذا الاقليم ، وظروفهم وطبيعتهم الانسانية ، المحبة للتقليد والمحاكاة .

كما لا يخفى أن العرب الفاتحين ، حينما كانوا ينتقلون الى الأقاليم الجديدة التي فتحوها ، كانوا يحملون في مخيلاتهم ، صورة لعالم مثالي عاشه آبائهم وأجدادهم ، هو عالم الصحراء حيث الكثبان الرملية ، والطلول والدمى ، والنوق والجمال ، والجآذر والآرام ، الى آخر هذه الأمور ، التي تؤلف صورة حية للبادية ، كما أنهم كانوا يعتقدون أن خير الأدب هو ما كتبه آبائهم ، ومن هنا رأينا المستعربين في الأقاليم الاسلامية ، يحاكون أولئك في نماذجهم التي جادت بها قرائحهم ، سواء في الشعر أو النثر .

ولنتأمل مثلاً هذه النماذج ، التي ترينا سيرهم على منهج الأقدمين في بناء القصيدة ، في قول أبي القاسم الزمخشري ، من قصيدة في مدح السلطان سنجر (١١) :

إِنَّ المِليحةَ بَكَرَتْ أَحْداجُهَا فَاهْتاجَ مِنْ حَرِّ الهوى مَهْتَاجُهَا (١٢)
فَكَأَنَّ عَيْنِي وَهِيَ كَالدَّمِ دَمَعُهَا كَأَسِّ مِنَ الصَّهْبَاءِ قَلَّ مِزَاجُهَا
قَامَتْ تَوَدِّعُ وَالنَّقَابُ مُضَاعَفُ لِيَغِيبَ تَحْتَ نَقَابِهَا أَبْهَاجُهَا

النصراني ، الفيلسوف المنطقي الطبيب . ذهب الى خوارزم ، واتصل بخدمة مأمون بن محمد، خوارزم شاه ، وعاش في كنف الخوارزمشاهيين . ولد في بغداد سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م . أما وفاته ففيها اختلاف ، والواضح انه مات بعد سنة ٤٠٨هـ - ١٠١٧م .

تنظر ترجمته في : هدية العارفين ١ : ٢٧٧ ، جهاز مقالة . ص ١٧٠ - ١٧١ ، تاريخ الادب في ايران . ص ٦٢٩ .

(١١) ينظر ديوان الزمخشري « مخطوط » . ورقة ٢٠-٢١ .

(١٢) أحداجها : الحدج : الحمل : مركب للنساء نحو الهودج والمحفة . والجمع أحداج وحدوج . وجاء في الاصل « محتاجها » بدلا من مهتاجها ، واثبتنا ما رأيناه مناسبا للمعنى .

وكشعة المصباح غرة وجهها ونقابها ، مشكاتها وزجاجها (١٣)
وكأنما السلطان سنجر كعبة" للملك منتخب الملوك رتاجها (١٤)
شهم" إذا ما ألقت أفكاره آراؤه كان الصواب نتاجها
لكنها تلد الصواب متممة" ولرب آراء يسوء خداجها (١٥)
ركب السياسة وهي أصعب مركب فتطامنت لركوبه اتناجها
جهم المحيا للعدى طلق" إذا ضيفانه نزلت به أفواجها (١٦)
هذه القصيدة سلك بها الزمخشري، الطريق الذي سلكته القصيدة العربية،
في بنائها وفي نهج سيرها ، من البدء بمقدمة غزلية ، ثم التخلص الى المدح .
ومثل هذا قصيدته ، التي مدح بها الوزير مجير الدولة الأردستاني ،
وأولها (١٧) :

أيا حبذا سعدى وحب مقامها ويا حبذا أين أستقل خيامها
حياتي وموتي قرب سعدى وبعدها وعزّي وذلي وصلها وانصرامها

وستتناول الأغراض التي تضمنها الشعر في هذا الاقليم ، موضحين أهم
اتجاهاتها ، ومبينين فيها محاكاتها للشعر العربي الجاهلي منه والاسلامي ، أو
ميزات التي تعطي شعراءهم ولو مسحة من الاستقلال الذاتي . ولعل أول
تلك الأغراض الجديرة بالبحث شعر المديح ، الذي يقتزن بالشعر السياسي عادة،
وهو ما يمكن أن نسميه المدح الخاص ، وهناك المدح العام ، وهو ما لم يكن في
مدح الرؤساء والوزراء والحكام وغيرهم .

(١٣) مشكاتها : المشكاة : قيل انها رومية معربة وهي الزجاج . وقيل هي
العمود الذي يكون المصباح على رأسه ، أو قسبة الزجاج التي يستصبح
بها ، وهي موضع الفتيلة منها . وكلمة « ومشكاتها » كذا وردت في
الاصل ، ولا يستقيم الوزن بها .

(١٤) رتاجها : رتاج الكعبة : يكنى به عنها ، اسم من أسماء مكة المكرمة .
منتجب الملوك : لقب للوزير أبي جعفر محمد ، أحد كبراء دولة السلطان
سنجر السلجوقي .

(١٥) خداجها : خدجت الناقة : أي الفت ولدها لغير تمام في الايام ، وان كان
الولد تاما ، وهو الاصل في المعنى . وربما يكون الخدج لغير الناقة .

(١٦) ضيفانه : الضيفان : الضيف النازل في الضيافة ، ويجمع ايضا على
اضيف واضيوف وضياف . (١٧) ينظر : انباه الرواة : ٣ : ٢٦٥ .

المدح والشعر السياسي :

وجدنا الكثير من هذا الشعر قد قيل ، في أصحاب السلطان من سلاطين ، وولاة ووزراء ، وحكام . ومن هذا ، قول أبي بكر الخوارزمي ، في مدح مؤيد الدولة ، (من بني بويه) ، لفتح قلعة من أبنكار القلاع ، واستنزاله صاحبها المسمى كوشيار^(١) .

وكنْتَ سماءً ، والمعْجَاجُ سَحَاباً
وخيْلُكَ أبراجاً ، وجيشُكَ أنْجُماً
وأَنْزَلْتَ مِنْهَا كوشَيْياراً ، وإثْمَماً
تَقْتَصِّتُ مِنْ فَوْقِ المَجْرَةِ ضِيْعَماً^(٢)
عَرَفْتُكَ صَيَّادَ الأسودِ ، ولم أكنْ
عَرَفْتُكَ صَيَّادَ الأسودِ مِنَ السَّمَاءِ
خَدَمْتُكُمْ يَا آلَ بُوَيْهٍ مُدَّةً
غَدَا بَيْنَهَا فَرَخُ الوَسَائِلِ قَشْعَماً^(٣)

فالشاعر هنا يمدح مؤيد الدولة بالشجاعة والمنزلة الرفيعة . ويعطينا لمحة عن المعركة التي دارت بينهم ، ويحاول أن يعطينا فكرة عن قوتها ، بذكره الغبار ، وكأنه السحب من كثرتة . وهذا دليل أيضاً على كثرة الخيول المشتركة في المعركة ، وعلى قوة الفريقين ، وشدة العراك . وأخيراً يبين الشاعر ، أنه خدم آل بويه ، ومنهم الممدوح ، وأنه بقي في خدمتهم منذ صغره حتى كبره .

(١) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٥ (طبعة السعادة) .

(٢) المجرة : البياض المعارض في السماء ، ويسمى شرج السماء ، وبباب السماء ، ودرب التبان . وهو طائفة من نجوم هذا الفضاء الفسيح ، كأنها مجتمعة ، وهو شبه جزيرة من ملايين . ويقال انها تحوي ثلاثين ألف شمس كشمسنا ، ولكل شمس نظام ، كما لشمسنا هذه نظامها .
(٣) القشعم والقشعوم : الحسن من الرجال والنسور ، والرخم لطول عمره . وهو صفة . وقيل : هو الفخم المسنن من كل شيء .

ومما قاله أبو الريحان في مدح آل عراق ، هذه القصيدة التي يقول فيها^(٤) :

مضى أكثرَ الأيامِ في ظلِّ نعمةٍ على رتبٍ فيها علَوْتُ كَراسيا
فآل عراقٍ قد غَدَوْنِي بِدَرِّهِمْ ومنصورٌ منهم قد تولَّى غِرَاسيا^(٥)
وشمسُ المعالي كان يرتادُ خدمتي على ثَقْرَةٍ مني وقد كان قاسيا
وأولادُ مأمونٍ ومنهم عليَّهِمْ تَبْدَى بصنمٍ صارَ للحالِ آسِيا
وآخرهم مأمونٌ رَفَّتْه حَالَتِي ونوّهَ بِاسمي ثم رَأَسَ راسيا^(٦)
ولم ينقبض محمود عني بنعمةٍ فَأَغْنَى وَأَقْنَى مَغْضِيا عَنْ مَكاسِيا^(٧)
عفا عن جهالاتي وأبدى تَكَرُّمًا وطَرَى بِجَاهٍ رَوْنَقِي ولباسِيا^(٨)
عَفَاءٌ علي دِنيَايَ بعد فراقهم وواحزَنِي إِنْ لَمْ أَزُرْ قَبْلَ آسِيا^(٩)
ولما مَضَوْا ، واعتضت عنهم عصابةٌ دَعَوْا بِالتَّناسي فاغْتَنَمْتُ التَّناسِيا
وخلَقْتُ في غَزَنِينَ لَحْمًا كَمُضْغَةٍ على وَضَمٍ لِلطَّيْرِ لِلْعِلْمِ ناسِيا^(١٠)

(٤) ينظر : معجم الادباء ١٧ : ١٨٦-١٨٧ . وذكر ياقوت الحموي بعضا منها في كتابه : معجم البلدان ٤ : ٢٠٢ (طبعة بيروت) . وينظر : رجال السند والهند في القرن السابع . ص ٢١١ .

(٥) غراسيا : الفراس : ما يفرس من الشجر . والمراد هنا التعهد به وحمايته . كما يتعهد الانسان الفراس حتى يكبر .

منصور : هو منصور بن علي بن العراق ، كان من كبار الرياضيين ، في القرن الرابع الهجري ، ومن معاصري البيروني ، ويقال انه كتب باسمه اثني عشر كتابا ، في فنون الرياضة المختلفة . وآل عراق كما يبدو من تضاعيف كتاب الاثار الباقية ، كانوا من نسل ملوك خوارزم القدماء ، قبل الاسلام . ونسبهم على ما زعموا يتصل بكيسخرو ، وكان لهذه الاسرة مكانة ونفوذ ، حتى ايام الساسانيين .

(٦) رفة حالتي . . الخ اي وسعها والان عيشي .
راس راسيا : اي جعله رئيسا .

(٧) مغضيا عن مكاسيا : اي متغافلا عن ظلمي .

(٨) وطرى بجاه رونقي ولباسيا : اي جعله طريا وحسنا .

(٩) عفاء : اي هلاكا .

(١٠) غزنين : مدينة عظيمة ، وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي التي تسميها العامة غزنة . ينظر معجم البلدان ٤ : ٢٠٢ (طبعة بيروت) .

فَأَبْدَلْتُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا كَمِثْلِهِمْ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونُوا سِوَا سِيَا
بِجَهْدٍ شَأَوْتُ الْجَالِينَ أُمَّةً فَمَا اقْتَبَسُوا فِي الْعِلْمِ مِثْلَ اقْتِبَاسِيَا^(١١)
بِمَا بَرَكُوا لِلْبَحْثِ عِنْدَ مَعَالِمٍ وَلَا احْتَبَسُوا فِي عَقْدَةٍ كَاحْتِبَاسِيَا^(١٢)
فَسَائِلُ بِمَقْدُورِي هُنُودًا بِمَشْشُوقٍ

وَبِالْعَرَبِ مَنْ قَدْ قَاسَ قَدْرَ عَمَاسِيَا^(١٣)
فَلَمْ يَثْنِهِمْ عَنْ شُكْرِ جَهْدِي تَقَاسَةً

بَلْ اعْتَرَفُوا طَرًّا وَعَافُوا اتِكَاسِيَا^(١٤)
أَبُو الْفَتْحِ فِي دُنْيَايَ مَالِكُ رَبِّقَتِي

فَهَاتِ بِذِكْرِهِ الْحَمِيدَةِ كَاسِيَا^(١٥)

فَلَا زَالَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ عَامِرًا وَلَا زَالَ فِيهَا لِلْفَوَاةِ مَوَاسِيَا

وَأَبُو الرِّيحَانِ الْبَيْرُونِي^(١٦) ، كَانَ مَصَاحِبًا لِلْمُلُوكِ ، وَلَهُ فِيهِمْ قِصَائِدٌ تَدُلُّ
عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا قَضَى الشُّطْرُ الْأَكْبَرُ مِنْ حَيَاتِهِ فِي خِدْمَةِ أُمَرَاءِ خَوَارِزْمٍ ، مِنْ أَسْرَةِ
مَأْمُونٍ . وَيَقُولُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ ، فِي حَقِّ أَبِي الرِّيحَانِ^(١٧) : « كَانَ حَسَنَ
الْمَحَاضِرَةِ ، طَيِّبَ الْعَثَرَةِ ، خَلِيعًا فِي الْأَفَازَةِ ، عَفِيفًا فِي أَعْمَالِهِ ، لَمْ يَأْتِ الزَّمَانُ

(١١) شَأَوْتُ الْجَالِينَ : أَيِ عُلُوتِ .

(١٢) بَرَكُوا : أَقَامُوا .

مَعَالِمٌ : مَظَانِ الْعِلْمِ .

احْتَبَسُوا : أَيِ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ .

(١٣) عَمَاسِيَا : الْعَمَاسُ : الْحَرْبُ الشَّدِيدَةُ .

(١٤) اتِكَاسِيَا : أَيِ تَنْقِصِي .

(١٥) رَبِّقَتِي : الرِّبْقَةُ : حَبْلٌ فِيهِ عِدَّةُ عُرَى ، يَشُدُّ بِهِ الْبَهْمُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ فَرَجَ
كَرْبَتِي ، وَخَلَّصَنِي مِنْ غَائِلَتِهَا .

(١٦) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَبُو الرِّيحَانِ الْبَيْرُونِيُّ الْخَوَارِزْمِيُّ . وَلَدَ
سَنَةَ ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م ، فِي بَيْرُونٍ مِنْ قَرْيَةِ خَوَارِزْمٍ ، وَكَانَ مَعَاصِرًا
لِلْفِيلَسُوفِ ابْنِ سِينَا . وَتُوفِيَ فِي مَسْقُطِ رَأْسِهِ ، سَنَةَ ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م .

(١٧) يَنْظُرُ كِتَابُهُ : مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٧ : ١٨٦ .

بمثله علماً وفهماً . وكان يقول شعراً ، إن لم يكن في الطبقة العليا ، فإنه من مثله حسن » .

ولأبي عبدالله التاجر ، قصيدة في مدح الشيبلي الوزير ، قال فيها (١٨) :

حُكْمُ عَيْنَيْكَ نَافِذٌ فِي مَاضِي
كَيْفَمَا شِئْتَ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ
وَكَانَ الصَّبَاحَ لَمَّا تَجَلَّى
لِي سَيْفٌ لَهُ الشَّيْبِيُّ نَاضٍ
الهِزْبُ الَّذِي لَهُ الدَّرْعُ كَاللِّبِّ
دَقَّةٌ لِلثَّيْتِ وَالْقَنَا كَالْغِيَاضِ (١٩)

ففي البيت الأول من هذه الأبيات ، نرى الشاعر وكأنه يتغزل بمددوحيه ، نرى ذلك في استكاته لحكمه ، ثم نراه يمدحه بالشجاعة ، فيشبهه مع درعه ، بالأسد ولبدته ، أي أنها لا يفترقان .

ويقول الأديبي (٢٠) في بعض الرؤساء وقد حُجِبَ عنه :

وَمُحَجَّبٌ بِحِجَابٍ عِزٍّ شَامِخٍ
وَشُعَاعٌ نَوْرُ جَبِينِهِ لَا يُحْجَبُ
حَاوَلْتُهُ فَرَأَيْتُهُ بِدُرّاً طَالِعاً
وَالْبَدْرُ يَبْعُدُ بِالشُّعَاعِ وَيَقْرُبُ

(١٨) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٤ (السعادة) ، المحمدون من الشعراء . ص ٩٦ .

(١٩) اللبدة واللبدة : « والكسر أكثر » : كل ما تلبد من شعر أو صوف : واللبدة : شعر متجمع على زبرة الأسد ، متراكب بين كتفيه ، وجمعه لبدة . والزبرة : هنة ناتئة من الكاهل ، أو الكاهل نفسه ، الكاهل والظهر . وجمعه زبر . وجمع الجمع : أزبار .

(٢٠) هو أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الخوارزمي ، من مشاهير خوارزم وادبائها ، وشعرائها . ينظر عنه : معجم الأدباء ٢ : ١٣١ .

قَبِلْتُ نَوْراً جِيْنَهُ مُتَعَزِّراً
 بِاللَّحْظِ مِنْهُ وَقَدْ زَهَاهُ الْمَوْكِبُ^(٢١)
 كالشمسِ في كِبِدِ السماءِ ونورها
 من جانبيه مُشْرِقٌ ومَغْرِبٌ
 إِنْ بَانَ شَخْصِي عَنْ مَجَالِسِ غَيْرِهِ
 فَالْتَفُسُ فِي أَلْطَافِهِ تَتَقَلَّبُ^(٢٢)
 وَإِذَا تَقَارَبَتِ النُّفُوسُ وَمَا اتَّأَتِ
 أَشْخَاصُهَا فَهُوَ الْجَوَادُ الْأَقْرَبُ^(٢٣)

ولأبي القاسم أحمد بن أبي زرغام ، في الشيبى قصيدة يقول فيها^(٢٤) :
 ابْنُ شَيْبٍ أَبُو حُرُوبٍ أَخُو نَدَىٍّ لِلْحِفَافِ خِلْ
 لَيْثٌ قَتَالٌ ، وَأَيُّ لَيْثٍ بِالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ يَسْتَقِلُّ ؟
 خُذْهَا عَرُوساً أَتَتْكَ بَكَراً لَعَيْرُكَ الدَّهْرَ لَا تَحُلْ
 خُذْهَا وَسُقْ مَهْرَهَا إِلَيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَابِلٌ فَطَلْ
 يمدحه بالكرم والشجاعة ، في ميدان السيف والرمح . وقد علق الثعالبي
 على هذه الأبيات بقوله : إنَّها من محاسنه^(٢٥) .

ومما قاله الشيبى ، في الأمير أبي نصر الميكالى ، أحمد بن علي الميكالى^(٢٦) :

-
- (٢١) متعزراً : عززه : أي فخمه وعظمه .
 زهاه : الزهو : الكبر والتباه والفخر والعظمة . وزها فلان : إذا اعجب
 بنفسه ، وزهته الريح : ساقته ، والشاعر يريد هذا المعنى الأخير . أي
 أن الموكب هو الذي ساقه .
 (٢٢) اللطافه : يقال لطف به وله : إذا رفق به . اللطف : البر والتكرمة
 والتحفي ، ولطف به والطفه : أي اتحفه وبره .
 (٢٣) انتأت : أي بعدت .
 (٢٤) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٤ - ٢٥٥ (طبعة السعادة) .
 (٢٥) المرجع السابق ٤ : ٢٥٤ .
 (٢٦) ينظر : المرجع السابق ٤ : ٢٤٢ - ٢٤٣ .

يا آلَ ميكَالَ أَتَمَّ غِرَّةَ العِجَمِ
لكنَّ أَحمدَ فيكم دُرَّةَ السَّكَمِ
لا تَحْسُدوه ، فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ
منكم عليكم جميعاً ، بل على الأُمَمِ
لا تَحْسِدُوا رجلاً ما ان له شَبَهٌ
فيمَن يَرى اللَّهَ من عَرَبٍ ومن عِجَمِ^(٢٧)
فمن يحاكيه في الافضال والسكرم
أَم من يناويه في الآداب والقلم^(٢٨)
أَم من يساجله في كلِّ مكرُمَة
أَم من يُعادله في الجود والهِمَمِ^(٢٩)
يا آلَ ميكَالَ إِنِّي قد نَصَحْتُكُمْ
نَصَحَ أُمريءٍ في هَواكم غيرَ مُتَّهَمِ
فاستسلموا لقضاء اللَّه واعترفوا
بفضلِ أَحمدَ طَوْعاً أو على الرَّغَمِ

ومن الملاحظ أن الشيبسي ، قد اتبع سبيل الغلو في مديحه ، ذلك الغلو الذي ربّما مرجعه عنصريته وجهه لهذا الأمير . وبجانب العنصرية يظهر في هذه القصيدة ، روح التعصب في تفضيله الممدوح ، على العرب والعجم ، في بيته الثالث .

وقال أبو الفضل ، أحمد بن محمد الصخري ، في مدح أبي العباس ، خوارزم شاه^(٣٠) :

أشْبَهَ الْبَدْرَ في السَّنَا والسَّناءِ وَحَوَى رِقَّةَ الْهَوَى والهَواءِ^(٣١)

(٢٧) يرى : أي خلق . والبرية أي الخلق .

(٢٨) في الأصل يناوئه ، ولا يستقيم الوزن بها .

(٢٩) يساجله : يباريه . والمساجلة : أي المفاخرة .

(٣٠) ينظر : معجم الادباء ٥ : ٢٦ - ٢٧ .

(٣١) السناء : الرفعة والعلو . والسنا : الضوء والشروق .

وأتى الشَّيْبُ بَعْدَهَا مُنْقِذاً لِي عَنْ يَدِ الدَّهْرِ بِالْبِلَى والبلاءِ
 وإذا شاءَ بالنَّدَى المَلِكُ العَا دِلُ في المَجْدِ والعُلَى والعَلَاءِ
 أَبْدَلَ الشَّيْنِ مِنْهُ سِيناً وَأوطأ نِي الثَّرِيّاً مِنَ الثَّرَى والثَّرَاءِ (٣٢)
 في هذه الأبيات تظهر لنا الصنعة البديعية واضحة ، ولعل الشاعر أراد
 أيضاً ، التلاعب بالالفاظ ، في بيته الأخير في قوله : « أبدل الشين منه سينا » أي
 يصبح سَيْباً .

ومن جيد مدائحه قوله في أبي الحسين السهيلي (٣٣) :

نَفْسٌ "مُصَدِّقَةٌ" جَمِيعَ عِدَاتِهَا
 لَكِنْ "مُكَذِّبَةٌ" ظُنُونِ عِدَاتِهَا (٣٤)
 هِمَاتِهِ حَكَمَتْ عَلَى هَامَاتِهَا
 إِذْ أَصْبَحَتْ لِلوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا (٣٥)
 يَا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَا خَيْرَ مَنْ
 وَلِيَ الْوَزَارَةَ عِنْدَ خَيْرِ وُلَاتِهَا
 مَا دَامَتْ الْأَيَّامُ فِي الْعَقَلَاتِ عَنْ
 عَرَصَاتِ مَجْدِكَ فَأَغْتَنِمِ غَقَلَاتِهَا (٣٦)
 وقال في بعض الصدور (٣٧) :

جَمَعْتَ إِلَى الْعُلَى شَرَفَ الْأَبْوَةِ
 وَحَزْتَ إِلَى النَّدَى فَضْلَ الْمَرْوَةِ (٣٨)

-
- (٣٢) الثريا : نجم في السماء . والثرى : التراب . والثراء : الغنى .
 (٣٣) معجم الادباء ٥ : ٢٩ .
 (٣٤) العداة : جمع عداة . والعداة : جمع عدو . يريد انجاز وعده وتكذيبه
 ظنون العداة ، من انه يهزمهم ، وقد ظنوا القلب عليه .
 (٣٥) هاماتها : جمع هامة وهي الرأس .
 (٣٦) عرصات : جمع عرصة : وهي الفناء المتسع امام المنزل .
 (٣٧) ينظر : المصدر السابق ٥ : ٣٠-٣١ .
 (٣٨) وحزت الى الندى : يريد ان يقول : ان المدوح كريم ، كثير الجود
 والعطاء .

أَتَيْتُكَ خَادِمًا فَرَفَعْتَ قَدْرِي
إلى حالِ الصَّدَاقَةِ والأُخُوَّةِ
فما شَبَّهْتَنِي إِلَّا بِمُوسَى
رَأَى نَارًا فَشُرِّفَ بِالثُّبُوءِ

والصخري في مدحه هذا يختلف عن مدحه لمن يساويه مكانة ونسباً ،
حيث يرفع القيود التي تقيده اثناء مدحه لرجال الدولة ، ويعطينا صورة منطلقة
متحررة ، ويكون مديحه أكثر عاطفة وصدقا ، كما سنرى حين نتكلم عن
المدح العام .

وبتفحصنا لأبياته هذه نقول : ربما كان الصخري من المتكسبين بالشعر ،
وقد يكون في شعره هذا أحسن المدح ، على أننا لا نطمع بالعاطفة الصادقة
فيه ، ونحن نعلم أنه اتخذ المدح ذريعة للكسب ، ووسيلة للعيش .

ومن الشعر الذي قيل في هذا المجال ، قول الشاعر الحسن بن المظفر
النيسابوري ، الشاعر المصنف ، والأديب النائر ، ومؤدب أهل خوارزم في
في عصره ، ومخرجهم وشاعرهم ، ومقدمهم والمشار اليه منهم ، على حد قول
ياقوت الحموي (٣٩) .

قال أبو علي ، الحسن بن المظفر النيسابوري ، في صاحب نظام
الملك (٤٠) :

الآن صَحَّ من الزمانِ ضَمَانُ وأتى من القَدَرِ المخوفِ أَمَانُ
قالوا خوارزمُ انطَوَى اقبالُها وأصابها الادبارُ والخذلانُ

(٣٩) ينظر كتابه : معجم الادباء ٩ : ١٩١ .

(٤٠) ينظر دمية القصر وعصره أهل العصر . القسم السادس . رقم
الترجمة ٣٩٩ .

ونظام الملك : هو نظام الملك أبو الحسن الطوسي ، أشهر وزراء السلاجقة ،
ظل وزيرا ثلاثين سنة للسلطانين : الب أرسلان ، وملكشاه . وهو صاحب
المدرسة النظامية ببغداد .

تنظر ترجمته في الكنى والالقب ٣ : ٢٥٧-٢٥٩ وجاءت كنيته فيه أبو علي .
وينظر أيضا : الموسوعة العربية الميسرة . ص ١٨٣٨ .

كَذَبُوا وَحَقَّ اللَّهُ فَهِيَ بِدَوْلَةٍ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ لِلسُّعُودِ قِرَانُ
جَذَبَ الْمُلُوكَ مِنَ النُّوَاحِي نَحْوَهَا مَلِكُ الْوَرَى تَاجُ الْعَلِيِّ السُّلْطَانُ
خَفَقَ اللَّوَاءُ بِهَا النِّظَامِيُّ الَّذِي مِنْهُ لَاحِشَاءُ الْعِدَا خَفَقَانُ
فَتَأَرْجَتْ رِيحُ السَّعَادَةِ سَجَسَجًا وَأَقَامَ فِيهَا الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ^(٤١)
رَاعَى رِضَا خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ مَا أَوْصَاهُ فِيهَا رَبُّنَا الرَّحْمَنُ^(٤٢)
وَلِذَاكَ مَا أَصْفَاهُ بِالرُّثْبِ الْعَلِيِّ شَاهِنشَاهُ فَجَلَّ مِنْهُ الشَّانُ
مَلِكٌ رَأَى بَوَازِيرَهُ أَضْعَافَ مَا بِيَزْرُجْمَهُرُ رَأَى أَنْوَشِرَوَانُ
أَمِنْ الْوَرَى أَنْ يَسْتَقِلَّ الْإِيمَانُ مَذْ بَأَبِي عَلِيٍّ ، أَعْلَى الْإِيمَانُ
وَهُوَ يَدُ الْحَسَنِ الْمُحَاسِنِ فَاغْتَذَى وَحَلِيفَتُهُ وَأَلْفَتُهُ الْإِحْسَانُ
مَا أُثْبِتَتْ لِلْمَكْرَمَاتِ صَحِيفَةٌ إِلَّا فِيهِهَا ذِكْرُهُ عَنَوَانُ
شَرَفٌ عَلَى شَرَفِ السَّمَاءِ مَحَلَّتُهُ فَلَهُ عَلَى سُمْكِ السَّمَاءِ مَكَانُ^(٤٣)
وَجَلَالَةٌ لَوْ أَنَّ كَسْرَى حَازَهَا لَمْ يَنْكَسِرْ كَسْرَى وَلَا الْإِيوَانُ
تَحْيِيرُ الْأَذْهَانُ مِنْ عَجَبٍ إِذَا فَتَقَتْ بِسَحْرِ بَيَانِهِ الْآذَانُ
مَا الْمَجْدُ إِلَّا كَعِبَةٍ مَبْنِيَّةٌ أَخْلَاقُ مَوْلَانَا لَهَا أَرْكَانُ

من الملاحظ في هذه القصيدة ، أن الشاعر يجنح الى المبالغة والغلو في مديحه ، ولا ندري ان كان هذا ناشئاً عن اخلاصه لممدوحه ، أم عن تصويره لأحوال عصره وأحداث بلاده أم عن أنه ناتج عن غلو الفرس في تعظيم ملوكهم ، فالقصيدة حافلة بالصور التي تمثل لنا حالة البلاد المتغيرة في اقبالها وادبارها ، وعلوها وخذلانها ، وفي التأكيد على سير سلاطين البلاد على طاعة الله ، واتباع سنة نبيه ، كما تظهر لنا مكانة الوزير نظام الملك ، في بلاط الدولة ، ومدى اعتماد سلطان خوارزم عليه ، في ادارة شؤون البلاد .

(٤١) السجسج : الهواء المعتدل بين الحر « والقر » يقال : هو سجسج ، وظل سجسج ويوم سجسج ، وجمعه سجاسج .

(٤٢) كذا ورد الشطر الاول وهو غير مستقيم عروضيا .

(٤٣) السماك : ما يسمك به الشيء ويرتفع حائطا كان او سقفا . وجمعه سمك . والسمة : برج في السماء .

كما نلاحظ في القصيدة التفات الشاعر الى ملوك فارس الأقدمين
 ووزرائهم ، فهو يذكر بزرجمهر وآنوشروان ، وكسرى والايوان .
 ويقول الشاعر مأمون بن مأمون ، في مدح الامير أبي عبدالله محمد بن
 أحمد ، خوارزم شاه (٤٤) :

كَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عَلِيٍّ إِذَا مَا
 عُدَّدَتْ لَمْ يَكُنْ لِعِدَّتِهَا كَمْ
 مَا لِحِجْهَلِي قُصُورُ شُكْرِي فَمَنْ عَلِمَ (م)
 الضَّرُورَاتِ شُكْرُ مَنْ كَانَ مُنْعِمٌ

فالشاعر يمدح هذا الأمير ، منوهاً بفضلته عليه قائلاً : إنه إن حصل منه
 أي تقصير في شكره ، فليس عن جهل ، لأنه يعرف أن من واجب المنعم عليه ،
 أن يشكر المنعم .

ثم نراه يؤكد أنه لم ينسَ برّه وفصله ما دام حيّاً في قوله :

لَسْتُ وَاللَّهِ نَاسِيَّ الْبِرِّ مَا أَنَا
 بِأَطْبَعِ الْحَيَاةِ فِي جَسَدِي الدَّمُ
 وقال فيه أيضاً (٤٥) :

لئن طَالَ عَهْدِي بِوَجْهِ الْأَمِيرِ فَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِأَنْ أُسْعِدَا
 إِذَا شِئْتَ رُؤْيَا مَا فِي الزَّمَانِ فَزُرْ شَخْصَهُ الْفَاضِلَ الْأَوْحِدَا
 تَرَى اللَّيْثَ وَالْفَيْثَ وَالنَّيَّيرِ نَ وَالنَّاسَ وَالْبَحْرَ وَالْمُسْتَدَا (٤٦)
 وَبَلَّغَهُ اللَّهُ أَقْصَى مَنَاهِ وَأَسْنَى لَهُ مِثْلُكَ مَا مَهْدَا (٤٧)

(٤٤) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٣ . (طبعة حجازي) .

(٤٥) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٣ .

(٤٦) السند : ما ارتفع من الارض في قبل الجبل او الوادي . والجمع اسناد .
 ويريد الشاعر ان يقول ان الممدوح عالي المنزلة .

(٤٧) أسنى : أي رفع قدره . واسناه أي رفعه . وسنا الى معالي الامور سناء :
 أي ارتفع .

ولا زالَ نَيْشُروزه عَائِدًا بِأَفْضَلِ حَالٍ كَمَا عَثُودًا
 فالشاعر في هذه الأبيات ، يرى أن فرحه وسروره ، يكون حينما يكون
 هو قريباً من الأمير ، الذي يمدحه بالشجاعة والكرم والسخاء والعلو والعلم
 والفهم ، ولذلك فإن الله أعطاه كل ما يتمناه ، وجعل أيامه كلها أعياداً • وهذا
 من جميل التصوير مع مبالغته ، لأن المقام يحتمل هذه المبالغة ، فهو مدح في
 أمير أمراء الدولة •

ويقول الشاعر أبو الفضل الهلالي ، شاعر مأمون بن مأمون ، خوارزم
 شاه (٤٨) :

فَلَيْكَ المَوَاهِبِ تَجْرِي مِنْ أَنَامِلِهِ طَوْعاً فَلِلشَّكْرِ مَجْرَاهَا رَمَرٌ سَاهَا
 لو كَانَ لِلأَرْضِ جِزءٌ مِنْ سَمَاحَتِهِ لَظَهَرَتْ كُلُّ كَنْزٍ مِنْ خَبَايَاهَا
 لو لَامَسَ الصَّخْرَ صَارَتْ مِنْ قِسَاوَتِهَا إِلَى السَّلَاسَةِ حَتَّى صِرْنَ أَمْوَاهَا (٤٩)
 ولو أَشَارَ إِلَى الْإِفْلَاقِ مُعْتَرِضاً لَمَا اسْتَمَرَّ عَلَى الدُّنْيَا قَضَايَاهَا
 أَغْرَتْ أَلْحَمَ أَحْوَالِي وَسَدَّاهَا بِحَسَنِ غُرِّ الْعَطَايَا حِينَ أَسَدَاهَا (٥٠)
 ولا يخفى علينا ما في هذه الأبيات من المبالغة المملة ، ولا سيّما في البيت
 الذي يقول فيه :

لو لَامَسَ الصَّخْرَ صَارَتْ مِنْ قِسَاوَتِهَا إِلَى السَّلَاسَةِ حَتَّى صِرْنَ أَمْوَاهَا
 ومما يتصل بالمدح الخاص : الشعر السياسي الذي قيل أيماناً بعقيدة أو
 مذهب ما ، كالشعر الذي قيل في مدح آل البيت ، أو في مدح العرب ،
 وتفضيلهم على العجم ، كردّ فعل على الحركة الشيعية ، التي أرادت النيل
 من العرب والاسلام • وقصيدة الشاعر الموفق بن أحمد ، بن محمد المكي

(٤٨) ينظر : المحمدون من الشعراء وأشعارهم . ص ٥٣ .

(٤٩) أمواها : الماء والماء والماء : بمعنى واحد . « وهزمة الماء منقلبة عن هاء »
 وجمعه أمواه ومياه .

(٥٠) اللحم : الناسج الثوب : نسجه ، ولحم لحما الامر : أحكمه ولأمله .
 سداها : سده سدا : ردم ثلمته وأصلح خلته . وسد الشيء : استقام ،
 والشاعر يريد أن يقول : أن الممدوح أصلح أحواله ، وحسنها .

الخوارزمي ، المعروف بخطيب خوارزم ، في مدح الامام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، خير دليل على الايمان بفكرة التشيع . وقد استشهدنا بهذه القصيدة ، في دراستنا للحياة الاجتماعية ، وهي التي يقول فيها (٥١) :

هل أبصرتْ عيناكَ في المحرابِ كَأبي ترابٍ من فتى محرابٍ
ويقول الشيبسي ، الذي كان مختصاً بالدولة البويهية ، التي كانت تميل الى التشيع وتشجعه (٥٢) :

رَبِّ إِنَّ ابْنَ شَيْبٍ أَحْمَدٌ صَاحِبُ الْجَيْشِ شَيْخُ الدَّوْلَتَيْنِ
وَأَتَقُ بِاللَّهِ يَرْجُو الْمُصْطَفَى وَأَخَاهُ الْمُرْتَضَى وَالْحَسَنَيْنِ
ومن هذين البيتين نستطيع القول : إنَّ الشيبسي ربّما كان يميل الى التشيع في مذهبه . ولا عجب في ذلك ، فقد كان مختصاً بالدولة البويهية ، وهي على ما هي من تأييدها للمذهب الشيعي .

ونراه في البيت الثاني ، يحاول أن يظهر تدينه وجهه للرسول ، صلّى الله عليه وسلم ، وجهه لآل البيت ، وخاصة الامام علي وابنيه الحسن والحسين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وبجانب هذا النوع من المديح ، كان هناك المديح العام ، وهو المديح الذي يوجه من شاعر الى شاعر ، أو يوجه الى صديق أو الى أي أنسان آخر ، وهو يقال من أجل المديح لا من أجل العطاء أو التقرب من أصحاب النفوذ . وهذا النوع كثير في الشعر ، لتعلقه بالحياة الاجتماعية العامة ، والحياة الثقافية وغيرهما ، ويتصل بهذا الشعر ، الشعر الذي قيل في مدح الرسول الكريم ، صلّى الله عليه وسلم ، كقول أبي حفص ، عمر بن الحسن بن المظفر النيسابوري (٥٣) :

(٥١) ينظر : ص ٥٢ من هذا الكتاب . وذكر القمي في كتابه : الكنى والالقب ٢ : ١١-١٢ (طبعة المرفان - صيدا) . ان الوفق قال هذه الابيات ، في اخر كتابه الذي صنّفه في مناقب اهل البيت عليهم السلام .

(٥٢) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٢ (طبعة السعادة) . وقد استشهدنا بالبيت الثاني في دراستنا للحياة الاجتماعية . ص ٦٠ من هذا الكتاب .

(٥٣) ينظر معجم الادباء ٩ : ١٩٢ .

سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ وَلَا
 فِي الْأَرْضِ نَدُّ لَهُ وَأَشْبَاهُ
 أَحْاطَ بِالْعَالَمِينَ مُقْتَدِرًا
 أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدَنَا
 أَحْمَدَ رَبَّ السَّمَاءِ سَمَاءَهُ
 أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بَعْدَ بَعْتِهِ
 وَحَصَّحَصَ الْحَقُّ مِنْ مُحْيَاهُ (٥٤)

ففي هذه الأبيات نرى النزعة الدينية ، واضحة كل الوضوح ، وهي على
 بساطة ألفاظها حافلة بالمعاني العميقة ، والأفكار الإسلامية ، التي تملأ صدر
 المسلم المؤمن .

فهذا النوع من المديح ، يصدر عن عاطفة معبرة لا تسعى لنيل مأرب .
 ومثله المديح الذي يقال بين الأصدقاء والأشخاص العاديين . وهذا أبو الفضل
 الصخري الشاعر ، يمدح البستي الشاعر بقوله (٥٥) :

نَسَبَ "كَرِيمٌ" فَاضِلٌ "أَنْسَى بِهِ
 مَنْ كَانَ مُعْتَمِدًا عَلَى أَنْسَابِهِ
 قَدْ كُنْتُ فِي ثَوْبِ الزَّمَانِ وَصَرَفِهِ
 إِذْ عَضَّنِي صَرَفُ الزَّمَانِ بِنَايِهِ (٥٦)
 فَالْيَوْمَ جَانَبَتِ الْحَوَادِثُ جَانِبِي
 إِذْ قَدْ نُسِبْتُ إِلَى كَرِيمٍ جَنَابِهِ

(٥٤) حصص الحق : ظهر وبان .

(٥٥) ينظر : معجم البلدان ٥ : ٢٨ .

(٥٦) صرف الزمان وصروفه : نوائبه وملماته وتقلباته . ويقال : عضني صرف
 الزمان : أي أصابني نوائبه .

ونرى تحرر الشاعر في هذه الأبيات ، التي مدح بها شخصاً يساويه في المكانة ، تحرره من القيود التي رأيناها في مدحه للسهيلى وزير الخوارزميين ، ونرى هذا التحرر ، في شكواه وتعبيره عما تضيق به نفسه من نوب الزمان ، وصروف الدهر ، شكوى أخ ييثها لأخيه ، دون تخرج أو خوف .

وهذا أبو المظفر النيسابوري يمدح رجلاً كريماً بقوله (٥٧) :

جَبِينُكَ الشَّمْسُ فِي الْأَضْوَاءِ وَالْقَمَرُ
يَمِينُكَ الْبَحْرُ فِي الْإِرْوَاءِ وَالْمَطَرُ
وِظْلُكَ الْحَرَمُ الْمَحْفُوظُ سَاكِنُهُ
وَبَابُكَ الرُّكْنُ لِلْقُصَادِ وَالْحَجَرُ (٥٨)
وَسَيِّبُكَ الرِّزْقُ مَضْمُونٌ لِكُلِّ فَمٍ
وَسَيْفُكَ الْأَجَلُ الْجَارِي بِهِ الْقَدَرُ
أَنْتَ الْهَمَامُ بِلِ الْبَدْرِ التَّمَامُ بِلِ السَّامِ
يَقِفُ الْحُسَامُ بِلِ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
وَأَنْتَ غَيْثُ الْأَنَامِ الْمُسْتَفَاتُ بِهِ
إِذَا أَغَارَتْ عَلَى أَبْنَائِهَا الْغَيْرُ (٥٩)

وعلى الرغم من المبالغة في المعاني التي أضفاها الشاعر على الممدوح ، إلا أنه أتنا بصور جميلة ، فالممدوح كثير العطاء كالبحر ، حتى أصبح مقصد كل طالب ، يقصده الناس من جميع أنحاء العالم ، وهو بذلك مثل بيت الله الحرام والحجر الأسود . وهذا غاية ما يقوله مسلم ، في ممدوح يمدحه .

(٥٧) المصدر السابق ٩ : ١٩٦ .

(٥٨) القصاد : الحجاج . والحجر : المراد به الحجر الأسود ، وهو من شعائر الحج . وهذا على التشبيه .

(٥٩) غير الزمان : أحداثه المفيرة . جمع غيرة .

ومما أنشده الموفق بن أحمد المكي ، في مدح الحسن بن العطار
الهمذاني قوله (٦٠) :

حِفْظُ الإمامِ أبي العلاءِ الحافظِ
بالرَّجْلِ يَنْكُثُ هامَ حِفْظِ الجاحِظِ (٦١)
عَمَرُو بنُ بَحْرٍ بَحْرُهُ مِنْ جَدِّ وَلٍ
مُتَشَعِّبٍ مِنْ بَحْرٍ بَحْرٍ الحافظِ
ما إِنَّ رَأَيْنَا قَبْلَ بَحْرِكَ مَنْ لَهُ
بَحْرٌ "طفوح" كالأُتَيِّ اللافظِ (٦٢)
أَحْيَيْتَ ما قَدْ غَاضَ مِنْ سُنَنِ العِلا
والعِلْمِ قَبْلَكَ بِالْيَرَاعِ الفائِظِ (٦٣)
بَهَظَ البرايا عِبءٌ أَدْنَى عِلْمِهِ
أَعْظَمُ بِهِ مِنْ عِبءِ عِلْمٍ باهِظِ (٦٤)
كَمْ وَاِعِظْ ، لِي أَنْ أَجَاوِزَ هَجْرَهُ
لَوْ كَانَ يَنْجَعُ فِيَّ وَعَظُ الواعِظِ (٦٥)

-
- (٦٠) معجم الادباء ٨ : ٣٩-٤٠ « طبعة البابي الحلبي » . الطبعة الاخيرة .
(٦١) ينكت .. الخ يقال : نكت الارض بقضيب ، او باصبع ينكتها نكتا :
ضربها به فآثر فيها ، يفعلون ذلك حال التفكير ، والهام : الراس : والمراد
تفضيل علم الامام ابي العلاء ، على علم الجاحظ .
(٦٢) الطفوح : المملوء الطامي . والأتى : السيل يجرف ما امامه . واللافظ :
القاذف .
(٦٣) يعلق الرفاعي محقق معجم الادباء ، على هذا البيت بقوله : انه ركيك
لا قيمة له . وجاءت لفظة « الفائظ » ولعل الصواب « القائظ » .
(٦٤) بَهَظَ البرايا .. الخ : اي غلبهم علمه ، وثقل عليهم فعجزوا عن محاكاته .
وقوله : أعظم به : تعجب من وفرة علمه . والباهظ : الثقيل . يقال :
امر باهظ : أي شاق ثقيل .
(٦٥) ينجع : أي يورث ، من نجع الدواء او الطعام او الكلام : دخل فآثر فيه .

غَاظَ الْأَعَادِي جَاهُهُ لَعْلُومِهِ
فَرَدَدَتْ غَيْظَهُمْ بِهَذَا الْقَائِظِ (٦٦)
وَأَنشَدَ فِي مَدْحِهِ أَيْضاً (٦٧) :

وَلَيْسَ اعْتِرَافُ الْحَاسِدِينَ بِفَضْلِهِ
لشَيْءٍ سِوَى أَنْ لَيْسَ يُمْكِنُهُمْ جَحْدُ
بَدَا كَعَمُودِ الْفَجْرِ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ
فَهَلْ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقْرِئُوا بِهِ ، بُدْءُ (٦٨)

(٦٦) القَائِظُ : القَيْظُ : صَمِيمُ الصَّيْفِ : أَيِ حَرَارَتِهِ . وَيُقَالُ : قَيْظُ قَائِظٍ :
أَيِ شَدِيدٍ . وَقَاطَ قَيْظَا الْيَوْمِ : اشْتَدَّ حَرُّهُ ، فَهُوَ قَائِظٌ .

(٦٧) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٨ : ٤١ .

(٦٨) عَمُودُ الْفَجْرِ : ضَوْؤُهُ . وَالْبَدُ : الْفَرَارُ . يُقَالُ : لَا بَدَ مِنْ كَذَا : أَيِ لَا فَرَارَ
مِنْهُ .

الفخر :

قلنا قبل قليل إنَّ الفخر لازمة من لوازم الصراع والغلبة ، وقد عرف اقليم خوارزم هذا لتداول الدول عليه، ومع ذلك لم نجدهم في فخرهم يسلكون مسلك القدماء في تفاخرهم بالأنساب والقبائل . وانما هم يفخرون بالكرم والعلم ، والقدرة على الجدل وافحام الغير ، وربما كان مرجع هذا الى نشاط الحياة العقلية ، ومجالسها وما يدور فيها من مناظرات ومناقشات . الا أننا يجب أن نشير الى أن هذه الظاهرة فردية ، وليست عامة . ومثلها ظاهرة الفخر بالعروبة ، وهذا النوع من الفخر ، كان ردا على الشعوبية .

قال الامام الزمخشري ، مفتخراً بالعرب وشجاعتهم وصبرهم وبلائهم ، في الحروب (١) .

أيا عرصاتِ الحيِّ أينَ الأوانسُ
رَحَلْنَ وحلَّتْكَ الظُّبَاءُ الكوانسُ (٢)
أعامرةً بالأمس تهتزّ نضرةً
مغانيك وهو اليومُ ققرٌ ويابس
من العَرَبِ الصيد الأولى أحرزوا العلى
وطابتْ لهم أعراقهم والمغارس
غَطَارِفَةٌ شَمَّ تَرَبَّوْا أعزّة
فما شَمَّ ريحَ الذلِّ منهم مُعاطسُ (٣)

- (١) ينظر مخطوط ديوان الزمخشري . ورقة ٦٠-٦١ .
(٢) الكوانس : جمع كانس . والكانس : الطيبي يدخل كناسه ، وهو موضع الشجر ، يكتن فيه ويستتر اذا اشتد الحر وكلمة « يابس » كذا وردت في الاصل ، ولا يستقيم الوزن بها ، ولعلها « ويابس » او لعلها « بسابس » جمع « البسبس » وهو القفر الخالي .
(٣) المعطس : الانف وجمعه معاطس .

وَلَلْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ أَصْلَبُ نَبْعَةً

وهل يستطيع الحزَّ في النبع ضارس^(٤)

إِبَاءٌ إِبَاءَ الْخَيْلِ وَهِيَ شَوَامِس

وصبرٌ كصبرِ الهيمِ وهي خَوَامِس^(٥)

وما زالَ منهم في الهزاهزِ كلُّها

فوارسٌ هيجاً أو ليوثٌ فوارس^(٦)

فكم طعنةٍ بكرٍ يطير رشاشها

لقتيانهم والحربُ شمطاءٌ عانسٌ

ويكفيك من أيامهم وحسروهم

بما جرَّت الغبراءُ أو جرَّ داحس^(٧)

ويقول الشاعر ناصراً للدين المطرزي ، مفتخراً بنفسه^(٨) :

وَإِنِّي لِأَسْتَحِي مِنَ الْمَجْدِ أَنْ أَرَى

حَلِيفَ غَوَانٍ أَوْ أَلِيفَ أَغْنَانِي^(٩)

(٤) النبع : شجر من أشجار الجبال ، تتخذ منه القسي .
والضارس : من الضرس : وهو خور وكلال يصيب الضرس أو السن ،
عند أكل الشيء الحامض .

(٥) الشمس والشموس من الدواب : الذي اذا نخس لم يستقر . وشمست
الدابة والفرس فهي شمس : أي شردت وجمحت ومنعت ظهرها .
الهيم : الأبل العطاش : أي التي يصيبها داء فلا تروى من الماء ، واحدها
اهيم وهيماء ، أو هائم وهائمة .

خوامس : الخمس : من أظماء الأبل ، وهو ان ترد الأبل الماء اليوم
الخامس . والجمع أخماس .

(٦) الهزاهز : جمع هزهزة ، وهي تحريك البلايا والحروب للناس ، أو
الفتنة يهتز فيها .

(٧) يشير الشاعر في هذا البيت ، الى حرب داحس والغبراء .

(٨) ينظر : وفيات الأعيان ٥ : ٧ ، انباه الرواة على انباه النجاة ٣ : ٣٤٠ .

(٩) الحليف : أي المحالف . يقال حالف فلان فلانا فهو حليفه . وبينهما

فالمطرزي في هذا البيت ، يفتخر بنفسه وذلك بنفيه الطيش والخفة
أو عدم الرزاة ، لأن مجده ، يمنعه فعل ذلك ، كما تمنعه هيئته وخجله •

وسرى هذا النوع من الافتخار بالنفس ، عند الامام جارا لله الزمخشري ،
حين دراسته ، فهو يفتخر كثيراً بنفسه وبكتبه وخاصة كتابه الكشف • ومن
افتخاره بنفسه قوله (١٠) :

فكلُّ امرئٍ آماله عددُ الحصى وهاتِ نظيري في جميعِ المحافلِ
أو قوله :

ألمَ تَرَ أني حيثما كنتُ كعبةً يحفّون بي كالطائفينَ طوائفا

حلف لانهما تحالفا بالايمان ، ان يكون امرهما واحدا بالوفاء ، فلم
لزم ذلك عندهم في الاحلاف التي في العشائر والقبائل ، صار كل شيء
لزم شيئا ، فلم يفارقه فهو حليفه .

(١٠) ينظر : مخطوط ديوان الزمخشري . ورقة ٩٥ .

الهجاء :

أما الاتجاه الآخر من الاتجاهات الشعرية ، التي طرقها الشعراء في هذا الاقليم فهو الهجاء بصورته المعروفة ، من حيث الطعن وذكر المثالب . أو هجاء خلقي يتناول الشاعر فيه ، الصفات الحميدة ، ثم يتلاعب بالألفاظ ، فيبدل حرفاً مكان حرف ، فتصبح الكلمة الجميلة ، والصفة الحميدة ، كلمة قبيحة وصفة ذميمة ، كما في قول أبي الفضل الصخري ^(١) :

أيا ذا الفضائلِ واللامِ حاءُ ويا ذا المكارمِ والميمِ هاءُ
ويا أنجبَ الناسِ والباءُ سينُ ويا ذا الصيانةِ والصادُ خاءُ
ويا أكتبَ الناسِ والتاءُ ذالُ ويا أعلمَ الناسِ والعينُ ظاءُ
تجود على الكلِّ والدَّالُّ راءُ فأنتَ السَّخِيُّ وَيَتْلُوهُ فاءُ
لَقَدْ صِرْتَ عَيْباً لداءِ البغاءِ ومن قبل كان يعاب البغاءُ
ونراه في أبياته هذه ، يعتمد الى السباب المحض ، بطريقة الفريدة هذه في الهجاء .

وقد يتناولون في هجائهم العاهات اللسانية ، التي تكون عند بعض الأشخاص مثل اللثة مثلاً ، وهي أن ينطق الشخص الحرف غير واضح ، أو أن ينطق الراء مثلاً لاماً ، وقد يصلون بهجائهم الى رمي المهجو بالكذب والخديعة ، ومن هذا النوع ما قاله النسوي في هجاء أحدهم ^(٢) :

لَكَ تَدْرِيسٌ وَلَكِنْ راءُ تَدْرِيسُكَ لَامُ
والذي تَمْلِي على النِّسَا سِرَ كِلَامٍ لَا كِلَامُ ^(٣)
خَسِرْتَ بَعْدَادُ إِذْ آ وَتَكَ فِيهَا وَالسَّلَامُ

(١) ينظر : معجم الادباء ٥ : ٢٧-٢٨ .

(٢) دمية القصر ٢ : ٩١ « تحقيق الحلو » .

(٣) كِلَام : كلّمه تكلّماً وكِلَامًا : جرحه . والكِلَام والكُلوم : جمع الكلّم وهو الجرح .

ومن طريقتهم في الهجاء ، استعمالهم الألفاظ البذيئة صراحة ، واشتهر بهذا النوع من الهجاء ، كل من أبي بكر الخوارزمي ، وأبي الريحان البيروني ، الذي وصل به هجأؤه ، الى أن يهجو نفسه كما فعل الحطيئة من قبل .

يقول أبو الريحان البيروني في شاعر إجنداه (٤) :

يا شاعراً جاءني يخترى على الأدب وافى ليمدحني والذمُّ من أدبي
وجدته ضارطاً في لحيتي سَفْهاً كلاً فلحيتُهُ عثنونها ذنبي
وذاكراً في قوافي شعره حَسبي ولست والله حقاً عارفاً نَسبي
إذ لست أعرف جدِّي حقَّ معرفةٍ وكيف أعرف جدِّي إذ جهلتُ أبي
إنِّي أبو لهب ، شيخٌ بلا أدب نعم ووالدتي حمالةُ الحطب
المدح والذمُّ عندي يا أبا حسن سيَّان مثل استواء الجد واللعب
فأعفني عنهما لا تشغلْ بهما بالله لا توقعن مفساك في تعب (٥)

ويقول أبو بكر الخوارزمي ، في هجاء الوزير البلعمي (٦) :

إنَّ ذا البلعميَّ ، والعَيْنُ غَيِّنْ وَهُوَ عارٌ على الزمانِ وشيِّنْ
إنَّ يَكُنْ جاهلاً بخفي حُنيِّن فهو الخُفُّ والزمانُ حُنيِّنْ

ومن هجائه قوله :

أبا نصر رويدك من حجاب فلكستَ بذلك الرجلَ الجليل
ولا تبخلْ بهذا الوجه عَنَّا فليس بذلك الوجهَ الجميل
وللأشعار قوم لست منهم ولكني هجوتك في السبيل

(٤) إجنداه : أي سأله الجدوى . والجدوى : العطية . وكذلك الجداء .

(٥) تنظر الايات في معجم الادباء ١٧ : ١٧٩ ، روضات الجنات . ص ٦٨ ،

مقدمة كتاب : تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن

— للبيروني — ، فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم . ص ٣٧٢ ، رجال

السند والهند في القرن السابع . ص ٢١١-٢١٢ .

(٦) ينظر : عدد من بلغاء ايران . ص ٨٧ .

وله في هجاء آخر (٧) :

ولي والله إخوان "كثير" نصيبي من فعالهم سواءُ
ولكنني رأيتُكَ من أناسٍ إذا لم يحسنوا فلقد أساءوا

وقد يتجاوز أبو بكر الخوارزمي ، حدود الأدب والأخلاق في هجائه ،
ويلجأ الى القذف والفحش والكلام البذيء ، وقد اورد له الثعالبي نماذج من
هذا النوع (٨) .

(٧) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٤ (طبعة السعادة) .

(٨) المصدر السابق ٤ : ٢٠٧ .

الغزل :

كان الغزل من اتجاهات الشعر في هذا الاقليم ، فقد كان هذا الفن من لوازم البيئة العربية ، ومظهراً من مظاهرها الرئيسية .

وقد قاله الشعراء من أجل الغزل ، أو في مقدمات القصائد ، تقليداً للقصيدة الجاهلية ، وهذا الشاعر أبو بكر الخوارزمي ، قد أبدع حينما وصف حسن حبيته وتزايد جمالها على مر الأيام ، التي من شأنها تغيير الصور ، وتقبيح المحاسن^(١) :

وَشَمْسٍ مَا بَدَّتْ إِلَّا أَرَكْنَا بِأَنَّ الشَّمْسَ مَطْلَعَهَا فُضُولُ
تَزِيدُ عَلَى السِّنِّ ضِيّاً وَحُسْنًا كَمَا رَقَّتْ عَلَى الْعَتَقِ الشَّمُولُ^(٢)

فأبو بكر يغالي في وصف جمال حبيته ، ويرى أن جمال الشمس ما هو الا زيادة وفضلة ، أمام جمال شمسه الأولى ، أي حبيته . فحبيته على حد قوله كالخمرة التي كلما عتقت لذ طعمها ، وطاب ، وهي كذلك فان الأيام تزيدها جمالاً وبهاءً ، ولا تؤثر في شبابها .

وعلق أبو الفضل محمد بن طاهر ، المعروف بابن القيسراني^(٣) ، على هذين البيتين بقوله : « إِنَّهَا مِنْ جِيدِ شَعْرِهِ » .

وذكر الثعالبي أن هذين البيتين ، هما مقدمة غزلية لقصيدة قيلت في مدح ، رجل شريف ، من قوم أشراف ، ولكنه أشرفهم نسباً ، وأراد الخوارزمي أن يقول فيه إنه بيت القصيدة ، وواسطة القلادة^(٤) .

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٩ .

(٢) العتق : القدم . والشمول : الخمر . أو الخمر الباردة الطيبة الطعم .

(٣) ينظر كتابه : الانساب المتفقة . ص ٩٥ .

(٤) ينظر كتابه : خاص الخاص . ص ١٩٠ .

ومن غزل أبي بكر أيضاً قوله (٥) :

بَسَمَتْ فَأَبْدَتْ جِيدَهَا فَتَكَشَفَتْ

عَنْ نَظْمٍ دُرٍّ تَحْتَ نَظْمٍ لَّالِي

وَأَرَتْكَ خَدَيْهَا وَلاَحَ عَلَيْهِمَا

صُدْغَانِ ذُو خَالٍ وَآخِرُ خَالِي (٦)

فَكَأَنَّ ذَا دَالٍ خَلَتْ مِنْ نَقْطَةِ

وَكَأَنَّ ذَا دَالٍ وَنَقْطَةُ ذَالٍ

فأبو بكر يريد أن يقول : إن هذه الحسناء قد أبدت بابتسامتها أسنانها البيضاء ، المنظومة نظم اللؤلؤ فوق عقد الدر ، الذي يزين جيدها ، وقد لاح فوق خديها صدغان معقربان ، أمام أحدهما خال فكأنه حرف الدال منقوطة ، أما الصدغ الذي خلا من الخال ، فقد أشبه حرف الذال خالياً من النقطة . ويتضح من البيت الأخير ، أن الشاعر ربما أراد التلاعب بالألفاظ .

ومن الغزل ما قاله الحسن بن المظفر النيسابوري (٧) :

أَرَيْتَا شَمَالَ أُمِّ نَسِيمٍ مِنْ الصَّبَا أَتَانَا طَرَوْقًا أَمْ خِيَالٌ لَزِينَا ؟
أَمْ الطَّالِعُ الْمَسْعُودُ طَالَعَ أَرْضَنَا فَاطْلَعَ فِيهَا لِلْسَّعَادَةِ كَوَكبَا ؟

ومن الغزل الذي سار فيه ناظمه ، في تيار الشعر العربي القديم ، حيث استهله بالشكوى ، من بخل الحبيبة عليه بلحظات اللقاء ، وهذا سبب نفاد صبره ، وكثرة دموعه وانسكابها ، ثم أخذ بعد ذلك في وصف حبيبته ، وذكر محاسنها مشبهاً وجهها بالثلج في بياضه ونصاعته ، والنار في ضوئها واحمرار شعلتها . فتأقلم الأدب في هذا الاقليم واضح جلي في تشبيه الشاعر وجه فتاته بالثلج في

(٥) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢١٠ - ٢١١ (طبعة حجازي) .

(٦) الصدغ : الشعر المتدلي على ما بين لحاظ العين ، الى اصل الاذن ، اي على المنطقة التي تسمى بالصدغ أيضا .

(٧) معجم الادباء ٩ : ١٩٦ .

شدة بياضه • ثم تطرق الى وصف حاله وما آلت اليه، من شوق وحرقة وآلام، في صورة جميلة ، يعبر عنها الصخري بقوله (٨) :

لِئِنْ بَخِلْتُ بِإِسْعَادِي سُعَادُ فَإِنِّي بِالْفُؤَادِ لَهَا جَوَادُ
وإِنْ نَفِدَ اصْطَبَارِي فِي هَوَاهَا فَدَمْعُ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ نَقَادُ
أَرَى ثَلَجًا بَوَجَّتْهَا وَنَارًا لِتِلْكَ النَّارُ فِي قَلْبِي اتَّقَادُ
فَهَبْ مِنْ نَارِهَا كَانَ احْتِرَاقِي فَلِمَ بِالثَّلَجِ مَا بَرَدَ الْفُؤَادُ
لَأَجْتَهِدَنَّ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي بِسَعْيٍ مَا عَلَيْهِ مَسْتَزَادُ
فَإِنْ أَدْرَكْتُ آمَالِي وَالْأَلَا فليسَ عَلَيَّ الْإِجْتِهَادُ
ومما قاله الباقي في هذا المجال (٩) :

أَيَا زَائِرَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَكَارِكِي قَتِيلِ الْهَوَى لَوْ زُرْتَنِي كَانَ أَجْدَرَا
تَحَجَّ احْتِسَابًا ثُمَّ تَقْتُلُ عَاشِقًا فَدَيْتُكَ لَا تَحْجِجُ وَلَا تَقْتُلِ الْوَرَى
ومن رقيق شعره في الغزل قوله (١١) :

يَا عَيْنُ مِنْكَ شَكَائِي وَبَلَائِي أَنْتِ الَّتِي أَسْلَمْتَنِي لَشِقَائِي
لَمَّا نَظَرْتَ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَشْعَلْتَ نَارَ الشَّوْقِ فِي أَحْشَائِي
ثُمَّ اعْتَبَرْتَ لِتَخْدَعَنِي بِالْبُكَاءِ فَكَشَفْتَ ذَلِكَ السِّرَّ لِلْأَعْدَاءِ
فَتَأْمَلِي مَاذَا جَنَيْتِ وَأَمْسَكِي بِاللَّهِ عَنَّا مَعْشَرَ الْغُرَبَاءِ

وطريقة الباقي هذه في التغزل ، طريقة فريدة ، إذ تظهر فيها ذاتية الشاعر المحب، كما يكشف لنا فيها عن مشاعره، باستخدام وسيلة تكاد تكون مبتكرة، وهي مخاطبة عينه ، حيث يكمن مرأى الجمال ، وتقويمه ثم تذوقه •

ومن هنا نرى أن غزلهم كان غزلاً معنوياً ، أكثر منه حسياً، والغزل

(٨) المصدر السابق ٥ : ٢٩ - ٣٠ .

(٩) ينظر : يتيمة الدهر ٣ : ١٢٢ (طبعة حجازي) .

(١٠) المرجع السابق ٣ : ١٢٢ .

الحسي وإن وجد عندهم ، إلا أنه قليل بالقياس الى الغزل المعنوي . وربما ترجع هذه الظاهرة الى سيطرة الاتجاه العقلي ، الذي كان يغلب على أدباء هذا الاقليم .

أما ابن عنين ، الذي مكث مدة في هذا الاقليم ، ورأى بعينه جمال الغلمان الأتراك ، والظباء التركيات ، فقد تأثر بما رأى ، وأخرجه شعراً على لسانه فتغزل . ومن ذلك قوله (١١) :

ومدامةٍ لَمْ يَبْقَ طَوْلُ ثَوَائِهَا فِي خِدْرِهَا الْإِصْبَاحِ وَمِيزَ شُعَاعُ
 مِنْ كَفِّ مَصْقُولِ الْعَوَارِضِ آنَسٍ يَرْنُو بِمَقْلَةٍ جَوْذَرٍ مَرْتَعٍ (١٢)
 وَقَفَّتْ عَوَارِضُ صُدُغِهِ فِي خَدِّهِ حَيْرَى وَبَاتَتْ فِي الْقُلُوبِ سَوَاعِي
 رَاضَتْ خَلَائِقَهُ الْعَقَارُ وَبَدَلَتْ نَزَقَ الصَّبَا بِمَوْقَرٍ مِطْوَعٍ
 وهذه القطعة الشعرية ، من رقيق الغزل ، ونحن بهذا نرى رأي الدكتور
 زكي مبارك ، في كونها قيلت في الغزل والتشبيب ، وليس في وصف الخمر ،
 كما يذكرها علماء الأدب .

والى جانب هذا النوع من الغزل ، الذي قيل في المرأة ، رأينا بعض أبيات
 من الشعر ، قيلت في الغزل بالمذكر كقول أبي بشر ، المأمون بن علي بن إبراهيم
 الخوارزمي (١٣) :

تَكَلَّفْتُ كَتْمَانِي هَوَاكَ فَلَمْ أَطِقْ
 وَلَمْ يَسْتَقِمْ لِلنَّفْسِ مَا قَدْ تَكَلَّفْتُ
 شَقَانِي أَنْ أَفْشَيْتُ سِرَّكَ فِي الْهَوَى
 كَذَلِكَ أَسْرَارُ الْهَوَى إِنْ فَشَتْ شَفَّتْ

(١١) ينظر : الموازنة بين الشعراء . ص ٦٨ .

(١٢) العوارض : الثنايا أو ما ولي الشدقين من الاسنان ، وهي أربع تلي
 الانياب ، وتليها الاضراس .

آنس : انس أنسا : فرح واطمأنت نفسه ولم يستوحش .
 والانسة : الجارية الطيبة الحديث والنفس ، التي تحب قربك
 وحديثك .

(١٣) ينظر دمية العصر وعصرة أهل العصر ٢ : ٢٧١ . تحقيق الحلو .

ومما قاله السهيلي في هذا المجال^(١٤) :

أَوْفَى عَلَى الدِّيَّوَانِ بَدْرُ الدُّجَى فَسَلَّ نَجُومَ السَّعْدِ مَا حَظَّهُ ؟
أَخَذَهُ أَمْلَحُ أَمْ خَطَّه وَلَحَظَهُ أَفْتَنُ أَمْ لَفَظَهُ ؟

أما الهراسي ، فقد وصف غلامه بأحلى الصفات ، خالماً عليه الصفات
الأثوية ، ولعله أراد بهذا أن يقرب هذا النوع من الغزل الى الأذواق ، لأن
النفس البشرية غير ميالة الى الشذوذ ، فهو يقول^(١٥) :

قُلْ لِلَّذِي لَا أَرَى لَهُ مَثَلًا

إِلَّا صِفَاتٌ غَدَّتْ لَهُ مَثَلًا

فِي الدَّرِّ وَالْبَدْرِ وَالْغَزَالِ وَفِي الْخَوْ

ط وَدِرْعِصِ النَّقْصَا إِذَا مَثَلًا^(١٦)

ونرى التكلف في هذين البيتين واضحاً ، وفيهما ضعف أيضاً .

والتشويق مظهر من مظاهر الغزل ، فالشاعر يتشوق فيه الى أحبته ،
ويكي فراقهم إن رحلوا ، وهذا المطرزي يقول في ذلك^(١٧) :

يَا وَحْشَةً لَجِيرَةٍ مِنْذُ نَأْوَا

عَلَّوْهُ قَدَرِي فِي الْهَوَى انْحَطَّاسَا

(١٤) ذكر ياقوت الحموي في كتابه : معجم الادباء ٤ : ٢٦٢ . ان ابا الحسين
السهيلي ، قال هذه الابيات في صباه . وينظر ايضا : تمة اليتيمة
٢ : ٢٣ . وجاء فيها اسمه هكذا : ابو الفضل احمد بن محمد العروضي ،
المعروف بالصفار .

(١٥) الوافي بالوفيات ٤ : ١٢٢ .

(١٦) الدعص : قور من الرمل مجتمع ، والجمع ادعاص ودعصة ، وهو اقل
من الحقف . والطائفة منه دعصة .

النقا : من كئبان الرمل . وقيل من الرمل .

الخطوط : الغض الناعم . والخطوط : الجارية المشبهة بالخطوط طولاً ونعمة
وغضاضة .

(١٧) معجم الادباء ١٩ : ٢١٣ .

حَكَتْ دُمُوعِي الْبَحْرَ مِنْ بَعْدِهِمْ

لَمَّا رَأَتْ مَنَزِلَهُمْ شَطَطًا (١٨)

فالشاعر يعيش في وحشة ، منذ شطّ المنزل بأحبته ، مما جعل دموعه تحاكي البحر في كثرة مياهه . ونستطيع أن نقول : إنّ هذا المعنى قد تعاوره الشعراء ، ولا جديد فيه ، ومع ذلك أضفى الشاعر ، على أبياته صورة جميلة ، لأنّ المقام يحتمل المبالغة التي نراها واضحة كل الوضوح ، في البيت الثاني . ومن التشويق هذه الأبيات ، التي بعث بها الشيبني ، الى الشاعر أبي بكر الخوارزمي ، والتي يقول فيها (١٩) :

لِلشَّيْبِيِّ صَنِيعَتِكَ حَسَرَاتٌ لِفُرْقَتِكَ
وَاشْتِيَاقٌ إِلَى لِقَا تَبَاشِيرِ طَلْعَتِكَ
رَبِّ سَهْلٍ لِقَاءَهُ يَا إِلَهِي بِرَحْمَتِكَ

فالشيبني يتحسر في هذه الأبيات ، على فرقة أبي بكر الخوارزمي ، متمنياً لقاءه ، داعياً الى الله أن يسهل ذلك . ومن الواضح الجلي في هذه الأبيات التي يتشوق فيها الشيبني الى أبي بكر ان هذا النوع من الشعر يدخل فيما يسمونه شعر « الإخوانيات »

ويرى الثعالبي (٢٠) ان احسن ما قيل في الشوق والفراق هو قول ابن عينة :

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالروح في غربة والجسم في الوطن

(١٨) شطا : اي بعد . والشطاط : البعد . وفي البيت تورية .

(١٩) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٢ (طبعة السعادة) .

يقول الثعالبي : انه سمع من أبي بكر الخوارزمي ، ان الشيبني بعث له بهذه الابيات ، بعد ان لطف طبعه ورق شعره . ومن البين الظاهر ان ابا بكر يريد ان يقول : ان له فضلا كبير على الشيبني ، في تلك الرقة التي ظهرت على شعره ، لانه صنيعته .

(٢٠) ينظر : احسن ما سمعت ص ٣٥ .

تعجب الناس مني أن لي بدناً لا روح فيه ولا روح بلا بدن^(٢١)
ومن هذا أيضاً قول الشاعر كشاجم :

قلت وقالوا بأن اخوانه قد أبدلوه البعد بالقرب
والله ما شطت نوى صاحب سار من العين الى القلب^(٢٢)

ومن احسن أبي تمام في هذا ما قاله في فراق الشمل :
بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط اخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه لي أقصى خراسان^(٢٣)

(٢١) يتعجب الناس : لعل الصواب في هذا : « يستعجب الناس » ؛ ليستقيم الوزن .

(٢٢) تنظر الابيات في : احسن ما سمعت ص ٣٥ .

(٢٣) قوله تشافه لي : لعل الصواب فيه = تسافر لي .

الوصف :

طرق شعراؤهم هذا الغرض ، ووجدنا نماذج قليلة في وصف الطبيعة الحية ، والطبيعة الصامتة •

فالسهملي يصف النجوم بقوله^(١) :

فالشَّهْبُ تَلَمَّعَ فِي الظَّلامِ كأنها شَرَرٌ تَطَايَرُ مِنْ دُخَانِ النَّارِ
فكأنها فوق السماءِ بِنَادِقِ الْكَافُورِ فوقَ صَلَاةِ الْعِطَارِ^(٢)

فأثر البيئة واضح في هذين البيتين ، في تشبيهه لمعان الشهب في الظلام ، بالشرر المتطاير من دخان النار • والنار شيء عزيز على مثل من يسكن في بلاد خوارزم ، ذات البرد الشديد ، والثلج الكثير ، كما أنه أخذ تشبيهاته في البيت الثاني ، من بيئة خوارزم ، الغنية بأشجارها المختلفة •

ويعلق الصفدي على البيت الأول بقوله : إنّه مأخوذ من قول الخوارزمي :
والشَّهْبُ تَلَمَّعَ فِي الظَّلامِ كأنها شَرَرٌ تَطَايَرُ فِي دُخَانِ الْعَرَفِجِ^(٣)
ويرى الصفدي أن السهملي أكثر اجادة في تشبيهه ، لأن دخان النار أحسن وأعذب من دخان العرفج •

ونرى ان كليهما قد أجاد ، لأن العرفج نبت طيب الرائحة ، بالاضافة الى منظر لهبه الجميل ، الذي يكون شديد الحمرة كما يقال •

ومما قاله السهملي ، في وصف شعاع القمر^(٤) :

(١) ينظر معجم الادباء ٥ : ٣٢ . وفي الوافي بالوفيات ٨ : ١٤٧ « والشهب » .
جمع شهاب ، والشهاب : شعلة نار ساطعة .

(٢) صلاة العطار : يريد مدق الطيب .

(٣) العرفج : شجر سهلي ، أصلها واسع تنبت عليه اغصان دقاق ليس لها ورق . له بال وفي اطرافها زرع يظهر في رؤوسها شيء كالشعر أصفر . ولهيب العرفج شديد الحمرة . ويقال ان العرفج نبت طيب الرائحة أغبر الخضرة ، له زهراء صفراء ولا شوك له .

(٤) معجم الادباء ٥ : ٣٣ ، الوافي بالوفيات ٨ : ١٤٨ .

كأثما البدر فوق الماء مَطْلِعاً ونَحْنُ بالشَّطِّ في لَهْوٍ وفي طَرَبٍ
ملك" رآنا فأهوى للعبور فلم يَقْدِرْ فَمَدَّ له جسر" من الذَّهَبِ

ففي هذين البيتين صدى واضحاً للبيئة الطبيعية ، المتمثلة في البدر
والشط وشعاع القمر الفضي الذي أبدله الشاعر بلون الذهب ، ولعل القافية
هي التي أرغمته على ابدال الفضة بالذهب . ويمكننا ان نبعد قليلا في تحليلنا
فنقول :

ولعله كان لبيئة خوارزم المترفة ، وحياة القصور التي عاشها هذا الوزير
الشاعر ، أثر في تشبيهاته ، فقد شبه شعاع القمر بالذهب في لونه ، وهو في
تشبيهاته كابن المعتز ، الذي عاش حياة القصور المترفة .

ومما قاله السهيلي أيضا ، في الطبيعة الصامتة ، وفي جمع أسماء الكواكب
السبعة في بيت واحد^(٥) :

با مَنْ يَقْدَرُ أن الدَّهْرَ ينصره بكوكب عاجزٍ بالله فانتصر
لا تشركن ربَّ العرش تجهله كواكباً كلَّها تجري على قدر
عطارد" زهرة" والشمس مع زُحَلٍ كالْمَشْتَرِي الفردِ والمريخِ كالْقَمَرِ

ووجدنا مثل هذا الوصف ، أي وصف الطبيعة الصامتة ، عند الشاعر أبي
بكر الخوارزمي ، كما وجدنا عنده أبياتا في وصف الطبيعة الحية ، في وصف
السلحفاة والطيور . وسنتحدث عن هذا عند دراستنا له .

ورأينا بيتين من الشعر في الوصف ، قالهما التاجر ، ولكن في صورة
أخرى من الوصف الذي رأيناه صورة تدل على الوصف الحضاري ، ولا عجب
في هذا ونحن نعلم ما كانت عليه حضارة هذا الاقليم من ازدهار ، فهو يصف
القلم وهو أداة من ادوات الحضارة بقوله^(٦) :

ناطق " ساكِتٍ " أصمٌ سَمِيعٌ قلقٌ ساكِنٌ وقوفٌ ماضٍ^(٧)

(٥) تيمة اليتيمة ٢ : ٢٣ .

(٦) تيمة الدهر ٤ : ٢٤٤ (طبعة السعادة) . ، المحمدون من الشعراء
واشعارهم . ص ٩٦ .

(٧) في المحمدين من الشعراء . ص ٩٦ « صامت » بدلا من ساكت .

نَاجِلُ الْجِسْمِ نَابِهٌ الْأَسْمُ مُوَقَّتِي الْوَسْطِ

مَ فِي كُلِّ عَانِدٍ ذِي اعْتِرَاضٍ^(٨)

فالتاجر يعالج في هذين البيتين ، جانباً مهماً من جوانب الصورة الشعرية ، هو جانب المعاني والصور ، فيجهد نفسه في تأليف صورة طريفة ، في تناوله وصف القلم ، فهو ناطق ساكت ، وهو أصم سميع ، وهو قلق ساكن ، الى آخر هذه الصفات المتناقضة ، والتي نراها حين التمعن فيها ، تنطبق على الموصوف انطباقاً تاماً ، على الرغم من التناقض في معانيها .

وقد تطرق الشعراء من قبل لمثل هذا الموضوع ، فقال أبو تمام في هذا الصدد^(٩) :

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ

وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ

إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ

عَلَيْهِ شَعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(١٠)

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَتَقَوُّضَتْ

لنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ

والتاجر كما رأيناه يصف قلمه بالنحول ، ولكنه مع نحوله يقط متنبه في وسمه لكل معاند ومعترض ، وأبو تمام كذلك وصف قلمه بالنحول حيث قال :

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرْهَفٌ

ضَنَى وَسَمِينًا خُطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلٌ

فقلم أبي تمام أيضاً ضئيل ، ولكن أثره سمين .

(٨) في المصدر السابق . ص ٩٦ « مبقي » بدلا من منقى .

(٩) ينظر ديوانه بشرح التبريزي ٣ : ١٢٣ . « تحقيق محمد عبده عزام » . دار المعارف بمصر . سنة ١٩٥١ م .

(١٠) امتطى : أي ركب . الخمس اللطاف : يعنى البنان .

ويقول الثعالبي^(١١) : ومن احسن ما قيل في القلم قول ابي الفتح البستي :

اذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعاً مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

ومثله قول الآخر :

واخرس ينطق بالحكمات وجثمانه صامت اجوف
بمكة ينطق في خفية وبالعين منطقه يعرف

(١١) احسن ما سمعت ص ٤٠ .

شعر الخمر والمجون :

تناول شعراء هذا الاقليم الخمر ، كما تناولها السابقون من حيث المعاني .
وشعر الخمرة قليل في شعرهم الذي وجدناه ، هذا على الرغم من وجود
البساتين والكروم الكثيرة في اقليم خوارزم . ومن ذلك ما قاله أبو القاسم
أحمد بن أبي ضرغام^(١) :

يا ملكا آثر الصوابا فباكر اللهو والشرا
لا يشرب الراح غير حرا يرفع عن ماله الحسابا
طابت لك الراح فاشربنها صرفا فصرف الزمان طابا
ستبصر الأرض عن قريب تلبس من وشيها ثيابا
ما شئت من طائر تراه مفردا ما خلا الغرابا
ولست ليلا ترى بعوضا ولا نهارا ترى ذبابا

فأبو القاسم في هذه الأبيات ، يخلط بين لهوه وشربه ، في روح متحررة
واضحة ، ودعوة صريحة للشرب ، ووصف لحالة الشارب ، حينما تفعل الخمر
مفعولها به ، فيرى كل شيء غير ما هو عليه .

وتدل أبياته هذه على أنه كان على شيء من الجودة، ففيها يتلاءم الأسلوب
مع الموضوع ، وتنسجم التجربة مع التعبير ، بشكل حسن .

وعلى الرغم مما عرف عن أبي الفتح المطرزي، من مكارم الأخلاق والعلم،
ونفيه عن نفسه فعل ما قد يسمى بالطيش ، فقد ذكر أبو الوفاء القرشي^(٢) ،
نقلا عن ياقوت الحموي ، أبياتا له في الخمر قال فيها^(٣) :

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٥ (طبعة السعادة) .

(٢) هو محي الدين أبو محمد عبدالقادر ، بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن
نصر الله ، بن سالم بن أبي الوفاء القرشي ، الحنفي المصري . ولد سنة
٦٩٦ هـ . وتوفي سنة ٧٧٥ هـ .

(٣) ينظر : الجواهر المضية ٢ : ٩٠ .

يا خليليَّ أسقياني بالزُّجاج حلبَ الكرمِ من غيرِ مزاج
أنا لا ألتذ سمْعاً باللِّجاج فاسقنيها قبلَ تغريد الدجاج^(٤)

قبل أن يوذَن صبحي بانِّلاج

إن أردتَ الرّاحَ فاشربْها صباحاً قبل أن تصحبَ أتراباً ملاحاً^(٥)
جمعوا حُسناً وأنساً ومزاحاً وغدوا كالبحرِ علماً وسماحاً
فهم مفتاحُ بابِ الابتِهاج

ومن البين أن الشاعر في هذه الأبيات ، سار على نهج القدامى ، في مخاطبته المثني وذلك في قوله : « يا خليليَّ أسقياني » . كما نراه يحث المخاطب على شرب الخمرة صافية ، غير مخلوطة أو ممزوجة بالماء ، لأنه لا يجد لذة في شربها إذا مزجت . كما يحث على شربها في وقت الصباح ، قبل أن يصحب رفاقه الذين يتصفون بالحسن ، والأنس والظرف ، والعلم والسماحة . ومعلوم أن هذه المعاني في الخمرة متداولة ، بين شعراء الخمر السابقين ، وليس له إلا هذا التخميس اللطيف ، في نظمها أو تكرارها .

وسنرى في دراستنا لأبي بكر الخوارزمي ، نماذج من هذا الشعر ، يصف فيها ألوان الخمر ، ويصف سقاتها .

وهذا السهيلي نراه وقد حركته شهوته للشراب ، حتى جعلته يطلبه خالصاً ، ويكره أن يأخذ أي شيء بعدها ، خوفاً من أن يذهب طعمها من فمه ، حيث يقول^(٦) :

(٤) اللجاج : لج لجاً ولجاجة : ضحك . والجم القوم : صاحوا واختلطت أصواتهم . واللجاج : تماحك الخصمين والتمادي في العناد .
تغريد الدجاج ، جاءت في الأصل « تغريد الدجاج » وأثبتنا ما رأيناه الصواب . ولعل الشاعر يقصد بتغريد الدجاج ، صوت الديك . وصوته علامة الصبح .

(٥) الترب : اللذة والسن : من ولد معك « خاص بالانثى » على الأكثر ، ويكون للذكر . وجمعه أتراب . ويقال الأتراب للأقران ، ولعل هذا ما اراده الشاعر .

والملاح : جمع مليح ، يستوى فيه الذكر والانثى .

(٦) ينظر : معجم الأدباء ٥ : ٣٢-٣٣ ، الوافي بالوفيات ٨ : ١٤٧ .

أَلَا سَقَتْنَا الصُّهْبَاءَ صِرْفًا فَإِنَّهَا أَعَزُّ عَلَيْنَا مِنْ عِتَاقِ التَّرَحُّلِ (٧)
وَأِنِّي لِأَقْلَى التَّنْقَلِ حُبًّا لَطْعَمَهَا لِثَلَايِزِوَلِ الطَّعْمِ عِنْدَ التَّنْقَلِ (٨)

ويعلق كل من ياقوت الحموي والصفدي ، على هذين البيتين بقولهما :
إِنَّ السَّهْلِيَّ لَمْ يَسْبِقْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى •

ونستشف من هذين البيتين ، أن السهيلي ربما كان فارس حلبة في الخمر ،
فهو يطلبها خالصة ، ليلتذ بعدئذ بطعمها ، الذي يكره زواله من فمه •

وشعر الخمرة هذا — وان كان قليلا — الا انه يكشف لنا عن الجوانب
اللاهية من حياة الشعراء ، وما ينالونه من لهو في مجالس الشراب ، وربما
يصور لنا صورة عكسية لهؤلاء الشاربين ، حيث يلجأون اليهربا من مشكلات
الحياة •

أما شعر المجون فيتمثل في شعر الهجاء الفاحش ، الذي جاء بعضه على
لسان أبي بكر الخوارزمي وغيره من شعراء هذا الاقليم • وانا ليمنعنا الذوق
والحياء من الاستشهاد به • كما تمثل في تصريحهم بالأفعال الجنسية ، وعدم
التحرج من ذكرها ، وكأنها في نظرهم من الأمور التي ليس في ذكرها أي عيب
أو شين (٩) •

(٧) الصُّهْبَاءُ : الخمر . والصرف : الخالصة . والعِتَاقُ جمع عتيق . والعتيق :
الكريم الرائع من كل شيء ، والخيار من كل شيء •

والتَّرحُلُ والارتحال : الانتقال . والرحول والرحولة من الإبل : التي
تصلح ان ترحل •

(٨) أَقْلَى : أي أبفض وأكره •

والتَّنْقَلُ : ما ينتقل به على الشراب ، من لوازم الشراب ، من تفاح وفستق
وما إليهما •

(٩) ورد مثل هذا في شعر أبي بكر الخوارزمي ، في استدراج الغلمان ،
ودعوتهم الى العمل الجنسي ، مع صراحة في الالفاظ • وقد اورد ياقوت
الحموي في كتابه : معجم الادباء ٢ : ٣٤٢ شيئا من شعره هذا •

شعر الشكوى :

عبّر الشعراء بهذا الغرض الشعري ، عن مشكلاتهم الخاصة ، مما يتصل بحالة ضيق ، أو تقدم عمر ، أو آمال لم تحقق . وهذا الضرب كثير في شعر الزمخشري . كما سنرى عند دراسته . هذا بالإضافة الى مشكلة الفقر الناتجة ، عن عدم تقويم الشاعر ، نتيجة اهمال المسؤولين له . وهذه المشكلة أيضاً يعكسها لنا شعر الزمخشري بأجلى صورها .

وهناك بجانب هذا ، مشكلات الأسرة ، وهي من أهم المشكلات الاجتماعية ، حيث يعاني الآباء فيها ، مصاعب العيش ومتطلباته ، وخير من يمثل لنا هذا الجانب ، الشاعر أبو بكر الخوارزمي ، وذلك في قوله من قصيدة يمدح بها عضد الدولة^(١) :

وَزِدْتُ مِنَ الْعِيَالِ وَذَلِكَ أَتَيْتُ كَتَبْتُ عَلَى لِقَائِكَ مَنْ أَعُولُ
وَعِشْتُ وَنَاقَصَ رِزْقِي فَأُضْحِي مُفَاعِلْتَنَ مُفَاعِلْتَنَ فَعُولُ

فالشاعر يريد أن يقول : إنه أصبح لا يخاف مجيء وليد له ، لأن الممدوح كفاه عائلته . وإن حالة الشاعر كانت رديئة ، ورزقه كان قليلاً ، ولكنه أصبح وافراً بعد تعرفه على الممدوح .

وقد عبّر أبو بكر الخوارزمي عن زيادة رزقه ، في البيت الثاني وذلك باستعماله البحر الوافر من العروض ، وذلك في قوله : « مفاعلتن مفاعلتن فعول » .

أما الشكوى العامة في شعرهم ، فتتمثل في شكوى الزمن والدهر ، وتغير الأحوال وما الى ذلك . وهذا الصخري يقول^(٢) :

أَسْمِعْتَ يَا مَوْلَايَ دَهْمَ رِي بَعْدَ بَعْدٍ كَمَا صَنَعَ؟

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٣ (طبعة السعادة) .

(٢) معجم الادباء ٥ : ٣١ .

أَخْنَى عَلَيَّ بِصَرْفِهِ فَرَأَيْتُ هَوَلَ الْمُطَّلَعِ^(٣)
 فالصخري يشكو ويتدمر من الدهر وما فعله به ، في أسلوب خطابي
 جميل مؤثر .
 ويقول مأمون بن مأمون ، من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس
 مأمون بن محمد^(٤) :

أَعَاظَنِي الدَّهْرُ مِنْ أَنْصَافِهِ جَنَفَا
 هَلْ كَانَ غَيْرِي مِنَ الْأَيَّامِ مُنْتَصِفَا^(٥)
 أَشْكُو إِلَى غَيْرِ مَشْكُوءٍ لِيُشْكِيَنِي
 هَلْ يَنْفَعُ الدَّنْفَ اسْتِشْفَاؤُهُ الدَّنْفَا^(٦)
 ويشكو الشاعر في هذين البيتين من الدهر وجوره وعدم انصافه . وأثر
 الصنعة واضح فيهما .

ومن الشكوى والتدمر الممزوجين بالفخر ، قول ناصر الدين المطرزي^(٧) :
 تَعَامَى زَمَانِي عَنْ حَقُوقِي وَأَتَّه
 قَبِيحٌ عَلَى الزَّرَقَاءِ تَبْدِي تَعَامِيَا^(٨)
 فَإِنْ تَنَكَّرُوا فَضْلِي فَإِنْ رَغَاءَهُ
 كَفَى لَذَوِي الْأَسْمَاعِ مِنْكُمْ مَنَادِيَا^(٩)

-
- (٣) أخنى عليه الدهر : طال واهلكه . وقيل أفسد عليه عيشه .
 (٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٣ (طبعة السعادة) .
 (٥) أعاضني من العوض . وجاءت في الاصل « أغاظني » واثبتنا ما رأيناه
 صوابا . والجنف : الميل والجور .
 (٦) الدنف : المرض اللازم المخامر . وقيل هو المرض . ورجل دنف ودنف
 ومدنف : براه المرض ، حتى أشفى على الموت .
 (٧) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ٢١٣ ، بغية الوعاة ٢ : ٣١١ ، انباه الرواة
 ٣ : ٣٤٠ ، وفيات الاعيان ٥ : ٧ .
 (٨) الزرقاء : يقصد زرقاء اليمامة المشهورة بحدة البصر .
 (٩) رغاءه : الرغاء : صوت الابل . والشاعر يريد ان فضله مسموع به ، لانه
 ظاهر للعيان .

وفي تبدل الدهر وتغير أيامه ، يقول أبو بكر الخوارزمي ^(١٠) :

خَلِيلِيَّ عَهْدِي بِاللَّيَالِي صَوَافِيَا
فَمَا بِهَا أَبْدَلُنَّ جِيماً بِصَادِهَا
خَلِيلِيَّ هَلْ أَبْصَرْتُمَا مِثْلَ أَدْمُعِي
تَقْدَرُنَّ وَحَقَّ اللهُ قَبْلَ تَقَادِرِهَا

ففي هذين البيتين نرى الشاعر يتعجب من تبدل الأيام ، من الصفاء الى الجفاء . وقد جاء بذلك في صورة ، ربما قصد فيها التلاعب بالفاظه في البيت الأول ، وذلك في قوله : « أبدلن جيما بصادها » ، أي أن « صوافيا » تصبح جوافيا .

وقد تعكس لنا هذه النماذج القليلة في شكوى الدهر ، الأوضاع السياسية والاقتصادية في تلك البلاد ، لأن كلام الشعراء عن الدهر ، يعني يعني الفترة الزمنية التي كانوا يعيشون فيها .

ومن مظاهر الشكوى ما قيل في الشيب والشباب ، وتقدم العمر ، حيث يتذكر الشاعر أيام شبابه الزاهي وما يصيب الانسان من كدر بعد ذهاب الشباب بظهور الشيب . وهذا أبو بكر الخوارزمي يقول ^(١١) :

خَضَبَتْني الأَيَّامُ لَوْنَ بَيَاضٍ
وَحِضَابُ الأَيَّامِ لَيْسَ بِنَاضٍ
وَتَخَطَّتْني المَنُونُ الى شَعَمٍ
رِي فَأُضْحِي مَكْفَناً بِيَبَاضٍ

أو قوله :

تَمَنَيْتُ خَلَاتٍ عَلَى الدَّهْرِ أَرْبَعاً
وَلَمْ أَرَ مَسْئُولاً أَشَحَّ مِنْ الدَّهْرِ
جَمَاعاً بِلَا ضَعْفٍ ، وَشَرِباً بِلَا سُكْرِ ،
وَعَمراً بِلَا شَيْبٍ ، وَبِذِلٍّ بِلَا فَقْرٍ

(١٠) بَيْتَةُ الدَّهْرِ ٤ : ٢١٠ (طَبْعَةُ السَّعَادَةِ) .

(١١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٤ : ٢٣٥ (طَبْعَةُ السَّعَادَةِ) .

ويقول أبو بكر الخوارزمي أيضاً^(١٣) :

وَإِنِّي لِأَرْجُو الشَّيْبَ ثُمَّ أَخَافُهُ

كَمَا يَثْرَجِي شَرْبُ الدَّوَاءِ وَيُحْذَرُ

هُوَ الضَّيْفُ إِنْ يَسْبِقَ فَعِيشٌ مَكْدَرُ

عَلِيٍّ ، وَإِنْ يَسْبِقَ فَمَوْتُ مَقْدَرُ

ومنهم من اتخذ الشيب ، وسيلة للوم نفسه بطريقة الوعظ والحكمة
والزهد ، كما فعل الفيلسوف ابن سينا في قوله^(١٣) :

أَمَّا أَصْبَحْتُ عَنْ لَيْلِ التَّصَابِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ عَنْ لَيْلِ الشَّابِ

تَنْفَسُ فِي عَذَارِكُ صَبْحُ شَيْبٍ وَعَسَسَ لَيْلُهُ فَلَمْ التَّصَابِي

شَبَابِكَ كَانَ شَيْطَانًا مَرِيدًا فَرَجَّشَ مِنْ مَشِيكَ بِالشَّهَابِ^(١٤)

(١٢) المصدر السابق ٤ : ٢٤١ .

(١٣) عيون الانباء . ص ٤٣٧ .

(١٤) رجم : أي رمي .

الحنين الى الوطن :

هذا التيار كان من أوضح التيارات التي عرفها هذا الاقليم ، وشعرهم في هذا الباب تتضح العاطفة فيه حتى لتوشك أن تكون من أبرز عناصره .

إنّ نزعة الحنين الى الوطن ، نزعة انسانية عامة ، نراها عند الشعراء في كل الأمم ، وفي كل العصور ، والذي يميز أمة عن أمة ، في هذا التعبير ، هو طريقة تناول الشاعر وأسلوبه ، فهذا الامام الزمخشري يقول في حنينه الى مسقط رأسه زمخشر ، حينما كان بعيداً عنها في مكة ، من أرض الحجاز ، ذلك الحنين الذي كان يخالطه حبه ، لمجاورة بيت الله الحرام^(١) :

أَفَضْتُ إِلَيْكَ شَكَاةَ الْوَاجِدِ الْكَمْدِ
فَأَشْكُ يَا رَبِّ صَنْعَ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
أَشْكُو إِلَيْكَ حَزَازَاتٍ أَحْطَتْ بِهَا
فَاعْطِفْ ، بَسْلَوَانِكَ الشَّافِي عَلَى كَبْدِي
حَبَّ الدُّنُوْرِ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ رَمَى
بِالْجَمْرِ فِيهَا وَحَبَّ الْبَعْدِ عَنْ بَلَدِي
هَمَّانَ إِنْ تَكْفِنِي يَا رَبِّ خَطْبَهُمَا
شَكَرْتُ مَا دَامَ تَجْرِي الرُّوحُ فِي جَسَدِي

فالزمخشري هنا لم يتناول هذا الموضوع تقليداً ، كما اعتاد بعض الشعراء ، ولكنه وصف حاله في غربته ، والحّ على الجانب العاطفي ، الذي عبّر فيه عن شدة اشتياقه وحنينه وعاطفته مزوجة بألم ، نراه يطل علينا من وراء السطور . وهو بهذا يبرز لنا الجانب العاطفي ، حتى ليكاد يخفي كل ما سواه من جوانب أخرى .

(١) ينظر : مخطوط ديوان الزمخشري . ورقة ٢٦ .

وفي مثل هذا قال الشاعر الكاثي^(٢) ، من قصيدة بعث بها الى الفقيه
الشاهي الخوارزمي^(٣) :

على مجلسٍ الشيخ الجليلِ سلامي
فَقَدْ طَالَ شَوْقِي نَحْوَهُ وَغَرَامِي
أَحْنُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَأَشْكُو فِرَاقاً قَدْ أَذَابَ عِظَامِي
إِذَا نَشَأَتْ مِنْ نَحْوِ خَوَارِزْمِ مَزْنَةٌ
تَدَاوَيْتُ مِنْ وَجْدِي بِمَاءِ غَمَامٍ^(٤)

لقد عبر الشاعر عن حنينه لبلاده ، لأنه كان بعيداً عنها ، فقد كان يقيم
في بخارى ، وقد عبر عن حنينه واشتياقه بذكر الجزء ليدل به على الكل .
فهو كما نطن لم يكن يقصد أن يقصر حنينه واشتياقه ، على مجلس الفقيه ،
وانما قصر حنينه الى بلاده ، ويظهر ذلك في البيت الثالث من القصيدة ، وقد
تمثلت العاطفة عند الكاثي ، في الغمام والمطر ، فطريقته عربية جاهلية ، ولعل
مرجع ذلك كثرة مدارسته للشعر العربي والجاهلي منه خاصة .

وقال الموفق بن أحمد الملكي^(٥) :

أَبْكَأَكَ لَمَّا أُنْزِلَ فِي رُبَى نَجْدٍ
سَحَابٌ ضَحُوكُ الْبَرْقِ مُتَحِبُّ الرِّعْدِ

(٢) هو أبو الفضل شاه بن ابراهيم بن نصر الكاثي . نسبة الى مدينة «كاث»
من مدن اقليم خوارزم .

(٣) ينظر : دمية القصر وعصره اهل العصر ٢ : ١١٤ . تحقيق الحلو .

(٤) مزنة : المزن : السحاب عامة ، وقيل السحاب ذو الماء ، واحدته
مزنة .

وقيل المزنة : السحابة البيضاء والجمع مزن .
غمام : جمع غمامة ، وهي السحابة ، وايماء سمي غماما ، لانه يغم السماء ،
اي يسترها . وسمي الغم غما لاشتماله على القلب .

(٥) معجم البلدان ٢ : ٣٩٧ (طبعة بيروت) .

له قطرات" كاللآليء في الشرى
 ولي عبرات" كالعقيق على خدي
 تكلفتُ منها نحو خوارزم والهـا
 حزيناً ، ولكن أين خوارزم من نجد ؟

وتظهر رنة الحزن واضحة متمثلة في هذه الأبيات التي أجاد الشاعر فيها التعبير ، عن عاطفته وحنينه لخوارزم ، ذلك الحنين الذي أثارته الطبيعة الصامتة ، حينما هطلت بنجد ، فأنزلت مزنها قطرات مثل اللآلي ، فأضحكت بذلك الثرى ، ولكنها أبكت الشاعر ، فأنزلت دموعه مثل العقيق على خده .
 ومما قاله الموفق في خوارزم ، وبعث به الى ابنه المؤيد ، الذي كان في منقشلاغ ، من حصون خوارزم^(٦) :

أيا بَرَقَ نجدٍ هَجَّتْ شَوْقي الى نجدٍ
 وأَضْرَمْتُ في الأحشاء نائرة الوجْدِ
 خوارزم نجدِي وهي غير بعيدة
 وقد حُلَّتْ عِسي برغمي عن الوَخْدِ^(٧)
 إذا غازلت ريح الشمال رياضها
 عقيب نكادها خلَّتْها جنة الخلدِ

ومن هذه الأبيات نرى آثار الطبيعة واضحة في شعرهم .
 ويقول أبو محمد البافي في بغداد ، وكان قد عاش بها مدة^(٨) :
 على بغداد معدنٍ كلَّ طيبٍ ومَعْنَى نزهة المتزهينـا

(٦) معجم البلدان ٤ : ٩٧٠ (لايزك) .

(٧) النجد : البأس والنصرة . ونجد من الارض : خرج عنها . وانجد فلان : قرب من أهله .
 حُلَّتْ : حلاه حلاً بالسوط : جلده . وحلاه تحليثاً عن الشيء : منعه
 والشاعر يريد هذا المعنى .

الوخد والوخيد : ضرب من سير الابل .
 المصدر السابق ١ : ٣٢٦ .

سلام" كلما جَرَحَتْ بِلَحْظٍ عيونُ المشتَّينِ المشتَّينِ
 دخلنا كارِهينَ لها فلمّا أَلْفَنّاها خَرَجنا مُكْرَهينّا
 وما حُبُّ الديارِ بها ، ولكن أَمَرُ العيشِ فَرْقَةٌ مَن هَوينا
 وفي البيت الأخير من هذه الايات ، يذكرنا الشاعر بشعر الشاعر
 العذري ، قيس ابن الملوّح في قوله :

أَمَرُ على الديارِ ديارٍ ليلي أقبَلُ ذا الجدارِ وذا الجدارا
 وما حُبُّ الديارِ شغفن قلبي ولكن حبّ مَن سكنَ الديارا
 ويتمثل لنا هذا الغرض الشعري (الحنين الى الوطن) ، واضحا كل
 الوضوح في شعر الإمام الزمخشري ، حنيه الى بلاده ، لأنه بعيد عنها ، مقيم
 في الحجاز ، وحنينه الى مكة وطنه الثاني ، حينما يفارقها . وسرى كل ذلك
 اثناء دراستنا له .

كما تتمثل هذه النزعة الانسانية ، بأجلى معانيها ، في شعر الوافدين الى
 هذا الاقليم ، وخاصة شعر الكلثومي ، الذي مثلته لنا قصيدته التي يقول
 فيها (٩) :

تقولُ سعاد" : « ما تفرد طائرٌ على فَنَنِ الا وأنتَ كئيبٌ ! » (١٠)
 « أجارتنا إنّا غريبان ههنا وكلٌّ غريبٌ للغريبِ نسيبٌ » (١١)
 أجارتنا إنَّ الغريبَ وإنَّ غدتْ عليه غواذي الصالحاتِ غريبٌ (١٢)

(٩) تنظر القصيدة في : معجم الادباء ١٧ : ٢٢٥-٢٢٦ ، بغية الوعاة
 ١ : ١٦٣-١٦٤ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٣٦ .

(١٠) ما تفرد طائر ... اي ما رفع صوته في غناؤه .
 الفتن : الفصن . والجمع افنان .

(١١) وكل غريب للغريب نسيب : اي اهل . وهذا البيت ينسب الى امرئ
 القيس بن حجر ، قاله حال قدومه من سفره الى ملك الروم ، وقد رأى
 قبراً ، فسأل عنه ، فأخبر عن صاحبتة ، فلما قاربته الوفاة ، عند
 جبل عسيب قال البيت ، وقبله :

أجارتنا ان المزار قريب واني مقيم ما اقام عسيب

(١٢) غدت : انطلقت ، او بكرت . والبكرة : اول النهار .



يَحْنُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَفُؤَادُهُ لَهْيَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ وَجِيبُ^(١٣)
 سَقَى اللَّهَ رُبْعاً بِالْعِرَاقِ فَإِنَّهُ الْيَاءُ - وَإِنْ فَارَقْتَهُ - لَحِيبُ^(١٤)
 أَحْنُ إِلَيْهِ مِنْ خِرَاسَانَ نَازِعاً وَهَيْهَاتَ لَوْ أَنَّ الْمَزَارَ قَرِيبُ^(١٥)
 وَإِنْ حَنِناً مِنْ خَوَارِزْمَ يَنْتَهِي إِلَى مَتْنَى أَرْضِ الْعِرَاقِ عَجِيبُ^(١٦)

وهذا الشعر وان نظر فيه صاحبه ، الى شعر امريء القيس ، واستعار بحرّه ، وغير قليل من ألفاظه ، فإننا نحس أنه تفح فيه روحاً حزينة ، لا تلبث أن تنفج على قارئه ، فتؤثر فيه . انه نابع عن وجدان عذبه البعد ، ولوّعه الفراق ، وغاب عليه الأسى والحسرة ، التي تفتت الاكباد ، وتحرق القلوب . وهذه الأبيات تعطينا صورة واضحة ، عن النعمة الحزينة ، التي تعيش في نفس هذا الشاعر ، الوافد الى هذا الاقليم ، وعن حنينه الممض الى وطنه ، الذي بَعُدَ عنه ، كما تعطينا صورة واضحة للعاطفة الصادقة ، الحافلة بكل معاني الحنين ، والتجربة القاسية التي يعانها من فارق وطنه وأهله وأحبابه .

ومن هذا يظهر لنا أن العاطفة الصادقة ، هي الغالبة على شعر الكثير ، من شعراء هذا الاقليم ، ولا سيما حينما كانوا يفارقون أوطانهم . وفي هذه الحالة تعبر العاطفة عن معاناة الشاعر ، ألم الفراق والاعتراب .

غواذي : جمع غادية . وهي مونت الغادي : السحابة تنشأ غدوة . او مطرة الغداة .

(١٣) احناء جمع حنو : كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الضلوع .
 وجيب القلوب : اضطرابها وخفقانها .

(١٤) يقصد عراق العجم .

(١٥) نازعا : مشتاقا .

(١٦) في الوافي بالوفيات ٤ : ٣٦ ، وبغية الوعاة ١ : ١٦٤ « ضلة » بدل ينتهي .

الرثاء :

ومن الاتجاهات الشعرية أيضاً ، ما قاله الشعراء في الرثاء ، ومعانيهم فيه لا تكاد تخرج عن معاني الرثاء المعروفة ، من تعداد مآثر الفقيد وما أحدثته وفاته من الأسى والحزن ، كقول جارا الله الزمخشري في رثاء والده^(١) :

فَقَدَّتْهُ فَاضِلًا فَاضَتْ مَآثِرُهُ	الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ الْمَأْثُورُ وَالْوَرَعُ
أَخَا طَبَاعَ مَصْفَاةٍ مَنَاسِبَةٍ	مَاءِ السَّحَابَةِ مَا فِي بَعْضِهَا طَبَعُ
لَوْ حَلَّ بِي مِنْ فَادِحٍ جَلِيلٍ	بِرَكْنِ طُودٍ لَكَادَ الطُّودُ يَتَضَعُ
بَاتَتْ عَلَى كَبْدِي نَارٌ مُضْرَمَةٌ	عَلَى فُؤَادِي وَالْأَحْشَاءُ تَطْلُعُ
وَلَا مَجَالَ لِدَاعِي الصَّبْرِ فِي جِلْدِي	وَقَدْ تَبَسَّطَ فِي أَرْجَائِهِ الْجَزَعُ
أَيَّتُ مَرْتَفَقًا وَالصَّبْرُ يَشْمَلْنِي	كَأَنِّي فَوْقَ حَدِّ السَّيْفِ مُضْطَجِعُ
أَأَرْتَجِي بَعْدَهُ بِالْعَيْشِ مُنْتَفِعًا	مَتَى أُتِيحَ فِرَاقٌ لَيْسَ يَنْقَطِعُ ^(٢)

ففي رثاء أبي القاسم هذا ، نرى أن معانيه لم تخرج عن معاني الرثاء ، من تعداد مآثر الفقيد ، وإظهار التوجع والحسرة والحزن . هذا بالإضافة الى اهتمامه بوصف حزنه أكثر من اهتمامه بتعداد المآثر كما نرى .

كما نجد بعضهم قد خرج بالرثاء ، عن معانيه السامية ، ليتخذ مجالا للتفكه أو للهجاء ، وهذا النوع بعيد كل البعد عن الرثاء ، لأنه خال من العاطفة ، ومن هذا قول أبي بكر الخوارزمي ، في رثاء أبي سهل البستي الكاتب^(٣) :

مَاتَ أَبُو سَهْلٍ ، فَوَا حَسْرَتًا
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ مَاتَ مَذْجُمَعَةً

(١) مخطوط ديوان الزمخشري . ورقة ٧٢ .

(٢) في الاصل (حتى أتيج) واثبتنا ما رأيناه مناسباً للمعنى .

(٣) تيممة الدهر ٤ : ٢٣٠ (السعادة) .

مَا حَزَنِي إِلَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَمُتْهُ
 بِمَوْتِهِ مِنْ أَهْلِهِ تِسْنَعُهُ
 مُصَيِّبَةً لَا غَقَرَّ اللَّهُ لِي
 إِنَّ أَنَا أَذْرَيْتُ لَهُ دَمْعَهُ (٤)

ففي هذه الأبيات ، نرى صورة مناقضة تماماً ، لما عرف في صور الرثاء ،
 لأن أبا بكر اتخذ الموت سبيلاً للفكاهة والعبث والهزاء ، في مثل هذا الموقف
 الجاد ، الذي ترق فيه حتى قلوب الاعداء .

(٤) آذريت : القيت . قيل : آذريت الشيء عن الشيء اذا القيته .

الشعر الفلسفي والحكمة :

ومن الاتجاهات الشعرية التي طرقتها ، وقد قلّ تناولها من قبل ، هذا الشعر الفلسفي^(١) ، الذي قيل على لسان الفيلسوف ابن سينا ، والامام فخر الدين الرازي ، وهما من الوافدين الى هذا الاقليم ، وأوضح مثال على هذا الاتجاه ، تلك القطعة الشعرية التي عالج الفيلسوف ابن سينا بها النفس ، وشبهها بالحمامة ، التي هبطت من المحل الأرفع ، الذي هو عالم العقول ، الى الحضيض الأوضع الذي هو هيكل الطين ، على حد تعبير شراحه ، والتي يقول فيها^(٢) :

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مَقْلَةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَقَرْتُ وَلَمْ تَتَبَرَّقِعِ
وَصَلْتُ عَلَى كَرهِ إِلَيْكَ وَرَبِّمَا كَرِهْتُ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفْجَعِ
أَنِفْتُ وَمَا أَلْفَتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ أَلَفْتُ مَجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلَقِعِ^(٣)
وَأَظَنَّا نَسِيتُ عَهْدًا بِالْحِمَى وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ

فهذا الموضوع جديد ، لم يطرقه قبل ابن سينا فيما نعلم أحد ، وقد عالج الفيلسوف ابن سينا ، هذه الناحية بطريقة توحى لنا بسمة مميزة من سمات الشعر العربي في هذا الاقليم . وقد حاول الفيلسوف ابن سينا ، في قصيدته هذه ، أن يؤديها بطريقة أحسن وأجود ، مما جاء به أو ألقه السابقون ، ولا

(١) هو نوع جديد من الشعر ، يشرح بعض الحقائق الفلسفية ، وحركة الاجرام السماوية .

(٢) القصيدة طويلة وقد اقتصرنا منها على بعض ابيات للتدليل . ينظر : الكشكول . ص ٢٤٠ ، الكنى والالقب ١ : ٣٢١-٣٢٢ . (الحيدرية . النجف) . ، تاريخ الادب في ايران . ص ١٢٧-١٢٨ .

(٣) البلقع : الارض القفر ، وجمعها بلاقع . ويقال : ارض بلاقع على وصف المفرد ، وديار بلقع على وصف الجمع بالمفرد .

عجب في هذا ، فإن لشعراء المشرق عامة ، وسائل مختلفة الى هذا التجويد ، بعضها يتعلق بالمضمون العام للقصيدة ، وبعضها يتعلق بالشكل فقط ، وهذه السمة الفنية التي نراها في شعرهم ، كانت دائماً من أوضح خصائص الشعر العربي ، في كل أقاليم المشرق عامة ، وفي كل العصور تقريباً .

وفي مثل هذا قال فخرالدين الرازي^(٤) :

نِهَايةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقالٌ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلالٌ
وَأرواحنا في وَحْشةٍ من جُسومنا وَحاصلُ دُنْيانا أَدَى وَوَبالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنا طُولَ عَمَرِنا سَوَى أَنْ جَمَعْنا فِيهِ قِيلَ وَقالوا
وَكَمْ قَدَرَأَيْنا مِنْ رِجالٍ ودَوَلَةٍ فَبادوا جَمِيعاً مُشْرِعينَ وَزالوا
وَكَمْ مِنْ جِبالٍ قَدْ علَتْ شِرافِها رِجالٌ فَزالوا والجِبالُ جِبالٌ

ويتصل بهذا الاتجاه الشعر الذي قيل في الحكمة والنصائح ، وهي ذات علاقة بحياتهم الاجتماعية ، ولذلك نرى الشاعر فيها يقف وقفة الناصح ، وكأنه بعمله هذا يحاول أن يرسم للناس الطريق الصحيح ، الذي يجب عليهم اتباعه ، وفي هذا يقول الشاعر أبو بكر الخوارزمي^(٥) :

لا تَصْحَبِ الْكِسانَ في حِالاتِهِ
كَمْ صالِحٍ بِفِسادٍ آخَرَ يَفْسُدُ
عَدُوِّ الْبليدِ الى الجليدِ سَريعةً
والجَمَرُ يوضَعُ في الرِّمادِ فَيَخْمدُ

ومن الشعراء من تناول سلوك الإنسان ، وطريقته في الحياة ، وما يجب أن يقوم به من الأعمال أو يتجنبه ، كقول أبي الريحان البيروني^(٦) :

- (٤) ينظر : البداية والنهاية ١٣ : ٥٩ . وفيها بعض هذه الابيات ، طبقات الشافعية الكبرى ٥ : ٤٠ (الحسينية) . طبقات الشافعية - المصنف - ص ٨٢ - ٨٣ ، مقدمة الجزء الاول من كتاب : التفسير الكبير . تحقيق : عبدالرحمن محمد . المطبعة : البهية بمصر . ط ١ ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .
(٥) التمثيل والحاضرة . ص ١٢٥ ، بتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ .
(٦) معجم الادباء ١٧ : ١٨٩ ، رجال السند والهند في القرن السابع . ص ٢١٢ .

وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْمَجْدِ غَيْرَ مُجَاهِدٍ
ثَوَى طَاعِماً لِلْمَكْرُمَاتِ وَكَاسِيَا
وَبَاتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي ظِلِّ رَاحَةٍ
وَلَكِنَّهُ عَنْ حُلَّةِ الْمَجْدِ عَارِيَا

وهذا من جيد الشعر ، ومن العجب أن يصدر عن مثل البيروني ، لأنه لم يعرف على أنه شاعر .

ومن الحكم والأمثال ، ما جاء على لسان الهراسي في قوله (٧) :

لَا تَصْنَعِ الْعُرْفَ إِلَى مَائِقٍ فِكَلَّ مَا تَصْنَعُهُ ضَائِعٌ (٨)
مَا ضَاعَ مَعْرُوفٌ لَدَى أَهْلِهِ ذَلِكَ مِسْكٌ أَبَدًا ضَائِعٌ
ومما قاله في هذا أيضاً (٩) :

إِنَّ الزَّمَانَ زَمَانَةٌ أَلْ رَجُلُ الْأَدِيبِ الْعَاقِلِ
كَمْ فَائِقٍ تَحْتَ الْحُضِيِّ ضَرَّ وَمَائِقٍ كَالْعَاقِلِ
وفي أبياته هذه ، تراه من العلماء ، الذين ينظمون الشعر فيه ، ولا ترى فيه روح الشعر .

ومما قاله الباقي في هذا المجال (١٠) :

عَجِبْتُ مَنْ مُعْجِبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نَظْفَةً مَذْرَةً (١١)

(٧) بغية الوعاة ١ : ١٧٢ .

(٨) مائق : المافة : الحقد . والمائق : الهالك حمقا وغباوة . والجمع موقى .

(٩) الواقي بالوفيات ٤ : ١٢١ .

(١٠) طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ٢٣٤ (الحسينية) . وترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٣ : ١٢٢-١٢٣ باسم « أبو محمد عبدالله بن محمد النامي الخوارزمي » (طبعة حجازي بالقاهرة) .

(١١) في يتيمة « صورته » بدلا من « بصورته » . ومذرة : أي فاسدة كريهة الرائحة .

وفي غَدٍ بَعْدَ حَسَنِ هَيْئَتِهِ يَصِيرُ فِي الْقَبْرِ جِفَةً قَذِرَةً (١٢)
وهو على عَجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ مَا بَيْنَ يَوْمَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ (١٣)

وفي أبيات الباقي هذه ، نلمح بعض السمات الخاصة بشخصيته ، التي غلب عليها الفقه ، فأثر في شعره ، فجاء كما رأيناه على شكل الشعر التعليمي ، الذي يغلب عادة على الشعراء الفقهاء والنحويين والفلاسفة ، فهو يتعمق الأفكار ، ويبالغ أحياناً فيها ، ولا يهمه بعد ذلك أيقبلها الذوق الأدبي أم لا يقبلها . ولعله في أبياته هذه أخذ المعنى ، من مالك بن دينار ، في قصته المشهورة ، مع والي البصرة حينما مرّ بمالك رافلاً متباهياً ، فصاح به مالك ، يطلب منه عدم التبخر في مشيته ، وحينئذ همّ به خدّم الوالي ، فمنعهم الوالي من ذلك قائلاً : دعوه فلعله لا يعرفني . فقال له مالك : ومن أعرف بك مني ، أما أولك فنظفة مذرة ، وأما آخرك فجيفة قذرة ، ثم أنت مع ذلك تحمل العذرة ، فنكس الوالي رأسه ومشى .

والظاهر أن الفقيه الشاعر ، كان ممن تستهويه مثل هذه الأمور ، أي نظم الكلام المأثور ، أو الحكمة الخالدة . ومن ذلك نظمه لحديث جرى بين رجل وآخر من النجمين ، وإن المنجم سأل الرجل حينما لقيه ، كيف أصبحت ؟ فقال له الرجل : أصبحت أرجو من الله وأخافه ، وأصبحت أرجو المشتري وتخاف زحلاً . وحينما سمع الباقي هذا القول ، نظمه شعراً فقال (١٤) :

أصبحتُ لا أرجو ولا أخشى سوى (م)
الجبار في الدنيا ويوم المحشر
وأراك تخشى ما تقدّر آتاه
يأتي به زحل وترجو المشتري
شتان ما بيني وبينك فالتزم
طرق النجاة وخل طرق المنكر

(١٢) في اليتيمة : « الأرض » بدلا من « القبر » .

(١٣) في اليتيمة « ثوبه » بدلا من يوميه .

العلبة : عذر وأعذر : كثرت ذنوبه وعبوبه .

(١٤) طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ٢٣٥ (طبعة الحسينية) .

ومن شعر الباقي الذي نظمه على البديهة ، قوله حينما زار صديقاً له ، فلم يجده في داره فكتب إليه (١٥) :

كَمْ حَضَرْنَا فَلَيْسَ يُقْضَى التَّلَاقِي
نَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرَ هَذَا الْفِرَاقِ (١٦)
إِنْ أَغِيبَ لَمْ تَغِبْ وَإِنْ لَمْ تَغِبْ غِيبُ
تُ كَأَنَّ افْتِرَاقَنَا بِاتْفَاقِ (١٧)

وله أيضاً (١٨) :

ثَلَاثَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ فِي رَجُلٍ إِلَّا وَأَسْلَمْنَهُ إِلَى الْأَجْلِ (١٩)
ذُلٌّ اغْتِرَابٍ وَفَاقَةٌ وَهَوًى وَكَلْثُهَا سَائِقٌ عَلَى عَجَلٍ
يَا عَاذِلِ الْعَاشِقِينَ إِنَّكَ لَوْ أَنْصَفْتَ أَعْفَيْتَهُم عَنِ الْعَذْلِ (٢٠)
فَاتَّهُمْ لَوْ عَرَفْتَ صَوْرَتَهُمْ عَنْ شُغْلِ الْعَاذِلِينَ فِي شُغْلٍ

وحكي عن هذا الفقيه ، أنه كان مرة في مجلسه ، فجاءه غلام ويده رقعة دفعها إليه ، فقرأها متبسماً وكان فيها (٢١) :

عَاشِقٌ خَاطَرَ حَتَّى (م) اسْتَلَبَ الْمَعشُوقَ قَبْلَ أَنْ
أَقْتِنَا - لَا زِلْتُ تَقْتِي - : هَلْ يَبِيعُ الشَّرْعُ فِعْلَهُ ؟

(١٥) الوافي بالوفيات (مخطوط) ح ١٥٠ . ورقة ١٢٢ ، انباه الرواة ٢ : ١٣٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢١٩ .

(١٦) في الوافي بالوفيات « قد حضرنا ... » .

(١٧) في هذا البيت بعض الاختلاف بين المصادر الثلاثة السابقة .

(١٨) معجم البلدان ١ : ٣٢٦ (بيروت) ، انباه الرواة ٢ : ١٣٢ ، تاريخ بغداد ١٠ : ٥١٣٩ .

(١٩) في معجم البلدان « في أحد » .

(٢٠) في المرجع السابق وفي تاريخ بغداد « رفهتهم عن العذل » .

(٢١) طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ٢٣٤ ، طبقات الشافعية - لابن هداية الله . ص ٣٥ وفيها : « يسأل المعشوق بدل استلب » .

فأجاب :

أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا لَا يَبِيحُ الشَّرْعُ فِعْلُهُ
قَبْلَهُ الْعَاشِقُ لِلْمَعْشُورِ قَدْ لَا تُوجِبُ قَتْلَهُ

وقد أحسن الفقيه الشاعر في قوله : لا يبيح الشرع فعله ، لأنه نبه على
تحريم الفعل ، خوفاً من أن يتبادر الى ذهن المستفتي اباحته ، بانتفاء القتل .

والى جانب هذه الاتجاهات عُرِف اتجاه آخر من الشعر ، هو شعر
الإخوانيات . ومن هذا النوع ما قاله الشاعر التاجر في صديق (٢٢) :

وَعَدْتَنِي بِالرَّجُوعِ - مِنْ قَبْلِ وَقْتِ الْهَجُوعِ
وَقَدْ تَغَافَلْتَ حَتَّى أَضْرَمْتَنِي بِالْجُوعِ !
فَبِالرَّجُوعِ تَفَضَّلْ أَوْ لَا فَبِالرَّجُوعِ !

والشاعر في هذه الأبيات ناظم أكثر منه شاعرا ، وكأنه أراد بأبياته هذه
المزاح والتفكه مع صديقه .

ومما جاء في هذا المجال ، قول الحكيمي (٢٣) مهناً بعض أصدقائه بالنيروز :

قَوْلُ النَّبِيِّ وَحَقٌّ اللَّهُ قَدْ صَدَقَا
وَوَافَقَ الْعَاشِقُ الْمَعشُوقَ فَاغْتَنَّقَا
فَعَاطِنِي قَهْوَةً صَهْبَاءَ صَافِيَةً
بِمَا تَطَايَرَ عَنْ قَلْبِي الْجَوَى شَقَقَا
مِنْ كَفِّ سَاقٍ إِذَا مَا جَاءَنَا فَسَقَى
دَعَا إِلَى جَبِّهِ أَهْوَاءَ مَنْ فَسَقَا

(٢٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٥ (السعادة بمصر) . ، الحمدون من الشعراء
وأشعارهم ص ٩٧ .

(٢٣) هو علي بن أحمد البديهي الحكيمي ، الملقب بنقيب الشعراء ، خوارزمي
الأصل . ينظر عنه : دمية القصر وعصرة أهل العصر ٢ : ١١٣ « تحقيق
الحلو » ، بغية الوعاة . ص ٢٢٨ .

وذكر الثعالبي أن أبا علي الكندي أنشده أبياتاً للباقي ، ذاكراً أن الباقي أنشده تلك الأبيات لنفسه ، وقد أهدى مهرجانية الى بعض الرؤساء ، قال فيها (٢٤) :

هَدِيَّةُ المَهْرَجَانِ واجِبَةٌ على السلاطينِ لا على الفقهاءِ
وإنْ جَرَى عَبْدُكُمْ على سَنَنِ من التَّهَادِي فَمَا أَتَى سَقَمَهَا
حَلَّ على أَنِّي لَكُمْ قَلَمٌ قَطْ بِرَأْسَيْنِ يَكْشِفُ الشُّبُهَا

ومن غرر ما قاله الشاعر الهلالي ، في النوروز (٢٥) :

نورٌ ونورٌ ونورٌ ومُنِيَّتُهَا لِقِيَا الأميرِ فقي لِقِيَاهُ مَهْوَاهَا
كأنما نَعَمُ الأَطْيَارُ من نَعَمِ الـ أوتارٍ قد اخذتْ في الطيبِ أَشْبَاهَا
حدائقٌ شاقَتِ الدنيا شَقَائِقُهَا وبالْحُلَى خَزَمَ الدُّنْيَا خَزَامَاهَا
ومن الشعراء من اهتم بذكر الهدايا ، وهذا الصخري يستهدي ماء الورد ، في قوله (٢٦) :

يَا مَنْ حَكَى الوَرْدَ الطَّرِيءَ بَعَرَفِهِ
وَبظَرَفِهِ وبلُطْفِهِ وبهَائِلِهِ (٢٧)
إِنْ شِئْتَ - والإِفْضَالَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ -
أَهْدَيْتَ لي قَارورةً من مَائِهِ

وكان بعضهم يتخذ هدية صديقه ، سبيلاً للمزاح والفكاهة والمداعبة ، كقول ابن عنين في مداعبة من مداعباته الشعرية ، في خروف وكان مهزولاً ،

(٢٤) يتيمة الدهر ٣ : ١٢٣ (مط حجازي) .

(٢٥) المحمدون من الشعراء واشعارهم . ص ٥٣ .

(٢٦) معجم الادباء ٥ : ٢٨ .

(٢٧) الطريء : أي « غُضَّ بَيِّنُ الطراوة . » .

عرفه : أي رائحته الطيبة .

بعث به اليه الشريف الكحال المصري^(٢٨) ، وكان بينهما صفة ومحبة ، ومزاح ومداعبة^(٢٩) :

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهلته
فغير عجب أن يكون لك الفضل
أتني أياديك التي لا أعددها
لكثرتها لا كمر نعي ولا جهل
ولكنني أتبيك عنها بطرفة
تروقتك ما وافي لها قلبها مثل
أتاني خروف ما شككت بأثمه
حكيف هوى قد شفته الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلت
خيالا سرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته ما تشتهي ؟ قال : قسمة
• وقاسمته ما شفته ؟ قال لي الأكل^(٣٠)
فأحضرتها خضراء مجاجة الشرى
مسكمة ما حص أوراقها القتل^(٣١)

(٢٨) هو سليمان بن موسى ، برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالكحال المصري ، كان أديبا فاضلا ، بارعا في العربية ، وفنون الادب ، عارفا بصناعة الكحل .

(٢٩) معجم الادباء ١١ : ٢٥٩-٢٦٠ ، وذكر العقاد بعضها في كتابه : عرائس وشياطين . ص ١٣٩ .

(٣٠) قسمة : قت الشيء : جمعه قليلا قليلا . ولعل المراد هنا النبات مجموعا . وقيل القسمة : نبات بري من نبات البادية . وقاسمته ماشفه : أي أقسمت عليه أن يخبرني عما شفته .

(٣١) مجاجة : مج العود : جرى فيه الماء . وهو يريد هنا أن يقول : ان التراب الذي كان لاصقا بجلود القسمة كان ما زال مبلولا ، وهذا يعني ان القسمة كانت خضراء طرية .

فَقُتِلَ يَرَاغِبًا بَعِيْنٌ ضَعِيْفَةٌ
وَيُتَشَدُّهَا وَالدِّمْعُ فِي الْعَيْنِ مُتَهَلِّئٌ
« أَكْتُ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
وَجَادَتْ بَوْصَلٌ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ »

والمعنى الذي تؤكدُه هذه القصيدة ، هو النحافة والهزال الشديدان ، وذلك في قوله : « خلته خيالا سرى في ظلمة الليل » ، وقد تفنن الشاعر ابن عنين في تصوير هذا الهزال بشكل يدعو الى الضحك ، وذلك في تشبيهه الخروف بالعاشق الذي شفته الهجر والعذل ، وغلبه الحب على أمره ، كما أجاد الشاعر في تصويره ذلك الخروف الهزيل الجائع ، تصويرا دقيقا ، زاده قوة وجمالا تلك المحاورة اللطيفة ، التي نسجها الشاعر بينه وبين الخروف .
وكتب القاضي الفاضل الى (أبي الفضل سليمان) ، يداعبه ، وكان قد كحله (٣٢) :

رجل توكل بي وكحلني
فدهيت في عيني وفي عيني (٣٣)
وخشيت تنقل نقط كحلتيه
عيني من عين الى غين (٣٤)

وهو يريد أن يقول : إنه أصبح يخاف أن يؤدي الكحل عينه ، أو يصيبها بغشاوة تمنع عنها الإبصار ، كما تفعل السحابة التي تطبق على السماء ، فتمنع عنا الشمس ، فكأنها بذلك تلبس السماء ثوبا فيمنع ضوءها .
ومن الجدير بالذكر ، أن نشير الى أن هناك قصائد ومقطوعات ، قيلت

حصص : من حص الشعر : أي حلقة . يريد أن يقول : ان اوراقها كانت سليمة ، وكانت منبسطة الاوراق ، اذ القتل هو ما لم ينسبط من ورق النبات ، ولكنه يفتل .

(٣٢) معجم الادباء ١١ : ٢٦١ .

(٣٣) عيني : يريد بالاولى : الباصرة . وبالثانية : النقد أي المال .

(٣٤) غيني : غانت السماء : طبقتها الغيم . وأغان السحاب السماء : البسها .

في أغراض مختلفة ، وإذا ما تبيناها وجدنا أن الشاعر ربما قالها من أجل أن يبرهن تمكنه من الصنعة ، واجادته في استعمال المحسنات البديعية ، في فنونها المختلفة ، ومثل هذه القصائد والمقطوعات ، تعطينا فكرة عن أهم خصائص الشعر في هذه البلاد ، لأنها تعبر عن العصر ، ومدى اهتمامهم بالصنعة ، وميلهم الى التفنن والتصنيع في الألفاظ والأساليب .

ومن شعر الحسن بن المظفر النيسابوري ، الذي تظهر فيه الصنعة البديعية قوله (٣٥) :

أَهْلًا بَعِثْ كَانَ جِدَّ مَوَاتٍ
أَحْيَا مِنَ اللَّذَّاتِ كُلِّ مَوَاتٍ (٣٦)
أَيَّامَ سِرْبِ الْأُنْثَى غَيْرُ مُنْقَرٍ
وَالشَّمْلُ غَيْرُ مُرْوَعٍ بِشَّتَاتِ
عَيْشٍ تَحْسِرَ ظِلُّهُ عَنَّا فَمَّا
أَبْقَى لَنَا شَيْئًا سِوَى الْحَسَرَاتِ (٣٧)
وَلَقَدْ سَقَانِي الدَّهْرُ مَاءَ حَيَاتِهِ
وَالْآنَ يَسْقِينِي دَمَ الْحَيَّاتِ (٣٨)
لَهْمِي لِأَحْرَارٍ مَنِيْتُ بِبَعْدِهِمْ
كَانُوا عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ ثِقَاتِي

(٣٥) معجم الادباء ٩ : ١٩٤-١٩٥ ، الوافي بالوفيات « مخطوط » ح ١١ .
ورقة ٣٧ . وفيه الايات الخمسة الاولى .

(٣٦) كان جو موات : اي مطاوع وموافق . وموات الثانية : الارض الجدبة ، التي لا تنبت لعدم صلاحها .

(٣٧) تحسر : من الحسر بمعنى الكشف والانقطاع . مأخوذ من حسر الشيء عن الشيء : اي كشفه . وحسر الماء : نضب وجزر . واصل الحسر : الانقطاع . ويقال : انحسرت الدابة : اذا انقطع سيرها قليلا .

(٣٨) في الوافي بالوفيات ح ١١ . ورقة ٣٧ « حياته » بدلا من حياته .

قَدْ زَالَتِ الْبَرَكَاتُ عَنِّي كُلَّهَا
 بِزِيَالِ سَيِّدِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ^(٣٩)
 رُكِّنَ الْعُلاَ وَالْمَجْدُ وَالْكَرَمُ الَّذِي
 قَدْ فَاتَ فِي الْحَلَبَاتِ أَيَّ قَوَاتِ^(٤٠)
 فَارَقْتُ طَلْعَتَهُ الْمَنِيرَةَ مُكْرَهًا
 فَبَقِيْتُ كَالْمَحْصُورِ فِي الظُّلُمَاتِ
 أَضْحِي وَأُمْسِي صَاعِدًا زَفَرَاتِي
 لِفِرَاقِهِ مُتَحَدِّرًا عَبْرَاتِي

والقصيدة كما هو ظاهر ، من قصائد المدح تحمل بين أبياتها رفات ألم
 الشاعر وزفراته ، لمفارقتة الممدوح ، الذي يظهر لنا أنه كان مصدر رزق
 الشاعر ، ولذلك كانت مفارقتة للشاعر ، مصدر الآلام والدموع .
 ومن الملاحظ أن الشاعر اهتم كثيرا في استعماله الصنعة البديعة ، في
 أبياته هذه .

وفي مثل هذا قال المطرزي^(٤١) :

وَزَنْدٌ نَدَى فَوَاضِلُهُ وَرِيٌّ وَرَنْدٌ رُبِّي خَوَاضِلُهُ نَضِيرٌ^(٤٢)

-
- (٣٩) زيال : مصدر زايله مزايلة وزيالا : أي فارقه .
 (٤٠) الحلبات : جمع حلبة . والحلبة : الدفعة من الخيل ، تجتمع للسباق .
 (٤١) تنظر الابيات في : معجم الادباء ١٩ : ٢١٢ ، انباه الرواة ٣ : ٣٣٩ ، بغية
 الوعاة ٢ : ٣١١ ، وفيات الاعيان ٥ : ٧ .
 (٤٢) زند وري : الزند والزنده : خشبتان يستقدح بهما ، فالسفلى زنده ،
 والاعلى زند . والزند : العمود الاعلى الذي يقتدح به النار ، والجمع
 ازند وازناد وزنود وزناد . وازاند جمع الجمع .
 والزنداد كالزند : وانه لواري الزند ووريه . ويكون ذلك في الكرم وغيره
 من الخصال . والشاعر يريد هذا المعنى .
 والرتند : الاس وقيل هو العود الذي يتبخر به ، وقيل هو شجر من

وَدَرَّشَ خَلَالِهِ أَبْدًا ثَمِينٌ وَدَرَّشَ نَوَالَهُ أَبْدًا غَزِيرٌ^(٤٣)

ففي هذين البيتين ، يتبين لنا الصنعة الظاهرة ، التي طغت على شعر الشاعر ، والتي تظهر كأنما الشاعر أرادها ، وأرهق نفسه في تعلمها .

وقال البيروني وقد استخدم بعض المحسنات البديعية^(٤٤) :

فَلَا يَغْرُرُكَ مَنِي لَيْنٌ مَسٌّ تَرَاهُ فِي دُرُوسٍ وَاقْتِبَاسٍ
فَإِنِّي أَسْرَعُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً إِلَى خَوْضِ الرَّدَى فِي وَقْتِ بَاسٍ^(٤٥)

وقال أيضاً :

تَنْغَصُّ بِالتَّبَاعِدِ طِيبَ عِشْيٍ فَلَا شَيْءَ أَمَرْتُ مِنَ الْفِرَاقِ
كِتَابُكَ إِذْ هُوَ الْفَرَجُ الْمُرَجَّى أَطَبُّ لِمَا أَلَمَ مِنْ أَلْفِ رَاقٍ

فقد استعمل الشاعر في أبياته التجنيس ، وهو من المحسنات البديعية .
ومن التجنيس^(٤٦) قول رشيد الدين الوطواط^(٤٧) :

جِلَالُكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ مَسَاعِيَا

على منبرِ المجدِ المؤنَّسِ خَاطِبُ

أشجار البادية ، وهو طيب الرائحة يستاك به ، وليس بالكبير
وله حب يسمى الغار ، وأحدثه رندة .

خواضله : الخضل والخاضل : كل شيء ند يترشش من نداه ، فهو
خضل . وكل خضل أي رطب . والخضل : النبات الناعم . واخضالت
الشجرة : إذا كثر أغصانها وأوراقها . والخضلة : النعمة والري .

(٤٣) الدر : هو ما عظم من اللؤلؤ .

والدر : در اللبن : أي أقبل منه على الحالب الشيء الكثير . ومن هذا
قيل : لله دره : أي أعطاه ، وما يؤخذ منه ، فشبهوا عطاءه بدر الناقة ،
ثم كثر استعماله حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه .

(٤٤) معجم الادباء ١٧ : ١٨٩-١٩٠ ، فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم .
ص ٣٧٤ ، رجال السند والهند في القرن السابع . ص ٢١٢ .

(٤٥) الثقلان : الانس والجن .

(٤٦) التجنيس : لغة المشاكلة والمشابهة ، وهو نوع من أنواع علم البديع .

(٤٧) ينظر : حقائق السحر في دقائق الشعر . ص ٩٢ .

فللخطّة النكراءِ سَيْبُكَ دافِعٌ
وللخطّةِ العذراءِ سيفُك خاطِبٌ^(٤٨)

ومن المقتطع قوله^(٤٩) :

وَإِنِّي يُعْظِمْنِي كُلُّ حَسْرٍ وَيَلْبَسُنِي مِنْ أَيْدِيهِ بُسْرُدا
وَأَدْرِكُ أَنْ زَرْتُ دَارَ دُودٍ دَرّاً وَدَرّاً وَوَرْدَداً وَوَرْدَا^(٥٠)

ومثل هذا كثير في شعر الوطواط ، كما سنرى حين دراسته . واستعمال الشعراء لهذه المحسنات ، يعطينا فكرة واضحة عن خاصية من خصائص الشعر العربي في هذا الاقليم .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المحسنات البديعية ، ليست خاصة بأدباء هذا الاقليم وحده ، بل هي ظاهرة عامة ، في أقاليم المسلمين كافة . ولكن الذي يميزها ، أنهم تناولوها بطريقة فنية ، مع بعض المغالاة في استعمالها ، حتى أن بعضهم شهر بها ، كما هي الحال عند رشيد الدين الوطواط .

وأخيراً نقول : إن شعر شعراء هذا الاقليم ، يوحي لنا بسمّة مهمة ، هي ظهور الشخصية العربية الاسلامية ، في طريقة تناولهم الموضوعات ، وفي طريقة تشبيهاتهم واستعاراتهم ، حيث نرى عندهم التشبيهات والاستعارات ، التي توحي لنا بالمسحة البدوية أحياناً ، كما سنرى حين دراستنا للقاسم بن الحسين ، ولأبي القاسم الزمخشري ، وسيطر على هذه الناحية الجانب التقليدي ، الذي

(٤٨) الخطّة : الامر والحال ، والطريقة . والخطّة : الارض أو الدار تختطها لنفسك في أرض غير مملوكة . وجمعها خطط .

النكراء : الدهاء والفطنة والامر الشديد . وقيل شدة الدهر ، والداهية العاقلة .

(٤٩) المقتطع : وهو أن يورد الشاعر بيتاً من الشعر ، لا تتصل حروف كلماته في الكتابة . ينظر البيتان في حدائق السحر في دقائق الشعر . ص ١٦٥ .

(٥٠) درا : الدّر اللبن اجتمع في الضرع من العروق ، كثر وجرى . والدّر ما عظم من اللؤلؤ . وردا : الورد : النصيب من الماء . واورده الماء : جعله يرده . والورد : نور كل شجر .

جاء بدافع حبهم للتقليد والمحاكاة ، أو بدافع معيشتهم في بادية الحجاز ، كما هي الحال عند الزمخشري •

كما نجد عندهم التشبيهات والاستعارات ، ذات المسحة المدنية ، أو ذات الخط التحرري ، التي انطلقت نتيجة هذا الجانب ، الذي ربما انطلق بدوره من بيئتهم البعيدة عن الدولة الاسلامية ، ومن مجتمعهم المختلط ، واشترك أناس من أصل غير عربي في الثقافة العامة لهذا الاقليم • كما ان بيئة خوارزم الغنية الوافرة الخيرات ، ذات الحياة المترفة الالهية في بعض الاحيان ، ربما أثرت في هذا الجانب الاخير ، لان الرخاء الاقتصادي يسهم في تكوين الشخصية ، ويزيد من الاقبال على الثقافة ، والتعلق بالادب •

وهكذا نرى أن الشعر العربي ، في هذا الاقليم رغم كون ملامحه العامة، هي ملامح الشعر العربي ، الجاهلي منه والاسلامي ، الا أنه كانت له سمات خاصة به ، صنعت الملامح الأولى للشعر العربي المتميز ، في إقليم خوارزم • ذلك أن ما ذكرنا من السمات ، لم تكن كل خصائص شعرهم ، وعندنا - أن هناك سمات أخرى خفيت علينا ، وهذه وهذه مجتمعة هي التي جعلتنا نحكم باستقلاله نوعا ما • وحسبنا أن تلك السمات التي توصلنا اليها ، بالاضافة الى بعض النتائج التي استطعنا التوصل اليها في خاتمة البحث ، قد ألفت بعض الضوء ، على الغموض الذي يلف الشعر ، في هذا الاقليم النائي ، من بلاد ما وراء النهر ، والذي كانت له اهميته ، ضمن أقاليم الدولة الاسلامية •

والآن وقد فرغنا من الحديث عن الشعر بصورة عامة، نرى الأخذ بدراسة تفصيلية لشاعرين من شعراء هذا الاقليم ، هما الخوارزمي والزمخشري • وعسانا بدراستهما نوفق لإعطاء صورة أوضح ، عن الحياة الأدبية فيه •

الفصل الثاني

أبو بكر الخوارزمي

اولا : حياته

- ١ - ولادته ونشأته في خوارزم .
- ٢ - سفره وترحاله في طلب العلم .
- ٣ - اتصاله بالملوك والوزراء والأمراء ، سعيًا وراء المنصب والجاه .
- ٤ - مدحه وأيته أصدق فيه من الآخر ، ولماذا ؟
- ٥ - الأغراض الشعرية الأخرى التي طرقها ، وتجمل في :

- ١ - المدح والهجاء .
- ٢ - الرثاء .
- ٣ - الوصف .
- ٤ - الخمرة
- ٥ - الشكوى
- ٦ - أغراض أخرى .

ثانيا : سمات شعره وتتمثل في :

- ١ - تأثيره بالحياة السياسية والاجتماعية .
- ٢ - تأثيره بالحياة الثقافية العالية ، التي عاشها اقليم خوارزم .
- ٣ - فضجه الثقافي ، وتأثره بالحياة اللغوية .
- ٤ - لمحاته النقدية .

ثالثا : مكانته في الشعر العربي .

أبو بكر الخوارزمي^(١) :

يعرف بأبي بكر الخوارزمي ، ويلقب « بالطَّبْرُخَزَرِيَّ »^(٢) ، واسمه محمد بن العباس . أما لقبه « الطَّبْرُخَزَرِيَّ » فنسبة مركبة من طبرستان وخوارزم ، لأن أباه من خوارزم ، وأمه من طبرستان^(٣) .

ولد أبو بكر الخوارزمي ، سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م^(٤) في خوارزم . والمصادر تتكلم عنه في صباه ، دون أن تتعرض لطفولته ، وكل ما عرفناه عنه أنه ولد من أب خوارزمي الأصل ، وأم من طبرستان .

من هذا نقول : إننا لا نعرف شيئا عن نشأة أبي بكر الخوارزمي الأولى ، غير أننا عرفنا بيئة اقليم خوارزم ، بيئة ثقافية علمية ، وأن شاعرنا قد نشأ في تلك البيئة الناضجة ثقافيا ، وأنه تزود بثقافة لغوية وتاريخية ، وأقبل بكل جد على شعر الجاهليين والاسلاميين ، يدلنا على ذلك ما تناقلته المصادر عن قوة حفظه .

ذكر ابن خلكان عنه أنه قصد في إحدى المرات ، حضرة الصاحب بن عباد ،

(١) ذكر الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر ٤ : ١٩٤ ستة من شعراء هذا الاقليم ، حيث خصهم بباب سماه : « في غرر فضلاء خوارزم » ، وقد لاحظنا ان منهم من كثرت اخباره كأبي بكر الخوارزمي ، ومنهم من قلت اخباره .

(٢) هكذا ورد في بعض المصادر ، كما في المصدر السابق ٤ : ٢٠٤ . وفي بقية الوعاة ١ : ١٢٥ . وورد في بعض المصادر الاخرى « بالطبري » فقط ، كما في الانساب ٥ : ٢١٣ . ويعلق السمعاني على ذلك بقوله : ويقال له الطبري ، لانه ابن اخت محمد بن جرير الطبري . وينظر ايضا : الباب في تهذيب الانساب ١ : ٣٩١ .

وورد لقبه كذلك « بالطبرخزمي » . ويقول ابن القيسراني في كتابه : الانساب المتفقة . ص ٩٧ : انه سمع الاديب ابا بكر النجاري الخالدي يقول : ان ابا بكر الخوارزمي ، يعرف عندهم « بالطبرخزمي » يعني طبري خوارزمي .

(٣) هي اخت المؤرخ محمد بن جرير الطبري .

(٤) ينظر سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ١٨٢ .

وهو بأرجان ، فلما وصل الى بابه ، قال لأحد حجابيه : قل للصاحب : على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب وأعلم الصاحب بذلك ، فقال له الصاحب : قل له : إني قد ألزمت نفسي ، ألا يدخل عليّ من الأدباء ، الاّ من يحفظ عشرين ألف بيت ، من شعر العرب . وأعلم الحاجب أبا بكر بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع اليه وقل له : أهذا القدر من شعر الرجال ، أم من شعر النساء ؟ ولما سمع الصاحب هذا الجواب قال : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي . فأذن له بالدخول ، فدخل اليه فعرّفه وانبسط له^(٥) .

وان دلّ هذا على شيء - مع ما قد يكون فيه من مبالغة - فانه يدل على شهرة أبي بكر في الحفظ ، وكثرة ما يحفظ من شعر السابقين .

كان أبو بكر قد فارق وطنه ، ابتغاء للعلم والتماسا للرزق ، وتقلب في خدمة كثير من الملوك والأمراء ، وطوّف في الآفاق ، وارتحل الى العراق ، ثم الى سيف الدولة الحمداني في حلب . وأول ما يذكر من أخباره ذهابه الى الشام ، وصلته بسيف الدولة الحمداني ، وطيب المقام له في بلاطه ، حيث بدأ عهده بالتآلق في تلك البلاد . وبعد أن آنس من نفسه القوة الثقافية والأدبية ، توجه الى بخارى ، واتصل بالوزير البلعي ، فلم يحد صحبته ، وساءت العلاقة بينهما ، ففارقه وهجاه بقوله^(٦) :

إِنْ ذَا الْبُلْعِيِّ وَالْعَيْنِ غَيْنٌ

وهو عارٌ على الزمان وشَيْنٌ^(٧)

إِنْ يَكُنْ جَاهِلًا بِخَفِيِّ حَتِينٍ

فهو الخفّ والزمان حَتِينٌ

وتوجه الخوارزمي الى نيسابور ، حيث اتصل هناك بجماعة من الكبراء ،

(٥) ينظر : وفیات الاعيان ٤ : ٣٣ .

(٦) يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٤-٢٠٥ (طبعة السعادة) .

(٧) والعَيْنِ غَيْنٌ : اي ذا البلغمي . والبلغم : خلط من أخلاط البدن ، هو أحد الطبائع الأربع . ويكنى به عن الثقيل المهدار .

عرفوا فضله ، وأحسنوا معاشرته ، وارتفق هناك بأبي الحسن القزويني ، وأبي منصور البغوي ، وأبي الحسن الحكمي ، كما نادى كثير بن أحمد^(٨) .
وفي نيسابور اتصل بالأمير أبي نصر الميكالي ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها^(٩) :

نَجْرُهُ ذِيُولُ الْفَخْرِ حَتَّى كَأَنَّنَا
لِعَزِّينَا فِي آلِ مِيكَالٍ نَتَّمِي
هُمْ شَحْمَةُ الدُّنْيَا فَإِنْ نَتَّعِدْهُمْ
إِلَى غَيْرِهِمْ نَحْصُلْ عَلَى الْفَرْثِ وَالدِّمِ^(١٠)
سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الرَّوْضَ جَوْدًا كَجَوْدِهِمْ
وَصَيَّرَ أَجْالَ الْعِدَاةِ إِلَيْهِمْ
وَأَبْقَى أَبَا نَضْرٍ لِيَرْبِي عَلَيْهِمْ
سَنِينَ كَمَا أَرْبَى بَنِينَ عَلَيْهِمْ^(١١)
وَعَاشَ إِلَى أَنْ يَتْرَكَ النَّاسُ مَدْحَهُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو أَيَّابَ الْمُثْلِمِ^(١٢)
هُوَ الْحَرُّ لَا يَجْبُو بِثُوبٍ مَطْرَرٍ
غَسِيلٍ وَلَا يَدْعُو بِكَيْسٍ مُخْتَمِمْ
وَلَا يَعْدِمُ الرَّأْوُونَ مِنْهُ ثَلَاثَةَ
عَطَاءٍ وَعِذْرًا وَابْسَاطًا لَدَيْهِمْ

(٨) ذكره أبو بكر الخوارزمي ، في ديوان رسائله ، ناعنا له بالشيخ في قوله :
« نحن أولياء الشيخ ، ومتحملي أعباء نعمته » . ينظر : ص ٧٨ . « من
كتاب بعثه إليه يعزبه عن ابنة له » .

(٩) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٠ .

(١٠) الفرث : السرجين ما دام في الكرش ، والجمع فروث . والسرجين
والسرجون : الزبل ، وهو السرقين « معرب سركين » .

(١١) يربي : يزيد .

(١٢) والمثلّم : ثلم ثلما ، وثلم السيف ونحوه ، والآناء وغيره : كسر حرفه .
ويبدو أن هذا يضرب مثلا للذي ينكبه الدهر ، فينزله من مكانه العالية .

ويعذب إنَّ ينصف كما عذبتْ « نَعَمْ »
 ويثقل ان يظلم كما ثقلتْ « لَمْ »
 صفوح عن الجهال ينشد فعله
 « ويشتم بالأفعال لا بالتكلم » (١٣)

ويظهر من قصيدة المديح هذه ، أن الشاعر يكن مشاعر الحب لهذا الأمير ، ويدو أنه كان يرجو بمدحه أن ينال عطاياه السخية ، التي تختلف عن عطايا غيره ، وقد أشار الى هذا بقوله :

هُمْ شَحْمَةُ الدُّنْيَا فَإِنْ نَتَعَدَّهُمْ
 الى غيرهم نَحْصِلْ عَلَى الْفَرْثِ وَالدِّمِ

وكان أبو بكر من شيوخ الشيعة، وهو يسميهم « رافضة » في قوله (١٤):
 بآملَ مولدي وبني جرير فأخوالي ويحكي المرءُ خاله (١٥)
 فهذا أنا رافضي عن ثراثٍ وغيري رافضي عن كلاله

وهذا البيت هو الذي حمل كثيراً من المؤلفين الى القول : إنَّ أبا بكر قد ولد في طبرستان . وأما عن كونه رافضياً ، فإن ياقوت الحموي ، قد كذّبه في هذا الادعاء ، وقال : إنَّه لم يكن رافضياً ، وإنَّما حسده الحنابلة ، فرموه بذلك .

(١٣) الصراع تضمين وهو جاهلي .

(١٤) تنظر الابيات في : الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٥ ، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام . ٨٨ .

(١٥) آمل : مدينة في بلاد خراسان ، على ضفة جيحون اليسرى ، تدعى ايضاً : آمل الشط ، وآمل جيحون ، وآمل المغازة ، وآمل زم . تمييزاً لها عن مدينة آمل التي تقع في شمالي ايران ، في منطقة طبرستان القديمة ، جنوبي بحر قزوين . واسمها الايراني الصحيح : « آمو » او « آموي » او « آموية » .

ينظر عنها : معجم البلدان ١ : ٢٥٥ (طبعة بيروت) ، دائرة المعارف - البستاني - ١ : ٣٥٧ . بيروت - لبنان ١٩٥٦ م .

أما الدكتور حسن ابراهيم حسن فيقول : إنَّ أبا بكر الخوارزمي ، كان من الشيعة الغلاة (١٦) .

ويدلنا على تشييعه ، ما كتبه الى جماعة الشيعة بنيسابور ، لما قصدهم واليها محمد بن ابراهيم ، في رسالة طويلة ، بيّن فيها أنَّ فاطمة الزهراء ، قد غصبت ميراث أبيها ، صلى الله عليه وسلم ، يوم السقيفة . وأنه ليس في بيضة الاسلام ، بلدة ليس فيها لقتيل طالبي تربة ، تشارك فيهم الأموي والعباسي ، وأطبق عليهم العدناني والقحطاني . وأخيرا يختم كتابه : متمثلا بهـذـين البيتين (١٧) :

وليسَ حيٌّ من الأحياء تعرفه
من ذي يَمَانٍ ولا بكرٍ ولا مضرٍ
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسارٌ على جزر (١٨)

وذكر الثعالبي أنَّ أبا بكر الخوارزمي ، كان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً ، ويتعصب على آل سامان في خراسان ، ويغض من شأنهم ، ويطلق لسانه فيهم فيهجوهم ، الى أنَّ كانت أيام تاش الحاجب ، ورجع من خراسان الى نيسابور منهزماً ، فشمّت به أبو بكر ، وجعل يقول : قبحاً له ، وللوزير العتبي (١٩) .

وعمل الوشاة عملهم ، في زيادة العداوة بينه وبين العتبي ، وأخذوا يدسون عليه الأكاذيب ، حتى أنهم أبلغوا العتبي ، أبحاثاً في هجائه ، نسبوها الى أبي بكر الخوارزمي ، ولم يكن قالها على حد قول الثعالبي ، ولكن الوشاية فعلت فعلها في ايقاد نيران الحقد عند العتبي ، فكتب الى تاش ، يأمره في أخذه ، ومصادرة أمواله وقطع لسانه . كما كتب الى أبي المظفر الرعيني في ذلك .

(١٦) ينظر كتابه : تاريخ الاسلام السياسي ٣ : ٣٧٧ . مط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة . ط ٧ ١٩٦٥ م .

(١٧) ينظر : ديوان رسائله . ص ١٦٢ ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون . ص ٢١٢ . والبيتان للشاعر دعلج الخزاعي .

(١٨) ايسار : جمع ياسر . والياسر : اللاعب بالقداح ، وكل شيء فيه قمار فهو الميسر . ويقال للضارين بالقداح والمتقامين على الجزور : ياسرون ، لانهم جازرون ، اذ كانوا سبباً لذلك . والجزور : الناقة المجزورة . ويقع ذلك على المذكر والمؤنث .

(١٩) ينظر : نتيمة الدهر ٤ : ٢٠٨ .

أما البيت الذي نسب إليه فهو (٢٠) :

قل للوزير أزال الله دَوْلَتَهُ جَزِيَتْ صَرَفَ أَعْلَى قَوْلِ ابْنِ مَنْصُورٍ
ونحن نستبعد أن يصادر العتبي أموال الشاعر ويسجنه ، ويأمر بقطع
لسانه من أجل هذا البيت ، أو من أجل كلمة شتم قالها في حقه ، وربما كان
وراء هذا أمور أخرى ، كأن تكون سياسية ، أو مذهبية عقائدية • وليس
يبعد أن يكون السبب الرئيس في ذلك ، تعصبه لآل بويه ، وذمه لآل سامان ،
وللحاجب تاش ، الذي أوغر بدوره عليه ، صدر الوزير العتبي • أوليس هو
القائل في هجائه ، وفي هجاء الدولة السامانية (٢١) :

فإن رَدَّني دَهْرِي عَلَيْكَ طَرِيْدَةً
فَلَا غَرَوَ أَنْ يَسْتَرْجِعَ الْقَوْسَ حَاجِبٌ
هو الوكرُ طَرْنَا عَنْهُ وَالرِّيشُ وَافِدٌ
وَعَدْنَا إِلَيْهِ الْآنَ وَالرِّيشُ ذَاهِبٌ
جَزَى اللَّهُ عَنِي أَهْلَ سَامَانَ مَا أَتَوْا
وَفِي اللَّهِ لِلشَّارِ الْمُضِيعِ طَالِبٌ
هَمْ زَوْجُونِي الْهَمْ بَعْدَ طَلَاقِهِ
وَذَلِكَ عَرَسٌ لِلْمَسَاكِينِ جَالِبٌ
هَمْ أَعْطَسُوا زَرْعِي فَشِيتُ سَحَابًا
غَرَائِبَ لِمَا أَخْلَقْتَنِي الْقَرَائِبُ
فَأَنْحُوا لَزَرْعِي بِالْحَصَادِ وَأَنْضُوا
مِيَاهَهَا أَيْدِي سَوَاهِمِ مَذَانِبِ (٢٢)

(٢٠) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٨ . ولا ندري من هو ابن منصور الذي ذكره .

(٢١) المصدر السابق : ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢٢) مذانب : جمع مذنب : مسيل ما بين التلعتين ، أو مسيل الماء الى الارض ،
ومن الوادي أسلفه . وقيل : المذنب : الجدول يسيل عن الروضة بمائها
الى غيرها .

أَتَحْصَدُ أَيَّدِيكُمْ وَيَزْرَعُ غَيْرَكُمْ

فَأَتَمَّ جَرَادٌ وَالْمَلُوكُ سَحَابٌ^(٢٣)

وأيا كان السبب ، فقد ذاق أبو بكر مرارة السجن ، كما ذاق ألم الفراق ، مما اضطره الى أن يبعث بقصيدة ، إلى الأمير أبي نصر الميكالي ، يشكو فيها حاله ، ويبين له ندمه ، لتركه حضرته في نيسابور ، وذهابه الى سجستان^(٢٤) :

كِتَابِي أَبَا نَصْرٍ إِلَيْكَ - وَحَالَتِي

كحَالِ فَرِيسٍ فِي مَخَالِبِ ضَيْغَمٍ

أَرْقٌ مِنَ الشُّكُوى وَأَدْجَى مِنَ النُّوى

وَأَضْعَفُ مِنْ قَلْبِ الْحَبِيبِ الْمُتَيْئِمِّ

غَدَوْتُ أَخَا جَوْعٍ وَلَسْتُ بِصَائِمٍ

وَرَحْتُ أَخَا عُرْيٍ وَلَسْتُ بِمُخْرَمٍ

وَقَعْتُ بِفَخِّ الْخَوْفِ فِي يَدِ طَاهِرٍ

وَقَوَّعَ سَلْيُكَ فِي جِبَائِلِ خُثْعَمٍ^(٢٥)

فالشاعر في هذه الأبيات ، يشكو للأمير جوعه وعريه ، في غياب السجن ، ثم يبين له ندمه ، لأنه تركه وذبح عند غيره فيقول^(٢٦) :

وَمَا كُنْتُ فِي تَرْكِكَ إِلَّا كَتَارِكٍ

يَقِينُ رَاضٍ بَعْدَهُ بِالتَّوْهِمِ

وَقَاطَنِ أَرْضِ الشَّرْكِ يَطْلُبُ تَوْبَةً

وَيُخْرِجُ مِنْ أَرْضِ الْحَظِيمِ وَزَمْزَمَ

(٢٣) هذا البيت مأخوذ من قول ابن عَيَّيْنَةَ :

أَبُوكَ لَنَا غَيْثُ نَعِيشٍ بِظِلِّهِ وَأَنْتَ جَرَادٌ لَسْتَ تَبْقَى وَلَا تَذُرُ

(٢٤) يَتِيمَةُ الدَّهْرِ ٤ : ٢٠٥ .

(٢٥) يَعْنِي سَلْيُكَ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيِّ ، حِينَ اسْرَهَ أَنْسَ بْنَ مَالِكِ الْخُثْعَمِيِّ .

(٢٦) يَنْظُرُ الْمَصْدَرُ السَّابِقَ ٤ : ٢٠٥ .

وذي علة يأتي عيلاً ليشتهي

بها وهو جار للمسيح بن مريم

وراوي كلام مقتفٍ إثرَ باقِلٍ

ويترك قسًا خائبًا وابنَ أهَمِّ (٢٧)

وبعد أن يلوم نفسه ، ويظهر ندمه ، في أسلوب رائع شائق ، مليء بالحسرة والألم . يفيض بالمدح لهذا الأمير ، ذلك المدح الذي يتراءى لنا ، من خلال سطور القصيدة ، حتى يصبح واضحاً جلياً في قوله :

جَنَابٌ تجنّبناه ليس بمجدّب

وبحرٌ تخطيناه ليس بمرزَمٍ (٢٨)

وماء زلالٍ قد تركنا ورودَه

زلالاً وبِعَنَاهُ بشربةٍ علقمٍ

وفي هذين البيتين ، نرى الخوارزمي ، يؤكد ندمه ويلوم نفسه ، لتركة المدوح ، وذهابه الى غيره ، على الرغم من كرمه معه . وكأنه بعمله هذا قد أبدل الماء الزلال ، بشربة من العلقم .

ثم نراه يصيح باكياً ، مبيّناً للأمير أنه أصبح بحالة يائسة ، بعد أن فقد صبره ، الذي كان خير معين له في محنته (٢٩) :

(٢٧) ابن الاهتم : هو عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري ، ابو ربيعي ، احد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والاسلام ، من اهل نجد . كان يدعى « المكحل » لجماله في شبابه . ووفد على النبي (ص) فأسلم ، ولقي اكراما وحفاوة . ولما تكلم بين يديه اعجبه كلامه فقال : « ان من البيان لسحرا » . توفي سنة ٥٧هـ - ٦٧٧م . تنظر ترجمته في الاعلام ٥ : ٢٤٧ .

(٢٨) الرزم : غيث لا ينقطع رعده . وعلى هذا نفسر ان رزم الماء هو انقطاعه ، وبحر غير مرزم ، اي غير مقطوع الماء . والشاعر يريد ان يقول : ان المدوح لم يقطع عنه العطاء .

(٢٩) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ . والقصيدة طويلة ، اقتصرنا منها على ما رأيناه كافياً ، لتوضيح الصورة المطلوبة .

لَيْسَتْ ثِيَابُ الصَّبْرِ حَتَّى تَمَزَقَتْ
جَوَانِبُهَا بَيْنَ الْجَوَى وَالتَّنَادِمِ
أَظْلَى إِذَا عَابَتْ نَفْسِي مَنْشِداً

« فَمَلَأَ تَلَا حَامِيماً قَبْلَ التَّقْدِمِ » (٣٠)

والظاهر أن الشاعر بقي في سجنه ، ولم يشفع له الأمير ، إلا أنه استطاع أن يغافل حراسه ، ويشغلهم بالطعام والشراب ، ثم يخرج متنكراً ، ويذهب الى الصاحب بن عباد في جرجان . وهناك زالت نكبتة ، وانجلت عنه غمته ، وحسنت حاله ، فعاد الى سيرته الأولى ، يمدح ويحصل على الهدايا والعطايا ، التي كان ابن عباد يقدحها عليه (٣١) :

قال أبو بكر في هذا المقام ، مادحاً الصاحب بن عباد ، بالكرم والسخاء والشجاعة (٣٢) :

وَمَا خَلَقْتَ كَمَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعِ عَوَائِدَ لَمْ يَخْلُقْ لَهَا يَدَانِ
لَشَرِكٍ أَفْوَاهٍ وَتَنْوِيلٍ نَائِلٍ وَتَغْلِيْبٍ هِنْدِيٍّ وَأَخْذٍ عِزَانِ

ويقال إنّه لما وصل الى هذا البيت ، قال له الصاحب : إنك قد نسيت أن تذكر القلم ، وهو آلة الكاتب ، الذي يتقدم به ويترأس . وعند ذلك مدحه أبو بكر بقصيدة منها (٣٣) :

يَدُ تَرَاهَا أَبْـبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خَلَقْتَ بِنَائِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ وَقَلَمٍ

ويقال إن الصاحب عند ذلك ، خلع عليه كل ملبوسه ، كما خلع عليه جميع الحضور ملبوسهم ، موافقة للصاحب ، فحصل على مائة جبة ، فلم ير ضه

(٣٠) المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل ، وصدره : « يذكرني حاميـم والرمح شاجر » .

(٣١) ينظر المصدر السابق ٤ : ٢٠٨ .

(٣٢) ينظر غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة . ص ٢١٦ .

(٣٣) المصدر السابق . ص ٣٦ .

ذلك ، وانصرف . وساءت العلاقة بينه وبين الصاحب بن عباد ، على حد قول أبي اسحاق الكتبي ، المعروف بالطوطا ، فهجاه بقوله (٣٤) :

لا تحمدن ابن عباد ولو مطرت كفاء بالجد حتى جازت الديما
لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
ويقول الصفدي : إن أبا بكر كتب هذين البيتين ، وجعلهما في مكان
يجلس فيه الصاحب بن عباد ، حتى يراهما (٣٥) .

وأبو بكر الخوارزمي ، ليس سباقا في هذا ، وانما أخذه من أبي
القاسم الأعشى ، معاوية بن أبي سفيان ، يهجو الحسن بن سهل ، مؤدب أولاده :
لا تحمدن حسنا في الجود إن مطرت كفاء غزراً ولا تذممه إن زرما (٣٦)
فليس يمنع ابقاء على تشب ولا وجود لفضل الحمد مغتتما (٣٧)
لكنها خطرات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
ويقال إن الصاحب بن عباد ، أنكر هذا الفعل من أبي بكر ، حينما سمع
بهذه الأبيات ، وهو الذي أكرمه وحماه ، ورعاه في محنته . وبلغ من تأثره أنه
حينما سمع بموت أبي بكر الخوارزمي قال (٣٨) :

(٣٤) المصدر السابق . ص ٣٦ . وورد البيت في المصدر نفسه . ص ١٧٣
برواية أخرى « لا تمدحن » بدلا من « لا تحمدن » . وهذه الرواية تؤيد
ما جاء في معجم الادباء ٢ : ٣١٣ . وفي معجم الادباء ايضا : « هطلت »
بدلا من « مطرت » .

(٣٥) ينظر : كتابه : الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٢ .

(٣٦) زرما : زرمه زرما : قطعه . والزرم : القليل المنقطع .
والزرم : البخيل المضيق عليه . ويقال هو زرم الدمع : أي منقطعه .
(٣٧) التشب والنشبة والمنشبة : المال الاصيل من ناطق او صامت : أي المال
والعقار . واكثر استعماله في الاشياء الثابتة ، كالدار والضياء .

(٣٨) ينظر : غرر الخصائص الواضحة . ص ٣٦ ، ١٧٣ .
ووردت في معجم الادباء ٢ : ٣١٤ هكذا :

اقول لركب من خراسان رائح مائات خوارزميكم قيل لي نعم
وتنظر الابيات ايضا في : الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٢ .

سألتُ يريداً من خراسانَ مقبلاً أُمات خوارزميَّكم قال لي نعم
فقلت: اكتبوا بالجصِّ من فوق قبره ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وفي الوقت الذي ساءت فيه العلاقة ، بين أبي بكر ، وبين صاحب بن
عباد ، قتل الوزير العتيبي ، وقام مقامه أبو الحسين المزني ، الذي كان يقدر أبا
بكر ، ويحبه حباً جماً ، ولذلك استدعاه ، وأكرم مودده ، وكتب الى نيسابور ،
في ردِّ ما أخذ منه ، فزادت حاله ، وثبت قدمه ، ونظر اليه ولاية نيسابور بعين
الحشمة والاحترام ، والاكرام والاعظام ، وبذلك ارتفع وعظم شأنه ، وطاب
عيشه .

ومن قصائده التي قالها ، في أبي الحسين المزني قوله (٣٩) :

كَلِمٌ هِيَ الْأَمْثَالُ إِلَّا أَتَهَا فِي النَّاسِ قَدْ أَضَحَتْ بِلَا أَمْثَالٍ
فَإِذَا لَقِينَا فَاثْنَيْنِ غَوَالِي وَإِذَا شُمِمْنَا فَاثْنَيْنِ غَوَالِي
ونَهَضَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ ، موطن أخواله ، ومدح صاحبها ، ولكنه لم يلق
منه تجاوباً ، وكانت حاله معه ، كحال مع طاهر بن شار ، الذي قال فيه (٤٠) :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي شَارٍ كَلَامِي وَمَنْ لَمْ يَلْتَقَهُمْ فَهُوَ السَّعِيدُ
عَلَامَ ابْتَعَثُ فِرْسًا عَتِيقًا وَلَيْسَ لَدَيْكُمْ عِلْفٌ عَتِيدُ (٤١) ؟
وَفِيمَ حَبَسْتُمْ فِي الْبَيْتِ بَازَاً يَحْيِصُ الطَّيْرُ عَنْهُ أَوْ يَحِيدُ ؟
فَلَا قَرَّبْتُمُوهُ فَعَلَّمْتُمُوهُ وَلَا خَلَيْتُمْ عَنْهُ يَصِيدُ

فالشاعر هنا يهجوهم ، معيّراً إياهم بالفقر ، ومنددًا بمعاملتهم السيئة
وحبسهم له ، مشبهاً نفسه بالباز السجين .

ومن قصيدة أخرى ، قال فيها (٤١) :

لِلَّهِ فِي كُلِّ مَا قَضَاهُ لَطَائِفٌ تَحْتَهَا بِدَائِعٌ

(٣٩) ينظر بتيمة الدهر ٤ : ٢٢٥ .

(٤٠) ينظر المرجع السابق ٤ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٤١) عتيد : أي حاضر مهياً . وعَتِيدٌ واعتد الشيء : أعده وهياه .

(٤٢) ينظر المرجع السابق ٤ : ٢٠٧ (طبعة السعادة) .

سبحان مَنْ يطعم ابن شامٍ ويترك الكلب وهو جائعٌ

ونراه في هذين البيتين ، يعمد الى السباب ، ويحاول أن يربط ، بطريقة فريدة في الهجاء ، بين بني شام ، وبين الكلاب ، لظهارهم في صورة ، توحى لنا بأنهم أناس لا فائدة فيهم ، مثلهم في ذلك مثل الكلاب الضالة ، ومع ذلك فإن الله أغناهم وأفقرها .

وأخيراً استقر رأي الخوارزمي ، على البقاء في نيسابور ، التي يظهر أنها كانت أحب البلدان الى نفسه ، واقتنى بها الضياع ، واتخذ له داراً ، وظفر بكثير من الاستقرار ، وظفر بعظيم من التقدير ، مما جعله يستوطن هذه المدينة ، ولا يفارقها في تلك الحقبة الأخيرة من حياته ، حتى جاء بديع الزمان الهمداني ، وحصل بينهما ما حصل ، من المناظرة والمساجلة ، وحتى مات أبو بكر ، سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م (٤٣) .

وعلى الرغم مما كان بينهما من البغضاء ، فإن بديع الزمان الهمداني ، تأثر تأثراً بليغاً حين سمع بوفاة الخوارزمي . ورثاه بهذه الأبيات (٤٤) :

حَنَانِيكَ مِنْ نَفْسٍ خَافَتْ وَلَبَّيْكَ عَنْ كَمَدٍ ثَابَتْ
أَبَا بَكْرٍ اسْمِعْ وَقُلْ كَيْفَ ذَا وَلَسْتُ بِمَسْمَعِ الصَّامِتِ
حَلَفْتُ لَقَدْ مِتُّ مِنْ مَعْشَرٍ غَنِينٍ عَنْ خَطَرِ الْمَائِتِ
يَقُولُونَ : أَنْتَ بِهِ شَامِتٌ فَقُلْتُ : الثَّرَى بِفَمِ الشَّامِتِ
وَعَزَّتْ عَلَيَّ مَعَادَاتُهُ وَلَا مُتَدَارِكٌ لِلْفَائِتِ

وقال فيه أبو الحسن ، عمر بن أبي عمر الرقاني ، الذي كان أبو بكر ، قد أساء اليه ، ولكنه قابل الاساءة بالاحسان ، على حد قول الثعالبي (٤٥) :

(٤٣) ينظر : الكامل في التاريخ ٩ : ١٠١ . والفريب فيه انه اورد وفاته ، مرة في وفيات سنة ٣٨٣هـ ، ومرة في وفيات سنة ٣٩٣هـ . وفي هديّة العارفين ٢ : ٥٧ جاء ان وفاته سنة ٣٩٣هـ ايضاً . ولكن أكثر المصادر اجمعت على ان وفاته كانت سنة ٣٨٣هـ . ينظر ايضاً : سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ١٨٢ ، اللباب في تهذيب الانساب ١ : ٣٩١ .

(٤٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٩ .

(٤٥) يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٩ .

مات أبو بكرم وكان أمراً أدهم في آدابه القُـرُ
ولم يكن حُرّاً ، ولكنه كان أميرَ المنطق الحُرِّ

فالرقتاني هنا لم يرضه خلق أبي بكر ، ولكنه لم يبح لنفسه ، أن يجرده
من منزلته الرفيعة في الأدب ، بل اعترف له بذلك اعتراف ناقد منصف ، تغلب
انصافه على حقه وضغيفته .

وفي مثل هذا رأينا أبا سعيد أحمد بن شبيب الشيبيني ، المعروف بصاحب
الجيشين ، يهجوه ويتهمه بقلة الوفاء ، أو بسرعة المتقلب ، ولكنه لا يستطيع الا
أن يعترف بمنزلته الأدبية ، ويفضله في هذا الميدان ، وذلك في قوله (٥٦) :

أبو بكر له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاءِ
مودته إذا دامت لخلٍ فمن وقتِ الصباح الى المساءِ

وليس معنى هذا أن أبا بكر ، لم يرث بعاطفة صادقة ، فقد رثاه تلميذه
الطبيسي (٤٧) ، بقصيدة جياشة بالعاطفة قال فيها (٤٨) :

شَيْبَ فرطُ الأسى قذالي وكدرُ الدهرُ صفوٌ حالي
وارتجعَ الدهرُ ما حبّاه وحيّـعَلَ المجدُ بالزوالِ
وعادتِ النيراتُ بهمماً وناحتِ العُصمُ في الجبالِ (٤٩)

(٤٦) ينظر : المرجع السابق ٤ : ٢٤٢ . والبيتين ذكرهما الثعالبي ، عن لسان
محمد بن حامد ، عن أبي سعيد الشيبيني .

وفي الواقي بالوفيات ٣ : ١٩٣ ، انهما لأبي سعيد أحمد بن شبيب
الخوارزمي . والصحيح شبيب وليس شبيب ، وعنه أخذ بعض المحدثين
مادتهم امثال : لويس شيخو في كتابه : مجاني الادب في حداثق العرب
٦ : ٣١١ .

(٤٧) هو ابو سعيد ، الحسن بن احمد الطبيسي النيسابوري . والطبيسي :
نسبة الى « طيس » وهي مدينة بين نيسابور واصبهان . ينظر معجم
البلدان ٤ : ٢٠ (بيروت) .

(٤٨) دمية القصر (مخطوط) القسم السادس ، رقم الترجمة ٥٢٢ .

(٤٩) بهما : مظلمة .

والعصم : جمع عصم : وهو من الظباء والوعول : ما في ذراعيه او احدهما
بياض .

فقلتُ : يا صاحبي ماذا أقام ربي النشورَ أم قدَّ أم الهمامُ الإمامُ أو دى لهقي على الشعرِ والمعاني ربُّ الفيافي أبي القوافي حاربته الدهر وهو حربُ يا أهل خارزمَ مَنْ يَعَزِّي أم القوافي أم المذاكي مضى الذي لو رآه قسٌ وفلَّ منه الردى حُساماً وأنضبَ الدهرُ منه بجرأ يا مَنْ غدا يدعي المعالي صلّى على روحِهِ إلهي وما سَرى في الظلام سارِ

أَتَتْ بِهِ كَرَّةٌ اللَّيَالِي دَعَا إِلَى الْعَرَضِ وَالسُّؤَالِ بِهِ حِمَامٌ ، فَيَنَالِي لَهْفِي عَلَى نَاقِدِ الرَّجَالِ عَمَّ الْمَعَانِي أَخِي الْعَوَالِي لَمَّا رَأَاهُ بِلَا مِثَالِ أَتَمَّ أُمَ الْمَجْدِ وَالْمَعَالِي أَوْ التَّعَالِيْقُ وَالْأُمَالِي (٥) يَوْمًا لِأُضْحَى بِلا مَقَالِ مَا فَكَّه كَثْرَةُ النَّزَالِ يَمُوجُ بِالْإِدْرَارِ وَاللَّيَالِي قَدْ رَفَعَ الْفَخْخَ لَا تَبَالِي مَا دَامَ يَتْلُو الْبَيَانَ تَالِ وَشَدَّ بِالْكُتُورِ وَالرَّحَالِ

وعلى الرغم من مبالغة الشاعر ، في هذا الرثاء وفي الأوصاف التي نعت بها المرثي ، إلا أن رثاءه جاء عن عاطفة صادقة .

ويتبين مما بين أيدينا من أخبار أبي بكر الخوارزمي ، أنه كان كثير الجد ، كثير التنقيب في جميع الفنون ، دائم السفر غير مستقر على رأي أو أمر ، متقلب الأهواء .

(٥) المذاكي : جمع المذكي : المسن من ذوات الحافر ، أو من كل شيء . والمذكي من الخيل : ما أتى على قروحه سنة أو سنتان . ويجمع أيضا على مذكيات التعاليق : العلق : النفيس من كل شيء . وعلقت الأبل : أكلت من علة الشجر ورعتها فسمنت من أعددها . والتعليق في الركوب : ركوب أعجاز الخيل .

وربما كان جده في الحياة واحساسه المرهف ، الذي يمكننا ملاحظته من خلال نبرات الأسى التي تكمن في ثنايا قصائده ، بالاضافة الى احساسه العميق بأسرته ، وشعوره بالمسؤولية نحوهم • كل ذلك أضفى على شخصيته نوعاً من التناقض - ان صح هذا التعبير - تناقضاً في عواطفه من حب الى كره ، ومن مدح الى هجاء • يضاف الى ذلك طبيعة الشاعر ، ونفسه الطامحة الى المنصب العالي ، التي تكاد تكون صدى لنفسية المتنبي •

وهذه الملامح النفسية والأخلاقية ، تدرك جميعها في شعره ، وتطالع بوضوح ممن يعيش ، ولو مع بضع قصائد من قصائده • وربما تكون أحوال عصره ، بما فيه من ضغائن واحقاد ومنافسات ، سبباً في تناقض أخلاقه وعواطفه •



شعره :

يمدّ أبو بكر الخوارزمي ، من أغزر الشعراء الذين نشأوا في إقليم خوارزم ، شعراً وثراً . خلف ديوان شعر ، كما ذكر مترجموه ، ولكنه ضاع ، ولم يبق لنا من شعره ، الا تتف مبشرة بين طيات الكتب . كما خلف ديوان رسائل ، من أنفس الرسائل باللغة العربية ، سنوفها حقها حين تتكلم عنه كاتباً .

أما ديوانه الشعري^(١) ، فلا ندري كيف كان ترتيبه ، أو ماهي موضوعاته . والظاهر أن موضوع المدح ، هو الموضوع الغالب عليه - كما رأينا - ولا عجب في هذا ، فقد اتصل أبو بكر ، بكثير من الرؤساء ، وان كنا لا نعرف تفاصيل ما وقع بينه وبينهم ، وان كانت طبيعة ذلك العصر ، تشير الى أن استقامة الخلق ، كانت نادرة ، وأن الضغائن والأحقاد ، كانت من الظواهر الشائعة^(٢) .

وبما أن الهجاء ، يستخدمه الشعراء استخدام المديح للعطاء ، فقد طرّق شاعرنا هذا الباب ، وكان له منه النصيب الأوفى . هجّا الخوارزمي حتى مددوحيه ، عندما كانوا ينقلبون عليه ، أو يتغيرون في معاملتهم له ، كما فعل مع الوزير البلعمي ، والصاحب بن عباد ، وأبي نصر الميكالي .

ومن الجدير بالذكر ، أن الخوارزمي عاش في عصر ، كان البويهيون يسيطرون فيه على الدولة العباسية ، ويتحكمون في الخلفاء أنفسهم ، مما دفع الخلفاء الى ارضائهم ، بشتى الوسائل والأساليب ومنها : الإسراف في منحهم الألقاب^(٣) .

(١) ذكره اسماعيل باشا البغدادي في كتابه : هدية العارفين ٢ : ٥٧ .

(٢) ينظر : النشر الفني في القرن الرابع الهجري ٢ : ٢٦٣ .

(٣) مثل : تاج الملة ، غياث الدين ، الملك العزيز ، الحضرة العالية الوزارية ، رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوري .

ينظر في هذا : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري - آدم متز

ولعل أبا بكر رأى في ذلك ، فرصة لكي يهجو الخلفاء العباسيين ، أشباعاً
لرغبة في نفسه المحبة للهجاء . يقول فيهم^(٤) :

ما لي رأيتُ بني العباس قد فتحوا من الكنى ومن الأسماءِ أبواباً
ولقبوا رجلاً لو عاش أولهم ما كان يجعله للحشَّ بواباً^(٥)
قلِّ الدراهم في كَفِّي خليفتنا هذا فأثقَ في الأقوامِ ألقاباً

ويعلق النسوي على هذه الأبيات بقوله^(٦) : من المحتمل أن يكون
الخوارزمي قد قصد بها ، أن يصور هذا المظهر ، في حياة العباسيين في ذلك
الوقت .

على أن موضوع المدح ، كان هو الغالب على شعر هذا الشاعر ، كما
رأينا ، لأنه عاش تحت الحاح ظروف معينة ، فقد بدأ حياته وختمها ، شاعراً
متجولاً ، متصلاً بالكبراء والعظماء ، يعمل أحياناً في خدمة الحكام والرؤساء ،
ثم هناك عامل آخر أرَّق شاعرنا ، ودفعه الى مدح أصحاب النفوذ دفعاً ،
وهو الذي أرَّق الشاعر المتنبّي أيضاً ، ألا وهو الطموح للوصول الى المكانة
والمنزلة العالية ، والفقه حياة القصور ، والعيش الرغيد ، والحياة الناعمة . كل
ذلك مكن في نفسه تلك الرغبة الملحة ، ولنرّه يقول^(٧) :

متى أشقَّ رواقَ الملكِ تلحظني عينُ امرئٍ بغيوبِ المجدِ علامٍ
متى أرى قمرَ الديوانِ مطلعاً في سطو بهرام بل في مثلك بهرام^(٨)

“ADAM MEZ” ١ : ١٤٨ - ١٤٩ . نقله الى العربية عبد الهادي ابو
ريدة . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ط ٣ . سنة
١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة - الدوري
مطبعة السريان - بغداد . سنة ١٩٤٥م . ص ٥٨ - ٢٥٩ .

(٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٠ .

(٥) الحشش والحشش : النخل المجتمع : البستان . وجمعه حششان
وحششان . وجمع الجمع حشاشين .

(٦) سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ١٨٢ .

(٧) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٣ .

(٨) سطو : هكذا جاءت في الاصل . وفي لسان العرب . ٢م . ص ١٤٥ (طبعة
بيروت) ، ان السطو : القهر بالبطش . والسطوة : المرة الواحدة ، والجمع
السطوات .

متى أقبل فرشاً لا يقبله عافٍ فيفرق بين الترب والسام^(٩)
 ما لي أيتـ بشيرانـ وأصبح في داري فدت يقظتي نومي وأحلامي
 ما يطلب الحلم من قلبي يُقلِّبـه عندي من السقم ما يكفيه أسقامي
 أصبحتُ أشكر ليلاً أشتكى غده الليل عوني والأيام غرامي
 والأرض تعلم أنني سوف أمسحها حتى أرى من يرى بالليل أوهامي

وعلى ذكر المتنبي ، فإن الدكتور زكي مبارك ، يرى أن أبا بكر الخوارزمي ، كان مغرمًا بالنيل منه ، والغض من شعره ، ولكن هجومه عليه ، لم يكن صادراً عن نزعة فنية ، تحدوه الى كشف معايب المتنبي ، وانما اندفع في ذلك ، ترضية للصاحب بن عباد ، حينما كانت العلاقات بينهما طيبة ، وقد كان الصاحب بن عباد ، يحقد على المتنبي ، لترفع المتنبي عن مدحه ، واشادته بابن العميد^(١٠) .

وكان أبو بكر الخوارزمي ، ذا عيال ، ولعل ذلك أيضاً كان من أسباب ميله الى المدح ، حتى ينال ما يسد به حاجة عائلته . وقد صرح الشاعر نفسه ، بما يؤكد هذا ، وذلك في مثل قوله ، من قصيدة يمدح بها ، عضد الدولة^(١١) :

بحمدك ، لا بحمد الناس ، أضحى
 وكيلي ليس يكفيه وكيل
 وكانوا كلما كالوا وزئجوا
 فصرونا كلما وزنوا نكيل
 وزدت من العيال ، وذاك آتني
 كتبت على لقائك من أعول^(١٢)

(٩) عاف : أي محتاج .
 والسام : جمع سامة : وهي السبيكة من الذهب والفضة ، أو عروقها في الحجر . وقيل هي نقرة ينقع فيها الماء ، أو عرق في الجبل مخالف لجبلته .

(١٠) للتفصيل في هذا ينظر النثر الفني في القرن الرابع الهجري ٢ : ٢٦١ .

(١١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٣ .

(١٢) عال العيال : كفاهم معاشهم ومؤونتهم .

وعشنت^{١٣} وناقص رزقي ، فأضحى
 مفاعلتن^{١٤} مفاعلتن^{١٥} فَمَولُ
 وكنت^{١٦} أبيع^{١٧} من سِقْطِ القَوافي
 وأجبر ما تَضَمَّنْتَ الحُمول^{١٨} (١٣)
 وأكثمت^{١٩} من أبيع^{٢٠} دِقَّ بَسْزِي
 ففاض عليه نائلُك^{٢١} الجَزِيل^{٢٢} (١٤)

ومن البين أن أبا بكر ، وجد الخصب في حضرة عضد الدولة ، ووجد
 النصيب الوافر ، من العطاء الذي رفعه من العدم ، الى أن يكون له وكلاء ،
 يزنون رزقه ، وبهذا فقد أصبح يشرف على كيل أمواله ، بعدما كان يزن
 أموال غيره .

ولم يقف الخوارزمي ، عند هذا الحد من المدح ، وإنما حاول أن يعقد
 مقارنة ، بين حالته في السابق ، حيث كان يخاف من ولادة طفل ، لأنه ليس
 باستطاعته اطعامه وكسائه . أما بعد أن تعرف على المدوح ، فقد زاد عياله ،
 لذهاب خوفه ، لأن عضد الدولة ، كفاه معاشهم ومؤوتتهم .

وعبر عن زيادة رزقه ووفرته ، بيت من الشعر ، استعمل فيه العروض ،
 في قوله : « مفاعلتن مفاعلتن فعول » وهذا هو البحر الوافر ، وهو يريد أن
 يقول : إن رزقه بفضل عضد الدولة ، أصبح وافراً ، بعدما كان قليلاً .

ومن قصيدة أخرى ، في مدح عضد الدولة ، نرى الشاعر أيضاً يشير
 فيها الى فقره ، وكيف أنه تخلص منه ، بتعرفه على المدوح (١٥) :

غَرِيبٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَجَدَانٌ مِثْلُهُ
 وَأَغْرَبٌ مِنْهُ بَعْدَ رَأْيَتِهِ الْفَقْرُ

(١٣) السَّقْطُ : ما تطاير من شر الزند عند القدح . والسَقْطُ : رديء المتاع .
 والسَقْطُ من الأشياء : ما تسقطه فلا تعتمد به .

(١٤) الدق والدقيق والدقاق من كل شيء ، نقيض الجل : وهو كل شيء صغير .
 بزي : بزو الشيء : عدله . ويقال : أخذت منه بزو كذا : أي عدل ذلك .

(١٥) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٢ .

فلا حُرٌّ إلا وهو عبْدٌ لجوده
ولا عبْدٌ إلا وهو في عدله حُرٌّ
عجبتُ له لم يلبس الكبْرَ حلةً
وفينا لأنَّ جُزْنا على بابهِ كبْرُ
ومن تشبيهاته الجميلة ، قوله من قصيدة ، في مدح أحدهم (١٦) :

أراك إذا أيسرتَ خيمتَ عندنا مقيماً وإن أعسرتَ زُرْتَ لِمَا
فما أفتَ إلا البدرُ إن قلَّ ضَوْؤُه أعبَّ وإن زاد الضياءُ أقامَا
ويطلق عبدالقاهر الجرجاني على هذين البيتين بقوله (١٧) : إنهما لطيفا
المعنى ، وإن كانت العبارة ، لم تساعد الشاعر ، على الوجه ، الذي يجب ، لأن
الإغراب أن يتخلل وقتي الحضور . وإنما يريد أن القمر إذا نقص نوره ، لم
يوال الطلوع ، كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي ، ويمتنع في بعضها ، وليس
الأمْر كذلك ، لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة .

أما الصفدي فيقول (١٨) : إن مؤيد الدين الطغرائي ، أخذ هذا من أبي
بكر ، في قوله :

سأحجبُ عني أُسرتي عند عسرتي وأبرزُ فيهم أن أصبتُ ثراءَ
ولي أسوةً بالبدرِ يَنفَقُ ثورَه فيخفى إلى أن يستجدَّ ضياءَ
ويقول الحصري (١٩) : وهذا كقول ابراهيم بن العباس الصولي ، في
محمد بن عبدالملك الزيات :

أسدٌ ضارٍ إذا ما نَعَسَ وأبٌ برٌ إذا ما قَدرا

(١٦) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٩ وفيه : « رأيتك آن الشرب خيمت عندنا » ، التمثيل
والمحاضرة . ص ٢٣٢ . ، الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٣ .

(١٧) ينظر كتابه : أسرار البلاغة . ص ١٢٤ . مط . وزارة المعارف - استانبول
١٩٥٤ م .

(١٨) ينظر كتابه : الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٣ .

(١٩) ينظر كتابه : زهر الاداب ١ : ٣٩٩ .

يعرف الأبعد إن أثرى ولا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا
ويقول الأستاذ عزت العطار ، محقق كتاب « المكارم والمفاخر »^(٢٠) « لأبي
بكر الخوارزمي : إنّ هذين البيتين ، من جيد الشعر وأعذبه •

هذه بعض أحوال أبي بكر الخاصة ، التي ربما فسّرت لنا غلبة المدح ،
على ما وجدناه له من قصائد ، وأما أحوال عصره العامة ، فواضح أنها كانت
أحوالاً قاسية ، بما شاع فيها من ضغائن وأحقاد ومنافسات ، كتلك التي جرت
بين أبي بكر ، وبين بديع الزمان الهمذاني ، والتي فاز بها البديع ، وانخزل
الخوارزمي انخزالاً أدى الى تعجيل منيته •

وتلك الأحوال العامة القاسية ، ربما كانت من بين الأسباب التي دفعت
الخوارزمي ، الى مدح الملوك والأمراء •

(٢٠) ينظر مقدمة هذا الكتاب •

أغراضه :

نوهنا فيما سبق بأن أبا بكر الخوارزمي ، سار كما سار غيره من شعراء المشرق ، على الخط التقليدي في بناء القصيدة العربية ، وفي تعدد موضوعاتها ، كما أنه كغيره طرق الأغراض المعروفة لدى العرب ، من مدح وهجاء وفخر ، وغزل ونسيب ووصف ، الى غير ذلك ، ولاحظنا أن فن المدح عند الشاعر ، قد تميز على غيره من الفنون والأغراض الأخرى ، الا أننا يجب أن نشير ان المدح الذي ذكرنا أنه استأثر بالقسم الأكبر ، مما لدينا من شعره ، إنه لم يستأثر بتلك القصائد ، التي قيلت أساساً فيه ، فأكثر القصائد التي قيلت في المدح ، لا تخلو من الأغراض الأخرى ، كما هي حالة القصيدة العربية ، وهذه الأغراض كثيراً ما زارها تزامم غرض المديح ، أو تطفئ عليه ، ومثالنا على هذا قصيدة أبي بكر ، في رثاء مؤيد الدولة ، اذ حوت الى جانب الرثاء ، التعزية لفخر الدولة ، كما حوت الى جانبيهما التهنئة له بالمنصب . وقد أحسن أبو بكر وأجاد في هذا الموقف الصعب ، المتناقض الأغراض . ولذا عدّ أبو نصر العتبي ، هذه القصيدة من أحسن ما قاله أبو بكر الخوارزمي ، والقصيدة هي ^(١) :

رزئتُ أخا لو خيّر المجد في أخ
من الناس طراً ما عداه ولا استثنى ^(٢)
وقد جاءت الدنيا اليك كما ترى
طفيلة قد جاوبت قبل أن تُدعى
صبت بك عشقاً وهي معشوقة الوري
فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلي ^(٣)

-
- (١) ينظر تاريخ العتبي ، المعروف باليميني . هامش الجز العاشر من كتاب الكامل في التاريخ . ص ٨٨ ، وينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٢) في اليتيمة « طهرا » بدلا من طرا .
(٣) في تاريخ العتبي « طبت » بدلا من « صبت » وطبت بك : أي انها سحرت



ولما رأت خطابها تركتهم
 ولم ترض إلا زوجها الأول^(٤)
 ولم تتساهل في الكفيء ولم تقبل^٥
 رضى إذا ما لم تكن ابل معزى
 على أنها كانت جفتك تدلا^٦
 فخليتها حتى أتت تطلب الرضى

وفي مثل هذا الموضوع ، قال في قصيدته ، التي يمدح بها عماد الدولة^(٥) :

إنّ الأولى خلف الخدور	هم في الضمائر والصدور ^(٦)
وقمع الغبار عليهم	فقد يتيه على العبير
لما مشين على الثرى	تاه المعمار على المعير
فغدوت في حال الأسى	ر ورحت في حال الحسير ^(٧)
وكذاك من عشق النجو	م ورام صيدا للبدور
يا سائلي ما في الهوا	دج والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنى	ية والقطام من السرور
وسألت من زوج المنا	بر حين يخطب والسير
فهو الأمير ابن الأمير	ابن الأمير ابن الأمير

به واجبه وعشقه . وصبت به : عشقه ايضا ، فالكلمتان تناسبان
 المعنى . وفي المرجع السابق « لبنى » بدلا من « ليلى » واثبتنا ما رأيناه
 مناسبا .

(٤) في تاريخ العتبي « فركتهم » بدلا من « تركتهم » . والفرك : بمعنى البفض
 والكره ، وهو خاص بالزوجة .

(٥) ينظر المرجع السابق - هامش الجزء العاشر من تاريخ ابن الاثير . ص ١١٥ -
 ١١٦ .

(٦) الخدور : جمع خدر ، والخدر ، ستر يمد للجارية في ناحية البيت ، ثم
 صار ما وارك من البيت .

(٧) الحسير : الكليل . ومنه حسر بصره : أي كل وانقطع نظره من طول
 مدى ، وما أشبه ذلك .

المشتري المدح القليل
والناظم المعنى الطويل
يرمي أعاديته بسهم
حتى لو افترشوا الحريق
وسهامه ثوب الخطو
ورماحه حشو العدا
استغفر الرحمن بل
ويصوم صارمه فيف
أحمد بن محمد
لو كانت العليا تسدو
ما صيغ تاج محمد

لَ بـماله الجـمّ الغـفير
لَ بلفظه النـزر القصـير
م من سعادتـه طـرير^(٨)
رَ لشاكهم مشّ الحرير^(٩)
بِ وقوسـته عقب الدهور
وعداته حشو القبور
حشو الخوامع والنـور^(١٠)
طر بالجـماجـم والنـحور
هـذي الثـماد من البحـور^(١١)
ر على الحقائق في الأمور
إلا من القـمر المنـير

والتأمل لهذه القصيدة ، وهي قصيدة مديح ، يجدها قد حوت أغراضاً
أخرى ، وهي تكاد تخلو من العاطفة ، وهي لا تخلو من المبالغة المملة .
وقد أوردنا أكثر أبيات هذه القصيدة ، لأن العتبي قد افرد بذكرها ،
ولذلك رأينا أن افتراده ، يبيح لنا هذا العمل .

ومن قصيدة أخرى ، قالها في رثاء أبي الفتح بن العميد ، نرى الشاعر
وقد خلط الرثاء فيها بالمديح . ولا جديد في هذا ، لأن الرثاء هو نوع من
المديح ، فهو تعداد الصفات الحسنة ، والخصال الحميدة ، في المرثي ، ولنكره
يقول^(١٢) :

-
- (٨) طرير : طرهم : أي ساقهم سوقاً شديداً . وطر السنان : أحده فهو
مطرور وطرير . وطر القوم بالسيف : شلهم .
(٩) شاكهم : من الشوك ، وشاكته الشوك : أي دخلت في جسمه .
والشاعر يريد أن يقول : أن أولئك الجماعة الذين يتكلم عنهم ، لو
أنهم ناموا على الحرير ، لاحسوا كأن الحرير تحتهم شوك .
(١٠) الخوامع : الضباع ، اسم لازم لها ، لأنها تخضع أي تعرج في مشيتها .
(١١) الثمّد والثمّد : الماء القليل ، الذي لا مادّ له .
(١٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٦-٢٢٧ .

يا دهرُ إنَّكَ بالرجالِ بصيرُ فلطالما تجتاحهمُ وتَبيرُ
يادهرُ غَيري مَنْ خَدَعْتَ بِباطلٍ وابن العמיד مغيَّبٌ مقبورُ
أشكو اليك النفسَ وهي كئيبةٌ وأدَّمْ فيك الدمعَ وهو غزيرُ
وأقولُ للعينِ الغزيرِ بكاؤها خَطْبٌ لَعَمري لوَ عَميتَ سيرُ
أهوى القيامةَ لا شيءَ غير أن ألقاكَ فيها والأنامُ حضورُ
وأُحب فيكَ الموتَ علماً أنَّنا بعد المماتِ الى اللقاءِ نصيرُ^(١٣)

ومن الملاحظ أن الفاظ أبي بكر ، في هذه الأبيات ، في غاية السهولة ، أما العاطفة ، فهي تكاد تخلو من الأبيات ، على ما فيها من مبالغة مخلة مملة وإن كانت لا تخلو من معنى مبتكر ، وخاصة في بيته الذي يقول فيه :

أهوى القيامةَ لا شيءٍ غير أن القاكَ فيها والأنامُ حضور
ومثل هذا قوله في الصاحب بن عباد^(١٤) :

وَأنتَ امرؤَ أعطيتَ ما لو سألتَه إلهكَ قالَ الناسُ أسرَفْتَ سائِلًا
وانتي والزاميكَ بالشعر بعدما تعلَّمته منك الذرى والقواضِلَا
كملزم ربِّ الدارِ أجرَةَ دارِه ومثلُكَ أعطى من طريقين نائِلًا
ففي البيت الأول ما فيه ، من المبالغة البغيضة .

أما الأغراض الأخرى، فقد طرق هذا الشاعر ، كما تبين لنا أكثر الأغراض التقليدية التي قالها سابقوه .

ومن المديح أيضا قوله في شمس المعالي قابوس^(١٥) :

(١٣) (اننا) : جاءت في الاصل « اني » ولعل الصواب ما اثبتناه ، لانه اكثر ملائمة للمعنى .

(١٤) المرجع السابق ٤ : ٢٢٤ .

(١٥) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢١ ، عدد من بلغاء ابران في لغة العرب . ص ٩٣ وفيه : « معرب » بدلا من مغرب ، في البيت الاول ، والكلمة مصحفة .

وجاءت لفظة « رروا » عند الثعالبي بدلا من (راوا) واثبتنا ما رايناه البق بالمعنى .

شُموسٌ لَهْنٌ الخِدْرُ والبَدْرُ مُغْرِبٌ
 فطالعهما بالبين والهجر غاربٌ^(١٦)
 ولكننا شمسُ المعالي خلافتُها
 مشاركةٌ ليستَ لَهْنٌ مغاربٌ
 فما لقبوه الشمسَ الا وقد رأوا
 « بَأَنكَ شمسُ والملوكِ كواكب »

والخوارزمي ليس سبتاقا ، في هذا النوع من المديح ، وانما سبقه الى ذلك النابغة الذبياني ، في مدحه للنعمان بن المنذر في قوله :
 فَأَنَّكَ شمسُ والملوكِ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبٌ
 ومن قصائده في الرثاء ، التي يظهر لنا فيها ، صدق عاطفته ، ورقة تعبيره ،
 ومنزلة المراثي من نفسه ، قوله في أبي سعيد الشيبني ، وكان وادا له ، عابا
 عليه^(١٧) :

أَيَدْرِ السيفُ أَيَّ قَتَى يَبِيدُ وأيةَ غايةٍ أضحى يَريْدُ
 لقد صادت يد الأيام طيراً تضيق به جباله من يصيْدُ
 وأصبح في الصعيد أبو سعيد ألا إنَّ الصَّعيدَ به سعيدٌ^(١٨)
 وقد كانت تضيق الأرض عنه فكلِّمَ وسعت لجثته اللحدُ
 بلى مس الثرى قلباً رحيباً فأعدى الترابَ فأتسع الصَّعيدُ
 فلا أدري أأضحك أم أبكي وتهدمني المنيةُ أو تشيْدُ
 صديق قد فقدناه قديماً وثكلٌ قد وجدناه جديْدُ

(١٦) الهجر من الابل : الفائق والفائقة ، في الشحم وفي السير .
 والغارب : الكاهل : وهو ما بين السنام والعنق . والغارب من كل شيء :
 أعلاه .

(١٧) تنظر القصيدة في يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٨ - ٢٢٩ . وذكر العقاد بعضا منها
 في كتابه : عرائس وشياطين . ص ١٦ - ١٧ .

(١٨) الصَّعيد : المرتفع من الارض . وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة ،
 وقيل : ما لا يخالطه رمل ، ولا سبخة ، وقيل : هو وجه الارض . او كل
 تراب طيب .

مصاب وهو عند الناس نعى
تهنّيني الأنام به ولكن
وسيف قد ضربت به مراراً
فلما أن تقلّل ظلكت أبكي
ومن عجب الليالي أن خصمي
وإن النصف من عيني جمود
إذا سَفَحْتُ عليه دموعُ عيني
وأثار له عندي قباح
فنصف من مدامعها سخين
فمن هذا رأى في الناس مثلي
ومن نكد المية فَقَدُ حُرّاً
فذا هَتَى وقال مضى عدو
بكيتُ عليك بالعين التي لم
فقد أبكيتني حيّاً وميتاً
فها أنا ذا المُهَنِّئُ والمعزى
وها أنا ذا المصابُ بك المعافى

ونحس وهو عند الناس عيد
تعزّيني المواقف والعهود
فمن ضرباته بي لي شهود
وعندي منه بَعْدُ دم جسد^(١٩)
يبيد وأن حزني لا يبيد
وإنّ النصف من قلبي جليد
نهاها الهجر منه والصدود
يجمش بينها الرأس الحديد^(٢٠)
ونصف من مدامعها برود
أريد من المنى ما لا أريد
تخالف فيه إخواني الشهود
وذا عزّى وقال مضى وديد
تزل من سوء فعلك بي تجود
فقل لي أي فعليك الرشيد
وها أنا ذا المبالغض والودود
وها أنا ذا الشقي بك السعيد

وكان بودي أن استشهد بهذه القصيدة كلها ، لما فيها من المعاني الانسانية المتضاربة ، والمعاني العميقة ، ولكنها طويلة ولذلك اكتفيت منها بما رأيته كافياً لسد الغرض .

ورثاء أبي بكر في هذه القصيدة ، رثاء عاطفي ، عميق المعاني ، مع سهولة في الألفاظ .

(١٩) جسد : جسد جسداً الدم بالشيء : لصق ويبس ، فهو جاسد وجَسَدَ وجَسِدَ وجَسَدَ وجَسِدَ وجَسَدَ وجَسِدَ .

(٢٠) يجمش : جمش جمشا شعره : حلقة . وجمشت النورة الشعر : أزالته .

وقد أجاد الشاعر ، في التعبير عن انفعاله ودقة الموقف . كما تتجلى في هذه الأبيات ، قدرة الشاعر في تصوير مشاعره الانسانية ، وشعوره بالمأساة لفقده انساناً يكن له المودة والحب ، على ما بينهما من سوء تفاهم ، وفي هذا ما فيه من قدرة الشاعر ، على اظهار المشاعر الانسانية المتضاربة ، في مثل هذا الموقف الدقيق .

ومما قاله في مثل هذا ، قصيدته التي رثى بها ، أبا الحسن المحتسبي (٢١):

وصاحبٍ ليَ لو حلَّتْ رزيتُـهُ
بالطير ما هتَمَّتْ يوماً على فنن (٢٢)
عاشرتهُ عِشْرَةً لو أنها وقعت
بين الضحى والدجى ساراً على سنن
حتى إذا نلتُ سؤلي من مواهبه
وصادني بِشِباكِ الوصل والمنن
ثكلتهُ بعدما سارت محاسنه
في العظم واللحم سِيرَ المِساء في الفصن
يا دهر أئكلتني حتى أبا الحسن
لقد أمنت عليه غير مؤتمن
وصنتُ سهمك مني يوم قتلكه
في مقتل القلب لا في مقتل البدن
جمعتُ ضدين من خُرق ومن أدب
بطشِ الجهول ومكْرِ العقولِ الفطن
قد كنتُ أعجبُ لِمَ أخَرَّتْ من أجلي
فالآن أدري لماذا كنتُ تذخرني
ولم يكن في الورى ذا منظر حسن
في مخبر حسن الا أبو حسن

(٢١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢٢) الفنن : الفرع من الشجر ، وجمعه افنان .

وهذا رثاء بعيد المعاني عميقها ، وصادق العاطفة ، تتجلى فيه قدرة الشاعر على رسم الصور الفنية البارعة ، التي تتضح في معانيه العميقة كقوله مثلاً :

وصنتُ سهمكَ مني يومَ قتلِكه
في مقتلِ القلبِ لا في مقتلِ البدنِ

ومن الوصف ما قاله أبو بكر الخوارزمي في وصف الخمرة :

وصفراءَ كالدينارِ بنتِ ثلاثة	شمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محرم
مسرة محزون وعذر معربد	وكبر مجوسيّ وفتنة مسلم
ممّاتٍ لأحياء ، حياةٍ لميّت	وعدمٍ لمن أئرى ثراءٍ لمعدم
يدور بها ظبيّ تدور عيوننا	على عينه من شرط يحيى بن اكثم
ينزهنا من ثغره ومدامه	وخديّه في شمس وبدر وانجم
نهضت اليها والظلام كأنّه	معاشٍ فقير أو فؤادٍ معلّم

وقد أجاد أبو بكر في وصفه لتأثير الخمرة في الشارب ، كما أجاد في تصوير حالة الشارب ووصف الساقى الجميل .

ومن الوصف ما قاله في وصف الهريسة وهي نوع من الاطعمة^(٢٤)

هل تشطون لتثورية خنقت	من أول الليل حتى قلبها يجفّ
كأنها وهي فوق الجام قد غرقت	في دقّنها قمر بالشمس ملتحف
أو درهم فوقه الدينار منطبق	أو لوح عاج على الزدياب مكتنف

ومما جاء في وصف المجالس وامكنة الشرب قوله في وصف كيزان التفقاع^(٢٥) :

وضيقة الفم دحاحة عليها قميصٌ ندى أخضر

(٢٣) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٨ .

(٢٤) محاضرات الادباء ١ : ٦١٤ .

والهريسة : قيل هي طبخ اللحم بالبر . وقيل هي اوطأ فراش هي للنبيذ .

(٢٥) المصدر السابق ١ : ٧١٤ .

وعلى أية حال ، ففي هذه الأبيات ، تأكيد على ان الشعراء ، قد وصفوا بعض مظاهر البيئة ، متمثلة في الخمرة ، المأخوذة من بساتين وكروم خوارزم ، ومتمثلة في الرياح والاشجار والانهار والسماء والشمس والنجوم والقمر . ومتمثلة في وصف الرياحين والأزهار ، وهوام الأرض كالسلحفاة والحية والعقرب ، كما سنرى بعد قليل ، وهذا يبين لنا ، أن وصفهم لم يقتصر كما رأينا من قبل على الطبيعة الصامتة ، وانما تعداها الى وصف الطبيعة الحية . وهذا أبو بكر يصف السلحفاة بقوله (٢٦) :

بنتُ قَـمَرٍ بَدَتْ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ
 مثلَمَا قَدْ طَوَى الْبَخَارِيُّ سُفْرَهُ
 رَأْسُهَا رَأْسُ حَيَّةٍ وَقَرَاهَا
 ظَهَرُ ثَرَسٍ وَجَلَدُهَا جِلْدُ صَخْرَةٍ (٢٧)
 مِثْلَ فِهْرِ الْعَطَارِ دُقَّ بِهِ الْعَطْ
 رَ فَحَلَّتْ طَرَالِفُ الطَّيْبِ ظَهْرَهُ (٢٨)
 أَوْ كَمَا قَدْ قَلَبْتَ جَنْفَةَ شَرْبٍ
 نَقَشُوهُمَا بِحُمْرَةٍ وَبَصْفَرَةٍ
 يَقْطَعُ الْخَوْفُ رَأْسَهَا فَإِذَا مَا
 آمَنْتَ قَرَّ رَأْسُهَا مَسْتَقَرَّهُ

ومن الملاحظ أن وصف الخوارزمي، في هذه الأبيات ، هو وصف حيي،

(٢٦) الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٤ ، ١٠ .

(٢٧) قراها : أي ظهرها .

ترس : الترس من السلاح : ما يتوقى به ، والترس والترس : خشبة توضع خلف الباب لاحكام اغلاقه .

(٢٨) فهر : الفهر : الحجر أو قدر ما يدق به الجوز أو نحوه .
 طرالف : هكذا وردت ، ولعلها طرائق : جمع طريق : كل احدورة من الارض . أو صنوفة من ثوب أو شيء ملزق بعضه على بعض . وثوب طرائق : أي خلق .

أو وصف عيني - إن صح هذا التعبير - لأن الأبيات ترينا كأنما الموصوف كان أمام الواصف ، في كل حركة من حركاته ، وإن الشاعر ما هو إلا رسام ، أجاد في نقل صورة السلخفة وحركاتها ، الى صورة شعرية حية ، يعبر عنها برسم الخطوط والأشكال في حالة الرسم ، ووصف المشاعر والأفكار ، في حالة الشعر .

ومن وصفه ما قاله في الريحان في أرجوزة (٢٩) :

وصفت ريحاناً إذا ما وصّفه واصفه قيل له : زد في الصّفه
دقّقه صانعُه ولطّفه كأنه وشّم يدٍ مطرّفه (٣٠)
أو خطّ وراقٍ أدقّ أحرّفه أو زغبات طائرٍ مُصّفه (٣١)
« أو حلّلة بخضرةٍ مفوّفه » (٣٢)

وقال في الطير (٣٣) :

علّق غداً بيّاعُه مبتاعُه لهوانه (٣٤)
كالفرخ لم يخطب فصا ر أبوه من اختانِه (٣٥)

(٢٩) بتيمة الدهر ٤ : ٢٣٩ - ٢٤٠ . وفيها : « وضفت ريحان » والضفت : كل ما ملا الكف من النبات مما له ساق . والتضفيت : ما بل الأرض والنبات من المطر . ، وينظر : دراسات فنية في الادب العربي . ص ٤٢٢ .

(٣٠) مطرفة : طرفت المرأة بنانها : خضبت اطراف اصابعها .

(٣١) زغبات : الزغب : الشعيرات الصفرة على ريش الفرخ ، وهي اول ما يبدو من الشعر والريش . ودفاقه ، الذي يجود ولا يطول ، واحدته زغبة .

(٣٢) مفوفة : المفوف من البرود : الرقيق أو ما فيه خيوط بيض .

(٣٣) التمثيل والمحاضرة . ص ٣٦٤ .

(٣٤) علق ، في لسان العرب . ٢م . ص ٨٦٢ « مادة علق » ، علق بالشيء علّقا وعلقه : نشب فيه . وقال اللحياني : العلّق : النشوب في الشيء . وعلق الحابل : علق الصيد في حبالته أي نشب .

والعلّق : النفيس من كل شيء . والعلّق : الجمع الكثير .

(٣٥) اختان : خاتنه : أي تزوج اليه . والختن : زوج البنت أو الاخت : كل من كان من قبل المرأة كالأب والابن . أو من كان من قبل الزوج كالأب والابن والعم . ومن كان من جهة المرأة جميعهم اختان .

وقال أبو بكر الخوارزمي في الشيب (٣٦) :

لاحت لوجهي أنجم^{٣٦} للشيب عُدْنُ به طوالع^{٣٧}
أو دَعْتُ منهنَّ الصبا مَنْ لا يرى رَدَّ الودائع^{٣٨}
فَقَصَصْتُهُنَّ ، واتَّما دهري بمقاضي أخادع^{٣٩}
وإذا عَدُوْكَ كانَ بعض لك في الخطوبِ فَمَنْ تَقارع^{٤٠}

ومن البين أن أبا بكر ، يتألم لمطلع الشيب في رأسه ، ويعتبره عدوا له ، وكأنما يتدارك من نفسه هذا التجني ، على هذا الضيف ، الذي ليس من مجيئه بد ، ولذلك نراه كأنما يلوم نفسه فيقول (٣٧) :

وأراك تشكو الشيبَ تَظلمُ والشيبُ زَرَعُ بزُرَّه العُمرُ^{٣٨}
كالخمر يجلبُّها الخمارُ ، وقد يهْجى الخمارُ وتُمدَحُ الخمرُ^{٣٩}

ومن جميل الوصف ، ما قاله أبو بكر ، من قصيدة يصف فيها الحمى . ويقول الثعالبي ان أبا بكر ، بعث بهذه القصيدة من أرجان ، الى صاحب ابن عباد (٣٨) .

ولو أَبْصَرْتَ في أَرْجانَ نَفْسي عَلَيْهَا من أَبِي يَحْيَى ذِمَامُ^{٣٩}
ولي من أُمِّ مَلْدَمٍ كُلِّ يَوْمٍ ضَجِيعٌ لا يَلْكُذْ له مَنَامُ^{٤٠}
مُقْبَلَةٌ وليس لها ثَنَايا مُعَانَقَةٌ وليس لها التَّزَامُ^{٤١}

(٣٦) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٥ .

(٣٧) المصدر السابق ٤ : ٢٣٥ .

(٣٨) المصدر السابق ٤ : ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣٩) أبو يحيى : يقال لتابض الارواح ، كما يقال للحبشي : ابو البيضاء ، والأعمى : ابو البصير . ينظر : ثمار القلوب للثعالبي . ص ٢٤٦ .
تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . مط ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

(٤٠) أم ملدم : الحمى .

ضَجِيع : الضجعة : المرض والرقدة . والضجعة والضاجع : الكثير الاضجاع ، الكسلان اللازم للبيت لا يكاد يخرج منه فهو مقيم به لعجزه .

كَأَنَّ لَهَا ضَرَائِرَ مِنْ غِذَائِي فَيَغْضِبُهَا شَرَابِي وَالطَّعَامُ
 إِذَا مَا صَافَحَتْ صَفَحَاتِ وَجْهِ غَدَا أَلْفَا وَأَمْسَى وَهُوَ لَامُ
 إِذَا لَرَأَيْتَ عَبْدَكَ وَالْمَنَايَا تَصِيحُ بِهِ : تَنَبَّهُ ، كَمْ تَنَامُ ؟
 وَمَا اسْتَبْكَاكَ مِنْ بَعْدِي أُسِيرُ يَرُضُّ عِظَامَهُ الْحَقَّ الْعِظَامُ
 وَلَا تَرْجِيعُ تُكَلِّي خَلْفَ نَعْشٍ

« أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهُمَامُ^(٤١) » ؟

وَلَا تَرْدِيدُ صَبٍّ وَهُوَ بِكَ

« سَقَيْتِ الْغَيْثَ أَيَّتْهَا الْخِيَامُ^(٤٢) »

وَلَوْلَا فَقْدُ وَجْهِكَ لَمْ أَتَبَسَّ عَلَى ضَيْفٍ يُقَالُ لَهُ الْحِمَامُ
 فَمَا فِي الْعَيْشِ لَوْلَا أَنْتَ طِيبٌ وَلَا فِي الْمَوْتِ لَوْلَا أَنْتَ ذَامُ^(٤٣)
 وَكُنْتُ ذَخَرْتُ أَفْكَارِي لَوْقَتٍ فَكَانَ الْوَقْتُ وَقْتُكَ ، وَالسَّلَامُ
 وَكُنْتُ أَطْلُبُ الدُّنْيَا بِحَرٍّ فَأَنْتَ الْحَرُّ ، وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ
 وَلَمَّا سَرْتُ عَنْكَ رَأَيْتُ نَفْسِي وَبَيْنَ الْقَلْبِ وَالرَّجْلِ اخْتِصَامُ
 فَذَلِكَ يَقُولُ مِنْكَ السَّيْرُ عَنْهُ وَتِلْكَ تَقُولُ مِنْكَ الْاِغْتِرَامُ^(٤٤)
 وَسَأَلْتَنِي بِعِلْمِكَ مَنْ أَرَاهُ وَقَالُوا « مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ »
 فَقُلْتُ زَكَاةٌ يَحْيِيهِ عِلْمٌ لِمَنْ لِعِظَامِهِ مِثْلِي غُلَامُ

(٤١) البيت فيه تضمين للنابة ، وصدر البيت : ألم أقسم عليك لتخبرني .
 ينظر : ديوان النابغة الذبياني . ص ٢١٤ . تحقيق : المحامي فوزي
 عطوي . الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت - لبنان
 ١٩٦٩ م .

(٤٢) البيت فيه تضمين ، والبيت لجريز ، وصدره : متى كان الخيام بذوي
 طلوح ينظر : ديوان جريز . ص ٤١٦ . تحقيق : أكرم البستاني .

دار صادر للطباعة والنشر . بيروت ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

(٤٣) ذَامُ : أي ذاماً له .

(٤٤) الاغترام : الغرم : الغرامة أو الدين . والفارم : الذي لزمه دين ، أو
 حمالة أو كفالة .

ولم يكن أبو بكر الخوارزمي ، سباقا في وصفه للحمى ، فقد طرقه الشعراء السابقون ، كما طرقه المتنبي ، الذي كان معاصراً لأبي بكر، ولا ندرى أيهما أسبق من صاحبه في تناول هذا الموضوع .

أما المتنبي فقد وصفها بالزائرة الحية الخجلة، لذلك فهي تأتيه في الظلام، لتبيت في عظامه ، رافضة أي فراش غيرها :

وزائرتي كأنّ بها حياءٌ فليس تزور إلا في الظلامِ
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وكتّاهما أبو بكر بأم ملدم ، ووصفها بأنها عدوة للطعام والشراب ، فهي وإياهما كالضرائر حينما يجتمعن . وكنى قابض الأرواح بأبي يحيى . ويقول الثعالبي في هذا أن أبا بكر الخوارزمي انشده لنفسه من قصيدة قوله :

سريعة موت العاشقين كأنما يغار عليها من هواهم أبو يحيى
وله من قصيدة مرثية :

أعوّذه من نَفْحَةِ الرِّيحِ خيفةً عليه ، ورجل الموت تطلبه عَجَلِي
وأدعوه بالعمر في كلِّ مَشْهَدٍ ويضحك مني في الكمين أبو يحيى^(٤٦)

والقصيدة لم تقتصر على وصف الحمى ، وإنما تعدتها الى المديح ، للصاحب بن عباد ، ذلك المديح المليء بالعاطفة الصادقة ، والألم والحسرة ، لفراقه الممدوح .

ويقول الثعالبي^(٤٥) إن أحسن ما قيل في وصف الحمى هو قول أحدهم:
وزائرة بلا وعد أتني فحلت بين جسمي والفؤاد
سنان للمنايا إن تراءت لنفسي فالمنايا في طراد
أما الغزل والنسيب ، فقد طرقه الشاعر ، في مختلف ألوانه ، من

(٤٥) ينظر كتابه : أحسن ما سمعت ص ١٤٧ ولم يشر الثعالبي الى اسم صاحب هذا الشعر .

(٤٦) ينظر : ثمار القلوب . ص ٢٤٦ .

التغزل بالحبيبة ، الى الثناء على الممدوح ، والغزل بالذكر ، والتغزل بالقينة .
وفي هذا المجال يقول شاعرنا (٤٧) :

مضتِ الشبية والحبيبة فالتقى دمعان في الأجفانِ يزّدهمان
ما أنصفتني الحادثاتُ رَميني بمودعين وليس لي قلبان (٤٨)
ومن أخرى قوله (٤٩) :

ليس على القلبِ للعذولِ يدُ ولا ليومي من الفراقِ غَدُ
كلُّ فؤاد مع الهوى عرضٌ وكلُّ يوم مع التوى أمدُ (٥٠)
يا أيها الطالبون بي رشدا متى التقى الحبُّ قطُّ والرشدُ
ولي فؤاد مذكّرٌ أفقده لم انتفع بعده بما أجده
ولي حبيب لو كنتُ أنصفه وكدتُ فيه أضعافاً ما أجده
شهدتُ للقلبِ حينَ علّقه بأنسه للوجوهِ مثقّده (٥١)

فأبو بكر الخوارزمي كما يظهر لنا من هذه الأبيات ، رقيق حين يتغزل ،
لين خاضع لوجه ، يعتبر الخضوع للقلب ، شيئاً لازماً في الحب ، لأن الرشد
والحب ، لا يلتقيان . فهو في غزله هذا ، رقيق الألفاظ ، سلس الأسلوب ،
يؤكد الناحية الحسية ، في جمال المرأة .

ومن ملحّة في النسيب والغزل ، قوله (٥٢) :

وقالوا لها : هذا حبيبك معرضاً
فقالت : ألا إعراضه أيسرُ الخطبِ

-
- (٤٧) خاص الخاص . ص ١٩٠ ، الإعجاز والإيجاز . ص ١٩٨ .
(٤٨) أنصفتني : أنصف أي عدل . رميني : نزلن بي . مودعين : يقصد
الشبية والحبيبة .
(٤٩) يتيمة الدهر ٤ : ٢١١ - ٢١٢ .
(٥٠) النوى : البعد ، أو الفراق .
(٥١) علّقه : أي أحبه وشغف به . والعلاقة : الهوى والحب اللّازم للقلب .
(٥٢) مصارع العشاق ١ : ٢٩٢ .

فما هي الا نظرة" بتبسم
فتصطك رجليه ويسقط للجنب
وفي هذين البيتين ، صورة أخرى ترينا تذلل وخضوع أبي بكر في حبه .
ومن أجمل ما قاله أبو بكر في الغزل والنسيب قوله (٥٣) :

أَغْرَكَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَنِّي تَبَشُّمِي
فَشَيَّعَتْ سَهْمًا فِي فُؤَادِي بِأَسْمِهِ
رَوَيْدَكَ عَهْدُ الْقَلْبِ بِالصَّبْرِ بَعْدَكُمْ
وَوَحَقَّكَ عَهْدُ النَّارِ بِالْبَرِّدِ فَافْتَهَمِي (٥٤)

عَذِيرِي مِّنْ ضَحْكٍ غَدَا سَبَبِ الْبُكَاءِ
وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمَ
زَعَمْتَ بِأَنِّي قَدْ سَلَوْتُ وَهَذِهِ
أَرَا جِيفَ مَنْ فِي عَزَمِهِ قَتْلُ مُسْلِمٍ (٥٥)

عَلَى ذَا فَسْدٍ أَجْرَمِي وَتَجَرَّمِي
وَبَكِي وَأَبْكِي وَأَظْلَمِي وَتَظْلَمِي
كَأَنَّكَ لَا تَرَوِينَ يَتِيًّا لَشَاعِرٍ
سَوَى بَيْتٍ « مَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ » (٥٦)

تَعَلَّمْتَ فَعَلَ الدَّهْرِ ثُمَّ سَبَقَتْهُ
فَأَنَسَانِي التَّلْمِيزُ فَعَلَ الْمُعْلَمِ

(٥٣) ينظر شرح المضمون به على غير اهله . ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٥٤) البرد : يقال ماء برد : أي بارد . والبرد (بالفتح) : هو حب الغمام .

(٥٥) الاراجيف : أي الاخبار السيئة والكاذبة ، التي يضطرب لها الناس ، وهي جمع ارجاف .

(٥٦) اشارة الى بيت زهير بن ابي سلمى :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم

وقد أحسن الشاعر ، في هذا العتاب الرقيق ، الذي نراه يوجهه الى حبيبته ، ليرهن لها أن تبسمه يوم الفراق ، لم يكن عن سلوة أو فرح ، وان نظرتها العاتبة اليه ، قد فعلت في قلبه فعل السهم ، وان قلبه بعد الفراق ، لن يتلاءم مع الصبر ، لأنهما أصبحا كالنار والثلج أو كالنار والماء البارد ، فانهما لا يجتمعان ، لأن النار والماء لا يتلاءمان .

ثم نراه يتذلل اليها ، ويطلب منها أن تغفر له ، تلك البسمة التي أصبحت سبباً لبكائه ، وأوقعته في نار جهنم ، وأحرقته بنار الهوى .

وهكذا يسير الشاعر ، على هذا المنوال ، من معاتبة الحبيبة ، وتعليل سبب تبسمه وضحكه ، حتى يلجأ أخيراً الى إرضائها ، والتوسل اليها بقوله :

أديري لحاظَ القلبِ فيّ لتنظري
إلى مفلس من صبره عنكِ معدم
ولا ترسلي هذي اللواظَ كلَّها
فواحدة تكفيكِ قتلَ المتيمِّمِ

لا ندرى إن كان أبو بكر الخوارزمي ، قد جرّب لوعة الحب وألم الفراق ، فجاء غزله بهذه الصورة الصادقة المليئة بالعاطفة ، أم أنه أتى به على طريق التقليد والمحاكاة . وأياً ما يكون الأمر ، فإنه أجاد القول في الحاليتين .

ومن قوله في الصاحب بن عباد (٥٧) :

يَقْلُ غداً جيشُ النَّوى عسكرَ اللَّقا
فرايكِ في سَحِّ الدموعِ مَوْقَقا
ولما رأيتُ الإلفَ يَعْزِمُ للنَّوى
عزمتُ على الأُفْجانِ أن تَرْقَرَقا
وخُذ حجَّتي في تَرْكِ جِسمي سالماً
وقلبي ، ومن حَقَّيْهما أن يَخْرَقا

(٥٧) يتيمة الدهر ٤ : ٢١٠ ، مصارع العشاق ١ : ٩٠ .

يدي ضَعَفَتْ عَنْ أَنْ تُخَرِّقَ جِيهَهَا
وما كان قلبي حاضراً فيُثْمِرُ قَلْبَا

أما عن الشعر الماجن ، فقد طرقة الشاعر ، بصورة مبتذلة ، ومن أراد الاطلاع على شيء منه ، ففي معجم الأدباء بعضه ، ولم تتمثل به ، لأن الذوق لا يقبله (٥٨) .

ويظهر تبذل الشاعر أيضا ، في هجائه ، فهو مقدع الهجاء فاحشه ، مثله في ذلك مثل المتنبي (٥٩) .

ومما لا شك فيه ، أن هذا التبذل في القول ، مبعثه — كما نرى — تردد الشاعر على مجالس الأنس ، ومجالس الخمرة ، فقد كان على حـد قول الثعالبي (٦٠) : « يقسم أيامه بين مجالس الأنس ، ومجالس الدرس » ، متمثلاً في ذلك قول كشاجم :

عَجَبِي مِمَّنْ تَعَالَتْ حَالُهُ
وَكَفَاهُ اللَّهُ ذَلَالَتِ الطَّلَبِ (٦١)

كيفَ لَا يُقْسِمُ شَطْرِيْ عَمْرِهِ
بَيْنَ حَالَيْنِ : نَعِيمٍ وَأَدَبٍ ؟
ومن أبيات أخرى في هذا المعنى قوله (٦٢) :

الملك عندي متعة الشباب
والعزلُ عندي فرقة الأحباب
والفقرُ عندي عدم الشراب
والشيبُ عندي كذبُ الخضاب

(٥٨) ينظر المصدر السابق ٢ : ٣٤٢ . لمن أراد الاطلاع .

(٥٩) تنظر ابياته الفاحشة في الهجاء ، في المرجع السابق .

(٦٠) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٨ .

(٦١) ورد البيت هكذا في ديوانه . ص ٦٩ . تحقيق : خيرية محمد محفوظ .

مط . الجمهورية . بغداد ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . وفي اليتيمة « عجباً »

بدلاً من عجبي . و « فكفاه » بدلاً من كفاه .

(٦٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤١ .

فالشاعر هنا يدعو الى اللهو والتمتع ، ويرى أن الفقر انما هو عدم
 الخمرة ، كما يرى أن الخضاب يؤكد وجود الشيب ، وهو في هذين البيتين
 يحث على شرب الخمرة ، والتمتع باللهو والشباب ، ولذلك نراه يقول فيمن
 يطلب الصبء ، وهو بخيل (٦٣) :

يا مَنْ يُحَاوِلُ صِرْفَ الرّاحِ يَشْرِبُهَا
 فلا يَلْفُ لِمَا يَهْوَاهُ قِرطاساً (٦٤)
 الكأس والكيس لم يَقْضِ امْتِلاؤُهُمَا
 ففَرَّغَ الكيسَ حَتَّى تَمَلَأَ الكاسُ

فالشاعر هنا — كما يبدو — يدعو من أراد شرب الخمر الخالصة ، أن
 يكون كريماً في الاتفاق عليها ، لأن البخل لا يتلاءم مع شربها ولذلك فعليه
 أن يصرف كل ما في كيسه من نقود ، حتى يحصل عليها معبئة في زجاجات ،
 ملفوفة بالورق .

كما يظهر لنا وجود إلفة ومودة ، بينه وبين الكأس ، ولذلك فهو
 يقول (٦٥) :

عَزَلَ الْوَرْدُ عَنْ أَنْوْفِ النَّدَامَى
 وَأَتَسَّنَا وَلَايَةَ الرَّيْحَانِ
 فاقْضِ حَقَّ الرِّيحَانِ بِالرَّاحِ ، فَالْرِيبِ
 حَانُ وَالرَّاحِ فِي الْوَرَى أَخَوَانِ
 وَأَنْدُبِ الْوَرْدِ وَأَبْكِيهِ بِدُمُوعِ
 مِنْ دُمُوعِ الْأَقْداحِ لَا الْأَجْفَانِ
 وفي شعره هذا نقحة من شعر الصنوبري كما نرى .

(٦٣) المصدر السابق ٤ : ٢٣٩ ، الإعجاز والإيجاز . ص ٢٠٠ ، وفيات الاعيان
 ٤ : ٣٤ ، الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٣ — ١٩٤ .
 (٦٤) صرف الراح : الخمر الخالصة . القرطاس . الورق .
 (٦٥) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٩ .

ويظهر أن شاعرنا الخوارزمي ، كان يفرط في الشرب ، حتى يسكر ،
ويظهر ذلك في قوله (٦٦) :

سقاني الوجه الحسن كاساً فخلّيتُ الرّسنَ
وصار عندي حسناً قتلُ الحسين والحسن

ويريد الشاعر أن يقول : إنّه تخلّى عن حياته وخجله ، بعدما شرب الخمر ،
وقد كنى عن ذلك بقوله : « خلّيت الرسن » وكان مبعث ذلك سكره الشديد ،
الذي اوصله الى درجة ، صورت له ما كان منكر أحسنًا ، كمقتل الحسين والحسن •
ومما قاله في مثل هذا المجال (٦٧) :

وقالوا : أفق من سكرةِ اللّهِ والصبا
فقد لاحَ صبح في دجائك عجيب
فقلت لهم : كفثوا الملام وأقصروا
فإنّ الكرى عند الصباح يطيب

فهو يريد أن يبين أنه كان يشربها ، حتى بعد أن لاح الشيب في رأسه ،
وقد كنى عن الشيب بالصبح ، وعن سواد الشعر بالدجى •
وقد علّق أبو هلال العسكري ، على هذين البيتين بقوله : « وهذا معنى
مليح ، أظنه ما سبق اليه (٦٨) » •

وأبو بكر كما رأينا ، متقلب الأهواء ، يكره بقدر ما يحب ، ويهجو بقدر
ما يمدح ، وربما كانت الظروف المحيطة به ، — كما نوهنا — هي السبب الرئيس
في هذا التقلب ، من تجوال في البلاد ، وعدم استقرار ، وتقلب في معيشته بين
قصور الأمراء والوزراء ، الى حرمانه من تلك المعيشة ، في حالة غضب الوزير ،
أو الحاكم عليه • هذا الى تغير في حالته المالية ، من غنى فاحش ، في حالة رضا
حاميه ، الى فقر مدقع ، لغضب حاميه عليه ، ومصادرة أمواله ، نتيجة تقلب
الأحوال السياسية ، وهذا مثل واضح على خضوعه لأحوال عصره بدليل قوله :

(٦٦) المرجع السابق ٤ : ٢٣٩ •

(٦٧) ينظر ديوان المعاني — للامام أبي هلال العسكري ٢ : ١٥٦ . نشر : مكتبة
القدسي . القاهرة . سنة الطبع ١٣٥٢ هـ .

(٦٨) ينظر ديوان المعاني — للامام أبي هلال العسكري ٢ : ١٥٦ •

لَمْ لَا أَجَانِسَ دَهْرِي فِي تَقْلِبِهِ
لَمْ لَا أَبَادِلَ إِنْسَانًا بِإِنْسَانٍ

كل هذه الأمور ، كان لها الأثر الهام ، فيما وصف به أبو بكر ، من كونه
ناكراً للجميل أو بخيلاً أو طويل اللسان ، كما كان لها الأثر الفعّال ، في حياته ،
وفي شعره ونثره ، لذلك نراه دائماً الشكوى ، كثير التضجر من الدهر ، كأن
يقول (٦٩) :

أي خير يرجو بنو الدهر في الدهر
ر وما زال قاتلاً لبنيـــــــــــــــــه
مَنْ يَعمُرُ يَتَجَجَعُ بموت الأَخِلا
ءِ ومن مات فالمصيبة فيه

وفي مثل هذا قال أيضاً (٧٠) :

ومتى شتمت الدهرَ تشتم صابراً
تبكي ويضحك ذلك المشـــــــــــــــــتوم
أو قوله من أرجوزة (٧١) :

لا تشكر الدهرَ لخير سببه	فإنه لم يتعمد بالهيبه
وإنما أخطأ فيك مذهبـــــــــــــــــه	كالسيل اذ يسقي مكاناً خرّبه
والسمُّ يستشفي به من شره	ما أثقل الدهرَ على مَنْ ركه
حدّثني عنه لسانُ التجربة	ما أهونَ الشوكة قبل الرطبة

« واسهل الكدّ على من أكسبه »

ففي كل هذه النماذج التي مرت ، رأينا أبا بكر ساخطاً على الدهر ، عاتباً
عليه ، لأنه لا خير فيه كما يراه .

(٦٩) الكشكول . ص ٢٦٤ . (٧٠) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٤ .

(٧١) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ .

والابيات موجودة ، في مصادر اخرى ، ولكن بروايات اخرى ، فيها
تقديم وتأخير في الابيات ، وتقديم وتأخير في الصدر والعجز . ينظر
التمثيل والمحاضرة . ص ١٢٥ ، الكشكول . ص ٢٦٤ .

ويقول الخوارزمي في أصدقائه ، ما قاله في دهره أو لياليه (٧٢) :

كفى حزناً أن لا صديق ولا أخ يفيد غنىً إلا يداخله كبر
فلا تال فوق القوتِ مقالَ ذرةٍ صديق ولا أوفى على عسرة يسر
وما ذاك إلا رغبةً في وصاله والا حذار أن يلم به العذر
ويقول (٧٣) :

لم لا أجانس دهرى في تقلبه لم لا أبادل إنساناً بإنسان
لم لا أحكي حبيباً في مقالته ما اليوم أوّل توديعي ولا الثاني
لم لا أقارض ما قد قاله حسنٌ وصلاً بوصلٍ وهجراناً بهجران
وفي أبياته هذه نفحة من شعر أبي نواس . وفي بيته الأخير هذا محاكاة واضحة لآخلاق أهل عصره .

وأخيراً وبعد هذه اللوعة والحسرة ، اللتين نراهما واضحتين ، في هذه النماذج التي استشهدنا بها . نرى الشاعر يصيح متضجراً ، مما وصلت إليه حاله وصحته ، ولذلك نراه يقول وكأنما يرثي نفسه (٧٤) :

وما أصبحتُ إلا مثل ضرسٍ تاكل فهو موجودٌ فقيدٌ
ففي ترهكي له داءٌ دويٌّ وفي قلعي له ألمٌ شديدٌ
وهنا يمكننا أن نستشهد على حاله هذه ، بيتين للشاعر أبي الحسين بن لنكك البصري ، وطالما استشهد بهما أبو بكر الخوارزمي نفسه ، على حد قول الثعالبي (٧٥) :

تولى شبابٌ كنتَ فيه مُنعمًا تروح وتغدو دائمَ الفرحاتِ
فلست تلافيه وإن سرت خلفه كما سار ذو القرنين في الظلماتِ

(٧٢) ينظر : غرر الخصائص الواضحة . ص ٢٩٥ .

(٧٣) ينظر : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون . ص ٣١١ .

(٧٤) ينظر : شرح المضمون به على غير أهله . ص ١٢٤ .

(٧٥) ينظر كتابه غرر السير ، المعروف بكتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » . ص ٤٤٠ .

سمات شعره :

أما شعر أبي بكر الخوارزمي ، فقد نوهنا سابقا ، في أثناء كلامنا عن الأدب في هذا الاقليم ، أن الشاعر اتبع في شعره الخط التقليدي ، وإن كانت له طريقته الخاصة ، وسيره المتميز ، وشعره الفني،الذي بلغ به الذروة،والذي تتضح فيه معالم هذا الخط ، بأكمل ما يكون الاتضاح ، وتبدو فيه ناضجة ، كأحسن ما يكون النضج ، حتى ليتمكن أن يعدّ أبو بكر ، قمة هذا الاتجاه، في اقليم خوارزم ، في القرن الرابع الهجري .

ورغم أن أبا بكر كان يسير في هذا الاتجاه،الذي سار فيه كثيرون غيره، فقد كانت له مييزات خاصة ، جعلت لشعره شخصية ذات سمات واضحة ، بين أشعار الآخرين ، ومن اهم تلك السمات ، تأثره بالحياة السياسية والاجتماعية واللغوية ، أو بالحياة الثقافية العالية ، التي عاش فيها إقليم خوارزم ، في هذا القرن .

أما من الناحية اللغوية ، فقد كان أبو بكر الخوارزمي ، يعد من ألمع من ظهوروا على مسرح هذه الحياة ، في عهد الحمدانيين في الشام . وقد كان يشاركه تلك الحياة ، في بلاط سيف الدولة ، كل من أبي الطيب اللغوي ،وعلي ابن عبدالعزيز الجرجاني ، وابن خالويه ، وأبي علي الفارسي^(١) .

والسمة الثانية التي لاحظناها ، هي سمة النفس الطموحة الى الشهرة ، بعزة وكرامة ، ولذلك رأيناه يهجو مدوحيه من العظماء والكبراء ، حالما يسمع منهم كلمة جارحة ، أو حالما يرى أنه لم يحصل على ما يريد ، ومن هنا رأينا الهجاء ظاهرة من ظواهر شعره . من ذلك هجاؤه للدولة السامانية ، وللحاجب تاش ، وللوزير البلعمي ، وطاهر السجزي الذي يقول فيه^(٢) :

(١) للتفصيل ينظر : فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين - د . مصطفى الشكعة . ص ١٠٥ . مكتبة الانجلو المصرية . سنة الطبع ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٣٢ .

ألا يا سائلني بأبي حسين وفي التجريبِ علمٌ مستفاد

هو ابنٌ سَمِيهٍ والطاءُ عَيْنٌ وشبهُ كَنِيهٍ والسينُ صاد

ولعل الشاعر في هذين البيتين ، يريد شيئاً من التلاعب في الفاظه ، فهو يريد بقوله : « والطاء عين » أي هو ابن عاهر ، وبقوله : « والسين صاد » : أي هو أبو حصين ، وهي كنية الثعلب ، وهو مضرب المثل في المكر •

وعلى الرغم من الظروف القاسية التي مرت بأبي بكر ، إلا أن نفسه الحساسة الأبية ، كانت ترى أن التجلد والصبر ، على المكروه ، هو الطريق الصحيح ، وانه لمن الاستكانة والذل ، أن يظهر الانسان حزنه وكربه للناس ، لأن عزة نفسه تمنعه عن ذلك ، واسمعه يقول^(٣) :

عليك بإظهار التجلّد للعدي

ولا تظْهَرَنَّ منك الذُّبُول فَتُحَقَّرَ^(٤)

أَلَسْتَ تَرَى الرِّيحَانَ يَثْتَمُ نَاضِراً

وَيَطْرَحُ فِي المِضَا إِذَا مَا تَغَيَّرَا^(٥)

والسمة الأخرى التي يمكننا ملاحظتها ، في شعر أبي بكر ، هي الميل الى المحسنات البديعية ، حتى ولو أدى ذلك الى افساد الصورة ، وأساء الى جمال القول الأدبي ، وربما كان هذا هو الذي دفع الأستاذ عمر فروخ الى القول^(٦) : إنَّ شعره أقرب الى شعر الكتاب ، منه الى شعر الشعراء المطبوعين ، فهو على حد قوله : حسن المعاني ، قوي السبك ، صافي الأسلوب ، ولكنه قليل الروق والطلاوة •

إنَّ أبا بكر الخوارزمي ، كان ناثراً ، قبل أن يكون شاعراً ، وصفته

(٣) بتيمة الدهر ٤ : ٢٤٠ ، الاعجاز والايجاز . ص ١٩٩ ، التمثيل والمحاضرة . ص ١٢٥ ، خاص الخاص . ص ١٩٢ ، الوافي بالوفيات ٣ : ١٩٥ ، تمام التون في شرح رسالة ابن زيدون . ص ٦٥ .
(٤) ورد في الاعجاز والايجاز . ص ١٩٩ « الدبول » بدلا من الذبول . والدبل هو الثكل .

(٥) الميضا : المستراح . محل الوضوء .

(٦) ينظر كتابه : تاريخ الادب العربي . ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .

الثرية غلبت على صفته الشعرية ، وهذا هو الذي دفع كل من تعرض له ، أن يهتم به ناثراً ، دون الاهتمام بشاعريته ، التي طغت عليها شخصيته الأخرى •

والذي نريده من قولنا هذا ، أن السبب في كون شعره أقرب الى شعر الكتاب ، منه الى شعر المطبوعين ، ان صفته الثرية ، من الممكن أن تفرض نفسها على شعره ، ولكنها على الرغم من ذلك ، لم تستطع أن تجرده من رونقه أو طلاوته ، التي رأينا الكثير منها ، أثناء تمثيلنا ببعض قصائده •

اذن مال أبو بكر الى استعمال المحسنات البديعية ، كما مال غيره من الشعراء ، ولا عجب في هذا ، فقد كان عصره عصر ازدهار هذه الفنون ، التي كثرت في شعر الشعراء ، وثر الناثرين • يقول أبو بكر الخوارزمي ، في رثائه ركن الدولة (٧) :

أَلَسْتَ تَرَى السِّيفَ كَيْفَ انْثَلَمَ	وَرَكْنَ الْخِلَافَةِ كَيْفَ انْهَدَمَ
طَوَى الْحَسْنَ بْنَ بَوَيْتَةَ الرَّدَى	أَيْدِرِي الرَّدَى أَيَّ جَيْشٍ هَزَمَ
طَوِيلُ الْقَنَاقَةِ قَصِيرُ الْعِمْدَاتِ	ذَمِيمُ الْعِمْدَاتِ حَمِيدُ الشِّيمِ
فَصِيحُ اللِّسَانِ بَدِيعُ الْبَيَانِ	رَفِيعُ السِّنَانِ سَرِيعُ الْقَلَمِ (٨)
يَكِيلُ الرِّجَالَ بِأَقْدَارِهَا	وَيُرْعَى الْبَيُوتَاتِ رِعَى الْحَرَمِ
جَوَادٌ عَلَيْهِمْ بَخِيلٌ بِهِمْ	إِذَا سَاءَ خَصٌّ وَإِنْ سَرَّ عَمٌ
فِيَا دَهْرُ سُحْقًا وَلَا تَحْتَشِمِ	فَقَدْ ذَهَبَ الرَّجُلُ الْمُحْتَشِمِ
وِخْطُ الْفَنَاءِ عَلَى قَبْرِهِ	بِخَطِ الْبَلَى وَبَنَانِ السَّقَمِ

ففي هذه الأبيات ما فيها من الاستعارة والكناية •

ومن هذا ما ضمنه من كتاب كتبه الى قاضي خراسان ، حين نكبه أميرها (٩) :

(٧) يتيمة الدهر ٤ : ٢٢٦ ، تكملة تاريخ الطبري - محمد بن عبدالمالك الهمداني - تحقيق : البرت يوسف كنعان . بيروت لبنان . ط ١ سنة ١٩٥٩ م . ج ١ . ص ٢٢٩ .

(٨) رفيع السنان ، سريع القلم : كناية عن الظفر في الحروب ، وعن نفاد أوامره .

(٩) ينظر ديوان رسائله . ص ٢١١ - ٢١٢ .

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بَاخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

ففي البيت الأول استعارة واضحة . وسنعرض لغرامه وكلفه ، بالمحسنات البديعية ، ولا سيَّما السجع ، حين كلامنا عن نثره ، فهو أبين عنده في النثر ، منه في الشعر .

وهناك سمة أخرى ، هي سمة الوصف النفسي ، والتغلغل في تصوير خلجات النفس . وقد صور لنا أبو بكر ذلك ، في قصيدته التي بعث بها ، الى الأمير أبي نصر الميكالي ، خير تصوير ، كما مر معنا^(١٠) .

وبعد هذا فالسمة الرئيسة ، التي يمكننا أن نقول : إنَّها تبدو واضحة في شعره ، هي سمة النضج الثقافي ، التي تولدت عنده ، نتيجة المامه بفنون اللغة العربية ، ونتيجة كثرة حفظه ، لأقوال العرب وأخبارهم وأشعارهم . تلك السمة التي كثيراً ما استمد أبو بكر منها الشيء الكثير ، ليعينه على تمثيل صورته ، تصويراً دقيقاً ، فالسمعاني يقول عنه إنه كان : « أوحده عصره في حفظ اللغة والشعر^(١١) » . كما روى عنه أيضاً حكاية تدل على هذا ، وتدل على تمكنه العجيب من العربية وفنونها ، حيث قال : « حكي عنه أنه دخل مجلس الصاحب بن عباد، وعليه ثياب خلق^(١٢) ، وكان غاصاً بالفضلاء والشعراء ، من أقطار الأرض ، فصعد الصُّفَّة^(١٣) ، فاستزراه^(١٤) الحاضرون ، فقال واحد منهم ، ظناً منه أنه لا يعرف العربية ، من هذا الكلب؟ فقال أبو بكر الخوارزمي : الكلب الذي لا يعرف عشرين لغة في الكلب . فسكت الحاضرون ، وأقروا له بالفضل ، فذكر لهم أسماء الكلب^(١٥) » .

(١٠) ينظر ص ١٥١ من هذا الكتاب .

(١١) ينظر كتابه : الانساب ٥ : ٢١٣ .

(١٢) اخلق الثوب : ابلاه ، والثوب بلي فهو مخلق .

(١٣) الصفة من البيت : الظلة : اي الموضع المظلل . ومن البنيان : الطرة او شبه البهو الواسع الطويل السمك . وجمعه صفف . وقيل : هو ظلة تقام على عمد امام البناء او بجانبه .

(١٤) فاستزراه : اي عابه .

(١٥) ينظر الانساب ٥ : ٢١٣ .

ويتمثل لنا نضجه الثقافي أيضا بأجلى صوره ، في معارضاته الشعرية ، مع الرستمي ، وبديع الزمان الهمداني ، كما يتمثل في بعض لمحاته النقدية للشعراء وشعرهم ، سواء منهم السابقون والمعاصرون . وتظهر تلك المقدرة النقدية في قوله مثلا^(١٦) : « غر البحري ووسائط قلائده ، وأبيات قصائده ، أكثر من أن تحصى - وعندي أن أفصح أبياته وأبلغها ، وأجمعها للكثير من المعاني ، بالقليل من الألفاظ هي قوله :

فمن يرض بعد السخط كان على هدًى
وليس لمن بعد الرضى يسخط اهتدى
فإن الرضا بعد العدا يكشف القلى
وإن العدا بعد الرضى يجلب الردى

وقوله^(١٧) : « أمير الشعراء العصرين ، أبو الطيب ، وأمير شعره قصيدته التي أولها :

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حَمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَالِبِ^(١٨)
وأمير هذه القصيدة قوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثي وبياض الصبح يغري بي^(١٩)
فالخوارزمي كما نراه ، ينقد القصائد فيختار أحسنها ، ثم ينقد القصيدة المختارة ، ليستل من أبياتها أجملها .

ويظهر أن الخوارزمي ، كان معجبا بشعر المتنبي ، فقد جاء على لسانه من لمحاته النقدية هذه ، قوله : « أغزل بيت للعصرين ، قول المتنبي^(٢٠) » :

قد كنتُ أشفق من دمعي على بصري فاليوم كلُّ عزيز بعدكم هانا^(٢١)

(١٦) ينظر : الإعجاز والایجاز . ص ١١٧ .

(١٧) المصدر السابق . ص ٢١٥ ، أربع رسائل « من الرسالة الثانية وهي من منتخبات كتاب المهج للثعالبي » . ص ٧٤ .

(١٨) الجاذر : جمع جؤذر : وهو ولد البقرة الوحشية . والأعاريب : جمع أعراب .

(١٩) يشفع لي : يسترني ويخفيني . وأنثي : وأعود . يغري بي : يحثهم ويدل علي .

(٢٠) ينظر : الإعجاز والایجاز . ص ٢١٧ ، أربع رسائل . ص ٧٤ .

(٢١) أشفق : أخاف .

وهذا أبو منصور الثعالبي يقول (٢٢) : إنّه سمع أبا بكر الخوارزمي يقول : إنّه يحفظ في هجاء المغنين ، ما يقارب ألف بيت ، وليس فيه أبلغ وأوجز وأطرب ، من قول كشاجم :

ومغنٍ بارد النف مةٍ مختلٍ الـيدين
ما رآه أحدٌ في دارٍ قومٍ مرتين

ومن نظراته النقدية ، ما رواه الثعالبي أيضا ، من أنه سمعه يقول عن الشيباني : « إنّه كان في أيام شبابه بخوارزم ، يقول شعراً غليظاً جاسياً ، كأشعار المؤدبين ، فلما عاشر الناس ، ولقي الأفاضل لطف طبعه ، ورقّ شعره (٢٣) » .

ومن أجمل أقواله ، ما رواه عنه الألويسي ، من أنه كان يقول (٢٤) : «ربما أردت البكاء في بعض مواطنه فيمتنع عليّ ، فما هو الا أن أنشد أبيات أبي الطمحان القيني ، فيما بيني وبين نفسي ، حتى ينحل عقد الدمع ، والأبيات هي :

ألا عِلَلًا نِي قَبْلَ صَدَحِ النَّوَاحِ
وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَانِحِ (٢٥)
وَقَبْلَ غَدٍ ، يَا لَهْفِ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَاحٍ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي تَفِيزُ دُمُوعُهُمْ
وَعُودِرْتُ فِي لَحْدٍ عَلَيَّ صَقَائِحِي (٢٦)
يَقُولُونَ : هَلْ أَصْلَحْتُمْ لِأَخِيكُمْ ؟
وَمَا لِلْحَدِّ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءُ بِصَالِحٍ

-
- (٢٢) ينظر كتابه : خاص الخاص . ص ٦٤ .
(٢٣) ينظر : بتيمة الدهر ٤ : ٢٤٢ . وجاسيا : اي غليظا .
(٢٤) ينظر كتابه : بلوغ الارب ٣ : ١٢٨ - ١٢٩ .
(٢٥) التعليل : تطيب النفس بذكر ما تحب .
(٢٦) غودرت : تركت . والصفائح : الحجارة المريضة الرقيقة .

كما يتمثل نضجه الثقافي أيضا ، في تضمينه لأشعاره ، آياتاً من شعر سابقه ، كأبي تمام ، والبحري وجري ، والفرزدق ، وبلعام بن قيس الكناني ، وأبي النجم (*) ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابعة الدياني ، وأبي نواس ، وزيد الخيل وغيرهم .

ومن الملاحظ أن تضمينه ، لم يقتصر على شعر عصري دون آخر ، وإنما شمل شعر العصر الجاهلي ، وشعر العصر الاسلامي .

ومن معارضاته تلك القصيدة ، التي عارض بها قصيدة الرستمي ، في الوزن والقافية ، والتي يقول فيها الثعالبي : إنها من أجود قصائده (٢٧) :

أكلُ بناءٍ أنتَ بانيهٍ مُعْجِزُ	بنيتَ المعالي أم بنيتَ المنازل ؟
فلا الإنسُ تبني مثلَهنَّ معالماً	ولا الجنُّ تبني مثلَهنَّ معاقلاً
كنائسُ أضحتْ للغمامِ عمائماً	علواً ، وأمست في الظلام قنادلاً
رحابُ كانَ قد شاكلتْ صدرَ ربِّها	وبيض كانَ قد نازَعَتْهُ الشمائلُ
وَبَهْوُ تباهي الأرض منه سماءُها	بأوسع منها آخرُ وأوائلُ
وصحن يسير الطرف فيه ولم يكن	ليقطعَ بالسير إلا مراحلُ
تلوح نقوشُ الجصِّ في جدرانهِ	كما زينَ الوشمُ الدقيقُ الأناملُ
وماء إذا أبصرت منه صفاءَها	حسبت نجومَ الليل ذابت سوائِلُ
رأيتَ سيوفاً قد سُلِّلنَ على الثرى	وصارت لها أيدي الرياح صياقِلُ (٢٨)

ومن مناظراته مع بديع الزمان الهمداني ، تتمثل بهذه الأبيات ، التي قالها بين جمع غفير من الناس ، حينما دعاها ، أبو القاسم وجمع بينهما ، وحضر تلك المناظرة ، عدد كبير من القضاة والفقهاء ، والأدباء والأشراف ، وغيرهم من سائر الناس ، وقد اقترح فيها الحاضرون ، أن يقولوا على وزن قول المتنبي :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقق

(*) المقصود به الفضل بن قدامة ، أبو النجم العجلي ، من رجاز الاسلام .

(٢٧) بيتمة الدهر ٣ : ٢١٣ - ٢١٤ . اقتصرنا على هذه الابيات من القصيدة .

(٢٨) الصَّيْقَل : الذي يسن السيوف ويجلوها . وجمعه صياقل وصياقلة .

فابتدر أبو بكر الاجازة بقوله (٢٩) :

واذا ابتدعتَ بديهةً يا سيدي فأراكَ عندَ بديهتي تَقَلِّقُ
واذا قرضتَ الشعرَ في ميدانه لا شك أنك يا أخي تشقُّقُ
إنِّي إذا قلتُ البديهةَ قلتُها عَجلاً وطبعكَ عندَ طبعي يرفقُ
ما لي أراكَ ولستَ مثلي عندها متموهاً بالترَّهاتِ تمخرقُ
إنِّي أجيز على البديهة مثلَ ما تريانه وإذا نطقت أصدق
وردَ البديع على هذا بقوله :

مهلاً أبا بكر فزندكَ أضيق فاخرسْ فإنَّ أخاكَ حيٌّ يرزق
دعني أعركَ إذا سكت سلامة فالقول ينجد في ذوك ويغرق
ولفاتك فتكات سوء فيكم فدع الستور وراءها لا تخرق
وانظر لأشنع ما أقول وأدعي اله الى أعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك خزية جربت نار معرتي هل تحرق

وهنا قطع عليه أبو بكر شعره بقوله : إنَّه قد أخطأ في قوله : يا أحمقا ،
لأنه لا يجوز صرفه ، فقال له البديع رداً على قوله : « أما الأحق في هذا
المقام ، فلا يزال يصفعك لتصفعه ، حتى ينصرف وتنصرف معه ، ألا تعرف أن
للشاعر رد ما لا ينصرف الى الصرف ، كما ان له الرأي في القصر والحذف (٣٠) » ،
وكان أن أعجب الحاضرون بالبديع ، وانخذل الخوارزمي ، انخذالاً شديداً .
أما تضميناته لأشعار سابقه ، فهي كثيرة وقد احتوى كتاب يتيمة الدهر
على الكثير منها ، ولكننا سنعرض لبعض تضميناته ، كنماذج للتدليل . فمن
التضمين قوله (٣١) :

أَظْلُ إذا عاتبتُ نفسي منشداً
« فهلا تلا حاميم قبلَ التقدُّم (٣٢) »

(٢٩) ينظر تاريخ الادب العربي - بيومي ٣ : ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣٠) ينظر تاريخ الادب العربي - بيومي ٣ : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣١) تنظر تضميناته في يتيمة الدهر ٤ : ٢١٢ .

(٣٢) المصراع الثاني من البيت قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل .

وأنشد في ذكرى لدارك باكيًا
 « ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم^(٣٣) »
 لأنك لا تروين بيتاً لشاعرٍ
 سوى بيت «مَنْ لم يظلم الناس يظلم^(٣٤)»

ومن تضميناته الرشيدة الطريفة قوله :
 ولما أكثر الحسادُ فيه وقالوا قد تغصّنتِ الخدودُ
 أجابَ الفضلُ عنه حاسديه «لأمرٍ ماتسودُّ مَنْ يسودُّ^(٣٥)»
 ومن تضميناته التي أوقعها موقعها الحسن ، والتي تدل على اتساع
 روايته ، وكثرة محفوظاته ، قوله في فرس لعضد الدولة^(٣٦) :

حسد السماء سميّه لما بدا
 في سرجه شخصُ الهمام الأبلج^(٣٧)
 وغدا فأضحى لاحقاً ضد اسمه
 وأراك أعوجَ وهو عيّنُ الأعوجِ
 فلو أنَّ شاعرَ بحثُرٍ في عصره
 ما قال في فرسٍ ولا في أعوجِ
 « خفّتْ مواقعُ وطئِهِ ، فلو أئتهُ
 يجري برملةٍ «عالجٍ» لم يرْهِج^(٣٨) »

-
- (٣٣) المصراع الثاني من البيت ، قاله زهير بن أبي سلمى .
 (٣٤) في البيت تضمين من قول زهير بن أبي سلمى من معلقته .
 ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
 وقد استشهدنا به في حاشية ص ١٩٢ من هذا الكتاب .
 (٣٥) المصراع الثاني من البيت ، لبلعام بن قيس الكناني .
 (٣٦) ينظر بتيمة الدهر ٤ : ٢١٣ .
 (٣٧) السماء : فرس منسوب لعضد الدولة .
 (٣٨) البيت بكامله للبحري ، ينظر ديوانه ١ : ٤٠٣ . تحقيق : حسن كامل
 الصيرفي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .

ومن قوله في وصف الناقة :

بَجَسْرَةٍ قَائِدُهَا بَرَاهِمَا
فِي السَّيْرِ ، بَلْ سَائِقُهَا رَجُلَاهِمَا
قَدْ كَتَبَ الْعِتَقُ عَلَى ذِفْرَاهِمَا
« أَي قُلُوصِ رَاكِبٍ تَرَاهِمَا » (٣٩)

وقوله من قصيدة في مدح آل بويه :

وَأَنشَدْتُ فِي دَارِي وَفِيمَا أَرَى بِهَا
« أَمِنْ أُم أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ » (٤٠)
ومن قصيدته في الصاحب بن عباد قوله :

وَمَنْ تَرَكَ الْأَخْيَارَ يَنْشِدُ أَهْلُهُ
« أَجَلُ أَيُّهَا الرِّبْعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ » (٤١)

وقال من قصيدة أخرى :

أَخُو كَلِمَاتٍ مَا حَلَاهَا لِسَانُهُ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا غَدَا وَهُوَ خَاطِبُ
مَتَى يَرَوْهَا أَهْلُ الصَّنَاعَةِ يَنْشِدُوا
« عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ » (٤٢)
وفي شعره الكثير من هذا التضمين ، الذي يتخلل قصائده .

(٣٩) البيت جاهلي قديم .

(٤٠) المصراع صدر مطلع لزهير بن أبي سلمى ، وعجزه : « بحومانة الدراج فالمتلّم » .

(٤١) المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام ، وعجزه قوله :

« لَقَدْ أَدْرَكْتُ فَيْكَ النُّوَى مَا تَحَاوَلَهُ » .

ينظر : ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ٣ : ٢١ .

تحقيق : محمد عبده عزام . مط ، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .

(٤٢) المصراع عجز في قول أبي تمام ، وصدره قوله :

« عَلَى أَنَّهَا الْإِيَّامُ قَدْ صَرَنَ كُلُّهَا » .

مكانته في الشعر العربي :

هذا النضج الثقافي ، الذي نوهنا به ، جعل أبا بكر الخوارزمي ، متمكناً من اللغة العربية ومفرداتها ، ضليعاً في كل فن من فنونها .

وقد كان أبو بكر الخوارزمي — كما يتراءى لنا — ذا منزلة شعرية عظيمة ، بين الشعراء العرب . وهذا أبو منصور الثعالبي يقول فيه (١) :

« قوي المعرفة ، قويم الأدب ، نافذ القريحة ، حسن الشعر ، فرد الدهر في الأدب والشعر » ، وهذا أبو حيان التوحيدي ، يقول فيه أيضاً (٢) :

« كان من أفصح الناس ، ما رأينا في العجم مثله » .

ومن هذه الأقوال ، ومما سبق أن ذكرناه عن شعره ، سواء في موضوعاته ، أو سمات فنه ، يتضح لنا أن أبا بكر ، قد قلّد سابقيه ، وأخذ الكثير من أساليبهم ومعانيهم . وليس معنى هذا أنه قلدهم وحاكاهم ، بالمفهوم العام لهذا القول ، وإنما كان كغيره من شعراء المشرق ، في القرن الرابع الهجري ، يعارض كبار الشعراء ، ويستفيد من أساليبهم ومعانيهم ، دون أن يفقد شخصيته الشعرية ، التي ظهرت واضحة في خصائصه الشعرية .

وربما كان مرجع تلك المعارضات ، رغبة الشاعر في تأكيد ذاته ، وإظهار فنه ، وبسبب ضياع ديوانه ، لا نستطيع أن نبيح لأنفسنا أن نقطع بحكم جازم في منزلته الشعرية ، وإن كان شاعراً في منظومه ، وشاعراً حتى في منشوره ، كما سنرى ذلك حين تتناوله كاتباً ناثراً .

وليس معنى هذا أن أبا بكر الخوارزمي ، قد سلم من الطعن في شاعريته ،

(١) ينظر كتابه : يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٤ .

(٢) ينظر كتابه : اخلاق الوزيرين — أبو حيان التوحيدي — ص ١٠٧ . مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . سنة الطبع ١٩٦٥ م .

فقد رمي بالسرقة الشعرية ، كما رمي بها غيره من الشعراء • وهذا القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني^(٣) يقول فيه^(٤) :

لَوْ نَقِضَتْ أَشْعَارُهُ نَقِضَتْ
لَأَنْتَشَرَتْ تَطْلُبُ أَصْحَابُهَا^(٥)

فالقاضي في هذا البيت ، يجرده من شاعريته ، ويتهمه بالأخذ من غيره من الشعراء •

ومن هذا لم يكن أبو بكر الخوارزمي ، شاعراً أو ناثراً فقط ، وإنما كان يحاضر بأخبار العرب وأيامها وأشعارها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، كما ذكر الثعالبي^(٦) •

(٣) توفي سنة ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م . ينظر : الاعلام ٥ : ١١٤ .

(٤) ينظر : يتيمة الدهر ١ : ١٠ .

(٥) انتشر الشيء : تفرق . ويجوز ان تكون « انتشرت » « والنشر » ما تنثر من الشيء . والنشر : المتساقط الذي لا يثبت .

(٦) ينظر المصدر السابق ٤ : ١٩٤ .

الفصل الثالث

أبو القاسم الزمخشري

الزمخشري :

أولا : حياته

- ١ — نشأته في خوارزم •
- ٢ — ذهابه الى بلخ لتلقي العلم •
- ٣ — حديثه عن أساتذته ، وعن أصدقائه ، وعن طلابه ، وعن مؤلفاته •
- ٤ — أثر غربته وهجرته في نفسه •
- ٥ — مدحه وأيه أصدق فيه من الآخر ، ولماذا ؟
- ٦ — شكواه وتجمل فيه :
- أ — غربته •
- ب — فقداه لأهله •
- ج — عدم أصابته منزلة في التدريس ، أو حظوة عند الأمراء والوزراء •

ثانيا : شعره

- ١ — خلوه من أثر البيئة •
- ٢ — ركونه الى المعاني والتشبيهات العقلية ، وأثر ثقافته الكلامية في ذلك •
- ٣ — جزالة لفظه ، وأثر عيشه في مكة ، وكثرة مدارسته القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم •
- ٤ — أسلوب الجدل والمناظرات في شعره •
- ٥ — ركونه — أحيانا — الى المحسنات البديعية •

ثالثا : شاعريته

الزمخشري :

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد . يكنى « أبا القاسم » ، ويلقب بجار الله ، وقد شهر « بالزمخشري » نسبة الى بلده زَمَخْشَر .

ولد سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م^(١) ، في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي^(٢) ، ووزيره نظام الملك^(٣) ، الذي كان محباً للعلم والعلماء . وقد نشطت الحركة العلمية وازدهرت في عهديهما .

وكل ما نعرفه عن نشأة أبي القاسم الزمخشري الأولى ، أنه نشأ في أسرة فقيرة ، متدينة صالحة . كان والده إماماً ورعاً تقياً ، يقضي أوقاته في تلاوة القرآن الكريم والصلاة ، والى هذا يشير الزمخشري بقوله^(٤) :

لَمْ يَأَلْ مَا عَاشَ جَدًّا فِي تَقْـاهِ يَرَى
إِنَّ الْحَرِيصَ عَلَى دِينِهِ مَخْـدَعٌ

(١) اتفقت المصادر على هذه السنة ، لوفاة الزمخشري . ومن هذه المصادر :

المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٥ ، معجم الادباء ١٩ : ١٢٩ ، الانساب ٦ : ٣١٦ ، الباب في تهذيب الانساب ١ : ٥٠٧ ، المنتظم ١ : ١١٢ ، انباه الرواة ٣ : ٢٦٨ ، الكامل في التاريخ ١١ : ٩٧ ، طبقات المفسرين . ص ٤١ (طبعة طهران) ، دول الاسلام ٢ : ٤١ ، نزهة الالباء في طبقات الادباء . ص ٢٧٦ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٤ . وانفرد ابن قاضي شعبة في كتابه : طبقات النحاة واللفويين « مخطوط » ورقة ٢٥١ ، بأن الزمخشري توفي سنة ٥٣٣هـ .

(٢) هو جلال الدنيا والدين ، أبو الفتح ملكشاه السلجوقي .

(٣) كان من أشهر وزراء السلاجقة . ظل وزيراً ثلاثين سنة متتالية ، للسلطانين الب أرسلان وملكشاه . وكان عالماً ديناً ، وجواداً عادلاً ، على حد قول ابن الاثير . عمر المدارس ، ودون العلم في بلاد الاسلام جميعها . وهو صاحب المدرسة النظامية المعروفة باسمه . ينظر عنه : الكامل في التاريخ ١٠ : ٨ .

(٤) ينظر ديوانه « مخطوط » . ورقة ٧٢ .

صامَ النهارَ وقامَ الليلَ وهو شَجٌّ

من خشيةِ اللهِ كابي اللونِ مُتَمَتِّعٌ^(٥)

وكان حسن الطباع والأخلاق ، حلو الكلام ، ذا مروءة وان كان فقيراً من المال ، ولكنه غني بهذه الصفات ، التي ذكرها الزمخشري في قوله^(٦) :

أخا طباعٍ مصفاةٍ مناسبةٍ ماء السحابةِ ما في بعضها طبعٌ
وذا حقائق لا في لحظه طلب بغير رشد ولا في لفظه قذعٌ
من المروءةِ في العلياء متسعٌ صدرأ وان لم يكن في المال متسعٌ

أما والدته فقد شهد لها أيضاً بورعها وزهداها ، ورقة عواطفها • يشهد لها على ذلك ، ما يرويه الزمخشري في حديثه عن قطع رجله ، ويرجعه الى دعائها عليه ، لأنه تسبب في قطع رجل عصفور • ونحن نرى في روايته هذه ، الدليل على تمسك أسرته بالدين ، واشتعارها بالتقوى ، تلك التقوى التي هذبت نفوسهم وصقلتها ، الى الحدّ الذي جعلتهم به ، يعطفون على الحيوان كل هذا العطف ، الذي جعل والدته الزمخشري - على حد قوله - تغضب وتثور عليه ، حتى تبلغ بثورتها درجة الدعاء على ولدها بكسر رجله ، لكسره رجل عصفور ، ويرى الزمخشري أن الله - سبحانه - استجاب لدعائها فقطعت •

ومن الظواهر الأخرى ، التي تدل على تدين أسرة الزمخشري ، اجتنابها شرب الخمرة ، قطعة شعرية له ، يتغنى فيها بالخمرة ، ثم يؤكد أنه لم يقربها ، لا هو ولا أحد من أفراد أسرته ، حيث يقول^(٧) :

هاتِ التي شُبِّهَتْ ظُلماً بشمسٍ ضُحِي

لو عارضَتْها لغطَتْها بإشراقِ

ناريّةِ النَّعْتِ إِلَّا أَنَّهَا عَدَلَتْ

نارَ الخليلِ فلمْ تهْم بإحراقِ

(٥) الشجو : الهم والحزن . وشجا به له شجاً في حلقة وغصته ، فهو شج .

(٦) ينظر : مخطوط ديوانه . ورقة ٧٢ .

(٧) ينظر المصدر السابق . ورقة ٨٥ .

ثم يستدرك الحديث ، وكأنه يفيق من غفلة فيقول :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَنِّي قَدْ نُسِبْتُ بِهَا

وَلَمْ أَكُن لِحَيَاهَا بِذَوَّاقٍ

وَلَمْ يَذْقَهَا أَبِي كَلَّا وَلَا أَحَدٌ

مِنْ أَمْرَتِي وَاتِّفَاقِ النَّاسِ مِصْدَاقِي

وأسرة الزمخشري مكونة من هذا الأب الصالح التقى ، وتلك الأم التي لا تقل عن زوجها وزعاً وتقى . أما بقية أفراد الأسرة ، فلا نعرف عنها شيئاً ، وإن كنا نستشف من خلال قصائده ، أن أباه كان عائلاً لأسرة ذات عدد ، وأنه كان يكد ويتعب في سبيل اطعامهم ، لأنهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة . فهو يقول من مقطوعة يستعطف فيها مؤيد الملك ، لأنه سجن والده ، ويطلب منه إطلاق سراحه ، مستشفعاً عنده ، بما لأبيه من الفضل والعلم ، ورحمة بشبابه وأطفاله .

أما سبب سجنه ، فلم نجد في ديوان الزمخشري ، أو في أخباره ، أية إشارة تدلنا عليه ، وإن كنا نرجح أن سببه ، اختلافهما في المذهب . يقول الزمخشري مخاطباً مؤيد الملك^(٨) :

أَكْفَى الْكَفَاةِ مُؤَيِّدَ الْمَلِكِ الَّذِي	خَضَعَ الزَّمَانُ لِعِزِّهِ وَجَلَالِهِ
إِرْحَمْ أُمِّي لِشَبَابِهِ وَلِفَضْلِهِ	وَارْحَمْهُ لِلضَّعْفَاءِ مِنْ أَطْفَالِهِ
ارْحَمْ أَسِيرًا لَوْ رَأَاهُ مِنَ الْعِدَى	أَقْسَاهُمْ قَلْبًا لِرَقِّ لِحَالِهِ
مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ الَّذِي يَفْنِيهِ فِي	سَهَرٍ وَأَطْوَلَ مِنْهُ لَيْلُ عِيَالِهِ

إلى أن نراه يتوقف عن وصف حال أبيه ، ليأخذ في مدح مؤيد الملك ، حيث يقول :

مَاضِرٌ مِثْلِكَ لَوْ عَفَا عَنْهُ فَمِنْ دَابِّ الْكِرَامِ الْعَفْوُ عَنْ أَمْثَالِهِ

(٨) مخطوط ديوانه . ورقة ٩٧ .
توفي مؤيد الملك ، في سنة ٤٩٤ هـ .

أما ما هي تلك الاساءة ، التي عملها والده ، والتي أشار اليها الزمخشري ، في بيته الأخير ، فلا ندري عنها شيئاً •

إذا كانت نشأة الزمخشري ، نشأة دينية أدبية علمية ، فقد عاش هذا الامام في أعقاب عصر ، يعد من أزهى العصور العلمية والأدبية في هذا الاقليم • هذا بالاضافة الى نشأته العلمية ، التي عاشها في ظل والده العالم التقى ، الذي أخذ عنه العلم في طفولته ، والذي نعته الزمخشري كما رأينا بقوله :

إِرْحَمْ أَبِي لَشَبَابِهِ وَلِفَضْلِهِ وَارْحَمْهُ لِلضَعْفَاءِ مِنْ أَطْفَالِهِ
وما عسى أن يكون هذا الفضل ، الا فضل العلم ، الذي نوه به الزمخشري كثيراً ، فهو يقول (٩) :

أيّ امرئٍ فوق مقرر القرى رفعوا
وأيّ حزمٍ وحلمٍ في الثرى وضعوا (١٠)

درس الزمخشري صبيّاً - كما تشير المصادر - في خوارزم ، ولما بلغ سن الطلب ، على حد قول ابن خلكان (١١) ، وابن قاضي شعبة (١٢) ، رحل الى بخارى لطلب العلم ، لأنها كانت على حد قول الثعالبي (١٣) : « مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، أو موسم فضلاء الدهر » •

والذي ينقصنا هنا معرفة عمره حينذاك ، لأن المؤرخين له لم يذكروه ، وان كنا نتصوره في سن الشباب •

ومن خلال دراستنا لأخباره ، يتراءى لنا انه وقف حياته للدرس والتأليف ، ونذر نفسه لهما ، منذ نشأته الأولى ، حتى بلغ به الأمر ألا يتزوج أو يشغل نفسه بعمل ، مخافة أن يشغله ذلك عن العلم ، أو يتعدّولو قليلاً -

(٩) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٧٢ .

(١٠) القرى والقراء : ضوء الشمس .

(١١) ينظر كتابه : وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٥ .

(١٢) ينظر كتابه : طبقات النحاة واللغويين « خ » ورقة ٢٥٢ .

(١٣) ينظر : تيممة الدهر ٤ : ١٠١ « طبعة حجازي » .

عنه • والظاهر أن والده توفي عندما كان الزمخشري في بخارى ، وهذا ما
 حزّ كثيراً في نفسه وآلمه ، لأنه لم يشف غليله بالاقامة معه تحت سقف واحد ،
 ولم يتمتع نظره برؤيته ، قبيل وفاته ، فزاد هذا في حزنه ، وفي لوعة الفراق ،
 التي كان يعانيتها فقال (١٤) :

وإنّ ممّا قرّاني حسرةً وأسىً
 وضامني الكرب من جرّاه والوجع
 إنّ عاقني شحط دارٍ عن تقّده
 حتّى مضى وهو من ذكراي ملتدع
 يا حسرةً إنّي لم أرو غلّته
 وغلّتي بزّمانٍ فيه نجتمع
 قد كنت أشكو فراقاً قبل منقطعاً
 وكيف لي بعده بالعيش منتفع
 أأرتجي بعده بالعيش منتفعا
 متى أتيح فراق ليس ينقطع (١٥)
 قد كنت أطمح في أشياء أدركها
 فاليوم لم يبق لي في بعضها طمع

ومن الجدير بالذكر أن تتعرف على بعض من لهم الفضل ، في تعليم
 الامام وفي تدريسه • وعلى من يدينون بالفضل له ، لأخذهم العلم عنه ، ومن
 ربطت الصداقة بينه وبينهم ، برباط الحب والاخوة •

أما أساتذته : فالظاهر أن أبا مضر محمود بن جرير الضبي الاصبهاني ،
 كان أحبهم الى نفسه ، وأكثرهم أثراً فيها ، كما سنعرف في رثائه له • وهو الذي
 قال فيه ياقوت الحموي (١٦) : « كان يلقب بفريد العصر ، وكان وحيد دهره

(١٤) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٧٢ .

(١٥) « متى » جاءت في الاصل (حتى) ولعل الصواب ما ائبنتاه .

(١٦) ينظر معجم الادباء ١٩ : ١٢٣ - ١٢٤ .

وأوانه ، في علم اللغة والنحو . يضرب به المثل في أنواع الفضائل .. وهو الذي ادخل على خوارزم مذهب المعتزلة ، ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه » .

وفي بخارى أخذ الزمخشري الأدب عن أبي الحسن ، علي بن المظفر النيسابوري ، وسمع من أبي سعد الشقاني ، ومن شيخ الاسلام أبي منصور الحارثي^(١٧) ، ثم تخرج بعدهما بأبي مضر ، هذا الذي أطرى ياقوت فضله ، والذي أقام مدة في خوارزم ، وتخرج به جماعة من الأكابر ، منهم الزمخشري^(١٨) .

وهكذا لقي الزمخشري العلماء والأفاضل^(١٩) ، وأفاد منهم الكثير ، وساعده على ذلك حفظه الكثير للأدب واللغة ، حتى صار يضرب به المثل في هذين العلمين ، وفي علم النحو كذلك^(٢٠) . وهكذا صار الزمخشري ملجأ لكل ظاميء للعلم ، ولكل ظاميء للفن ، لأنه امام عصره في هذه الفنون كلها ، مما جعل القفطي يقول فيه^(٢١) : « لم يتمكن أحد في دهره من جلاء رذالة^(٢٢) النظم والنثر ، وصقال صوارم الأدب والشعر ، الا بالاهتداء بنجم فضله والاقتداح بزند عقله » .

ووصفه الأستاذ أمين الخولي^(٢٣) ، بأنه أستاذ الدنيا ، وشيخ العرب والعجم . كما وصفه غيره^(٢٤) بالعالم العربي الفارسي المولد .

(١٧) ينظر بغية الوعاة ٢ : ٢٧٩ .

(١٨) ينظر مقدمة اللاميتين من شروح الزمخشري والصفدي ، أعدها وعلق عليها : عبدالمدين الملوحي . مط . مديرية احياء التراث القديم - دمشق سنة ١٩٦٦ م .

(١٩) المنتظم ١٠ : ١١٢ .

(٢٠) ينظر الانساب ٦ : ٣١٥ ، انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ .

(٢١) ينظر كتابه : انباه الرواة ٣ : ٢٦٩ .

(٢٢) وردت في النص « رذائل » ولعل الصحيح ما اثبتناه - ورذال او رذالة بمعنى : ما انتقى من جيده ، وبقي رديئه .

(٢٣) ينظر مقدمة كتاب اساس البلاغة ، طبعة دار الكتاب المصرية ، القاهرة ١٩٥٣ م .

(٢٤) ينظر دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ١٠ : ٤٠٣ .

ويبدو أن الزمخشري ، قد قام بالتدريس في أماكن عديدة ، إذ كان له تلاميذ في زمخشر وطبرستان ، وأبيورد وسمرقند ، وخوارزم وحب (٢٥) . وكان يدرسهم التفسير والحديث ، واللغة والأدب والبلاغة ، كما كان يث فيهم ثقافته الكلامية ، ومعتقد المعتزلي ، على ما ذكره السمعاني (٢٦) . وقد روى تلاميذه عنه ، كما روى أصحابه . روى عنه أبو المحاسن اسماعيل ابن عبدالله الطويلي بطبرستان ، وروى غيره (٢٧) في زمخشر وأبيورد ، وسمرقند وخوارزم ، وكانت مجالسه مشهورة ، وكان فتيان مكة يتحلقون حوله ، كما كان يقصده الطلاب من أرجاء العالم الاسلامي ، وقد وصف مجالسه تلك ، تلميذه يعقوب بن شيرين بقوله (٢٨) :

فَتَى سار في الآفاقِ ركبَانُ ذِكْرُه

مغربَةً طَوْرًا وطَوْرًا مشرِّقَه°

إِذَا حَلَّ في أرض أَنَاهِ فحولُها

تفيد علومًا حوله متعلقه°

وإنَّ خاض في شرح العلوم رأيتها

لفرط احتشامٍ من معاليه مُطَرِّقَه°

فليس له في كلِّ شَرْقٍ ومغرب

نظير° ، بنو الدنيا على ذلك مطبقه°

(٢٥) من تلاميذه في حلب ، عالي بن ابراهيم الفزنوي : أحد علماء حلب في التفسير والفقه ، واللغة العربية ، والاصول والجدل . لقي الزمخشري وقرا عليه ، وكتب عنه . ولما عاد الى حلب اقام بها مدرسا . توفي سنة ٥٨٢ هـ . ينظر عنه : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام - د . احمد احمد بدوي . ص ١١٤ . طبعة : نهضة مصر . وللتفصيل عن تلاميذ الزمخشري ، ينظر كتاب الدكتور الحوفي : الزمخشري . ص ٥٢ فقد عقد لهم فصلا خاصا بهم .

(٢٦) ينظر كتابه : الانساب (خ) مصور . ورقة ٢٨٨ .

(٢٧) منهم أبو المحاسن عبدالرحيم بن عبدالله البزاز بأبيورد ، وأبو عمرو بن الحسن السمسار بزمخشر ، وأبو سعد أحمد بن محمود الشاشي بسمرقند ، وأبو طاهر سامان بن عبدالملك الفقيه بخوارزم وغيرهم .

(٢٨) ينظر انباه الرواة ٣ : ٢٦٥ .

وقد تباهى الامام الزمخشري نفسه ، بمجالسه وعلمه حينما قال (٢٩):

أَلَمْ تَرَ أَنِّي حَيْثُمَا كُنْتُ كَعْبَةً يَحْفَوْنَ بِي كَالطَّائِفِينَ طَوَائِفًا
فَشَرْقِيَّتُهُمْ يَهْوَى إِلَى النُّورِ قَابِسًا وَغَرْبِيَّتُهُمْ يَسْعَى إِلَى الْبَحْرِ غَارِفًا
تَرَانِي فِي عِلْمِ الْمُنَزَّلِ عَالِمًا وَمَا أَنَا فِي عِلْمِ الْأَحَادِيثِ رَاسِفًا (٣٠)
فَلِلْسُنَةِ الْبَيْضَاءِ فِيَّ مَنَاجِحٌ وَيُنْفِي كِتَابَ اللَّهِ مِنِّي الْمَعَارِفَا
وَمَا أَنَا فِي عِلْمِ الدِّيَانَاتِ عَاطِلًا بِأَحْسَنِ حَلِي لَمْ يَزَلْ لِي شَايِفًا (٣١)
فَكَمْ قَدَرٌ وَحَتَّ يَمْنَانِي مِنْهُ دَفَاتِرَا وَكَمْ قَدَرٌ يَمْنَانِي مِنْهُ وَطَائِفَا (٣٢)
وَمَا لِللُّغَاتِ الْعَرَبِ مِثْلِي مَقْوَمٌ أَبَى كُلَّ نَدَبٍ مَتَقَنَّ أَنْ يَخَالَفَا (٣٣)
وَبِي يَسْتَعِيدُ النَّحْوُ مِنْ أَنْ يَسُوسَهُ نَهَى لَمْ يَجِدْهَا الذَّائِقُونَ حَصَائِفَا (٣٤)
وَمَا فِي رِوَاةِ السُّكُتِ رَاوِيَةٌ لَهُ سَوَى وَاحِدٍ فَانْظُرْ فَلَسْتُ مَصَارِفَا (٣٥)
وَعِلْمَا الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ كِلَاهُمَا أَزْفَ إِلَى الْخُطَابِ مِنْهُ وَصَايِفَا (٣٦)
أَقْرَبَتْ بِي الْآدَابُ أَصْلًا لَهَا وَمِنْ رَأَى مُشْرِفَاتٍ جَدْنُ الْمُشَارِفَا
وَدِيْوَانُ مَنْظُومِي يَثْرِيكَ بِدَائِعَا وَدِيْوَانُ مَنْشُورِي يَثْرِيكَ طَرَائِفَا (٣٧)
وبعد أن ارتوى الزمخشري ، من العلم والأدب ، ومن فنون المعرفة

(٢٩) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٧٩ .

(٣٠) راسفا : الرسف والرسيف والرسفان : مشي المقيد رويدا ، فهو راسف .

(٣١) شايفا : شاف شوفا الشيء : جلاه . وتشوفت المرأة : تزينت .

(٣٢) وحت : وحى الكتاب : أي كتبه . وطايفا : أي شيء كثير . يقال : عام أوطف : أي مخصب كثير الخير . وعيش أوطف : أي ناعم واسع رخي .

(٣٣) ندب : رجل ندب : أي خفيف في الحاجة ، سريع ظريف نجيب . والجمع ندوب .

(٣٤) حصائفا : الحصافة : ثخانة العقل ، وجودة الرأي . والحصف من الرجال : المحكم العقل ، المتين الرأي .

(٣٥) مصارفا : صرف : أي كسب واحتال . والشاعر هنا ينفي عن نفسه أن يكون متكسبا أو محتالا .

(٣٦) وصايفا : وصفه وصفا : نعته وذكر صفته ، فهو وصيف .

(٣٧) جاءت في الاصل ظرائفا ، واثبتنا ما رأيناه الصواب ، و « بدائع » تؤكد رأينا .

الأخرى ، رجع الى خوارزم ، ودفعه طموحه الى الاتصال ، برجال الدولة السلجوقية ، ولا سيما نظام الملك ، الذي كان يرعى شؤون تلك الدولة ، ومدحه بقصيدة بيّن له فيها ، أنه على الرغم من علمه وفضله ، لم يتبوأ المكانة اللائقة به ، بينما ظفر من هم دونه بذلك . والظاهر أن نظام الملك أعرض وصدّ عنه ، ولعل مردّ هذا اختلافهما في العقيدة ، فظام الملك سنيّ ، وقد افتتح المدارس لتعليم الشريعة ، على مذهب أهل السنة ، والزمخشري معتزليّ مجاهر باعتزاله ، ومتظاهر به (٣٨) . كما يجوز أن يكون مردّ ذلك روح الفخر بالنفس ، الذي كان يسيطر على قصائده ، التي قالها في هذه الفترة ، ولنظر اليه في هذه القصيدة ، التي بعث بها الى نظام الملك (٣٩) :

خَلِيلِيَّ هَلْ تَجْدِي عَلَيَّ فَضَائِلِي
 إِذَا أَنَا لَمْ أُرْفَعْ عَلَى كُلِّ جَاهِلٍ ؟
 مِنَ الْغَبْرِ ذُو نَقْصٍ يُصِيبُ مَنَازِلًا
 أَخُو الْفَضْلِ مَحْقُوقٌ بِتِلْكَ الْفَضَائِلِ
 كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرْغَمَ الْحَمَّ وَالْحَبَا
 تَصْدُرُ بِادٍ طَيْشُهُ غَيْرُ عَاقِلِ
 وَمَنْ لِي بِحَقِّي بَعْدَمَا وَفَّرْتُ عَلَى
 أَرَادِلِهَا الدِّينَا حَقُوقَ الْأُمَائِلِ
 كَذَا الدَّهْرُ كَمْ شَوْهَاءَ فِي الْحِكْمَى جِيدَهَا
 وَكَمْ جِيدٍ حَسَنَاءَ الْمُقْلَدِ عَاطِلِ
 وَمَا شَجَانِي أَنْ غَرَّ مَنَاقِبِي
 تَعَنَّى بِهَا الرِّكْبَانُ بَيْنَ الْقَوَائِلِ
 وَطَارَتْ إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ قَصَائِدِي
 وَسَارَتْ مَسِيرَ النِّيَّاتِ رَسَائِلِي

(٣٨) ينظر : المنتظم ١٠ : ١١٢ .

(٣٩) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٩٥ .

فهذا الفخر الممزوج بالشكوى ، يوجهه شاعر الى نظام الملك ، منوهاً فيه بعلمه وفضله ، دون أن يشبع رغبة نظام الملك من المديح ، تلك الرغبة المعروفة لدى الملوك ، والأمرء في ذلك العصر .

وفي القصيدة نفسها ، نرى الشاعر يستمر بفخره بنفسه ، عن طريق فخره بمؤلفاته ، حيث يقول :

وَكَمْ مِنْ أَمَلٍ لِي وَكَمْ مِنْ مُصَنَّفٍ
أَصَابَ بِهَا ذِهْنِي مَحْزٍ الْمَفَاصِلِ
وَلِي فِي دَقِيقِ النُّحُو وَالنَّقْدِ مَنْطِقُ
إِذَا قُلْتُ لَهُ لَمْ أَتَّبِقْ قَوْلًا لِقَائِلِ
غَنِيٍّ مِنْ الْأَدَابِ لَسَكَنْتِي إِذَا
نَظَرْتُ فَمَا فِي الْكَفِّ غَيْرُ الْأَنَامِلِ
وَيَا لَيْتَنِي مَرُضٌ صَدِيقِي وَمُسْخِطُ
عَدُوِّي وَآتِي فِي فَهَامَةِ بَاقِلِ
فَلَسْتُ بِفَضْلِي بِالْفَسَا وَلَوْ أَتَنِي
كَتَشَسَ إِيَادٍ أَوْ كَسُجْبَانٍ وَائِلِ
وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَهُ أَدَبُهُ وَلَا شَعْرُهُ ، لَدَى نَظَامِ الْمَلِكِ ، وَلَمْ يَظْفَرْ مِنْهُ
بِمَا أَرَادَ .

وفي القصيدة نفسها ، نراه وقد اتخذ علمه هذا وسيلة قربى ، تربط بينه وبين نظام الملك ، وهو ينوّه بهذا ويحث نظام الملك على أن يرفع تلك الصلة ، لا أن يقصّر في رعايتها كما فعل ، ثم يذكره بأن غيره ممن لا قرابة بينه وبينهم ، كانوا يرفعون حقوقه فيقول :

وَمَا حَقٌّ مِثْلِي أَنْ يَكُونَ مُضَيَّعًا
وَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَ الْوَزِيرِ وَسَائِلِي
وَأَعْظَمَهَا أَنِّي نَسِيبُ نِصَابِهِ
إِذَا عُرِضَتْ أَنْسَابُ هَذِي الْقَبَائِلِ

وَقَدْ كَانَ يَرْعَى النَّاسُ حَقِّيَّ قَبْلَهُ
 عَلَى عَدَمِ الْقُرْبَى وَبُعْدِ الْوَصَائِلِ
 أَحْظَى مَنْقُوصٌ وَلَسْتُ بِنَاقِصٍ
 وَكَمْ كَامِلٌ حَظًّا وَلَيْسَ بِكَامِلٍ
 فَلَا تَرُضَ يَا صَدْرَ الْكَفَاةِ بَأَنْ تَرَى
 أَعَالِي قَوْمٍ أَلْحَقُوا بِأَسْفَلِ
 وَلَا تَجْعَلُونِي مِثْلَ هَمْزَةٍ وَاصِلٍ
 فَيُسْقِطْنِي حَذْفٌ وَلَا رَاءَ وَاصِلٍ (٤٠)

وأخيرا نراه يهدده بالرحيل عن خوارزم ، إذا هو لم يحقق له آماله
 فيقول :

فكل امرئ آماله عَدَدَ الْحَصَى وهات نظيري في جميع المحافل
 لئن كان أمري في خوارزم ما أرى فإن رحالي في ظهور الرّاحل
 وكَمْ قَلْتُ أَلْقَى فِي وَزَارَتِكَ الْمُنَى وأدرك وحدي ما ارتجي كل أمل
 ولم أدْرِ أَنَّ الْأَرْذَلِينَ يَرُونَ مَا تمنّوا وأني لستُ أحظى بظائل
 فَوَقَعَ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ فَإِنَّهُ غلامك يجعلني كبعض الأراذل
 وعندما يئس الزمخشري ، من نظام الملك ، يتم شطر الوزير مجير
 الدولة الأردستاني (٤١) ، ومدحه بقوله (٤٢) :

فَعَنَدَ مَجِيرُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجَارُ لِي
 مَدَاوِةَ أَدْوَاءِ وَأَسْوَءِ جَرَاحِ

(٤٠) أي لا تهملني كما يهمل المتكلم همزة الوصل ، وكما اسقط واصل بن
 عطاء الرّاء ، من كلامه .

(٤١) هو أبو الفتح علي بن الحسين ، نائب تاج الدولة على ديوان الرسائل ،
 في عهد السلطان أبي الفتح ملكشاه السلجوقي . وكاتب الرسائل المشهور
 في ذلك العصر .

(٤٢) ينظر منظوم ديوانه . ورقة ٢٣ .

نِطَاسِيٌّ آمَالِ مَرَضٍ وَجَابِرٌ
لِكَسْرِ مَهِيضَاتِ الْخُطُوبِ الْفَوَادِحِ (٤٣)
فَلَيْتَ رَحَالِي أَلْقَيْتُ بِنَفْسَائِهِ
فَأَرْتَعُ فِي نِعْمَائِهِ غَيْرُ نَازِحٍ
وَيَقْدَحُ زَنْدًا وَارِيًا مِنْ مَنَاقِبِي
إِذَا صَلَدَتْ كَلْبُ الزَّنَادِ لِقَادِحِ (٤٤)
وَفِي شَرْحِ آيَاتِ الْكِتَابِ لِبَعْضِ مَا
يَرَى فِي صِفَاتِي مُجْمَلًا أَيُّ شَارِحٍ
وَأَنْمُودَجًا أَفْذَتْ مِنْهُ بَضْمُهُ
رَجَائِي أَرَى فِيهِ وَجْهَ الْمَنَاجِحِ
أَرَأَقِبُ مِنْ عَيْنِ الْوَزِيرِ اطَّلَاعَةً
عَلَيْهِ وَحَسْبِي مِنْهُ لَمَحَةٌ لَامِحِ
جَمِيعُ ثِيَابِ الدَّهْرِ يَبْلَى جَدِيدُهَا
وَيَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ثَوْبُ الْمَدَائِحِ

وقد علق الدكتور الحوفي ، على هذه الأبيات بقوله (٤٥) : إنَّ الشاعر قد صور نفسه فيها ، سقيماً جريحاً ، مهيض الجناح ، وإن بيد مجير الدولة برؤه ، وردَّ القوة إليه . وأنه يتمنى أن يلحقه بعمل عنده ، ليلو كفايته التي لا مثيل لها . كما يقدم في قصيدته هذه ، لمجير الدولة ، كتابيه في النحو ، وهما : شرح أبيات كتاب سيبويه ، والأنموذج .

(٤٣) نطاسي : النطاسي : العالم بالأمور ، والحاظ بالطب ، ولعله مأخوذ من نطاس الرومية .

(٤٤) زنداً واريًا : وري الزند : أي أخرج منه النار . واوراه : أي استخرج ناره .

(٤٥) ينظر كتابه : الزمخشري . ص ٣٨ .

ومن ملوك السلاجقة ، الذين مدحهم الزمخشري ، الملك سنجر (٥١١-٥٢٢هـ) وقد مدحه بقصيدة قال فيها (٤٦) :

سَمَاهُ كُلَّ النَّاسِ كَعْبَةٍ سَوْدُورٍ أَهْلُ الْحَوَائِجِ مِنْهُمْ حُجَّاجُهَا
أَلْفَتْهُ دُونَهُمْ فَمَا إِلْجَامُهَا إِلَّا عَلَى يَدِهِ وَلَا إِسْرَاجُهَا
لَوْ أَنَّهُ رَكِبَ النُّجُومَ لَمَا نَبَتَ أَفْرَادُهَا عَنْهُ وَلَا أَرْوَاجُهَا
يَجْرِي إِلَيْهِمْ سَيْبُهُ بِأَنَامِلٍ مِثْلَ الْبَحَارِ تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

تَبْغِي الْحَقِيقَةَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِنَّ الْحَقِيقَةَ وَاضِحٌ مِنْهَا جُهَا
لَوْ أَنَّ عَدْلَكَ شَبَّهْتُ بِبَيَاهِهَا لَأَرْتَدَّ كَالْعَذْبِ الْفَرَاتِ أُجَاجُهَا
فَالْقَصِيدَةُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَبَالِغَةِ الشَّاعِرِ فِيهَا ، خَالِيَةٌ مِنَ الْعَاطِفَةِ الصَّادِقَةِ ،
مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْقَصَائِدِ الَّتِي مَرَّتْ مَعَهَا قَبْلُهَا • وَلَيْسَ فِيهَا لِأَبِي الْقَاسِمِ
أَيُّ لَوْنٍ يُمِيزُهُ ، عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَادِحِينَ ، وَأَمَّا هِيَ مُحَاكَاةٌ لَهُمْ فِي
مَعَانِيهِمْ •

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ اتَّصَلَ بِرِجَالِ الدَّوْلَةِ الْخَوَارِزْمِيَّةِ النَّاشِئَةِ ، وَلَا سِيَّمَا
خَوَارِزْمِ شَاهٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ أَنْوَشْتَكِينَ (٤٩٠ - ٥٢١ هـ) ، وَمدحه • كَمَا أَشَارَ
فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ « مَقْدَمَةُ الْأَدَبِ » إِلَى رِعَايَةِ ابْنِهِ اتَّسَزَ لَهُ (٥٢١ - ٥٥١ هـ) ،
وَرِعَايَتَهُ لِكُلِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ، وَأَنَّهُ أَيُّ اتَّسَزَ ، أَمْرٌ بِنَسْخِ كِتَابِ الزَّمْخَشَرِيِّ
هَذَا لِحَزَنَاتِهِ (٤٧) •

وَالظَّاهِرُ أَنَّ حَظَّهُ مَعَ الْخَوَارِزْمِيِّينَ ، لَمْ يَكُنْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ ، مَعَ السَّلَاجِقَةِ ،
وَلِذَلِكَ قَرَّرَ الرَّحِيلَ عَنْ خِرَاسَانَ ، وَالسَّفَرَ إِلَى مَرُوءَ (٤٨) ، وَكَانَتْ حَالُهُ فِيهَا ،
كَحَالِهِ فِي خِرَاسَانَ ، فَتَرَكَهَا بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ • وَصَمَّ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مَكَّةَ
الْمَكْرَمَةِ ، وَفِي طَرِيقِهِ إِلَيْهَا مَرَّ بِالْعِرَاقِ ، وَكَثُرَ فِيهَا حَقَبَةٌ ، سَمِعَ فِيهَا الْكَثِيرَ مِنَ

(٤٦) يَنْظُرُ مَخْطُوطُ دِيْوَانِ الزَّمْخَشَرِيِّ . وَرَقَةٌ ٢٠ .

(٤٧) لِلتَّفْصِيلِ يَنْظُرُ : الزَّمْخَشَرِيُّ . ص ٤١ .

(٤٨) يَقُولُ السَّمْعَانِيُّ : أَنَّهُ وَرَدَ مَرُوءَ فِي زَمَانِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّفَقْ لَهُ رَأْيُهُ ،
وَالْاِقْتِبَاسُ مِنْهُ . يَنْظُرُ الْاِنْسَابُ ٦ : ٣١٥ .

علمائها ، وناظر بها^(٤٩) ، والتقى فيها بالشریف ابن الشجري^(٥٠) ، الذي جاءه مهنتا بقدمه ، ومثنيا عليه ، ولما تجالسا أنشده ابن الشجري متمثلا^(٥١) :

كَانَتْ مُسَائِلَةُ الرَّكْبَانِ تَخْبِرُنِي
عَنْ أَحْمَدَ بْنِ دَوَادٍ أَطِيبَ الْخَبْرِ^(٥٢)
حَتَّى التَّقَيْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي
وَأَنْشده أيضا^(٥٣) :

وَاسْتَكْبَرُ الْأَخْبَارَ قِيلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا صَغَّرَ الْخَبْرَ الْخُبْرُ

ويقول ابن الأنباري^(٥٤) : إنَّ جار الله الزمخشري ، بقي صامتا ، حتى انتهى ابن الشجري من كلامه ، وحينذاك شكره وعظمه ، وتضاغر له ، وقال له : إنَّ زيد الخيل ، دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين بصر بالنبي رفع صوته بالشهادتين ، فقال رسول الله : يا زيد الخيل ، كل رجل وصف لي ، وجدته دون الصفة الا أنت ، فإنَّك فوق ما وصفت . وكذلك

(٤٩) ينظر تاريخ أبي الفدا ٣ : ١٦ .

(٥٠) ينظر دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » ١٠ : ٤٠٣ ، معجم المطبوعات . ٩٧٣ .

(٥١) ينظر معجم الادباء ١٩ : ١٢٨ ، نزهة الالباء في طبقات الادباء . ص ٢٧٦ . والبيتان للمتنبي .

(٥٢) هو أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الايادي ، أبو عبدالله ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة . ورأس فتنة القول بخلق القرآن . قال أبو العيناء : ما رأيت رئيسا قط أضر منه ولا أنطق . ولد سنة ١٦٠هـ - ٧٧٧م . وتوفي سنة ٢٤٠ - ٨٥٤م ينظر الاعلام ١ : ١٢ ، الكنى والالقب ١ : ١٩٤ (طبعة الحيدرية . النجف) .

(٥٣) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ١٢٨ ، نزهة الالباء . ص ٢٧٦ . والخبر : الاختبار بالمشاهدة وهو مصدر خبر . والخبر : العالم بالخبر .

(٥٤) ينظر كتابه : نزهة الالباء في طبقات الادباء . ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

الشریف ابن الشجرى • كما اجتمع في بغداد ، بالفقيه الحنفى الدامغانى (٥٥) ،
والشیخ أبى منصور الجوالقى (٥٦) ، وكان قدومه إليها سنة ثلاث وثلاثین
وخمسائة (٥٧) .

وفى بغداد سمع من أبى الخطاب بن البطر وغيره • وحدّث وأجاز
للسلفى ، وغيره ، كما ذكر السیوطى (٥٨) .

وكما رأینا كيف أن تغربه عن مسقط رأسه ، كان يحز في نفسه ويؤلمها ،
فإن هجرته عنها الى مكة ، زادت في تلك الماراة الكامنة في نفسه ، على الرغم
من استقراره النفسى في مكة ، حيث التقى هناك بالأمير العلوى ، أبى الحسن
على بن حمزة بن وهاس الحسنى (٥٩) ، ولكنه كان دائم الحزن الى وطنه وأهله ،
وتتضح عاطفته في شعره ، حتى لتوشك أن تكون ابرز عناصره ، والمثال
الشاهد على هذا ، قصيدته التى بعث بها من مكة ، الى الوزير منتج الملك ،
وفىها يؤكد الجانب العاطفى ، في حنينه لبلاده ، ولكنه يغلف ذلك بغلاف المدح
للممدوح ، وشوقه للقاءه ، وأمنيته في الاجتماع ، بعد النوى والتئائى •
يقول (٦٠) :

إليكَ يهْزُنِي الحبُّ المَطَاعُ وَيُسْكِرُنِي لرؤيتكَ النَّزَاعُ (٦١)
فهل لكَ يا شقيقَ النفسِ عِلْمٌ بما أنبأتُ عَنْهُ واطَّلَاعُ

(٥٥) أحمد بن على بن محمد ، أبو الحسين الدامغانى . توفى سنة ٥٤٠ هـ .
ينظر عنه : انباه الرواة ٣ : ٢٦٨ ، مقدمة كتاب الكشف عن حقائق
التنزيل .

(٥٦) ينظر انباه الرواة ٣ : ٢٧٠ .

(٥٧) المرجع السابق ٣ : ٢٧٠ .

(٥٨) ينظر كتابه : طبقات المفسرين . ص ١٤ (طبعة طهران) .

(٥٩) هو أبو الحسن على بن عيسى بن حمزة بن وهاس ، أبو الطيب الشریف
السليمانى الحسنى . من اهل مكة وشرفائها وامرائها . توفى سنة
٥٠٦ هـ . ومن أجله صنف الزمخشري كتابه « الكشف » . ينظر عنه :
خريدة القصر . « قسم شعراء الشام » تحقيق د . شكرى فيصل
٣ : ٣٢ ، تاج المروس ٣ : ٢٤٢ ، مادة زَمْخَشَر (مط . الخيرية
المنشأة بجمالية مصر - المحمية ط ١ : ١٣٠٦ هـ .

(٦٠) ينظر : انباه الرواة ٣ : ٢٧٢ .

ولو أَتَيْتِي قَدَرْتُ لَطَرْتُ شَوْقًا بِحَرْفٍ خَطَّوْهَا خَطَّوْ زَمَاعٌ^(٦٢)
 وَكُنْتُ بِحَيْثُ يُوَصِّلُنِي إِلَيْكُمْ غُدُوِّي أَوْ رَوَاحِي لَا أُرَاعُ
 وَفِي عَدَوَاءٍ دَارِكُ عَنْ دِيَارِي أَرَاقِبُ زَوْرَةً لَا تَسْتَطَاعُ^(٦٣)
 وَأَنْتَ لِكُلِّ مَنَقَبَةٍ مُعَانٍ وَمِنْ دَرِّ الْعُلُومِ لَكَ ارْتِضَاعُ
 تُضِيءُ بِعِلْمِكَ الدُّنْيَا فَيُضْحِي لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ شُعَاعُ
 كما تظهر لنا عاطفته القوية ، في حبه لبلده ، عندما قرر الرحيل عنها ، لأن
 أهلها لم ينصفوه ، كما تصور لنا صراعه النفسي المرير خير تصوير ، حيث نراه
 في صراع بين حبه لبلده ، ورغبته في عدم مفارقتها ، وبين عزمه على الرحيل
 عنها ، واضطراره الى مفارقتها^(٦٤) :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا إِلَيَّ الَّتِي فِيهَا غُذِيتُ وَلَيْدًا
 وَلَكِنْ تَوَاسَى بِالْكَرَامَةِ غَيْرُهَا وَهَذِي أَرَى فِيهَا الْهُوَانَ عَنِيدًا
 وَمَا مَنَزَلُ الْإِذْلَالِ لِلْحَرِّ مَنَزَلًا وَإِنْ كَانَ عَيْشُ الْحَرِّ فِيهِ رَغِيدًا
 سَأَرْحَلُ عَنْهَا ثُمَّ لَسْتُ بِرَاجِعٍ وَأَضْرِبُ مَرْمًى فِي الْبِلَادِ بَعِيدًا
 فَلَا كُنْتُ إِنْ خَيَّمْتُ فِيهَا ابْنَ حَرَّةٍ وَلَا عِشْتُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ حَمِيدًا
 وقد بقي الزمخشري ، مجاوراً لبيت الله الحرام ، زمناً طويلاً ، حتى لقب
 بجار الله ، وعلى الرغم من حبه لمكة ، وهدوء نفسه بتلك المجاورة ، لم يستطع
 البقاء هناك ، لأنه اشتاق الى موطنه وأهله ، فترك مكة وسافر الى بلاده .
 ولكنه ما أن وصلها حتى حنت نفسه الى مكة ثانية ، وندم على تركه اياها .
 وأخذ ينظم القصائد المليئة بالحنين والشوق ، والحزن والبكاء . ومما قاله في
 هذا^(٦٥) :

-
- (٦١) النزاع : الحنين والاشتياق الشديد .
 (٦٢) الحرف : الناقة العظيمة . الزماع : سرعة المشي .
 (٦٣) العدواء : البعد .
 (٦٤) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٣٧ .
 (٦٥) ينظر المصدر السابق . ورقة ٤١ .

بكاءً على أيام مكة إن بي
 إليها حين النيب فاقدة البكر (٦٦)
 تذكرت أيامي بها فكأني
 قد اختلفت زرق الأسنة في صدري (٦٧)
 أيت على الصخر المبارك باكياً
 كما أنت الخنساء تبكي على صخر
 وحين تخطينا المناقب وارتمت
 بنا العيس تهوى في مسالكها القفر
 وشطاً بأصحابي عن الأبطح السرى
 ولطاً الجبال المشمخات بالستر (٦٨)
 وقلت ألا أين الحطيم وزمزم
 وما لي محجوزاً عن الركن والحجر
 صفت وراء الغور صفرة مفلس
 رأى يده صفراً من البيض والصفر (٦٩)
 وقلت لقلبي قد ملكتك مرة
 فما أنت إلا طائر طار من وكر

ففي هذه الأبيات ، نرى الشاعر يتألم على تركه مكة ، ويتحسر على فعلته . ويظهر لنا أسلوب الزمخشري وطريقته ، في هذه الأبيات ، عريضة جاهلية ، تتمثل في حين الابل ، وسير القوافل في الصحارى ، وفي قوله : « زرق الأسنة » .

-
- (٦٦) النيب : الناقة المسنة ، يطول نابها ويعظم .
 (٦٧) اختلفت ، كذا في الأصل ، ولعلها « اختلفت » لان قوله : اختلفت في معناه تناقض .
 (٦٨) اللطاط : طريق في عرض الجبل وجمعه البطئة . واللطاط كذلك : شفير الوادي . واللطاط : حرف الجبل وجانبه .
 (٦٩) الصفر : ويثلث : الشيء الخالي وربما جمع على اصفار .

ومما قاله أيضا (٧٠) :

أَبْتاعُ بالفوزِ الشقاوةَ خاسراً وأُسْتَبْدِلُ الدُّنيا الدنيَّةَ بالأُخرى
إذا خَطَرْتُ بِالبالِ ذِكْرى إناختي على حرمِ اللهِ اسْتَفْزَتْنِي الذِّكْرى
أَكابدُ ليلًا كالليالي وحسرةً ودَمْعاً عَزِيزَ المِسْتَقى غائراً المَجْرى
وأدعو الى السلوانِ قلباً جوابه لداعيه مهراقاً من المقلَّةِ العَبْرى
وما عذِرُ مطروحٍ بمكةَ رَحْلُهُ وربِّكَ لا عذرا وربِّكَ لا عذرا
ثم عاد مرة ثانية الى مكة ، فارتاحت نفسه وهدأت ، فقال في ذلك شعراً (٧١) :

أنا الجارُ جارُ اللهِ مكةَ مركزي ومضرب أوتادي وَمَعْقِدُ أَطْنايِ
وما كانَ إِلَّا زورةً نهضتي الى بلادِها أوطان رَهْطِي وأُجْبايِ
فلَمَّا قَضَتْ نَفْسِي - ولله دَرْشُها لبانةً دارِ زندها غير خِيَابِ
كررتُ الى بطحاءِ مكةَ راجعاً كأُتِي أبو السَّبلين كَرّاً الى الغابِ (٧٢)
وتؤكد لنا هذه الأبيات ، أن الشاعر قد قرّر عينا برجوعه الى مكة ، بعد أن رأى وطنه وأهله ، وكان في رجوعه كالأسد الراجع الى غابته .
ويروي القفطي أن الزمخشري ، لما سئل عن سبب رجوعه ، وحنينه الى مكة ، ومكثه هناك زمناً طويلاً أجاب : « القلب الذي لا أجده ، ثم أجده ها هنا » (٧٣) .

ولكن بعد مدة عاوده الحنين الى بلاده مرة أخرى ، وألحت عليه نفسه القلقة ، التي لا تعرف الاستقرار ، على السفر الى وطنه ، فرجع ثانية وهناك وافاه أجله ، في مدينة كركانج « الجرجانية » ، قصبة خوارزم ، في ليلة عرفه سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤ م . وقد رثاه أحد فتيان مكة بقوله (٧٤) :

فأَرْضُ مَكَّةَ تَذْري الدَّمْعَ مَقْلَتْها حزناً لفِرقةِ جارِ اللهِ مَحْمُودُ

(٧٠) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٤١ .

(٧١) ينظر المصدر السابق . ورقة ٦ .

(٧٢) أبو السبلين : كنية الأسد .

(٧٣) ينظر : انباه الرواة ٣ : ٢٦٦ .

(٧٤) ينظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٣ .

شعره :

خلف الزمخشري ديوان شعر^(١) . وبهذا نستطيع أن نعهده من الشعراء
المكثرين ، في اقليم خوارزم . ومما أعانه على النظم ، تمكنه من العربية ،
فقال الشعر في أكثر أغراضه المعروفة . وقد تعرضنا لبعض قصائده ، التي
قالها في المدح ، وهي كما رأيناها ، فيها نضوب عاطفي ، لأن عاطفته فيها
ليست صادقة . وليس معنى هذا ، ان الامام في كل مدحه هكذا ، وانما
وجدنا عنده المديح الصادق ، الذي قيل عن عاطفة صادقة ، كالذي قاله في
الأمير ابن وهاس^(٢) :

خَلِيلِيَّ مِنْ عَلِيَا تَهَامَةً أَجَدَا أَخَا كَانَ غُورِيَّ الْهَوَى ثَمِ انْتَجَدَا
وَلَا كَابِنَ وَهَّاسٍ فَتَى ضَمَّ بُرْدُهُ حُسَامًا وَضَرْغَامًا وَأَخْضَرَ مَرَبَدَا
فَتَى هُوَ حَالٌ بِالْمَعَالِي بِأَسْرَهَا وَقَدْ حَلَيْتُ مِنْهُ الْمَعَالِي بِأَوْحَدَا
نَجِيبٌ نَمَتْهُ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ نِصَابًا كَفَاهُ بِالنَّبُوَةِ مُحْتَدَا
وَنَقَرًا مِنْ سَيِّمَاهُ فِي قَسَمَانِهِ شَهَادَةً حَقٌّ أَنَّهُ سَبَطُ أَحْمَدَا
وَمِمَّا أَجَلَ الصَّنْعِ فِيهِ إِنْ أَخْتِي بِمَكَّةَ مَرْضِيًّا مَرَادًا وَمَوْرِدَا
وَلَوْلَا ابْنُ وَهَّاسٍ وَسَابِغُ فَضْلِهِ رَعَيْتُ هَشِيمًا وَاسْتَقَيْتُ مَصْرَدَا^(٣)

فهذه القصيدة ترينا صورة أخرى ، من صور المدح الذي مر معنا ، فيها
العاطفة الصادقة ، التي تكاد تنطق بحب الامام الشاعر ، لهذا الممدوح . ولعل
مبعث هذا التغير في مديح الشاعر ، هو تغير نفس الشاعر ، من السعي وراء

(١) ما زال مخطوطا . وقد علمنا من الدكتوراة بهيجة الحسني ، انها قامت
بتحقيقه ، وستنشره قريبا .

(٢) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٢٨ .

(٣) مصردا : الصرد والصرد : البرد ، وقيل شدته . ويوم صرد : شديد
البرد . وشراب صرد : أي صرف . وماء صرد : أي صرف غير منقى .
والشاعر أراد هذا المعنى .

المال والمنصب ، الى الزهد في الحياة ومباهجها ، بعدما ذهب الى مكة ، وبهذا جاء مدحه صادقاً ، لأنه قاله من أجل المدح ، وليس من أجل الحصول على مال أو جاه .

وقد كان ابن وهاس أيضاً ، يحترم الزمخشري ويحبه ، وقد مدحه بقوله (٤) :

وكم للامام الفرْدِ عندي من يدٍ
وهاتيكَ ممّا قدْ أطابَ وأكثرَا
أخي العزْمةَ البيضاءَ والهمّةَ التي
أنافَتْ بها ، علامةَ العصرِ والورى
جَميعُ قرى الدنيا سوى القريةِ التي
تَبوَّأها داراً فِداءَ زَمَخْشَرَا
وأحرَّ بأنْ تزْهَى زَمَخْشَرُ بامرئِ
إذا عُدَّ في أَسَدِ الشرى زَمَخَ الشرى (٥)
فلولاه ما طَنَّ البلادَ بذكرها
ولا طارَ فيها مُتَجِدّاً وَمُعَوِّراً
فليس ثناءً بالعراقِ وأهلِهِ
بأعرَفَ منه بالحجازِ وأشْهراً

ومن قصائده في مدح هذا الأمير ، تلك القصيدة التي بعث بها الى منتجع الملك ، والتي يتن له فيها ، أنه تعرف في مكة على ابن وهاس ، الشريف الحسيني ، تلك العائلة التي تستحق أن يقول فيها (٦) :

(٤) تنظر الابواب في معجم البلدان ٣ : ١٤٧ ، انباه الرواة ٣ : ٢٦٨ . وذكر السمعاني في كتابه الانساب ٦ : ٣١٥ ، البيتين الاخيرين من هذه الابيات .

(٥) زمخ زمخا بانه : شمع وتكبر فهو زامح . والشرى : المأسدة . والماسدة : جمع اسد . والماسدة : محلة الاسود . وقيل انها في جبل سلمى .

(٦) ينظر : انباه الرواة ٣ : ٢٧٢ .

أولئك أعضاء النبوة رؤس حوا
 لقمع عتاة الشرك بالذئبل الشمر^(٧)
 إذا صفنت في المأزق الضنك خيلهم
 رأيت المنايا يزودحن على البئر^(٨)
 هم ملجأ للخائفين وعدة
 لثأر مقيم أو مخوف من الثغر
 مفاتيح أسد الخطوب إذا عرت
 مساميح بالمعروف في الثر والعنبر
 من الثغر البيض الذين نوالهم
 يفيض بلا من ويأتي مع العذر
 ويلقاك بالبشرى ويأتيك بالثنى
 تحايا وجوه مشرقا من البئر

ومن الملاحظ أن معانيه في مدحه دينية ، حيث يمدحهم بنسبهم للرسول
 الكريم ، ومساندتهم للدين الاسلامي . كما يمدحهم بالشجاعة والكرم
 والحلم . وتظهر لنا صورة المدح الصادقة عنده لهذا الأمير في أبياته هذه ، التي
 ترينا مقدار حبه وتقديره له ، كما ترينا فضل هذا الأمير عليه ، وشكر أبي
 القاسم له على فضله في قوله^(٩) :

بمكة آخيت الشريف وفتية

حواليه من آل النبي غطارفا^(١٠)

(٧) السمر الذوايل : أي الرماح ، جمع ذابل . والذابل من القنا : الرقيق
 اللاصق بالقشر .

(٨) البئر : بتره بتر : قطعه مستأصلا أو مطلقا فهو باتر . والباتر والبتر
 والبتر : السيف القاطع .

(٩) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٧٩ .

(١٠) غطارفا : جمع غطريف : وهو السيد الشريف .

يَتَابِعُ إِنْ نَوَظِرْتُ رَدَّءُ لَشَاغِبٍ
وينهضُ إِنْ ذَوَكِرْتُ دَرَّءُ مَكَاتِفَا (١١)
مَتَى أَقْبَلَ الْعَلَامَةُ اتَّقَضُوا لَهُ
وَحَيَّوْهُ ، حَيَّا اللَّهُ تِلْكَ الْمَعَارِفَا
وَكَانَ ابْنُ وَهَّاسٍ لَجْنَبِي فَارِشَا
كَمَا تَفْعَلُ الْأُمُّ الْحَفِيَّةُ لَاحِضَا (١٢)

ونرى الفخر بالنفس عنده ، حتى في مدحه الصادق العاطفة ، وذلك في قوله : « متى أقبل العلامة اتقضوا له » وهو يقصد بذلك نفسه .

وجاء المدح الصادق على لسان الزمخشري ، في مدحه العرب واللغة العربية ، التي كان مغرماً بها ، فهو يفضلها على سائر اللغات . كما كان معارضاً للشعوبية (١٣) ، ولذلك فقد سخر منهم ، وتفاخر بالعرب ولسانهم ، وقد جهر بتفضيله للعرب في قوله (١٤) : « الْعَرَبُ نَبْعٌ صَلْبُ الْمَعَاجِمِ ، وَالْعَرَبُ مِثْلُ الْأَعَاجِمِ (١٥) » ، وفي قوله (١٦) :

« قَرَبْتُكَ بَيْنَ الرُّطْبِ وَالْعَجَمِ ، هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ (١٧) » .
ولذلك فإنه حينما يمدح العرب والعربية ويفخر بهما ، فإنه يأتي بذلك عن إيمان قوي ، يتمثل فيه صدق عاطفته كأن يقول (١٨) :
وَقَتْلٌ هَلْ فَشَا فِي الْأَرْضِ غَيْرُ لِسَانِهِمْ
لسانٌ فَشَوُ الضَّوْءِ وَالْيَوْمِ شَامِسٍ ؟

-
- (١١) الرَّدَّءُ : المعين والناصر ، وجمعه أرداء ، والدَّرَّءُ : الدفع والاتقاء . يقال دراه درأ ودراة : أي دفعا أو اتقاء .
(١٢) الحفية : التي تبلغ بالأكرام .
(١٣) ينظر : تاريخ الادب في ايران « الترجمة العربية » . ص ٥٩ .
(١٤) ينظر كتابه : نوابغ الكلم . ص ٧ .
(١٥) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . الغرب : شجر ضعيف رخو .
(١٦) ينظر : المصدر السابق . ص ٣٨ .
(١٧) العجم الاولى : نواة التمر .
(١٨) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٦١ .

به عَجَّ في أمصارها كلُّ منبُسرٍ
 وَطَنَتْ به في الخافِقَيْنِ المدارس (١٩)
 على ظهرها لم يخلق الله أمةً
 تناسبهم في خصلة أو تلبس
 أجلُّ رسولٍ منهم وبلسْنهم
 أجلُّ كتابٍ فاعتبر يا متنافس
 وقُلْ للشعوبينَ إنَّ حديثكم
 أضاليلٌ من شيطانكم ووساوس
 لكم مذهبٌ فسَلْ يَفَرُّ بمثلِهِ
 أشايبٌ حَمَقَى لا الرجالُ الأكايِس (٢٠)

ومما مدح به العرب مفتخراً بهم ، ومشيداً باتصاراتهم على الفرس ،
 وانتزاعهم التيجان من رؤوس ملوكهم قوله (٢١) :

وَهُمْ فَرَسُوا أَبْنَاءَ فَارِسٍ كُلَّهُم
 بأنيابِهِم وهي الرِّمَاح المداعِس (٢٢)
 وَمُصَلَّتَةٌ ما زالَ يُطْلَى بَيَاضُهَا
 بماءِ الطَّلَى ما فارقتُها المداوس (٢٣)

-
- (١٩) الخافقين : المشرق والمغرب .
 (٢٠) الفصل : الرديء الرذل من كل شيء . الأكايِس : الكيس : العاقل وهو
 خلاف الاحمق .
 (٢١) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٦٠ .
 (٢٢) فرسوا : الاصل في الفرس : دق العنق ، ثم كثر حتى جعل كل قتل .
 المداعِس : الصم من الرماح . والدعس : أي الطعن والمداعِس : المطاعن .
 (٢٣) مصلّنة : الصلت : السكين المصلّنة أو الكبيرة . وجمعها أصلات .
 الطلى : قشرة الدم . والطلاء : قشرة الدم ، أو شيء يخرج بعد شؤبوب
 الدم ، يخالف لونه الدم ، وذلك عند خروج النفس من الذبيح . والطلّى:
 الاعناق أو اصولها أو صفحاتها . وجمعها : طلاء أو طلية وطلوة .
 المداوس : المدوس : خشبة يشد عليها مسن يصقل ويجلى بها السيف .

وَهُمْ سَلَبُوا التَّيْجَانَ هَامَ مُلُوكِهِمْ

وَلَمْ يَقْطَعُوا عَنْهُمْ نَوَادِسَ^(٢٤) فَارِسَ

ومما يتصل بالمدح الرثاء ، وهو كثير في ديوان الزمخشري ، كثرة نكباته ومصائبه . فقد رثى والده ، وأفراد أسرته ، ورثى أستاذه أبا مضر بن جرير الضبي بقوله (٢٥) :

أَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا وَيَا تَارِكَ الْآخِرَى

سَتَعْلَمُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيُّهُمَا أَحْرَى

أَلَمْ يَقْرَعُوا بِالْحَقِّ سَمْعَكَ ؟ قُلْ : بَلَى

وَذَكَرْتُ بِالْآيَاتِ لَوْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى

أَمَا وَقَرَّ الطَّيِّشُ الَّذِي فِيكَ وَاعِظٌ

كَأَنَّكَ فِي أَذْنِيكَ وَقَرَّ وَلَا وَقَرَّا^(٢٦)

أَمِنْ حَجَرٍ صَلَدٍ فَوَادِكُ قَسْوَةٍ

أَمْ اللَّهُ لَمْ يودِعْكَ لُبًّا وَلَا حِجْرًا

وَمَا زَالَ مَوْتُ الْمَرْءِ يَخْرِبُ دَارَهُ

وَمَوْتُ فَرِيدِ الْعَصْرِ قَدْ خَرَّبَ الْعَصْرَا

وَصَكَ بِمِثْلِ الصَّخْرِ سَمْعِي نَعِيشَهُ

فَشَبَّهْتُ بِالْخَنَسَاءِ إِذْ فَقَدْتُ صَخْرًا

وعلى الرغم مما في أبياته هذه من مبالغة ، إلا أنها قيلت عن عاطفة صادقة ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان الزمخشري ، يحب أستاذه الضبي ويجلّه ، ولذلك فهو قد جعل من موته عظة وآية ، لطالب الدنيا ، كما ذكر أن في موته

(٢٤) جاءت في الاصل «وفادس» ولم نجد لها معنى ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

والنوادس : أي الرماح نوادس . وندسه ندسا : أي طعنه طعنا خفيفا .

(٢٥) ينظر : انباه الرواة ٣ : ٢٦٧ .

(٢٦) وقر يقر وقرأ : صمت أذنه . والوقر : ثقل في الاذن ، أو ذهب السمع كله .

خراباً للعصر كله ، وهو بهذا ليس كغيره من الناس ، حيث يكون موتهم خراباً
ليوتهم فقط ، ولهذا فمصابه به كبير ، وثكله وحزنه عليه ، كشكل الخنساء
وحزنها على أخيها صخر •

ومما رثاه به أيضاً قوله (٢٧) :

وقائلةٍ ما هذه الدرر التي
تساقطها عيناك سَمَطَيْنِ سَمَطَيْنِ
فقلت هو الدرُّ الذي قد حشا به
أبو مضر أذني تساقط من عيني

وقد علق القفطي على هذه الأبيات بقوله (٢٨) : « كان له — رحمه الله —
شعر كشعر النخاعة » • وهذا يعني أنه لم يستجد شعره •

أما ابن خلكان ، فقد علق عليهما بعد أن أوردهما بقوله (٢٩) : « وهذا
مثل قول القاضي أبي بكر الأرجاني ، ولا أعلم أيهما أخذ من الآخر ، لأنهما
كانا متعاصرين » • وهو يريد أن يقول : لعل أبا القاسم غير سباق ، إلى هذا
النوع من الرثاء •

أما أبيات أبي بكر الأرجاني فهي :

لم يثبكني إلا حديث فراقكم لما أسرَّ به إليَّ مُودَّعي
هو ذلك الدرُّ الذي أودعْتُم في مسمعي أجرته من مدَّمي

(٢٧) ينظر البيتان في : انباه الرواة ٣ : ٢٦٧ ، مفتاح السعادة ٢ : ١٠٠ ،
الإيضاح ص ٢٨٩ ، وقد ورد البيتان بروايات أخرى ، ففي المختصر في
أخبار البشر ٢ : ٢٥ ، وفي النجوم الزاهرة ٢ : ٢٧٢ ، والكشكول •
ص ٣٣٨ وردا هكذا :

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقط من عيني
أما في نزعة الالباء في طبقات الادباء . ص ٢٧٤ فقد ورد صدر البيت
الثاني هكذا : « فقلت لها الدر الذي كان قد ملأ •

(٢٨) ينظر كتابه : انباه الرواة ٣ : ٢٦٧ •

(٢٩) ينظر كتابه : وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٧ •

ومما ينسب الى القاضي الأرجاني في هذا المعنى أيضا قوله (٣٠) :

لَا تَزِدْنِي نَظْرَةً ثَانِيَةً كَفَتِ الْأُولَى وَوَفَّتْ ثَمَنِي
لَكَ فِي قَلْبِي حَدِيثٌ مُودَعٌ لَا جَحَدْتُ الْحَبَّ مَا أُوْدَعَنِي
خَذَهُ مِنْ جَفَنِي عَقُوداً إِنَّهُ بَعْضُ مَا أُوْدَعْتَهُ فِي أُذُنِي
ومن رثائه الذي يصور لنا العاطفة الصادقة بكل معانيها ، رثاؤه لوالده
وخاله ، حيث يتجلى فيه حزنه وحسرتة لفقدهما .

ويصور لنا الزمخشري نفسه مقهوراً محطماً ، بعدما فقد خاله الثاني الذي
يرثيه بقوله (٣١) :

يَا خَيْرَ خَالٍ إِنِّي بَعْدَ فَقْدِكَ مِنْ لَوْعَةٍ وَأَسَى فِي شَرِّ خَالَيْنِ
وَإِنَّ فِرْقَةَ خَالٍ وَاحِدٍ حَطَمَتْ ظَهْرِي فَكَيْفَ إِذَا فَارَقْتُ خَالَيْنِ
ومن الأغراض الأخرى التي طرقها الزمخشري ، الشكوى ، وهي كثيرة
في شعره ، لأن شكواه شملت أكثر من ناحية ، وتمثلت في غربته ، وفي فقد
لأهله ، وعدم أصابته منزلة في التدريس ، أو حظوة عند الأمراء والوزراء ،
على الرغم من منزلته العلمية والأدبية .

أما غربته وهجرته من وطنه ، فقد رأينا اثرهما في نفسه ، فقد عاش
جار الله الزمخشري يشكو الحنينين ، حنينه الى وطنه وأهله ، وهو بعيد
عنهم في مكة ، وحنينه وشوقه الى مكة ، بلده الثاني ، حينما يتعد عنها ،
يقول من أرجوزة (٣٢) :

عَلَيْكَ يَا مَكَّةُ طَالَ وَجْدِي لَوْ أَنَّ طَوْلَ الْوَجْدِ مِمَّا يُجْدِي
يَوْمَ دَفَعْنَا الْعَيْسَ صُوبَ نَجْدٍ هَدَمْتُ رَكْنِي شَرَفِي وَمَجْدِي
وتتمثل شكواه بأجلى صورها ، في قصيدته التي قالها ، اثناء طريقه الى
مكة ، عندما هاجر اليها ، مفارقاً وطنه الذي شهد مدارج طفولته ، وملاعب

(٣٠) ينظر : وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٧ .

(٣١) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ١١٤ .

(٣٢) ينظر مخطوط ديوانه . ورقة ٣٧ .

صباه ، وملاهي شبابه ، بعد أن وجد البقاء في هذا الوطن شقاء لا يطيقه ،
فالقصيد مليئة بنبرات الحزن والأسى ، وحث النفس وتعليلها بالذهاب الى
مكة المكرمة . يقول (٣٣) :

سيري تماضرُ حيثُ شئتِ وحدتي
أتّي الى بطحاءِ مكة سائرُ
متعوّدٌ بالركنِ يدعو ربّه
يشكو جرّائِرَ بعدهنّ جرّائِرُ
يشكو جرّائِرَ لا يكائِرُها حصي
لكنها مثلُ الجبالِ كبائرُ

ثم تستكين نفسه لما هو فيه ، ويلجأ الى الواحد الأحد ، وهو خير من
يلجأ اليه الانسان في حالة يأسه ، حيث نراه يقول :

والله أكبرُ رحمةً والله اكبرُ
برِ نعمةً وهو الكريمُ القادرُ
وأحقُّ ما يشكو ابن آدمَ ذنبُهُ
وأحقُّ من يشكى اليه الغافرُ
فمسيّ الملكُ بفضله وبطوّله
يكسو لباسَ البرِّ مَنْ هوَ فاجرُ

ثم نرى الشاعر يستمر في قصيدته معزياً نفسه ، بأنه سيحل ضيفاً على
بيت الله الحرام ، ورب هذا البيت لا يخل بضييفه ، كما هي حال أهله وقومه .
وبعد ذلك يأخذ في ذكر بعض الأماكن الموجودة ، في تلك البلاد المقدسة ، وفي
ذكر بعض مشاعر الحج ، ذاكرةً أن تلك البلاد ، ملتقى كل الأقطار ، حيث
يقول :

(٣٣) المصدر السابق . ورقة ٤٢ ، السمو الروحي في الادب الصوفي - احمد
عبد المنعم الحلواني - . ص ٣٨١ - ٣٨٢ . طبعة : البابي ١٣٦٧هـ -
١٩٤٨م .

ضَيْفًا لِمَوْلَى لَا يَخْلُثُ بِضَيْفِهِ وَيُزِيهِ أَقْصَى مَا تَمَنَّى الزَّائِرُ
حَسْبِي جَوَارُ اللَّهِ حَسْبِي وَحَدَهُ عَنْ كُلِّ مَفْخَرَةٍ يَعُدُّهَا الْفَاخِرُ
سَأَقِيمُ ثُمَّ وَثَمٌ تَدْفَنُ أَعْظَمِي وَلَسَوْفَ يَبْعَثُنِي هُنَاكَ الْحَاشِرُ
وَالْعَبْدُ يَحْرُصُ أَنْ يَنْفُذَ عَزْمَهُ وَوَرَاءُ عَزْمِ الْعَبْدِ حُكْمٌ قَاهِرُ
هَلْ فِي قَضَاءِ اللَّهِ أَتَى قَادِمٌ أُمُّ الْقُرَى وَالِى الْبَنِيَّةِ نَاطِرُ
فَمَقْبَلُ الْحَجَرِ الْمُسَحَّحِ مُلْصَقًا خَدَّيْ بِهِ وَعَلَيْهِ دَمْعِي قَاطِرُ
فَبِذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُسْتَرِّ طَائِفٌ فِي ثَوْبِي الْأَحْرَامِ أَشْعَثُ حَاسِرُ
فَمُبَادِرٌ لِّلسَّعْيِ مَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ الْعَبْدُ الْمُجِدُّ مُبَادِرُ
فَمُرَاقِبٌ نَقَرَ الْحَجِيجِ إِلَى مَنِىْ فِإِلَى مَنِىْ قَبْلَ الْمُعْرِفِ نَافِرُ (٣٤)
فِإِلَى الْمُعْرِفِ نَافِرٌ حَيْثُ التَّقْتُ مِنْ كُلِّ أَقْطَارِ الْبِلَادِ جَمَاهِرُ

ويظهر لنا فيما بعد أن الزمخشري، كان راضياً عن نفسه بذلك الإرتحال،
الذي نأى به ، عن الضيم الذي رآه في بلاده ، في عدم تقويمه ووضعه في
المكان اللائق به ، أضف الى ذلك أنه سيكون قريباً ، من بيت الله الحرام ،
وقريباً من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فهو يقول (٣٥) :

يَا مَنْ يُسَافِرُ فِي الْبِلَادِ مُنْقَبِأً إِنِّي إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ مُسَافِرُ
إِنْ هَاجَرَ الْإِنْسَانُ عَنْ أَوْطَانِهِ فَاللَّهُ أَوْلَى مَنْ إِلَيْهِ يَهَاجِرُ
وَتِجَارَةُ الْأَبْرَارِ تِلْكَ وَمَنْ يَبْعُ بِالْدِّينِ دُنْيَاهُ فَنِعْمَ التَّاجِرُ
تَاللَّهِ مَا الْبَيْعُ الرِّبِيحُ سِوَى الَّذِي عَقَدَ التَّقِيُّ وَكُلُّ بَيْعٍ خَاسِرُ
خَرَبْتُ هَذَا الْعُمْرَ غَيْرَ بَقِيَّةٍ فَلَعَلَّنِي لَكَ يَا بَقِيَّةَ عَامِرُ
وَعَهْدُ ثَنِي فِي كُلِّ شَرٍّ أَوْ لَا فَلَعَلَّنِي فِي بَعْضِ خَيْرٍ آخِرُ
فِي طَاعَةِ الْجَبَّارِ أَبْذُلُ طَاقَتِي فَلَعَلَّنِي فِيهَا لِكُسْرِي جَابِرُ
سَأُرَوحُ بَيْنَ وَفُودِ مَكَّةَ وَافِداً حَتَّى إِذَا صَدَرُوا فَمَا أَنَا صَادِرُ (٣٦)

(٣٤) المعروف : موقف الحاج بعرفات .

(٣٥) ينظر ديوانه . ورقة ٤٢ . صادر : أي منصرف عن ورده .

وَكُوْنَتْ نَكْبَاتِهِ حِرْمَانَهُ مِنْ نَصِيهِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَبَعَثَتِ الشُّكُوْى عَلَى لِسَانِهِ ، وَاتَّخَذَ مِنْ مَوْتِ الْأَهْلِ وَالْأَقْرَابِ سَبَبًا لِإِظْهَارِ هَذِهِ الشُّكُوْى ، فَقَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ بِتِلْكَ الْمَصَائِبِ ، الَّتِي قَصَمَتْ ظَهْرَهُ ، وَسَوَّدَتْ أَيَّامَهُ ، فَقَدْ بَدَأَ الْمَوْتَ بِوَالِدِهِ ، ثُمَّ ثَنَى بِجَدِّهِ وَأَخِيهِ ، وَأَتْبَعَهُمَا بِعَمِّهِ وَخَالِيهِ ، فَكَانَ لِذَلِكَ عَظِيمُ الْإِثْرِ فِي نَفْسِهِ ، الَّتِي نَاءَتْ بِأَلَامِهَا ، فَأَخْرَجَتْهَا شِعْرًا عَلَى لِسَانِهِ ، فَهُوَ يَقُولُ (٣٧) :

مَا لِلنَّوَابِ لَا يَنْفَكُ دَيْدَنْهُمْ عَنِي وَهَجَّيْهَا قَهْرِي وَادَّلَالِي
أَوْدَتْ بِجَدِّي وَمَا أَبْقَتْ أَخِي وَطُوتْ عَمِيَّ وَصَادَتْ بِأَسْبَابِ الرَّدَى خَالِي
وَلَعَلَّ عَدَمَ حَصُولِهِ عَلَى مَطَالِبِهِ ، مِنْ الْوَصُولِ إِلَى الْمَنْصَبِ اللَّائِقِ بِهِ ، وَعَدَمَ إِصَابَتِهِ مَنَزَلَةً فِي التَّدْرِيسِ ، أَوْ حَظْوَةِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ ، كَانَ لَهُ دَوْرٌ مَهْمٌ فِي شُكْوَاهُ ، وَلِذَلِكَ نَرَاهُ يَصْرُخُ مَتَأَلِّمًا ، مِنْ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا ، وَمِنْ سَوْءِ حَظِّهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَشَاطِهِ وَعِلْمِهِ ، وَقَدْ وَصَلَ بِهِ تَأَلُّهُ ، إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَتَّخِذَ الْمَدْحَ وَسِيلَةً لِلِاسْتِهْزَاءِ ، كَأَنْ يَمْدَحَ الْخُمُولَ ، فَهُوَ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَهُوَ بِعَمَلِهِ هَذَا إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَنْتَقِدَ مِنْ يَبْدِهِمُ الْأَمْرَ فِي الْبِلَادِ ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ يَشْمَلُونَ بِعَظْفِهِمُ الرِّجَالَ الْخَامِلِينَ ، وَيَنْسَوْنَ ذَوِي الْفَضْلِ ، مِمَّنْ هُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، وَسَرَى بَعْدَ إِيْرَادِنَا الْآيَاتِ ، الْمَرَارَةَ الَّتِي يَعَانِيهَا الزَّمْخَشَرِيُّ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ (٣٨) :

أَطْلُبُ أَبَا الْقَاسِمِ الْخُمُولَ وَدَعْ غَيْرَكَ يَطْلُبُ أَسَامِيًّا وَكُنِّي
شِبْهَ بَعْضِ الْأَمْوَاتِ نَفْسِكَ لَا تَبْرِزْهُ إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا فَظَنَّا
أَدْفَنَهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ مَيِّتَتِهِ وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ خُمُولِهِ كَفَنًا
عَلَّكَ تَطْفِي مَا أَنْتَ مَوْقِفُهُ إِذْ أَنْتَ فِي الْجَهْلِ تَخْلَعُ الرِّسْنَ
وَالزَّمْخَشَرِيُّ يَنْوِي صِرَاحَةً فِي شِعْرِهِ ، بِأَمْلِهِ فِي الْحَصُولِ عَلَى مَنْصَبٍ ،

(٣٧) يَنْظُرُ مَخْطُوطُ دِيْوَانِهِ . وَرَقَةٌ ١٠٠ .

(٣٨) تَنْظُرُ الْآيَاتُ فِي : الْكُنَى وَالْأَلْقَابُ ٢ : ٢٦٨ - ٢٦٩ طَبْعَةُ الْعُرْفَان - صِيْدَا .

يلائم مكاتته وكمايته • ولنرّه وهو يقول من قصيدة بعث بها ، الى مؤيد الملك
عبيد الله ، بن نظام الملك (٣٩) :

اليك عبيد الله أنهي شكايتي نكاية دهر ينتحي بصياله (٤٠)
بحقك فازجره ومّرّه لينتهي فأمرك أمضى من مواضي نباله
فأنت الذي الديوان طوع لحكمه وذلك طوق في رقاب رجاله
وأنت الذي إن قال شيئاً يريد فما فيهم من ينشي عن مقاله
ونستطيع كذلك أن نعتبر الفقر ، سبباً من شكواه ، فقد عضّه بنابه ،
في أكثر أوقات حياته ، حتى يمكننا القول : إنّه والفقر توأمان • ولكن ما كان
يؤلمه ، ويحزّ في نفسه ، أن عسرته تلك ناتجة عن اهمال ذوي الشأن أمره ،
ورعايتهم لغيره ، ممن هم دونه ، حتى جنبوهم حياة الفقر المدقع ، التي
يعيشها • يقول :

من الغبن ذو نقص يصيب منازلنا أخوالفضل محقوق بتلك الفضائل
غني من الآداب لكتني إذا نظرت فما في الكف غير الأنامل
كل هذه الأمور التي ذكرناها ، كان لها أثر كبير ، على نفسية شاعرنا ،
هذا بالإضافة الى عاهته المستديمة ، إذ كان يخجل منها ، فيخفيها بلباسه الطويل ،
وبرجل خشبية (٤١) ، حتى يظن من يراه أنه اعرج فقط • ومن البيت الواضح
أن عاهته تلك ، قد خلّفت له ألماً دفيناً ، وإن لم يشر اليه في شعره • ولكننا
نستطيع أن نستشفه في تلك المرارة ، ومسحة الحزن المسيطرة على نفسه ،
وتلك الشكوى الدائمة ، الناتجة عن ألم دفين ، ألم أكبر من كونه ناتجاً عن
فقر ، أو فقدان منصب ، أو فقدان لعزيز بالموت ، وإنما هو شعور بالنقص
الجسدي •

(٣٩) ينظر : مخطوط ديوانه . ورقة ٩٧ .

(٤٠) النكاية : العدو . ونكي الرجل : أي غلب وقهر وانهزم .

ينتحي : نحا : أي قصد قصده .

صياله : الصيال والصيالة والمصاولة : الموائبة .

(٤١) ينظر : وفيات الاعيان { : ٢٥٥ . وعبارة ابن خلكان فيه : « كان يمشي
في جاردن من الخشب » . وينظر أيضاً : العبر في خبر من غير { : ١٠٦ .

وعلى أية حال ، فقد تضافرت على الزمخشري ، ظروفه الخاصة ، وظروف بيئته العامة ، واصطدمت مع حسه المرهف ، فحوّلت له الى رجل كسير القوادر ، كثير الشكوى .

وقد وضع الزمخشري ، كثيراً من المؤلفات ، في فنون مختلفة ، منها : « الكشف » و « أطواق الذهب » و « نوابغ الكلم » و « مقاماته » و « معجمه العربي الفارسي » و « أساس البلاغة » و « الفائق في غريب الحديث » و « المستقصى من أمثال العرب » و « الجبال والأمكنة » وغيرها .

ومن مؤلفاته في الأدب : « ربيع الأبرار » (٤٢) و « أعجب العجب في شرح لامية العرب » و « ديوان شعره » وغيرها (٤٣) . وقد ذكر له المؤرخون ما يربّي على الخمسين مؤلفاً ، تعدّ بجمعها دائرة معارف مهمة (٤٤) .

وقد تقلّب الشاعر كما رأينا ، في كثير من البلاد ، ولم يشغله عن طلب العلم والبحث ، اللذين لقي في سبيلهما التعب أي شاغل ، فقد عاش عازباً ، وكان يعتز بمؤلفاته ، اعتزاز المرء بينيه فهو يقول (٤٥) :

بنيّ فاعلم بناتٍ فكري حصّانهم أمّة الدراسة (٤٦)
أبناء صدقٍ لهم نفوسٌ ومُصنّفنَ بالفضل والنّفاسه
حُمّةٌ عرضي محصّته في كنّف الصونِ والحراسه
برٌّ صريحٌ بلا عقوق خلقٌ صحيح بلا شكاسه

(٤٢) ما يزال مخطوطاً ، ويقع في أربعة أجزاء .

(٤٣) تنظر مؤلفاته في هذا المجال في : « الزمخشري » . ص ٥٦ ، فقد عقد لها الدكتور محمد الحوفي فصلاً خاصاً .

(٤٤) ذكر ياقوت الحموي في معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - ١٣٤ ، قسماً من مؤلفاته ، وذكر حاجي خليفة بعضها منها في كتابه : كشف الظنون ١ : ٨٥٠ . وينظر أيضاً : الاعلام ٨ : ٥٥ : وتنظر : « مقدمة » رسالتان للزمخشري . ص ٥ ، معجم المطبوعات . ص ٩٧٣ - ٩٧٦ ، تاريخ اداب اللغة العربية ٣ : ٤٧ - ٤٩ ، المعاجم العربية . ص ١٢٦ .

(٤٥) مخطوط ديوانه . ورقة ٢٦ .

(٤٦) حصّنت وحصّنت حصناً : عفت عن الريبة . والشاعر : يريد أن أهمهم العفيفة هي الدراسة .

مَا نَسَلُ قَلْبِي كَنَسَلِ صَلْبِي مِنْ قَاسٍ رُدٍّ لَهُ قِيَاسُهُ
 كَمْ بَيْنَ ذِي مَسْلِكٍ طَهُورٍ وَمَسَالِكٍ مَسْلُوكِ الْخَسَاسِ
 مَنْ سَاسَ أَبْنَاءَهُ فَإِنَّا لَهُؤْلَاءِ الْبَنِينَ سَاسُهُ
 وَكَانَ الزَّمْخَشَرِيُّ يَفْخَرُ بِمُؤَلَّفَاتِهِ دَائِمًا ، كَقَوْلِهِ فِي الْكَشَافِ (٤٧) :

وَنَاهِيكَ بِالْكَشَافِ كَنْزاً نَضَارُهُ يَعْلَمُ تَمَيِّزَ الْجِيَادِ الصَّيَارِفَا
 وَتَخْفِيقَ أَوْرَاقِ الْمَصَاحِفِ هَزُهُ لَهُزٍّ مَعَانٍ يَزِدُّهُنِ الْمَصَاحِفَا (٤٨)
 فَمَا فِي بِلَادِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَاقِدٌ يَقْلِبُهُمَا دَهْرًا فَيُخْرِجُ زَائِفَا (٤٩)
 وَيَسْتَمِرُّ فِي فَخْرِهِ هَذَا ، إِلَى أَنْ يَقُولَ مَبِينًا أَنَّهُ أَتَمَّ تَأْلِيفَ هَذَا الْكِتَابِ فِي
 مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ :

وَتَمَّ لِي الْكَشَافُ ثُمَّ بَيْلَدُهُ بِهَا هَبَطَ التَّنْزِيلُ لِلْحَقِّ كَاشِفَا
 عَلَى بَابِ أَجْيَادٍ بَنَى لِي مَنْزِلًا كَرَكْنَ شَمَامٍ بِالصَّفَاتِ مُتَوَاصِفَا (٥٠)
 وَأَتَّفَقَ فِي اِتِّمَامِهِ مِنْ تِلَاوَةِ ثَقِيلَاتٍ وَزَوْنٍ فِي الْبِلَادِ خَفَائِفَا
 فَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، يَنْوِي أَيْضًا بِمُسَاعَدَةِ الْأَمِيرِ ابْنِ وَهَّاسٍ لَهُ •
 وَفِيهِ قَالَ أَيْضًا (٥١) :

ثُمَّ اسْتَوَى الْكَشَافُ ثُمَّ عَلَى يَدِي مَتَفَحَّصٌ عَنْ سَدِّهِ كَشَافٌ (٥٢)
 حَسَنُ الْإِبَانَةِ عَنْ حَقَائِقِ نَظْمِهِ بِفُصُوصِهِ وَعَيُونِهِ عَرَّافٌ
 مِنْ كُلِّ غَمَرٍ مِنْ غَمَارِ عُلُومِهِ حَاسِبٌ بِأَوْسَعِ جَفْنَةِ غَرَّافٍ (٥٣)

-
- (٤٧) يَنْظُرُ مَخْطُوطَ دِيَوَانِهِ . وَرَقَةُ ٧٩ .
 (٤٨) يَزِدُّهُنِ : أَزْدَى الشَّيْءُ : تَهَاوَنَ وَاسْتَخَفَّ بِهِ . وَالْمَصْحَفُ : « بَتْلِيثُ الْمِمْ » مِنْ أَصْحَفَ : إِذَا جُمِعَ فِيهِ الصُّحُفُ الْمَكْتُوبَةُ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ .
 (٤٩) قَلْبُ الْأُمُورِ : بَحْثُهَا وَنَظَرُ فِي عَوَاقِبِهَا ، وَاحْتَالَ لَهَا .
 (٥٠) شَمَامٌ : جَبَلٌ .
 (٥١) يَنْظُرُ مَخْطُوطَ دِيَوَانِهِ . وَرَقَةُ ٧٦ .
 (٥٢) سَدُّهُ : السَّدُّ : الْكَلَامُ السَّدِيدُ الْمُسْتَقِيمُ الصَّحِيحُ .
 (٥٣) الْجَفْنَةُ : الْقِصْعَةُ الْعَظِيمَةُ ، أَوْ شَبَهُ الْقِصْعَةِ . وَجَمْعُهَا جَفَنٌ وَجَفَانٌ وَجَفْنَاتٌ .

علما المعاني والبيان كلاهما طامي العباب كلجّة الرّجاف^(٥٤)
هو صيرفي القول فيصل حكمه ميّاز بين الجزل والسفساف^(٥٥)
ونرى ان مدحه لنفسه على هذه الصورة ، هو مدح من باب التعويض
« تعويض النقص » الناتج عن عاهته .

وعلى الرغم من تأكيد أبي القاسم وتقيه ، أن يكون كتابه هذا مجالا
لأي نقد يوجه اليه ، ومن أي ناقد كان ، أو من أي بلاد كانت ، شرقية أم
غربية ، أن يجدوا به أي زيف ، مهما حاولوا ، ولو قلبوه دهرأ ، فإن أبا
حيان الأندلسي ، تخطى هذه التأكيدات ، وكسر الحدود ، وانتقد
بقوله^(٥٦) :

ولكنه فيه مجال لناقد فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا
ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا ويشتم أعلام الأئمة ضلة
ولا سيما أن أولجوه المضايقة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا^(٥٧)
وقول فيها الله ما ليس قائلأ وكان مجبأ في الخطابة وامقا^(٥٨)
ويقول أبو القاسم الزمخشري^(٥٩) :

تزوجت لم أعلم وأخطأت لم أصب فيا ليتني قد مت قبل التزوج

(٥٤) اللجة من الماء : معظمه وهو خاص بالبحر . والرجاف : اسم للبحر .
(٥٥) الفیصل : القضاء بين الحق والباطل . السفساف : الرديء من كل
شيء ، والامر الحقير . وأصله من سفساف التراب ، وهو ما يطير
ويرتفع مع الريح ومن سفساف الدقيق : وهو ما يطير من غباره ، عندما
ينخل .

(٥٦) ينظر : من شعر أبي حيان الأندلسي . ص ١٠٤ - ١٠٥ . جمعه وحققه :
د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديثي . مطبعة العاني ببغداد . ط ١
١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

(٥٧) شقشق : هدر . ويقال : شقشق الفحل : اذا هدر . وشقشق
العصفور : اذا صوت . والشقشقة : شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه ،
اذا هاج ، وجمعه شقاشق . ومنه يقال للخطيب الجهر بالخطابة : هو
اهزت الشقشقة .

(٥٨) ومقه : أحبه ، فهو وامق ووميق . ولا يقال ومق .

(٥٩) ينظر : الكنى والالقب ٢ : ٢٦٨ .

فوالله لا أبكي على ساكني الثرى ولكنني أبكي على المتزوج وعلى الرغم من تأكيد المؤرخين ، على أن الزمخشري مات عازباً ، ولم يتزوج ، فقد نسبت إليه هذه الأبيات ، التي يدعو فيها على نفسه ، لأنه تزوج ، وأنه لم يكن سعيداً في زواجه ، حتى يتمنى لو أنه مات قبل زواجه . على أننا لا نجد في شعره حديثاً عن حاله متزوجاً ، أو مساهماً في حياة زوجية عائلية ، ولا سيما حين يسافر ، من مكان الى مكان ، لأنه لا يذكر حينه لأسرته ، على نحو ما يذكر حينه لوطنه ، أو لمكة وطنه الثاني . هذا بالإضافة الى وجود اشارات كثيرة في شعره ، توحي لنا بأنه لم يتزوج في حياته ، ولم ينجب أولاداً ، وأنه حكم على نفسه بالرهبة ، متشبهاً بالمسيحيين . يقول (٦٠) :

تصفحت أولاد الرجال فلم أكد أصادف من لا يفصح الأم والأبا
رأيت أباً يشقى لتربية ابنه ويسعى لكي يدعى مكيسا ومنجبا (٦١)
أراد به النشيء الأعز فما درى أيوليه حجراً أم يعليه منكبا
أخو شقوة ما زال مركب طفله فأصبح ذاك الطفل للناس مركبا
لذلك تركت النسل واخترت سيرة مسيحية أحسن بذلك مذهبا
وفي موقع آخر ، يذكر الزمخشري أن قومه ، لاموه لأنه لم يتزوج ، وبذلك يكون قد قسا على نفسه فيقول (٦٢) :

يتموه قومي بالتنصح لومهم وان عناء لومهم والتنصح
يلوموني أني نأيت بجاني عن النسل ألوي عنه رأسي وأجنح
ومن أبرز النماذج الشعرية ، التي تمثل لنا هذا الجانب الجاد ، في عكوفه على مؤلفاته ، واهتمامه بها دون سواها قوله (٦٣) :

-
- (٦٠) مخطوط ديوان الزمخشري . ورقة ٨ ، نقلا عن كتاب : تأثير البلاغة في تفسير الكشاف . ص ٥٠ .
(٦١) المكيس : الكيس : الظريف . والكيس : ذو العقل والفتنة ، وجودة القريحة . والكيس : الجماع لطلب الولد . ولعل هذا ما أراد الشاعر .
(٦٢) اثر البلاغة في تفسير الكشاف . ص ٥٠ نقلا عن ديوان الزمخشري . ورقة ٢٦ .
(٦٣) ينظر مقدمة الجزء الاول من كتابه الكشاف .

سَهْرِي لتَنْقِيحِ العلومِ أُلْذِي لي من وصل غانيةً وطيب عناقِرَ
وتمايلي طَرَباً لحلَّ عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساقِي
وصرير أقلامي على أوراقها أحلى من الدَوَّكاهِ والعشاقِ (٦٤)
والذَّ من نَقَرِ القِفاة لدقها نَقَرِي لأتقي الرملَ عن أوراقِي
أأبيتُ سهران الدجى وتبيتُه نوماً وتبغِي بعد ذاك لِحاقِي ؟

كان الزمخشري حنفي المذهب ، معتزلي العقيدة (٦٥) ، مجاهراً باعتزاله ، متظاهراً به (٦٦) ، داعياً إليه (٦٧) ، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له ، واستأذن عليه في الدخول ، يقول لمن يستأذن له : « قل له : أبو القاسم المعتزلي بالباب » (٦٨) .

وقد كان مذهب الاعتزال مزدهراً ، في زمن الزمخشري ، ولذلك رأيناه يتخذه معتقداً ، ويجهر به في كتابه الكشاف ، الذي افتتحه على حد قول أبي الفداء بقوله (٦٩) : « الحمد لله الذي خلق القرآن منجماً » . ثم أصلحه أصحابه فكتبوا : « الحمد لله الذي أنزل القرآن منجماً » .

ويقول ذبيح الله صفا (٧٠) : إن الزمخشري كان من مشاهير أئمة المعتزلة ، في القرن السادس الهجري .

ويرى المستشرق كراتشكوفسكي (٧١) : أن مكانة الزمخشري ، في الثقافة الإسلامية ، اعتمدت على شهرته كمفسر ممتاز ، على مذهب المعتزلة ،

(٦٤) الدوكاه والعشق : نعمتان في الموسيقى . جاءت في الاصل (الدوكاه) ولعل الصحيح ما أثبتناه .

(٦٥) ينظر الفوائد البهية . ص ١٦٧ .

(٦٦) ينظر المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٥ ، المنتظم ١٠ : ١١٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢١٩ .

(٦٧) ينظر العبر في خبر من غير ٤ : ١٠٦ .

(٦٨) وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٦ ، طبقات ابن قاضي شعبة (مخطوط) . ورقة ٢٥ .

(٦٩) ينظر كتابه : المختصر في أخبار البشر ٢ : ٢٥ .

(٧٠) ينظر كتاب : تاريخ ادبيات ايران « فارسي » . ص ٥٩ .

(٧١) ينظر كتابه : تاريخ الادب الجغرافي العربي (القسم الاول) . ص ٣١٧ .

ذلك المذهب الذي طاف البلاد لأجل نشره ، ونشر علمه ، وكان الناس يجتمعون عليه أينما حلّ ، فيتمذهبون بمذهبه الذي قضى حياته ، يدافع وينافح عنه . ويرى الدكتور أحمد أمين^(٧٢) ان الزمخشري وعبد الجبار ، هما خلاصة مجهود المعتزلة وأبحاثهم ، في خلال أربعة قرون :

وللزمخشري قصيدة ، يتكلم فيها عن مذهبه ، وكيف أنه لا يستطيع أن ييوح به ، لأن الناس لا يرضيها شيء ، فهو يقول^(٧٣) :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبحْ به وأكتمه كتمانهُ لي أسلم
فإن حنيفاً قلتُ قالوا بأنني أبيعُ الطلّي وهو الشراب المحرم^(٧٤)
وإن مالكيّاً قلتُ قالوا بأنني أبيعُ لهم أكلَ الكلاب وهم هم
وإن شافعيّاً قلتُ قالوا بأنني أبيعُ نكاحَ البنتِ والبنتُ تحرم
وان حنبليّاً قلتُ قالوا بأنني ثقیل حلولي بغیض مجتسم
وان قلتُ من أهل الحديث وحزبه يقولون تيس ليس يدرى ويفهم
تعجبتُ من هذا الزمانِ وأهلِهِ فما أحدٌ من ألسن الناس يسلم
وأخّرني دهري وقَدَّمْ معشرأ على أنهم لا يعلمون وأعلم
وهو هنا أيضاً ينوه بالغبن الذي لحقه ، من جراء أصحاب الشأن ، الذين رفعوا من شأن من هم دونه منزلة وعلماً وثقافة .

وحقيقة أن أبا القاسم الزمخشري ، لم يكن عالماً مبرزاً فحسب ، وانما كان كاتباً مجيداً ، وشاعراً متمكناً ، ولسناً في هذه الدراسة ، نريد التحدث عنه في نواحيه العلمية المستفيضة الجوانب ، وانما نكتفي بالحديث عنه كاتباً وشاعراً .

(٧٢) ينظر كتابه : ظهر الاسلام ١ : ٥١ . طبعة : مكتبة النهضة المصرية . سنة ١٩٦٦ م .

(٧٣) ينظر الكنى والاقاب ٢ : ٢٦٨ . وقد اورد القمي منها ٦ ابيات الاولى . وفيه : « يبيع » بدل ابيع . و « لحم » بدل « اكل » .
وينظر مقدمة الجزء الاول من كتاب الكشف .

(٧٤) الطلّي : اللذة . والطلّة : اللذة أيضاً ، او الخمر السلسة . والشاعر اراد هذا المعنى . وفي مقدمة الكشف جاءت هكذا : « الطلا » .

سمات شعره :

وشعر الزمخشري كما رأيناه ، كان يسير في الخط المحافظ ، لما يغلب على شخصية صاحبه من الجد والمحافظة والوقار .

أما عن ناحية محافظته على الخط التقليدي ، فيتبين لنا ذلك في قصائده، التي تحمل بين أبياتها أكثر من غرض واحد — كما رأينا — فهي تتضمن المدح، الى جانب الفخر ، كما تتضمن الشكوى ، وعلى هذا فإن الأغراض ، تتعدد في القصيدة الواحدة ، بينما الهدف الذي قيلت فيه واحد ، هو المدح مثلاً .

كما نلمس تلك المحافظة في السير على النهج التقليدي ، في بداية بعض قصائده ، التي قالها في المدح ، بمقدمة غزلية ، كقصيدته التي قالها في مدح الوزير مجير الدولة الاردستاني^(١) .

ونحن نلمس في شعره الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ، ولا مزاح ، ولعل مرد ذلك نشأته الدينية ، ومكانته العلمية فيما بعد ، ثم حالته النفسية ، التي طبعت على الحزن والكآبة ، نتيجة الظروف والأحداث ، التي ألمت به ، والتي وجدت صداها في نفسه ، وصورها لنا شعره ، تصويراً قوياً معبراً .

وقد استعمل الزمخشري ، تشبيهات الأقدمين وأساليبهم ، من حيث المديح والرثاء ، والشكوى والعتاب ، الا أن عتابه فيه رقة ، ورفق بالغ ، واستعطاف جدير بأن يستل الضغائن من القلوب ، لأننا نشعر فيه بحرارة عاطفة الشاعر وصدقها .

ومن الجدير بالذكر أن نشير ، الى خلو شعر الزمخشري ، من أثر البيئة الطبيعية ، مثله في ذلك مثل الشعراء الآخرين ، من أهل هذا الاقليم .

ومن الملاحظ عليه في شعره ، ركونه الى المعاني والتشبيهات العقلية ولعل مرد ذلك ثقافته الكلامية والعلمية .

(١) ينظر ص ٩٢ من هذا الكتاب .

كما يلاحظ على شعره ، جزالة اللفظ ، ورصانة الأسلوب ، وأثر عيشه في مكة ، وكثرة مدارسته القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم .
 وأسلوب الجدل والمناظرات ، ميزة ظاهرة في شعره من نحو قال وقلت ، وسأل وأجبت ، وما الى هذا ، كما جاء في أبياته الغزلية هذه^(٢) :

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر وما تطلبين النجلَ من أعين البقر^(٣)
 فإثنا اقتصرنا بالذين تضايقتْ عيونهم والله يجزي من اقتصر^(٤)
 مليحٌ ولكن عنده كلُّ جفوةٍ ولم أرَ في الدنيا صفاءً بلا كدرٍ
 ولم أنسَ اذ غالته قرب روضةٍ الى جنب حوض فيه للماء منحدر
 فقلت له : جثني بورد ، وإنما أردت به ورد الخدود وما شعر
 فقال : اتظرني رجعَ طرفٍ أجيء به فقلت له : هيهات ما لي منتظر
 فقال : ولا ورد سوى الخد حاضر فقلت له : إثني قنعت بما حضر

كما يركن أحياناً الى المحسنات البديعية ، ويعنى بها ، كالتشبيه والجناس والطباق . ومن التشبيه قوله في الغزل ، من أبيات أوردتها الققطي ، ذاكراً أن أفضل الدين أميرك الزبياني أنشده اياها^(٥) :

يقفوح كقفوح المسكِ فاغمِ نشرها
 إذا التحبَّتْ فيها ذلاذِلُ ربح^(٦)
 يقول لها الطش السماوي والصبا
 مقيما على تلك الصبابة فوجي^(٧)

(٢) ينظر وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٧ ، مقدمة الجزء الاول من كتاب الكشف .

(٣) النجل : اتساع في شقة العين ، وهو من جمال العيون .

(٤) الشاعر يتغزل هنا بالطباء التركية ، وبضيق أعينها ، ولعل ضيق الاعين كان يعد من جمال العيون .

(٥) ينظر انباه الرواة ٣ : ٢٦٩ .

(٦) فاغم : فغمة الطيب : اي رائحته . التحبَّتْ : اي مرت .

ذلاذِلُ : في الاصل اطراف القميص .

(٧) الطش : المطر فوق الرذاذ .

مُضَاجِعُ سَعْدَانٍ مُفَارِسُ حَنْوَةٍ
 مُنَاجِمُ قَيْصُومٍ مُنَابِتُ شَيْخٍ^(٨)
 إِذَا مَلَّحَ الْمَكَّاءَ رَجَعَ صَفِيرُهُ
 يُجَاوِزُهُ قَمَرُثُهَا بِمَلِيحٍ^(٩)
 كَأَنَّ بَدَيْحًا وَالْفَرِيضَ تَطَارَحَا
 عَلَى وَتَرٍ لِلْمَوْصِلِيِّ فَصِيحٍ^(١٠)
 وَمِنَ الطَّبَاقِ قَوْلُهُ^(١١) :

(٨) السعدان : نبت لا ساق له ، كثير الشوك : متفرش على وجه الارض ، وهو رطب ، ومن خير المراعي . تسمن عليه الابل ، وتطيب الالبان ، ولذا قيل في المثل : مرعى ولا كالسعدان .
 القيصوم : نبت من نبات البادية ، نوره اصفر ، وورقه هذب ، وهو ينهض على ساق تطول .

الحنوة : نبت سهلي طيب الريح ، او هو الريحان او الرند ، ويسمى الفار ، او هو آذريون البر ، نبتة شديد الخضرة ، طيب الريح ، زهرته صفراء ليست بضخمة .
 شيخ : الشيخ : نبت سهلي ، له رائحة طيبة ، وهو مر الطعم ، جمعه شيحان .

(٩) المكاء : الصفير من الغم .

القمرى : ضرب من الحمام ، وجمعه قمارى وقمر ، والاثنى قمرية .
 (١٠) البديح والغريض : البديح هو مولى عبدالله بن جعفر . والغريض : هو عبدالملك ، ويكنى ابا يزيد ، من اعلام الغناء العربي ، في عصر الدولة الاموية . وقد لقب بالغريض لنضارة وجهه ، وحسن مظهره . اخذ الغناء عن ابن سريج المكي (واظن ان سريج هذا هو البديح ، مولى عبدالله بن جعفر) . وكان الغريض مطبوعا شجي الصوت ، فبرع بالغناء . وقد ناقس ابن سريج وعارضه في اصواته . توفي في اخر خلافة سليمان بن عبدالملك سنة ٧١٧ م) .
 ينظر الموسوعة العربية الميسرة . ص ١٢٥٤ .

(١١) انباه الرواة ٣ : ٢٦٧ . والطباق في الابيات بين : « حياتي وموتي » وبين : « قرب وبعد » وبين : « عز وذل » وبين : « وصل وانصرام » . وبين : « سلام عليها » و « ان كان لا يقرأ علي سلامها » وبين : « امست واصبحت » .

حياتي وموتي قربُ سعدى وبعْدُها
وعزِّي وذلي وصلُّها وانصرامها
سلام عليها أين أمست وأصبحت
وان كان لا يقْصُرُ عليَّ سلامها

ومن الجناس قوله من نفس القصيدة :

رعى الله سرحاً قد رعى فيه سرحها
وَرَوْضَ أَرْضاً سامَ فيها سوامها (١٢)
إذا سَحَبَتْ سعدى بأرضٍ ذيولها
فقد أرغمَ المسكَ الذكيَّ رغامها (١٣)

فالشاعر في البيت الأول ، يدعو الله بحفظ المكان الذي ترعى فيه ابلها وأنعامها . أما البيت الثاني فلعله يريد أن يقول : إنَّ التراب الذي تلمسه ثيابها تنبعث منه رائحة طيبة ، تطغي على رائحة المسك الذكي .
ومن حسن التعليل قوله (١٤) :

وان غادر الغدرانُ في صحن وجنتي
فلا غرو منه لم يزل وابلاً يهمي
وقد علق رشيد الدين الوطواط ، على هذا البيت بقوله :

« فقد أثبت الغدران صحن وجنته ، بعله ان المدوح وابل يهمي ،
والوابل الهامي ، علة كذلك في الغدران (١٥) » .

-
- (١٢) سرحها : ابلها وأنعامها . سام فيها سوامها : رعت فيها ابلها .
(١٣) الرغام : التراب . والجناس في الابيات بين : « رعى الله » اي حفظ .
و « رعى فيه سرحها » اي أكل . وبين « سرحا » و « سرحها » وبين
« روض » و « أرضا » و « سام » و « سوام » .
(١٤) حسن التعليل : تكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر ، في بيت من ابياته ،
صفتين من الصفات ، ويجعل الواحدة منهما علة للآخرى ، وغرضه من
ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين .
(١٥) ينظر كتابه : حقائق السحر في دقائق الشعر . ص ١٨٩ .

شاعريته :

الزمخشري ليس بشاعر ذائع الصيت ، وإن كان ديوانه سائراً في البلدان ، على حد قول السمعاني^(١) . وشهرته مفسراً ، طغت على شهرته شاعراً . كما أن شهرته وذيوع صيته في البلاد العربية ، يفضل نصيبه في بلاد المشرق ، ويفضله حتى في إقليم خوارزم ، موطنه الأصلي ، ولا تنسى معاناة هذا الإقليم ، هجر ونسيان المؤرخين والمؤلفين له ، ويكفي تدليلاً على ذلك ، أن تتصفح كتب التاريخ ، لنرى أنه يذكر ذكراً عابراً ، باعتباره جزءاً من خراسان ، أو من بلاد ما وراء النهر . ونسوا أو تناسوا أن له مكاتته واستقلاله ، مثله في ذلك ، مثل بقية الأقاليم المستقلة .

ومما تقدم من دراستنا لشعره ، يتبين لنا أن الزمخشري ، ليس بشاعر من الشعراء المطبوعين أمثال : أبي نواس ، أو البحتري ، أو العباس بن الأحنف أو غيرهم . وإن شعره شعر العلماء في جملته ، لاهتمامه بالحقائق العلمية وقضاياها ، وواقعيته وجده في الحياة . وشعر النحاة كما نعتة القفطي^(٢) ، ولعل ذلك ما يجعلنا لا نحس فيه بأي ضعف ، في أي قصيدة من قصائده . وعلى الرغم من القوة التي نلاحظها في شعره ، إلا أننا نستطيع أن نقول : إنه كان ناظماً أكثر منه شاعراً ، يجيد النظم ويأتي فيه بالمعاني والتشبيهات العقلية . وتلك القوة في شعره ، مبعثها اطلاع الامام الواسع ، ومعرفته أصول النحو والعروض ، وثقافته الكلامية والعلمية ، وربما كان لمعيشته في بلاد الحجاز ، وبيئتها البدوية أثر في هذه القوة ، وتلك المسحة القرية من شعر القدماء .

وهذا لا يقلل من قيمة الزمخشري ، ومنزلته الأدبية ، فقد كان « مضرب

(١) ينظر كتابه : الانساب ٦ : ٣١٥ .

(٢) ينظر ص ٢٣٧ من هذا الكتاب .

المثل في علم الأدب والنحو^(٣) » ، كما كان « إمام عصره بلا مدافعة » على حد قول ابن قطلوبغا^(٤) .

وفيه قال طاش كبرى زاده^(٥) : « إمام الدنيا في علم الإعراب واللغة ، والمعاني والبيان والزهد ، وحسن السيرة ، في السر والاعلان ، كما كان واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية في الذكاء ، وجودة القريحة ، متفنناً في كل علم » .

وهذا الأمير شبل الدولة ، أبو الهيجاء ، مقبل بن عطية البكري ، ختن نظام الملك يقول فيه^(٦) :

هذا أديبٌ فاضلٌ مثل الدراري دُرَرُهُ^(٧)
زَمْخَشَرِيٌّ فاضلٌ أَنْجَبَهُ زَمْخَشَرُهُ
كالبحر إن لم أَرَهُ فقد أتاني خَبَرُهُ

وكان لهذه الأبيات أثرها الحسن ، في نفس الزمخشري ، الذي رد عليها بقوله :

شعره أمطر شعبي شرفاً فاعتلى فيه نبات الجسد^(٨)

(٣) ينظر الانساب ٦ : ٣١٥ ، الجواهر المضية ٢ : ١٦٠ .

(٤) ينظر كتابه : تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٧١ .

(٥) ينظر كتابه : مفتاح السعادة ٢ : ٩٧ .

(٦) ينظر انباه الرواة ٣ : ٢٧١ .

(٧) الدراري : الدرر من الكواكب : المضيء . والدرر : جمع درة : ما عظم من اللؤلؤ ، وهو يقصد بالدر أدبه وعلمه .

(٨) شعبي : الشعب : الطريق في الجبل ، أو مسيل الماء في بطن ارض له حرفان مشرفان . فاعتلى فيه : جاءت في الاصل « فاعتلى منه » والكلمتان صحيحتان ، ولكننا أثبتنا ما رأيناه أكثر مناسبة للمعنى . فاذا كانت (منه) فان الضمير فيها يعود الى الشعر ، واذا كانت فيه فانه يعود الى الشعب .

الجسد والجساد : الزعفران أو نحوه ، من الصبغ الاحمر أو العصفر أو الاصفر .

كيف لا يستأسد النبت إذا بات مسقياً بنوء الأسد^(٩)

وأخيراً فإن الزمخشري في أسلوبه ، يميل الى الأسلوب التقليدي ، في الشكل والمضمون جميعاً ، وميله الى هذا الاتجاه ، له ما يفسره من نشأته وطبيعته ، وسائر ظروفه . فالزمخشري — كما عرفنا — نشأ على التعصب للعروبة ، وعاش عالماً من علمائها ، وكان من أبرز المنافحين عن أمجادها ، وكل هذا يربطه بالمحافظة على القديم ، ويشده الى ماضي العرب في كل شيء . ومن هنا جاء ميله الى الخط التقليدي المحافظ .

وذكر ابن بطوطة في رحلته ، أنه شاهد بنفسه قبر الزمخشري ، خارج مدينة خوارزم وعليه قبة^(١٠) .

ويقول ابن خلكان إن بعض الفضلاء ، بمدينة حلب أنشده أبياتاً قائلا :
إن الزمخشري أوصى أن تكتب على قبره^(١١) :

يا من يرى مكدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقتها في نحرها والمخ في تلك العظام التحل^(١٢)
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه في الزمان الأول
وقيل إن الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره ، أبيات غير هذه
التي ذكرنا ، وهي^(١٣) :

(٩) نوء : النوء : سقوط النجم في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيقه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق . ويعتقد العرب بأنه اذا سقط نجم وطلع رقيقه كان ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث يكون الى ذلك النجم . ويقول ابن الاعرابي : لا يكون نوء حتى يكون معه مطر . والنوء : العطاء . والنوء كذلك البقل ، لانه من النوء يكون .

(١٠) ينظر ص ٣٦٠ .

(١١) ينظر كتابه : وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٧ ، الكنى والالقب ٢ : ٢٦٩ .

(١٢) مناط : اتصال . وناط بالشيء وصله .

(١٣) ينظر مقدمة الجزء الاول من كتابه الكشف .

زَمان كل جِ فيه خَبٌ وطمعُ الخل خلٌ لو يذاق^(١٤)
لهم سوقٌ بضاعته تفاق فنافق فالنفاق له تفاق
والأبيات الأولى أقرب الى الصواب من هذه ، لأنه من غير المعقول أن
يوصي الزمخشري بكتابة مثل هذه الأبيات ، التي تحت على النفاق ، بعد أن
عرفنا ما كان من أمر زهده في الدنيا ، وتوبته عن طلب الزائل •

(١٤) الخب : الخداع والخبث والفس . ورجل خَبٌ وخِبٌ : خداع ، خبيث
منكر .

الفصل الرابع

شعراء آخرون

- ١ - محمد بن حامد « دراسة تحليلية نقدية » •
- ٢ - القاسم بن الحسين « دراسة تحليلية نقدية » •
- ٣ - الرقاشي ، ابو محمد عبدالله بن ابراهيم « دراسة تحليلية نقدية » •

محمد بن حامد :

هو أبو عبدالله ، محمد بن حامد ، ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر^(١) ،
والقنطري في المحمدين من الشعراء^(٢) . ولم نجد من ترجم له غيرهما ، ولذلك
رأينا أن ندرسه من خلال شعره ، لأننا لا نستطيع إهماله ، فهو : « حسنة
من حسنات اقليم خوارزم ، وغرة شادخة في جبينه » على حد قول
الثعالبي^(٣) ، واليه : « يرجع كل فضل ، فهو يجمع بين قول فصّل ، وأدب
جزل » .

وما نعرفه عن حياة أبي عبدالله بن حامد ، قليل لا غناء فيه ، ولكننا
نستطيع القول إنه من أدباء أواخر القرن الرابع الهجري ، وأوائل القرن
الخامس ، فقد ذكر الثعالبي ، في أثناء كلامه عنه ، أنه رزق ابناً في سنة اثنتي
واربعمائة ، ولعلته رأى بولادة ابنه هذا مناسبة تقوي صلته بالوزير السهيلي ،
وزير علي بن مأمون ، خوارزم شاه ، وأخيه أبي العباس ، مأمون بن مأمون
خوارزم شاه ، ورأى فيها تجديداً لولائه له بأن يذكره ، بأن الولد سيكون
خادماً له خدمة أبيه ، وما أحسن تلفظه في هذا بأن طلب من الوزير ، أن يسميه
له ، ليكون أقرب الى نفسه وقلبه ، وقد كتب أبو عبدالله بهذا ، الى الشيخ
الوزير ، أبي الحسين ، أحمد بن محمد السهيلي قائلاً^(٤) :

عَوَائِدُ صَنَعِ اللَّهِ تَكْنِفِي تَتَرَى
فَتَوَرِّثُنِي ذِكْرًا وَتُلْزِمُنِي شُكْرًا^(٥)
فمنها نجيب" جاء كالبدور طالعا
سورياً سنياً شد لي نوره أزرًا

(١) ينظر : ٤ : ٢٤٨ (طبعة السعادة) .

(٢) ينظر . ص ٢٣١ .

(٣) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٢٥٤ .

(٥) تترى : اي واحدة بعد واحدة .

وما هُوَ إِلَّا خَادِمٌ وابن خادِم
 لسيِّدنا مَدَّةَ الإلهِ لَهُ العَمْرُ
 فَمَا رَأَيْهِ فِي الاسْمِ لَا زَالَ مُسْمِيًا
 مَوَالِيَهُ كِي يَقْتَنُوا الفَخْرَ والذُّخْرَا

فالشاعر في هذه الأبيات ، يخبر الوزير بمجيء طفل له ، وأنه ملزم بشكر الله على هذه النعمة ، فهو كالبدر في جماله ، وقد أفرحه أنه سيكون سنداً له في المستقبل . وقد رد الوزير أبو الحسين السهيلي ، على هذه الأبيات بأبيات بمثل أبيات أبي عبدالله بحراً وقافية ، قال (٦) :

سَكَنْتُ إِلَى مَا قَتَلْتَهُ أَوْلَا ثَرَا
 نَعَمْ ، وَالْى مَا صُفِّتَهُ آخِرُ شِعْرَا
 فَهَنَّاكَ اللهُ النَجِيبَ ، فَإِنَّهُ
 مِنْ اللهِ فَضْلٌ " يوجبُ الحمدَ والشكرا
 وما جاءَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِصِنْوِهِ
 ظَهيراً ، فَقَوَّى اللهُ بَيْنَهُمَا ظَهْراً
 وَأَوْثَرَ أَنْ يَكُنِيَ بِكُنْيَةِ جَدِّهِ
 أَبِي أَحْمَدٍ وَالْإِسْمُ اخْتَارُهُ نَصْراً
 لِيَحْمَدَ مِنْهُ اللهُ تَقَوَّاهُ وَالْهُدَى
 وَيَنْصُرْهُ فِي عِلْمِهِ وَالنَّهْيُ نَصْراً

وكان أبو عبدالله في شبابه ، كاتباً لأبي سعيد الشيبلي ، وكان منه بمنزلة الولد . ثم أصبح كاتب ديوان رسائل ، حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، ورفض أن يقلد وظيفة هذا الديوان ، على الرغم من الحاج أبي المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي ، وزير تاش ، لأن نفسه كانت تميل الى الاتصال بالصاحب بن عباد ، لسابق المعرفة بينهما ، كما ذكر القفطي في كتابه : المحمدون من الشعراء (٧) . ولما توفي الشيبلي اختص بالصاحب بن عباد ، وقيل إنَّه

(٦) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٤ (السعادة) .

(٧) ينظر ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

تغلب عليه بيراعته وحذقه في صناعته ، حتى استطاع أن يحل محله ، ويتقلد
بريد قم^(٨) .

وبقي أبو عبدالله ، في وظيفته هذه فترة من الزمن ، فحسنت حاله وطاب
عيشه ، ولكن حنينه الى بلاده ، اضطره الى الرجوع ، وحينما علم سلطان
خوارزم ، خوارزم شاه برجوعه أكرم مورده ، وعرف فضله ، وجعله سفيرا
له ، يعتمد في المهمات السلطانية ، والسفارات الكبيرة . وبقيت هذه حاله مع
خوارزم شاه ، ومن قام مقامه من أبنائه ، على حد قول الثعالبي ، ولكن المصادر
لم تسعفنا في ايجاد نص أو شعر للشاعر ، يثبت ذلك .

ويحكي الثعالبي أيضاً ، أن خوارزم شاه ، أرسله مرة الى السلطان يمين
الدولة ، ببلخ « فاستولى على الأمد ، في القيام بشروط السفارة ، وملك
القلوب ، وسحر العقول بحسن العبارة^(٩) » .

ويروي الثعالبي أيضاً : أن أبا عبدالله ، لما ورد رسولا على شمس المعالي
قابوس ، أمير طبرستان ، أعجب به شمس المعالي ، إعجاباً شديداً ، وأنعم عليه
كثيراً ، ورغب في جذبه الى حضرته ، واستخلاصه لنفسه .

ونرى الثعالبي يؤكد روايته هذه بقوله : إن شمس المعالي أوعز اليه أن
يقنعه بكل حيلة ، وتمنية جميلة ، ولكن أبا عبدالله بن حامد ، على حد قول
الثعالبي ، رفض كل عروض الاغراء التي قدمت له قائلاً : « معاذ الله من لبس
ثوب الغدر والانحراف ، عن طريق حسن العهد^(١٠) » .

ولا ندري مدى صحة هذا القول ، لعدم وجود نص يؤيد وجود تلك
العروض .

ورجع أبو عبدالله الى وطنه ، ليكون تحت امرة ولي نعمته خوارزم شاه ،
ويكون في بلده بين أهله وأحبابه .

(٨) قم : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة اسلامية مستحدثة ، لا اثر
للاعاجم فيها ، وأول من مصرها طلحة بن الاحوص الاشعري ، وبها آبار
ليس في الارض ، عذوبة وبردا . ينظر معجم البلدان ٤ : ١٧٥ (طبعة
لايزك) .

(٩) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨ (السعادة) .

(١٠) ينظر المصدر السابق ٤ : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

وقيل إنه اجتمع مرة ، مع أبي الفتح البستي الكاتب الشاعر ، في مناسبة من مناسبات الأدب ، فحصل بينهما بعد تلك المناسبة — كما ذكر الثعالبي — نوع من الألفة « فتجاورا بعد ذلك وتزاورا ، وتصادقا وتعاشرا ، وتجاريا في حلبة المذاكرة ، وتجاذبا أطراف المحاضرة » فكان أن انفسح المجال أمام أبي عبدالله ، ليدير فكره في ميدانه ، فيحسن القول ، ويصيب شاكلة الصواب ، مما جعل البستي يقول فيه (١١) :

محمد بن حامدٍ إذا ارتَجَلْ
ومَرَّ في كلامه على عَجَلْ
نَقَبَ خَدَّ كُلِّ نَدَبٍ سَابِقٍ
بَنَثَرَهُ وَنَظَّمَهُ ثَوْبَ الْخَجَلِ (١٢)
أَقْلَامُهُ يَسْقِينُ كُلَّ نَاصِحٍ
وَكَاشِحٍ كَأَسَى حَيَاةٍ وَأَجَلِ (١٣)
فَنَاصِحُوهُ مُشْرِقُونَ بِالْأَمَلِ
وَكَاشِحُوهُ مُشْرِقُونَ بِالْوَجَلِ (١٤)
أَبْقَاهُ لِلدِّينِ وَلِلدُّنْيَا مَعًا
وَلِلْمَعَالِي رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ (١٥)

-
- (١١) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨ — ٢٤٩ (طبعة السعادة) ، المحمدون من الشعراء وأشعارهم . ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .
(١٢) النقب : النقب في كل شيء . الندب : يقال رجل ندب : أي خفيف الحاجة ، سريع ظريف نجيب . والندب : جمع الندبة : أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد . وجمعه ندوب وانداب .
(١٣) الكاشح : المتولي عنك بوجهه ، والكاشح : الذي يضر العداوة والمعرض بوجهه عنك .
(١٤) مشرقون : من اشراق الشمس وضئائها . وهذا كناية عن الفرح ومشرقون : الشرق : الشجاء والفصة . والشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصص بالطعام . وهذا كناية عن الحسرة والخوف .
(١٥) كذا ورد الشطر الاول وهو غير مستقيم عروضيا ، الا اذا غيرنا لفظة « والدنيا » الى « والدنيا » .

ففي هذه الأبيات ، نرى البستي يمدح إبا عبدالله ، بسرعة البديهة ، في منظومه ومنثوره ، ثم نراه يشبه قلمه بينوع الحياة ، وينبوع الموت ، الذي ينهل منه صديقه وعدوه ، الا أن ناصحيه يكونون في حالة اشراق وفرح ، وكاشحيه يغصون به حسرة وخوفاً .

ومما قاله فيه أيضاً (١٦) :

بنفسي أخ نفسه أَمَّةٌ وتدبيره في الورى فيلقُ (١٧)
 أخُ بابُ احسانه مُطْلَقُ وبابُ إساءته مُغْلَقُ
 كريمُ السجايا ، فلا رأيته بهمٍ ، ولا خلقه أبلقُ (١٨)
 محمد أنت قرى ناظري - فكيف إذا غبت لا ألقُ
 رهنتك قلبي ، وحكمُ القلوب إذا رهنت أنها تغلقُ

وفي هذه الأبيات نراه يمدحه ، بأنه مقصد لسائر الناس ، وأنه علم في تدبيره وفضله ، كثير الاحسان مطلقه ، لا يعرف الاساءة ، ولا تعرف هي طريقها اليه . فهو كريم في كل صفاته ، واضح في رأيه ، حكيم في خلقه .

وكأنه في أبياته هذه ، قد جعل الأبيات الأولى مقدمة للبيتين الآخرين ، اللذين ينوه البستي فيهما ، بمنزلة أبي عبدالله في نفسه ، وعن مقدار حبه ، الذي جعل فيه قلبه رهينة عنده .

والقاريء لأبياته هذه ، يحس العاطفة المناسبة في بيتيه الآخرين خاصة ، مما يدل على منزلة أبي عبدالله ، في نفس صاحبه البستي .

(١٦) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٩ (حجازي) .

(١٧) الام : القصد . ومعنى الامة في الدين : ان مقصدهم مقصد واحد ومعناها في النعمة : انما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه ومعناها في الرجل المنفرد : اي الذي لا نظير له ، وان قصده منفرد ، من قصد سائر الناس .

(١٨) بهم : مفرد بهم : وهو المجهول الذي لا يعرف .
 والبلق : الحمق الذي ليس بمحكم بعد . والابلق : الذي يطلب ما لا يمكن .

ويظهر لنا هذا الحب الذي يكنه البستي لأبي عبدالله في قوله (١٩) :
يا مَنْ أَرَاهِ لِلزَّمَانِ حَسَنَهُ
وَمَنْ حَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
إِنْ غَبَّتْ عَنِّي سِنَةٌ فَهِيَ سَنَةٌ
وَسَنَةٌ تَحْضُرُ فِيهَا وَسِنَةٌ (٢٠)

وتظهر لنا في هذين البيتين ، الصنعة البديعية ، في تلاعبه في الألفاظ ،
التي يريد أن يعبر بها ، عن مقدار حبه لصديقه ، حتى يرى اللحظة القصيرة
التي يغيبها عنه سنة كاملة ، ويرى السنة التي يكون معه فيها ، لحظة قصيرة •
وهذا المعنى وإن كان قد تداوله وتعاوره الشعراء كثيراً ، ولكننا لا نخطئ
العاطفة الصادقة التي تنفج على القاريء منه •

وعلى ذكر منزلة أبي عبدالله ، في نفوس مصاحبيه وعارفيه ، فإن لبعضهم
من أهل نيسابور فيه (٢١) :

إِذَا قِيلَ مَنْ قَرَدُ الْعُلَى وَالْمَحَامِدِ
أَجَابَ لِسَانُ الدَّهْرِ ذَلِكَ ابْنُ حَامِدٍ
هُمَا لَهُ فِي مَرْتَقَى الْمَجْدِ مَصْعَدٌ
يَلُوحُ لَهُ الْعَيْشُوقُ فِي ثَوْبِ حَاسِدِ (٢٢)
كَرِيمٌ حَبَاهُ الْمُشْتَرِي بِسُعودِهِ
وَأَصْبَحَ فِي الْآدَابِ بَكَرَ عَطَارِدِ

(١٩) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٩ (حجازي) .

(٢٠) سِنَةٌ : أي لحظة قصيرة . سَنَةٌ : أي حول .

(٢١) يرى الثعالبي في كتابه اليتيمة ٤ : ٢٤٩ ، أن هذه الابيات قيلت في أبي
الفتح البستي ، ولكننا نرى أنها قيلت في أبي عبدالله محمد بن حامد ،
والايات نفسها تشهد على هذا .

(٢٢) العيوق : كوكب أحمر مضيء ، بحيال الثريا ، في ناحية الشمال ،
لا يتقدمها ويطلع قبل الجوزاء .

به سَحَبَتْ خوارزم ذَيْلَ مفاخرٍ
على خُطَّةِ الشَّعْرَى وربَّعِ الفَرَاقِدِ
فلا زالَ في ظلِّ السَّعادةِ ناعماً
يَحوزُ جميعَ الفضلِ في شخصٍ واحدٍ

وقد غالى المادح في مدحه ، حتى جعل العيوق ، وهو الكوكب المضيء ،
يحسد المدوح على منزلته •

وبعد أن رأينا منزلة أبي عبدالله ، عند البستي خاصة ، وأشعاره التي قالها
في مدحه ، الا أننا لم نجد في شعر أبي عبدالله ، مثل ذلك في مدح البستي •
ومما بقي من شعر أبي عبدالله ، بضع قصائد تدور أغلبها حول المدح ،
الذي خصَّ به الصاحب بن عباد ، وهي من شعره الجيد الذي وصل إلينا ،
لأنها تصور لنا نفسية شعراء هذا الغرض ، من الشعر العربي خير تصوير ،
تصور الاسراف والغلو اللذين طغيا على شعر الشعراء المدّاحين ، ولا سيما
شعر من أتصل منهم ببلاطات الدولة ، سعيّاً وراء الرّفد • يقول أبو
عبدالله (٢٣) :

ما أَتَسَى لا أَتَسَى أَيّاماً نَعِمْتُ بِهَا
وَهَذَبْتُني بَتَطَوّافِي وَتَرَدّادِي
أَيّامَ أَرْكَبُ مَتْنِ الرِّيحِ تَحْمِلُني
وَالطَّرْسُ وَالنَّقْسُ وَالْأَقْلَامُ أَذْوَادِي (٢٤)
كافي الكفّاة اداَمَ اللهُ نَصْرَكَ
نَجَّلَ الأَمينَ الكَريمَ الشَّيخَ عَبّادِ (٢٥)
غَمَّرَ الرَّداءَ لِرؤُودِ وَوَرْدِ
سَهَّلَ الحِجابَ لِرُؤُوسِ وَوَفّادِ

(٢٣) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٠ - ٢٥١ (حجازي) .

(٢٤) الطرس : الصحيفة . ويقال هي التي محيت ثم كتبت . وقيل الطرس :
الكتاب الذي محي ثم كتب .

النقس : المداد الذي يكتب به ، وجمعه انقاس وانقس .

(٢٥) كافي الكفّاة : لقب الصاحب بن عباد .

لا زالت الدولة العلياء تلزمه

ما قالت العرب حيثوا الحي بالوادي

ونراه في تعابيره يتعلق بالتعابير العربية القديمة ، وعبارة « غمر الرداء » من العبارات التي تدور في كتب البلاغة عندهم ، وهي عبارة الشاعر كثير عزة في قوله (٢٦) :

غَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا

غَلِقَتْ لُصْحَكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

فانه استعار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه ، كما يصون الرداء ما يلقي عليه . ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء .
ولفظه « الوقاد » تعيدنا الى شعر حاتم الطائي ، اذ يقول لغلامه (٢٧) :

أَوْقِدْ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرِيءٌ

وَالرَّيْحُ ، يَا مَوْقِدُ رِيحٌ صِرِيءٌ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمْشُرُ

وكذلك عبارة « حيثوا الحي بالوادي » .

ومن شعره الذي قاله في الصاحب بن عباد أيضاً قوله (٢٨) :

لِيَهْنِكَ الْأَهْنِيَانِ الْمَلِكُ وَالْعَمُرُ

مَا سَايَرَ الْأَسِيرَانَ الشَّعْرُ وَالسَّمَرُ

(٢٦) ينظر البيت في ديوانه . ص ٢٨٨ . جمعه وشرحه : الدكتور احسان عباس . نشر دار الثقافة ببيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م . وينظر شرح البيت في : الايضاح . ص ٢١٦ .

(٢٧) ينظر ديوان حاتم الطائي ، مع دراسة مفصلة عن الجود والاجود - الدكتور فوزي عطوي - ص ٢٦٣ . مط ، الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت - لبنان ١٩٦٩ م .

(٢٨) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ (طبعة السعادة) . ويقول الثعالبي : ان هذه القصيدة : تربي على ثلاثين بيتا ، ولكنه لم يذكر منها ، الا ما استشهدنا به .

وَطَالَ عُمْرُ سَنَّاكَ الْمُسْتَضَاءَ بِهِ
مَا عُمِّرَ الْأَبْقِيَانِ الْكُتْبُ وَالسَّيْرُ
يَقْدِي الْوَرَى كُلَّهُمْ كَافِي الْكِفَاءِ فَقَدْ
صَفَا بِهِ الْأَفْضَلَانِ الْعَدْلُ وَالنَّظَرُ
بِهِ مَكَارِمُ لَا تُحْصَى مُحَاسِنُهَا
أَوْ يُحْسَبُ الْأَكْثَرَانِ الرَّمْلُ وَالشَّجَرُ
لِكَيْدِهِ النَّصْرُ مِنْ دُونِ الْحُسَامِ ، وَإِنْ
تَمَرَّدَ الْأَشْجَعَانِ التَّشْرُكُ وَالْحَزَرُ
مَا سَارَ مَوْكِبُهُ إِلَّا وَيَخْدُمُهُ
فِي ظِلِّهِ الْأَسْنِيَانِ الْفَتْحُ وَالظَّفَرُ (٢٩)
وَإِنْ أَمَرَ عَلَى طِرْسٍ أَنَا مَلَكُهُ
أَغْضَى لَهُ الْأَبْهَجَانِ الْوَشْيُ وَالزَّهْرُ
دَامَتْ تَقْبِلُهَا صَيْدُ الْمُلُوكِ كَمَا
يُقْبَلُ الْأَكْرَمَانِ الرَّشْكُنُ وَالْحَجَرُ

وزاء في هذه القصيدة ، يتعلق فيما يسميه البلاغيون التفسير بعد الإبهام ، فهو يورد اللفظة مثناة في كل بيت ، ثم يأخذ في تفسيرها وإيضاحها . وفي هذه الحالة يجعل السامع يتعلق بما سيقوله في هذا التفسير ، وقد أتى الشاعر بألفاظه التي أضفاها على الممدوح ، متوخياً فيها اسمى آيات المديح .
ومن قصيدة أخرى ، كتب بها إليه من الري إلى الأهواز ، يهنئه بدخولها قوله (٣٠) :

بَرِيقُ الرَّأْيِ يَعْبُدُهُ الْحُسَامُ وَبَرَقُ السَّعْدِ يَخْدُمُهُ الْأَنْسَامُ

-
- (٢٩) الأسنانيان : السنا : الارتفاع ، وسنى إلى معالي الأمور : أي ارتفع ،
والسنا : من الرفعة .
(٣٠) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ (حجازي)

وما اتَّفَقَا كما اتَّفَقَا لقرْمٍ هو الصَّمْصَامُ والملكُ الهَمَامُ (٣١)
 همام لا يؤمُّ الخطيبَ إلا « ونَصُرُ اللهَ عزَّ له إمامٌ » (٣٢)
 « وما من بلدةٍ في الأرض إلا إليه بها نزاعٌ » أو هِيَامُ (٣٣)
 فلو أن البلادَ أَطَقْنَ سَعِيًّا لسارعَ نحوه البلدُ الحَرَامُ
 أدامَ اللهُ أيامَ المعالي وذلكَ أن يَدومَ له الدَّوامُ
 وما لي غير ما هوَ جَهْدُ مثلي دُعَاءُ أو ثَنَاءُ لا يُرامُ
 وفي هذه الأبيات نرى الشاعر ، وقد خرج بمدحه الى المغالاة ، في قوله :
 « لسارع نحوه البلد الحرام » على أنها مبالغة محمودة ، وغير مجوجة أيضاً
 وفيها ما يعطف الصاحب عليه ، إذ زاه يشير الى أنه لا حول له ولا قوة ، وليس
 له ما يقرب به نفسه الى الصاحب ، غير الدعاء والثناء .
 ومثل هذا قوله في الممدوح نفسه (٣٤) :

سلام على نفسٍ هي الأمة الكبرى
 وشخص هو المجد المنيف على الشعري
 هو الدين والدينا فزَّره ترى المثنى
 وتحصل لك الأولى وتحصل لك الأخرى

وقد يحق لنا ان نتهم الشاعر ، بالإسراف والعلو ، في مديحه للصاحب ،

-
- (٣١) القرم : الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ، وبودع للفحلة ، والجمع قروم . وقيل : هو الذي لم يمسسه الجبل . والشاعر يريد هنا : انه سيد القوم .
 الصمصام : رجل صمصام : أي مصمم ، وقيل : هو الشديد الصلب .
 وقيل للسيف الصمصام : أي صارم لا ينثني .
 (٣٢) يؤم الخطب : أي يقصده . والخطب : الشيء العظيم .
 (٣٣) نزاع : النزاع : الشوق الشديد . والنزاع : الغلبة . يقال : نازعتني نفسي الى هواها : أي غالبتني .
 والهيام : كالجنون من العشق .
 (٣٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ (حجازي) . والأمة : أهل الملة الواحدة . والأمة الحال والشان ، والشرعة والدين . والإمة : النعمة وغضارة العيش .

ولكننا نعذره بعض العذر ، حين نعرف أن هذه هي سنة المادحين ، أو المدّاحين في عصره ، وإلا فكيف يحصل من يزوره ، على الحياتين ! فإن كانت الحياة الأولى بنظر الشاعر هي المادة ، فمن السهل أن يحقق الزائر هذا ، ولكن أتى له من الحصول على الحياة الأخرى بزيارته له ! إلا إذا كان يقصد بها ، حصوله على معرفة بعض الأمور الدينية ، في مجلس الصاحب بن عباد .

ومن قوله فيه أيضاً (٣٥) :

رَأَيْتُكَ مَرَّةً فَسَعِدْتُ حَتَّى رَأَيْتُ سَعُودَ عَيْشِي طَالَعَاتِ
فَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ إِلَيْكَ أَخْرَى لِأُضْحَتِ لِي اللَّيَالِي خَادِمَاتِ

والظاهر أن أبا عبدالله ، قد فارق الصاحب بن عباد ، وإن بقيت علاقتهما متصلة بالرسائل ، التي أصبحت بالنسبة له كالطعام والشراب ، فهو يقول (٣٦) :

غَدَا دَفَقْتُ رِي أُنْسًا ، وَحَظِّي رَوْضَةً

وَحَبْرِي مُدَامًا ، وَارْتَجَالِي سَاقِيَا

وَلَا شَدَّوْ لِي إِلَّا التَّحْفِظُ قَارِئًا

وَلَا سَكَّرَ إِلَّا حِينَ أَنْشِدُ وَاعِيَا

تَجَشَّمُ أَوْصَافًا حَسَنًا لِعَبْدِهِ

فَطَوَّقَهُ عِقْدًا مِنَ الْعِزِّ حَالِيَا

فَلَوْلَا امْتِنَالُ الْأَمْرِ لَا زَالَ عَلِيَا

لَطَارَ مَكَانَ النَّظْمِ رَجُلَانِ حَافِيَا (٣٧)

عَلَى أَنِّي إِنْ سِرْتُ أَوْ كُنْتُ قَاطِنًا

فَغَايَةُ جَهْدِي أَنْ أَطَوِّلَ دَاعِيَا

(٣٥) المصدر السابق ٤ : ٥٢ . ٢ .

(٣٦) المصدر السابق ٤ : ٢٥٠ ، المحمّدون من الشعراء وأشعارهم . ص ٢٣٣ .
ذكر القفطي منها أربعة أبيات فقط .

(٣٧) أي ماشيا على رجله .

رسائله لي كالطعام ، وشِعْرُهُ
 كماء زلال حين أصبح صاديا
 فإن ظلّت الآمالُ تشكّر ظلكُ
 فإنّ لسان المال قد ظلّ شاكيا
 كأنّ إله الخلق قال لجوده :
 أفض كلّ ما تحويه وارزق عباديا

وفي قصيدة أبي عبدالله هذه ، نفحة من قصيدة أبي الطيب المتنبي في
 كافور ، حين قصده ، بعد هجره لسيف الدولة ، وهي القصيدة التي مطلعها :

كفّى بك داء أن ترى الموت شافيا
 وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا (٣٨)

ونرى في قصيدة أبي عبدالله ، الروح العاطفية الجياشة ، التي تدل على
 منزلة صاحب في نفسه ، بعد أن رحل عنه .

ولأبي عبدالله محمد بن حامد ، على ما يروي الثعالبي ، قصيدة في أبي
 سعيد الشيباني ، يوم برز الأخير من جرجان بالمضارب ، ليعسكر بظاهرها ،
 متوجها الى الأمير أبي علي ، واتفق تعرض أرنيين في تلك الصحراء ، فتبادر
 الغلمان اليهما فصادوهما ، فتفأل الشيباني أنه يغلب العدو ، كما أخطأ
 الغلمان الأرنيين ، فقال أبو عبدالله في ذلك (٣٩) :

أناك بما تهوى وترضى المحرم
 وجاءك بالنصر العزيز يترجم
 ولا غرو أن تلقى الذي تبغى وما
 تحاول والأفلاك بالسعد تخدم

(٣٨) ينظر ديوان المتنبي . ص ٤٣٩ . تحقيق د . عبد الوهاب عزام . مط
 لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .

(٣٩) يتمة الدهر ٤ : ٥٢ . ٢ .

وَبَخْتِكَ مَرْفُوعٌ ، وَجَدُّكَ مُتَقَبِّلٌ
 وَأَمْرُكَ مَتَّبُوعٌ ، وَقَدْرُكَ مُعْظَمٌ
 وَرَأْيُكَ فِي قَمْعِ الْمُتَاوِينَ رَأْيُ رَاسِ
 وَهَيْبَتُكَ الشَّمَاءَ جَيْشٌ عَرْمَرَمٌ
 وَحَسْبُكَ صَيْدُ الْأَرْبَعِينَ مَبْثُورًا
 بِصَيْدِكَ أَعْدَاءُ عَلَى الْفَدْرِ أَقْدَمُوا

ونرى في هذه القصيدة ، أبا عبدالله يمدح متفائلاً بالنصر ، على الأعداء ،
 وفي قصيدته هذه ، نفحة من قصائد أبي الطيب المتنبي ، في مدحه لسيف
 الدولة في حروبه ، إلا أنها خالية من المدح « الضمني » والفخر بالنفس ، الذي
 نراه يتخلل مدح المتنبي ، لسيف الدولة أو لغيره .

ومن شعره أيضاً ما قاله في أبي العباس الضبي (٤٠) :

زَمَانٌ جَدِيدٌ ، وَعَيْدٌ سَعِيدٌ وَوَقْتُ حَمِيدٌ ، فَمَاذَا تَرِيدُ ؟
 وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ وَجْهَ الرَّئِيسِ وَقَدْ طَلَعَتْ مِنْ سَنَاهِ السُّعُودِ
 وَكَمْ حَلَاةٌ خَطَّاهَا قَدْ غَدَّتْ عَلَى بَرْدِ آلِ يَزِيدَ تَزِيدُ (٤١)

وله في أبي العلاء السري ، بن الشيخ أبي سعد الإسماعيلي قوله (٤٢) :

قَرَأْتُ لِمَنْ لَهُ يَصْفُو وَدَادِي نَظِيماً كَالشَّبَابِ الْمُسْتَعَادِ
 سَرِيّاً كَأَسْمِ صَاحِبِهِ ، وَلَكِنْ بِهِ عَادَ الْحَنِينُ إِلَى أَزْدِيَادِ
 فَكَانَ اللَّفْظُ فِي مَعْنَى بَدِيعٍ أَلْذَّةً لَدَيْ مَنْ ثِيلُ الْمَرَادِ

وكان بين الشاعر وبين والده هذا المدح مراسلات ، ويذكر الثعالبي أن
 الشيخ أبا سعد الإسماعيلي ، كتب إليه قصيدة منها (٤٣) :

(٤٠) بيتمة الدهر ٤ : ٢٥٣ .

(٤١) البرد : ثوب مخطط ، أو يخص بالقصب والوشى ، وجمعه أبراد وبزود
 أبرد وبراد .

(٤٢) المصدر السابق ٤ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٤٣) بيتمة الدهر ٤ : ٢٥٣ .

سلام على شيخ المحاميد والذي
له الذِّرْوَةُ العَلِيَاءُ والشَّرْفُ العِيدُ
وَمَنْ صَحَّ مِنْهُ وَكَدَّهُ وَوَفَاؤُهُ
على حين لم يُحْمَدْ لِيذِي خُلَّةَ عَهْدُ
فأجابه أبو عبدالله ردّاً على هذه أبيات على نفس قافيته (٤٤) :
أَفْخَرُ وَذُخْرُ أَمْ خِطَابُ لَهُ مَجْدُ ؟
أَسِحْرُ أَمْ نَظْمُ مَنْ لَا لَهُ نِدْ (٤٥)
شَمْتُ مِنَ الْعُتُونِ عِنْدَ طُلُوعِهِ
رَوَائِحَ فَضْلٍ دُونَهَا الْمِسْكُ وَالنَّدْ
وَسَاعَةَ فَكِيٍّ الْخِثَمَ أَبْصَرْتُ جَنَّةَ
سَقَّتْهَا غَوَادِي الْفِكْرِ فِيهَا خُلْدُ (٤٦)
فَأَشْجَارُهَا عِلْمٌ ، وَأَغْصَانُهَا ثَقْيٌ
وَأَنْسَارُهَا فَهْمٌ ، وَغُتْدَانُهَا رَشْدُ
تَجَشَّمَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الَّذِي بِهِ
وَمِنْهُ وَفِيهِ يُعْرَفُ الْكَرَمُ الْعِيدُ
وَمَنْ بَحَلَّى أَخْلَاقَهُ تَشْرَفُ الْعُلَى
وَيَلْتَمِعُ فِي الدُّنْيَا بِكَثِيبَتِهِ السَّعْدُ

وفي هذه الأبيات يمدح أبو عبدالله ، الإسماعيليّ من خلال مدحه لشعره،
ولعله نظر في هذا الى أبيات ابن الرومي الشهيرة ، التي مدح بها محمد بن

(٤٤) ينظر المصدر السابق .

(٤٥) النَّدُ المثل . والنَّدُ : ضرب من الطيب يدخن به ، وقيل هو العنبر .

(٤٦) غواضي : جمع غادية . والغادية : السحابة التي تنشأ غدوة . وقيل :
هي السحابة تنشأ فتمطر غدوة ، وجمعها غواد . وقيل : هي سحابة
تنشأ صباحا .

عبدالله بن طاهر ، ولكن محمداً أنقلب عليه ناقداً ومنافساً له ، فهجا شعره ، ولم
يجزه بشيء ، وفي ذلك يقول ابن الرومي (٤٧) :

مَدَحْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَطْلُبُ رِفْدَهُ
فَخَيَّبَنِي مِنْ رِفْدِهِ وَهَجَا شِعْرِي
فَهَبَنِي قَدْ أَغْفَيْتُهُ مِنْ مَثَوْبِي
أَيُغْضِي لَه شِعْرِي عَلَى مَضْضِ الْوَتْرِ
سَيْرِهِ شِعْرِي مِثْلَ مَا كَانَ رَاشَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي شِعْرِ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي (٤٨)

وفي أبيات ابن الرومي هذه نراه يتأثر لهجاء شعره ، أكثر من حرمانه من
مثوبة المدوح ، فكأن أبا عبدالله نظر في هذا ، واتخذ منه سيلاً الى مدح
صاحبه ، بمدح شعره ، ولا عجب فهو شاعر ، يحسّ بما يحسّ به الشاعر
حين يمدح أو يُهْجى شعره .

كما نرى أبا عبدالله ، في هذا المديح قد أضفى على شعره ، التشايبه
الجميلة ، والتعابير الرقيقة التي استعملها ، كعوادي الفكر ، وغدران الرشد ،
وأثمار الفهم ، الى غير ذلك .

ولم يكتف الشاعر بكل ما أضفاه على المدوح ، من الصفات الجميلة ،
وانما نراه يستمر في مديحه ، من خلال مدح نظمته حيث يقول :

وَكَيْفَ يُؤَدِّي حَقَّ شِعْرِ شِعْرَاهُ
عَلَاءَ وَرَاوِيهِ وَمُنْشِدُهُ الْمَجْدُ

(٤٧) ينظر ابن الرومي حياته من شعره - العقاد . ص ١٨١ . نشر : دار
الكتاب العربي - بيروت . ط ٦ سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

(٤٨) راشه : الروش : خفة العقل . ورجل راش : ضعيف الصلب . وكذا
رمح راش ورائش . يبرى : البري من السهام : الذي اتم بربه ولم
ينصل : الكامل البري . والبراية : القوة . ومن أمثالهم : لا يريش ولا
يبرى : اي لا ينفع ولا يضر . ويقال : لا ترش على كلامي : اي لا تقطعه
باعتراضك عليه .

وبي حرقة" مذغبت عن حر وجهه
حرارة نار العشق في جنبها برد

أما غزله فالظاهر أنه قد سار فيه ، في تيار الشعر العربي القديم ، حيث جاء به مستهلاً ، في قصيدة قالها في مدح الشيباني ، وهي من مهرجانية ، على وزن مصراع ، أنشده في المنام ، على حد قول الثعالبي ، وذلك أنه رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له : « قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم » . وحينئذ قال أبو عبدالله محمد بن حماد (٤٩) :

البَيْنُ خَمْرٌ ولكن سُكَّرَهَا سَقَمٌ
والحبُّ نَعْمَى ولكن في غَدْرِ نِقَمٌ
إِنَّ المحبِّينَ أحرارٌ وأنفسهم
لمن يَحْبَوْنَ في حكم الهوى خَدَمٌ
يا أيُّهَا الظَّاعِنُونَ ، القلب عندكم
إن لم يكن عندكم فالقلبُ عَبْدُكُمْ
لي بينكم قمر في ثغره بَرْدٌ
في قَدِّهِ غُصْنٌ في وجهه صَنَمٌ (٥٠)
كأَنَّمَا ابن شبيب سَلٌ في يَدِهِ
من مُقْلَتَيْهِ حُساماً حَدَثَهُ خَدِمٌ (٥١)
القائل القول لم تنطق به عَرَبٌ
والفاعلُ الفعلُ لَمْ تَقْظُنْ به العجم
على الكنوزِ أمينٌ غيرُ مَتَّهِمٍ
وسَيِّفُهُ في رقابِ الناسِ مَتَّهِمٌ

(٤٩) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٥٠) برد : بياض في الاسنان .

(٥١) خذم : الخدم : سرعة القطع ، وسمي السيف مخذم لذلك .

وقد غدا وهو شيخ الدولتين كما
للحضرتين به عزه ومنتظم
لذلك في النوم شخص الصدق قال له :
قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم

ففي هذه الأبيات ، يرى الشاعر أن الفراق مسكر كالخمر ، ولكن سكره
يختلف عن سكر الخمر ، بكونه سقماً ، وكذلك الحب فانه نعمة للمحبين ، وهو
كذلك نعمة لهم . وهكذا يأخذ الشاعر في وصف حال المحبين ، حيث يرى أنهم
خدم لمن أحبوهم . ثم نراه يصرخ منادياً من فارقه ، لأن بينهم حبيبه ، حيث
يأخذ في وصفه ، وذكر محاسنه ، في ألفاظ حلوة رقيقة ، وأوصاف
جميلة ، حتى نراه يتخلص من هذا ، الى الغرض الأصلي في القصيدة ، ألا وهو
مدح الشيبلي ، الفارس الشجاع ، صاحب السيف الذي لا يرحم رقاب الأعداء .

ومن خلال هذه الدراسة ، نرى أن الشاعر كان متأثراً ببعض الشعراء
أمثال : أبي الطيب المتنبي ، والسري الرفاء ، وابن الرومي ، فهو يأخذ من
أسلوبهم ومعانيهم . والظاهر أنه كان ذا منزلة رفيعة في الأدب في عصره ، كما
اشتهر كذلك بخطه الحسن ، وفي هذا يقول بعض أهل عصره (٥٢) :

وَرَأَى كَشَعْرَ الْبُحْثَرِيِّ مَزَجَتْهَا بِمَاءٍ كَأَخْلَاقِ الْكَرَامِ الْأَجَاوِدِ
فَلَمَّا عَلَا وَجْهُ الْحَبِيبِ شَرِبَتْهَا وَجَدْتُ بِهَا عَيْشَ كَخَطِّ ابْنِ حَامِدِ

(٥٢) ينظر المحدثون من الشعراء وأشعارهم . ص ٢٣١ .

القاسم بن الحسين :

هو أبو محمد ، القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي ، مجدالدين الملقب بصدر الأفاضل^(١) .

ولد القاسم بن الحسين سنة ٥٥٥هـ^(٢) ، في اقليم خوارزم ، ولسنا نعرف عن نشأته الأولى شيئاً ، ولكننا نعرف أنه درس الفقه ، على أبي الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزي ، وأخذ عنه العربية^(٣) ، وكان المطرزي له معرفة تامة ، بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب ، على حد قول عبدالحى اللكنوي^(٤) .

أخذ القاسم بن الحسين علمه عن خيرة علماء عصره ، وفي مختلف الفنون ، حتى أصبح عالماً بالعربية وفتياً من فقهاء الحنفية ، فقد كان حنفياً سنياً على حد قول السيوطي^(٥) .

ورحل الفقيه الشاعر ، القاسم بن الحسين ، الى بخارى لطلب العلم ، وكانت بخارى في تلك الحقبة : « مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، أو موسم فضلاء الدهر » على ما يقول الثعالبي^(٦) .

(١) ينظر هدية العارفين ١ : ٨٢٨ ، الفوائد البهية . ص ١٢٦ ، الاعلام ٦ : ٨ معجم المطبوعات العربية والمعرية . ص ٨٤٠ . وجاء في ترجمة ياقوت الحموي له ، في كتابه معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ « ابن محمد بدلا من ابن احمد » وورد مثل ذلك في بغية الوعاة ٢ : ٢٥٢ . وصدرالافاضل : اي رئيسهم ومقدمهم .

(٢) ينظر معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ ، الفوائد البهية . ص ١٢٦ ، تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٥٠ ، هدية العارفين ١ : ٨٢٨ ، بغية الوعاة ٢ : ٢٥٢ .

(٣) ينظر الجواهر المضية ١ : ٤١٠ ، تاج التراجم . ص ٥٠ .

(٤) ينظر الفوائد البهية . ص ١٧٤ .

(٥) ينظر كتابه : بغية الوعاة ٢ : ٢٥٢ .

(٦) ينظر كتابه اليتيمة ٤ : ١٠١ (طبعة حجازي) .

إذا عاش القاسم بن الحسين ، في اقليم خوارزم ، وفي ظل نهضته العلمية والأدبية ، في تلك الفترة المزدهرة ، فهل من تلك المعارف والعلوم ، ولم يكتف بذلك ، بل رحل الى بخارى ، ليستقي من منابعها ، ويستفيد من علمائها وادبائها .

اتجه القاسم بن الحسين ، الى قرض الشعر ، وكتابة النثر ، وما زال ينبغ فيهما ، حتى صار من ألمع أدباء عصره ، ومن أشهر شعرائه ، كما ظهر لنا من أخباره .

قال ياقوت الحموي فيه^(٧) : « واحد الدهر في علم العربية صدقاً ، ذو الخاطر الوقتاد^(٨) والطبع التقاد^(٩) ، والقريحة الحاذقة ، والنحيزة الصادقة^(١٠) ، برع في علم الأدب ، وفاق في نظم الشعر ، ونثر الخطب ، فهو إنسان عين الزمان^(١١) ، وغرّة جبهة هذا الأوان^(١٢) » .

ولسنا نعرف للشاعر ديوان شعر ، وربما كان له ولكنه اندثر مع ما اندثر ، عندما خرب التار خوارزم .

وعلى أية حال فما تبقى لدينا من شعره قليل جداً ، ولولا ترجمة ياقوت الحموي له ، لما بقي لنا من شعره ، شيء يذكر . على أن شعره — وان قلّ — يكفيننا في الدلالة على مكانته الشعرية ، هذا بالإضافة الى ما روي عنه من أخبار .

ودرستنا لهذه النماذج من شعره ، ترينا أنه كان يجول في المصح ، والفخر والغزل ، وهي من أغراض الشعر العربي المعروفة ، المتداولة عند الشعراء عامة .

كذلك يدل هذا القليل الباقي من شعره ، على أنه كان غالباً ذا سمات

(٧) ينظر كتابه : معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ .

(٨) أي صاحب انقلب السريع التوقد في النشاط ، والمضاء الحاد .

(٩) أي صاحب الطبيعة والسجية السريعة التقد .

(١٠) أي الطبيعة الصادقة .

(١١) أي رئيس أهل زمانه .

(١٢) الغرة : بياض في جبهة الفرس . وهو يريد أن يقول : ان القاسم بن الحسين ، كان ذائع الصيت والشهرة في أوانه .

بدوية واضحة ، ولست أدري من أين جاءه هذا التأثير ! إذ أن مترجميه ، لم يشيروا الى أنه سافر الى البادية ، أو عاش مع العرب العاربة ، شأن الامام الزمخشري ، وعلى هذا نقول : ربما كانت تلك السمة الغالبة على شعره ، نتيجة المحاكاة والتقليد المتقن ، الناتج عن دراسته الشعر العربي القديم ، دراسة عميقة متأثرة ، والا فما سبب هذه الوعورة ، التي تحوجنا الى المعاجم ، في قصائده ؟!

ويرجع هذا التصور في بداوة شعر القاسم بن الحسين ، الى ما حكاه ياقوت الحموي عنه ، حينما زار اقليم خوارزم ، في سنة ٦١٦ هـ ، وزار الشاعر في بيته ، فأسمعه قصيدة له مطلعها (١٣) :

أَتَحْمِلُ مِنِّي نَحْوَ ذِيَالِكَ الرَّشَا سَلاماً كَصَدغِيهِ وَحَالِي مَشُوشَا (١٤)
وإِنِّي لَوْ جَدِي اسْتَضِيءَ لَذِي الْحَمَى بِشَعْلَةِ أَتْقَاسِي إِذَا اللَّيْلِ أَغْطَشَا (١٥)
وَيَرْحَمُنِي الْعَذَالُ حَتَّى يَقُولَ لِي أَمُوقِدُ نَارٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ أَمُحَشَا (١٦)
وَهَلْ تَرَدُّ الْجَرَّعَاءُ مِنِّي بِحَنَّةٍ عَلَى طَرْفِي هَارٍ وَتَقُ الْعَهْدَ قَدَمَشَى (١٧)
وَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ سَرِّي وَإِثْمَا بِرَغْمِي صَوْبَ الْمَدْمَعِينَ بِهِ فَشَا (١٨)
كَمَا أَنْ صَدَّرَ الشَّرْقَ أَخْفَى سَخَاءَهُ وَلَكِنَّ بَشْرُ الْجَبِينِ بِهِ وَشَى (١٩)

(١٣) ينظر معجم الادباء ١٦ : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(١٤) ذِيَالِك : تصغير ذلك . الرشا : ولد الطيبة اذا تحرك ومشى . والمراد به : الحبيب المشبه به في الرشاقة ، وخفة الحركة . وحالي مشوشا : أي مضطرب من الوجد والشوق .

(١٥) اغطش الليل : اظلم .

(١٦) العذال : الكثير العذل ، والمتشدد في عذله . ويرحميني العذال : أي يرق لي اللوم . الحشا : مافي البطن من الامعاء وغيرها .

(١٧) الجَرَّعَاءُ : الرملة الطيبة النبات ، لا وعوثة فيها . أو الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل : الحنة : المرة من الحنين ، وهم الترحم والشفقة .

رونق العهد : حسنه . يقول : هل تمر بالجرعاء ترحما وشفقة ، وتذكر العهد الذي بيننا ؟

(١٨) فشَا به : أظهره ونشره واذاعه .

(١٩) وَشَى به : نم عليه .

وإن هزّه الإطراءُ ثم تبجّست أياديه لم يسكر له فقد انتشا (٢٠)
أيلحّقه الوهم القطوف إذا سعى لإدراك غايات العلا متكمّشا (٢١)
لك المنهل المسكي ما زال نفعه يعلّل صلا في يمينك أرقشا (٢٢)
فيُلفظ في منسابه من لعبه حتّوفاً وأرزاقاً على حسب ماتشا (٢٣)
ومع ذلك نستطيع القول ، إنّ الشاعر ، كان يسير في موضوعاته على
ما هو معروف من الفخر والمديح ، والغزل ، وهو في أسلوبه ، يميل الى
الأسلوب التقليدي ، في الشكل والمضمون جميعاً ، ومع ذلك حينما نقرأ
شعره ، تتضح لنا سمات خاصة لفنه ، وتظهر لنا فيه شخصيته ، فهو يميل
أحياناً الى المبالغة ، في صوره ، حينما يفخر بأهله وأجداده ، أو حينما يتكلم
عن كرم أسرته ، وسخائهم في عطاياهم ، ولننظر اليه وهو يقول (٢٤) :

قدّ صحّ لي باتفاق الناس كلهم
رواية العدل والإنصاف عن سلفي
إتني لمن معشرٍ كانت معاشهم
بالقصد أما عطاياهم فبالسرف (٢٥)
قوم متى طلعت ليلاً مآثرهم
رأيت بذكرٍ اللجي في زريّ منخسف (٢٦)

-
- (٢٠) تبجست أياديه : تفجرت من تبجس الماء : اذا تفجر . والمراد به : العطاء
الكثير . انتشى : عاوده مرة بعد اخرى .
(٢١) القطوف : البطيء . متكمشا : المتكمش من الرجال : السريع . والاستفهام
هنا للانكار ، أي لا يلحّقه ولا يدركه .
(٢٢) المنهل المسكي : المورد الطيب الرائحة كالمسك . النقع : الماء المجتمع .
الصل : الشعبان . والارقش : المنقط من الحيات وهو اخبثها .
(٢٣) حتّوفا : جمع حتف : أي منايا للاعداء ، وأرزاقاً للأصحاب على وفق
إرادتك ومشيتك .
(٢٤) معجم الادباء ١٦ : ٢٣٩ .
(٢٥) القصد : التوسط بين الافراط والتقتير ، والسرف : الاسراف والافراط
(٢٦) قوم متى طلعت .. الخ : أي افعالهم الحميدة ومكارمهم المتوارثة .
والشاعر يريد ان يقول : ان مكارم اهله اذا انتشرت ، أضاءت الكون

بدولة الملك الميمون طائرُهُ

أتى توجَّهَتْ فالأقبالُ مَكْتَنَفِي (٢٧)

وحينما يتنزل نراه رقيقاً ، في تغزله بحبيبه الذي ينعته بولد الظبية ، كما رأينا قبل قليل .

وفي وصفه لحسن ورشاقة حبيته ، وتشبيهه لها بقضيب من الآس قوله (٢٨) :

سَرى ناشداً أنسي قضيب من الآس

فناوَلني الصَّهْبَاءَ والشَّهْدَ في كاسٍ (٢٩)

وأرشدني وهنأ لتقيل خاله

وميض ثناياه وشعلة أنقاسي

ولَوْ لم يكن يُلقي على جمر خدّه

من الطُرة السوداء ظلَّة أنقاس (٣٠)

إذا لاضاء الليل حتى انجلت لنا

هواجس تخفيهن أفدة الناس (٣١)

وعمته ، حتى ترى القمر مظلماً لا ضوء له لطفيانها عليه ، وفي هذا مبالغة ظاهرة .

(٢٧) الميمون طائرهِ : المبارك الطلعة . وإنى توجَّهت : ظرف مكان ، أي إلى أي مكان قصدت . مَكْتَنَفِي : أي محيط بي .
(٢٨) معجم الادباء ١٦ : ٢٤٥ .

(٢٩) ناشداً : طالباً . أنسي : أي إنساني وعدم وحشتي .
قضيب من الآس : يريد حبيته على التشبيه في الرشاقة ، والحسن والطول .

الصهباء : الخمر . والشهد : العسل ما دام لم يعصر من شمعهِ .
(٣٠) الطرة : طرة الشعر : قطعة منه . سميت طرة ، لأنها مقطوعة من جملة .
أنقاس : النقص : مداد الدواة ، جمعها أنقاس وأنقاس .

(٣١) هواجس : الهجس : ما وقع في الخلد : وهي النبأ الخفية . والهجس : الخاطر .

ووراء هذا الغزل الرقيق ، الذي ربما صدر عن شخص قد جرب الحب ، وجرب لوعة العشق ، تكمن نفس أخرى ، هي غير هذه النفس العاشقة ، بل هي نفس حكيمة ، لشاعر حكيم عاقل متزن ، يسدي النصح لأقرانه من الشعراء فيقول :

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح لا تأملوا عند الكرام سماحا
إنّ الكرام بأسرهم قد أغلقوا بابَ السماح وضيّعوا المفتاحاً (٣٢)

كان الشاعر القاسم بن الحسين ، ذا أخلاق طيبة ، ولسان ذلق ، ومحميا طلق ، وقد وصفه ياقوت فقال (٣٣) : « وحضرت في منزله بخوارزم ، فرأيت منه صدراً (٣٤) ، يملأ الصدر ، ذا بهجة سنية ، وأخلاق هنية ، وبشر طلق (٣٥) ، ولسان ذلق (٣٦) فملأ قلبي وصدري ، وأعجز وصفه نظمي ونثري » .

وقد مدح القاسم بن الحسين ، من قبل الأدباء والشعراء ، فقال فيه بعض الفضلاء الخراسانية مادحاً (٣٧) :

إنّ للعالمين فخراً وزيناً وجمالاً يجلّ عن كلّ شين
بفتىً وافر العلوم نقيب مثله ما رأيت قطّ بعيني (٣٨)

وقال فيه بعض الفضلاء ، وكان صاحباً له (٣٩) :

يقولون إنّ الأصمعيّ لبارع° وبالنحو والآداب والشعر عالمٌ

(٣٢) البستان في معجم الادباء ١٦ : ٢٣٩ ، بفية الوعاة ٢ : ٢٥٣ ، معجم

المطبوعات العربية والمعرية . ص ٨٤٠ .

يا زمرة : الزمرة : الفوج والجماعة . السماح : العطاء .

(٣٣) معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ .

(٣٤) صدراً : أي تقدما ورئاسة تملأ القلب .

(٣٥) بشر طلق : أي ضاحكة مشرق .

(٣٦) ذلق اللسان : أي بليغ .

(٣٧) معجم الادباء ١٦ : ٢٤٢ .

(٣٨) نقاب : أي عالم بالامور ، كثير البحث عنها ، والتنقيب عليها .

(٣٩) المصدر السابق ٦ : ٢٤٢ .

كذا ابن دريد والخليل وجاحظ وكلٌ لِشَرِّ العلم والفضل ناظمٌ
 فقلت أجل ، قد جلَّ في الناس شأنهم وأفضلٌ منهم صدرٌ خورزم قاسمٌ
 كان القاسم بن الحسين - على حد قوله - يقول الشعر تطرباً لا تكسباً ،
 ولذلك فإن مدحه كان مدحا لشخصيات خيالية ، غير موجودة ، مع وجود
 مسمياتها ، وحتى في حالة وجود الممدوح ، فانه لم يكن ينبغي من وراء
 مدحه مكسباً أو ربحاً .

ويقول ياقوت الحموي : إنَّ القاسم بن الحسين ، حلف له حينما زاره في
 منزله ، أنه لم يتعرض لمدح أحد قط ، وإن ما جاء في شعره من المديح إنما
 هو لغير موجود ، فهو يقول (٤٠) :

سَنَا جِينَكَ مَهْمَا لَاحَ فِي الظَّلَمِ
 بَتْنَا نَطَالِعُ مِنْهُ نَسْخَةَ الْكَرَمِ
 إِنَّ يَزْرَعُ النَّاسُ فِي أَخْلَاقِهِمْ كَرَمًا
 فَالْبَذْرُ مِنْ جُودِكَ الطَّنَانُ بِالْدَّيْمِ (٤١)
 تَبْدُو عَلَى أَشَقَرِ خَضَرٍ حَوَافِرُهُ
 بَحْرًا يَلَاطِمُ أَمْوَاجًا عَلَى ضَرَمِ (٤٢)
 تَشْمُ عِنْدَكَ صَيْدُ الْعَجْمِ لَخَلْخَةً
 مِنَ الرِّغَامِ بَأَنَافٍ مِنَ الْقِمَمِ (٤٣)

(٤٠) معجم الادباء ١٦ : ٢٥٠ .

(٤١) الطنن : ذو الطنين وهو الصوت الذي له طنين يسمع .

الديم : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .

(٤٢) خضر : جمع خضرة . والخضرة من الالوان بين السواد والبياض .

يلاطم امواجاً : يضاربها . ضرب : اشتعال النار .

(٤٣) صيد العجم : ملوكهم جمع اصيد . واللخلة : الرائحة الطيبة .

الرغام : الرغام : رمل يفضى البصر . والرغام : مخاط الغنم والظباء

خاصة . آناف : الانف من كل شيء طرفه . والانف من الارض :

ما استقبل الشمس من الضواحي والجلد . والجلد : الارض الصلبة

الغليظة المستوية المتن ، وجمعها اجلاد . والقمم : جمع قمة : وهي أعلى

الرأس ، وأعلى كل شيء .

كَادَتْ لِحُبِّكَ تَأْتِي وَهِيَ سَاعِيَةٌ
 عَلَى الرُّثُوسِ بِدُونِ السَّاقِ كَالْقَلَمِ
 مَنْ ظَنَّ غَيْرَ نِظَامِ الْمُلْكِ ذَا كَرَمٍ
 نَادَى بِهِ لَوْ مَثَلُهُ اسْتَسَمَّتْ ذَا وَرَمٍ (٤٤)

ويقول ياقوت الحموي : إنَّ أبا الحسين حينما أنشده هذه الأبيات ، توقف عند البيت الأخير منها قائلاً : أتعرف من هو نظام الملك؟ ولما أجبتَه بالنفي ، وطلبت منه أن يعرفني به ، أجابني بأنه هو نفسه لا يعرفه ، فهو اسم لغير مسمى .

والشاعر قد أخذ معناه ، في بيته الأخير ، من بيت المتنبي الذي يقول فيه:
 أَعْيِذْهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
 أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمْنُ شَحْمُهُ وَرَمٍ (٤٥)

ويذكر ياقوت الحموي ، أن أبا القاسم قال له من جملة ما قال : إنَّه لم يعرف أحداً أفضل عليه في حياته ، إلا مرة واحدة ، حينما كان ببخارى ، فإنَّ الغربة أحوجته لذلك . وكان قد ذهب إليها طالباً للعلم ، وقاصداً للقراءة على أحد الاشخاص الذي كنى عنه بالرضي ، واجتمع هناك بصدر جيهان ، أبي عبدالله ، محمد بن أحمد الجيهاني (٤٦) ، وزير السامانيين ببخارى ، كما اجتمع بالعظماء والأدباء . ولما حذق الأدب برَّه هذا الوزير ، بسبعين ديناراً ركنية (٤٧) ووعده بعود جميلة . ويقول أبو القاسم : ولولا الحاجة والغربة ما قبلتهما منه . ثم نراه يؤكد كلامه هذا بقوله : إنَّ الشهاب الحوفي ، وهو أحد صدور خوارزم ، المتقربين من السلطان ، عرض عليه أن ينصب له منصباً

(٤٤) استسمت ذا ورم : مثل يضرب لمن يغتر بالظاهر المخالف حقيقة الواقع .
 (٤٥) ينظر ديوان المتنبي ، بشرح أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ . ص ٨٣ . طبع في مدينة برلين . سنة ١٨٦١ م .

(٤٦) نسبة الى جيهان ، مدينة بخراسان .
 (٤٧) أي من ركن الدولة ، من بني بويه .

ومجلساً ، بطرّاحة^(٤٨) سوداء الى جانبه ، ويعطيه كل شهر عشرة دنانير ،
ليقرأ له الأدب فلم يقبل^(٤٩) .

ويقول ياقوت الحموي : ولما سألته عن كيفية معيشته في الحياة ، ومن
أين يحصل على المال ، الذي يعيش منه ؟ أجابني بأن والده قد خلف له قدراً
يسيراً منه ، وانه ينفق مما تركه له أبوه ، بالقدر الذي يستره بين الناس ،
ويجعله غنياً عن حاجته اليهم .

ومن مدحه الذي يستعير فيه اسماً لممدوحيه، دون أن يعرفهم قوله^(٥٠):

أَفْدِيكَ ذَا مَنْظَرٍ بِالْبُشْرِ مَلْتَحِفٍ

عَنِ الْيَمِينِ وَلِلْإِقْبَالِ مُتَسِمِّمٍ

يَدُ الْجَلالِ وَشَتَّ فِي لَوْحِ جَبْهَتِهِ :

النَّاسُ مِنْ خَوْلِي وَالْدَهْرُ مِنْ خَدَمِي^(٥١)

ولو انافَ على هَامِ الشَّهْا وَطَنِي

لَمَّا لَوْتُ نَحْوَهُ أَجْيَادَهَا هَمِي^(٥٢)

عَلَى النَّدَى وَتَقَّتْ أَيْامُهُ وَعَلَى

نَشْرِ الْمَحَامِدِ مِنْهُ أَلْسُنُ الْأُمَمِ

مَا جِئْتُ أَخْدُمُهُ إِلَّا وَقَدْ سَحَقْتُ

يَدَا تَلَطَّفَهُ عَطْرًا مِنَ الشَّيِّمِ^(٥٣)

(٤٨) طراحة : فراش مربع يجلس عليه .

(٤٩) ينظر : معجم الادباء ١٦ : ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٥٠) معجم الادباء ١٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٥١) وشت : من الوشي أو النقش . يريد انها نقشت الشطر الثاني من البيت

(٥٢) اناف : أي ارتفع . والسها : كوكب خفي من بنات نعل الصفرى .

ويريد الشاعر أن يقول : لو ارتفع فوق هذا النجم ، لما ادارت هممي
أجيادها نحوه ، وهذا منتهى الفخر بالنفس .

(٥٣) سحقت : أي دقت .

زَفَّ الندى نحوَه بكَراً مُخَدَّرَةً
لولاه زَفَّتْ إِلَى كَفْنٍ مِنَ الْعَدَمِ (٥٤)
يريه شعري نجومَ الليلِ طالعةً
والنَّيَّرينَ معاً من مشرقِ الكَلِمِ
لا زالَ مثلَ هلالِ العيدِ حَضَرْتُهُ
في الحسنِ واليَمْنِ والاقبالِ والشَّمَمِ
وعاشَ للملكِ يَحْمِيهِ وَيَنْصُرُهُ
فالملكُ من دونِه لَحْمٌ عَلَى وَضَمِّ (٥٥)
ودامَ كَالْيَمِّ لِلْعَافِينَ مُلْتَطِماً
بَنَاتِهِ وَهُوَ مَرشُوفٌ بِكُلِّ فَمٍ (٥٦)
وقد أخذ معانيه في بيته التاسع ، من قول المتنبي (٥٧) :
أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ ، وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ
وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ ، لَحْمٌ عَلَى وَضَمِّ
ومن مدحه الذي لا يأمل من ورائه مكسباً أو مطلباً ، قوله في شيخ
الاسلام الرستاني (٥٨) :

-
- (٥٤) مخدرة : اي لازمة للخدر . اي مستترة من الرجال .
الكفن : ما يكفن فيه الميت من الثياب . وسكنت عينه لضرورة الشعر .
(٥٥) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم . يريد الشاعر أن يقول : أن
الملك بدون ضائع .
(٥٦) لعافين : المحتاجين . مرشوف : من الرشف وهو المص .
(٥٧) ينظر : ديوان المتنبي - تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزام - القاهرة
١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م . لجنة التأليف والترجمة والنشر . ص ٣٣ .
(٥٨) ينظر : معجم الادباء ١٦ : ٢٤١ .
والرستاني : نسبة الى « رستان او رشتان » : من قرى مرغينان .
ومرغينان من بلاد فرغانة ، بما وراء النهر . ينظر معجم البلدان ٥٠٣ :
(طبعة بيروت) .

فُديتَ إماماً صيغَ من عزَّةِ النَّفْسِ
 أَنَامِلُهُ والسَّحْبُ نوعانِ مِنْ جِنْسٍ (٥٩)
 أَشَدُّ ارْتِياحاً نَحْوَ طُلْعَةٍ مُعْتَفٍ
 مِنْ الْمُقْلِسِ الخاوي اليدينِ الى الفلَسِ (٦٠)
 وَأَفْقَهُ في تَدْرِيسِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
 وَأَجْوَدَ مِنْ كَعْبٍ وَأَخْطَبَ مِنْ قَسٍّ (٦١)
 مُنَاقِبٌ لو أَن الحَرَابِيُّ مَسْرُوعٌ
 بَصُرْنَاهَا استنكفن عن خدمةِ الشمسِ (٦٢)
 وَيَعْدُو عَلَى طِرْفٍ مِنَ الشُّقْرِ كَلِمَا
 رَأَتْهُ إِمَاءُ الْحَيِّ وَافَتْهُ لِلْقَبْسِ (٦٣)

- (٥٩) فديت : اي حماك الله . وصيغ : اي اخذ وانشيء .
 أنامله والسحب من جنس : كناية عن كثرة الكرم .
 (٦٠) معتف : طالب المعروف ، او المحتاج . خاوي اليدين : اي خالي اليدين ،
 وهذا كناية عن الافلاس والامحال .
 (٦١) محمد : هو الامام محمد صاحب ابي حنيفة النعمان .
 أجود من كعب : هو كعب بن مامة ، وهو ايادي . يضرب به المثل بالجود ،
 لانه فضل اصحابه على نفسه ، فسقاها ماءه ، وآثر النمرى صاحبه ،
 بنصيبه من الماء ايضا ، فمات عطشا . ينظر : مجمع الامثال ١ : ٢٥٤ .
 وقس : هو قس بن ساعدة الايادي . كان من حكماء العرب ، واعقل
 من سمع منهم . عمر « مائة وثمانين سنة » ، كما جاء في مجمع الامثال
 ١ : ١٥٢ « منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت . سنة ١٩٦١ م .
 (٦٢) الحرابي : جمع حرباء : ذكر أم حبين . وقيل : هو دويبة نحو العظاءة ،
 او اكبر يستقبل الشمس براسه ، ويكون معها كيف دارت . ويقال :
 انه انما يفعل ذلك ليقى جسده براسه ويتلون الوانا بحر الشمس ،
 والشاعر يريد ان يقول : اذا ابصرت الحرابي مناقبه وعرفتها ، استكبرت
 عن خدمة الشمس ، مع انها تدور معها ، وتستقبلها لتقي جسدها ،
 وهذا منتهى المدح .
 (٦٣) الطرف : الكريم من الخيل . والشقر : جمع اشقر : وهو الاحمر حمرة
 صافية ، يحمر حولها العرف والذنب . القبس : الاخذ والاقباس .

على سابعٍ مِنْ خَلْقَةِ الْوَهْمِ طالعٍ
 وأهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَهُ دَرَكُ الْأَمْسِ (٦٤)
 فَتَى سَاوَمَتَهُ خَلَقَهُ وَهُوَ فَاغِمٌ
 - وَلَا فَعْمَةُ الْمِسْكِ - الْخَرَّائِدُ لِلْعُرْسِ (٦٥)
 لَهُ الصَّفْوُ مِنْ وَدَّيْ وَإِخْوَتِهِ الْأَلَى
 غَدَوًا مِنْ سِهَامِ الزَّيْنِغِ لِلدَّيْنِ كَالْتَّرْسِ (٦٦)
 لَفَتَيَانَ صِدْقٍ مَا اقْتَنَوْا طَوْلَ عُمْرِهِمْ
 سَوَى الْبَحْثِ وَالْإِفْتَاءِ وَالْوَعْظِ وَالْدَّرْسِ (٦٧)
 لِأَرْبَعَةٍ شَادُوا الْهَدَى بَعْدَ شَيْخِهِمْ
 فَقَدْ بَنَى الْإِسْلَامَ مِنْهُمْ عَلَى خَمْسِ (٦٨)
 بَنُورِ الْهَيِّ عَلَيْهِمْ وَزَهْدِهِمْ
 وَعِلْمِهِمْ أَضْحَوْا مَلَائِكَةَ الْإِنْسِ (٦٩)
 فَعَاثُوا لَتَرْشِيحِ الْهَدَى وَيَرَاعَتِهِمْ
 بِصَائِبَةِ الْأَحْكَامِ يَقْطُرُ فِي الطَّرْسِ (٧٠)

- (٦٤) على سابع : أي فرس سريع . خلقه الوهم : أي فطرته وتركيبه .
 طالع : الطالع عند أصحاب الفأل : ما يتفاعل به من السعد والنحس ،
 بطلوع الكواكب . وأهون شيء عنده . . الخ : أي أسهل شيء لديه معرفة
 حوادث اليوم الماضي .
- (٦٥) ساومته : طلبت منه . الفاغم : المتطيب بالطيب ذي الرائحة الطيبة .
 والفعمة : العبقة ، أي رائحة الطيب .
- (٦٦) الخرائد : جمع خريدة : وهي البكر التي لم تمس .
 سهام الزينغ : نبال الشك والجور عن الحق .
- (٦٧) الترّس : الوقاية ، وما يتوقى به .
 اقتنوا : ادخروا .
- (٦٨) شادوا الهدى : رفعوا اعلام الدين والهداية .
- (٦٩) ملائكة الانس : رسلهم والمصطفون منهم .
- (٧٠) ترشيح الهدى : تقويته ورعايته . واليراع : القلم . وصائبة الاحكام :
 الصواب منها . والطرّس : الورق .

ومن الملاحظ أن مدح الشاعر ، انصب على الصفات المعنوية ، من كرم ونبيل ، وعزة نفس ، وعلم وفقه وحكمة ، وزهد وشجاعة ، وغير ذلك . كما يلاحظ على مدحه مسحة دينية في قوله : « شادوا الهدى » و « بني الاسلام على خمس » و « نور الهدى » و « ملائكة الانس » . وهو في مدحه لا يتعدى الصفات التي رأيناها عند الشعراء المداحين ، في هذا الاقليم ، في وصفهم المعنوي والحسي للممدوح .

وعندما زاره ياقوت الحموي في منزله ، في سنة ٦١٦ هـ ، كان — على حد قول ياقوت ، شيخاً بهي المنظر ، حسن الشبهة كبيرها ، سميناً عاجزاً عن الحركة ، وكان له في حلقه حوصلة كبيرة (٧١) . وذكر ياقوت الحموي ، أنه سأله عن مذهبه فقال : حنفيٌّ ولكن لست خوارزميا ، لست خوارزميا . وانما اشتغلت في بخارى ، فأرى رأي أهلها .

ومن هذا يتبين لنا ، أن القاسم بن الحسين ، نفى عن نفسه أن يكون معتزليا ، وهذا دلالة واضحة ، على تمكن ورسوخ هذا المعتقد ، في ذلك الوقت في اقليم خوارزم .

وقد انتهت حياة هذا الأديب الشاعر ، نهاية محزنة ، حيث قتل على يد التتار ، حينما اجتاحت اقليم خوارزم ، في سنة ٦١٧ هـ (٧٢) . هذا وقد كان القاسم بن الحسين ، ضليعاً في علم العربية ، وكان ذا منزلة عظيمة ، بين شعراء العربية ، في اقليم خوارزم ، وكان حسن الشعر ، على الرغم من صعوبته ، ومع ذلك نرى الفاظه سلسلة ، غير مجافية للذوق الادبي العام . تلك السلسلة المحببة الى النفس ، التي أوجدتها السمات الخاصة لهذا الشاعر ، تلك السمات التي لاحظناها في المبالغة المستحيلة عنده ، تلك المبالغة التي كان مبعثها عاطفته القوية ، وفخره بنفسه وبآبائه وأجداده ، حينما يتكلم عن كرمهم :

(٧١) ينظر : معجم الادباء ١٦ : ٢٥٢ . والحوصلة من الطير ، كالمعدة من الانسان . وياقوت يريد أن يقول : ان ما كان في حلقه ، يشبه حويصلة الطائر .

(٧٢) اتفق مؤرخوه على سنة وفاته مقتولا . ينظر : كشف الظنون ٢ : ١٧٨٩ ، هدية العارفين ١ : ٣٢٨ ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية . ص ١ : ٤١٠ . الفوائد البهية . ص ١٢٦ ، تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٥٠ . الاعلام ٦ : ٨ ، الكنى والالقب ٢ : ٣٧٢ (طبعة العرفان — صيدا) .

قوم متى طلعت^{٧٣} ليلاً ماثرهم رأيت بدر الدجى في زي منخسف
ومن السمات الأخرى ، التي لاحظناها في شعره ، سمة العفة التي تتمثل
واضحة جلية ، في مدحه وعفة نفسه عن اذلالها لطلب العطاء ، أو المدح من
أجل التكسب .

أما السمة الظاهرة ، والغالبة على شعره ، فهي سمة تأثره بالشعر العربي
القديم في انتقاء الكلمات الصعبة ، التي تحتاج في فهمها الى استعمال القواميس
والشروح .

والسمة الأخرى التي تبدو لنا ، في شعره ، هي سمة نضجه الثقافي ،
المتمثل في قدرته على تشييل صورته ، ولا عجب في هذا ، فقد كان ذا ثقافة
واسعة ، في الأدب واللغة ، والنحو والفقه . ملك الثقافة التي جعلت ، صوفياً
فاضلاً ، مثل الصوّاف يسأله عن وجود الاعراب ، في بيت حسان بن ثابت ،
كما ذكر ياقوت ، وقولهم بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعاً .

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء^{٧٤}
وقد أجابه القاسم بن الحسين على هذا بقوله (٧٣) :

أَفْدِي إِمَاماً وَمِيضُ الْبَرْقِ مُنْصَرَعٌ

مِنْ خَلْفِ خَاطِرِهِ الْوَقْدَادِ حِينَ خَطَا (٧٤)

يَبْغِي الصَّوَابَ لَدَيْنَا مِنْ مَبَاحِثِهِ

أَمَا دَرَى أَنَّ مَا يَعْدُو الصَّوَابَ خَطَا (٧٥)

وقد استطاع الشاعر ، القاسم بن الحسين ، أن يجيب سائله ، عن اثني
عشر مرفوعاً ، من ضمن ثلاثة عشر مرفوعاً (٧٦) .

(٧٣) معجم الادباء ١٦ : ٢٤٥ .

(٧٤) وميض البرق : لمعانه . منصرع : مصروع ومهزوم .
حين خطا : مشى من الخطو .

(٧٥) يبغي الصواب لدينا : يطلب منا الصواب في هذا السؤال ، والجواب
عنه . ما يعدو : ما يجاوز .
خطا : اي خطأ وحذفت همزته للضرورة الشعرية .

(٧٦) ينظر جوابه عن المرفوعات في البيت ، في معجم الادباء ١٦ : ٢٤٥-٢٤٦ .

وقال القاسم بن الحسين ان قاضي القضاة بخوارزم ، طلب منه أن ينشيء له أبياتاً ، ليكتبها على دار ، استحدث بناءها ، فكتب له القاسم بن الحسين قائلاً (٧٧) :

مَنْ كَانَ يَفْخَرُ بِالْبُئْيَانِ وَالشَّرَفِ
فَلَيْسَ فَخْرِي بغيرِ المَجْدِ وَالشَّرَفِ (٧٨)
ما قيمة الدَّارِ لَوْلا فَضْلُ سَاكِنِهَا
وَأَيُّ وَزْنٍ بدونِ الدَّرِّ لِلصَّدَفِ (٧٩)
إِنْ كَانَ يُعْجِبُنِي خَشَبٌ مُسَنَدَةٌ
فَلَسْتُ أَكْرَمَ نَجْلٍ مِنْ بَنِي خَلْفِ
قَدْ صَحَّ لِي باتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
رِوَايَةُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ عَنْ سَلَفِي
إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ كَانَتْ مَعَايِشُهُمْ
بِالْقَصْدِ أَمَّا عَطَايَاهُمْ فَبِالشَّرَفِ
قَوْمٌ مَتَى طَلَعَتْ لَيْلًا مَأْتَرُهُمْ
رَأَيْتَ بَدْرَ الدُّجَى فِي زِيٍّ مُنْخَسِفِ
بِدَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ
أَنَّى تَوَجَّهْتُ فَلَإِقْبَالٍ مُكْتَنِفِي

فالشاعر في هذه الأبيات ، يفخر بالنسب والشرف ، والعدل والانصاف ، كما يفخر بأبائه الذين كانوا يقتصدون في معيشتهم ، ويسرفون في عطاياهم ، وهذا نهاية الكرم .

(٧٧) تنظر القصيدة في معجم الادباء ١٦ : ٢٣٩ - ٢٤٠ . وقد استشهدنا قبل قليل ببعض أبياتها .

(٧٨) الشَّرَفُ : جمع شرفة : ما اشرف من البناء . وَالشَّرَفُ : المجد والحسب .

(٧٩) واي وزن : اي واي قيمة .

وفي قصيدة القاسم بن الحسين هذه ، تفحة من قصيدة الأخطل ، التي مدح بها عبد الملك بن مروان ، وأشاد بها بأعوانه ، وهجا خصومه فهو يقول :
إلى إمام تغاذينا فواضلُـهُ أَظْفَرَهُ اللهُ فليهنأْ له الظفرُ (٨٠)
الخائِضُ الغمرَ والميمون طائرُهُ خليفةُ الله يستسقي به المطرُ (٨١)
أما القاسم بن الحسين فقد قال :

قوم متى طلعت ليلاً مآثرهم رأيت بدر الدجى في زي منخسف
بدولة الملك الميمون طائرهُ أتنى توجَّهتْ فالإقبال مكتنفي
ومما انشده ياقوت قوله (٨٢) :

أيا سألني عن كنهه علياهُ إلهُ لأُعْطِي ما لَمْ يُعْطِهِ الثَّقَلَانِ
فَمَنْ يَرَهُ فِي مَنْزِلٍ فكأثما رأى كُـلَّ إنسانٍ وكُلَّ مكانٍ
وكتب القاسم بن الحسين ، الى بعض أصدقائه ذاكراً فضله وأفضاله ،
ومتحسراً على الليالي التي قضوها معاً ، لأنها ذهبت بذهاب الشباب ، وولت
بتولي الصبا فهو يقول (٨٣) :

إذا ذكـرَتْها النَّفْسُ باتتْ كأثـمـها
على حدِّ سَيْفٍ بَيْنَ جَنْبِيَّ يَنْتَضِي (٨٤)
تَوَلَّى الصَّبَا والمالِكِيَّةُ أَعْرَضَتْ
وَزَالَ التَّصَابِي والشَّبابُ قَدْ انْقَضَى (٨٥)

(٨٠) تغاذينا فواضله : تأتينا عطاياه مبكرة .

(٨١) الغمر ، الماء الكثير ، او معظم البحر . الميمون طائرهِ : المبارك ، او السعيد .

(٨٢) ينظر معجم الادباء ١٦ : ٢٤٠ .

(٨٣) المصدر السابق ١٦ : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٨٤) ينتضي : يستل من غمده .

(٨٥) التصابي : الميل الى الصبوة واللهو واللعب .

ولفظة المالكية في بيته ، تذكرنا بالمالكية في شعر طرفة بن العبد في قوله :

كَأَنَّ حَدُوجَ الْمَالِكِيَةِ غُدُوءٌ

خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ (٨٦)

هذا ولم يكن القاسم بن الحسين ، شاعراً فقط ، وانما كان ناثراً أيضاً ، وقد ذكر مترجموه من تصانيفه : « شرح المفصل للزمخشري » ، سماه التَّجْنِيمِ و « شرح سقط الزند » ، و « التوضيح في شرح المقامات » (٨٧) ، وله كتاب « الزوايا والخبايا » في النحو ، وكتاب « بدائع الملح » (٨٨) ، و « خلود الرياحين في المحاضرات » (٨٩) ، و « السر في الاعراب » (٩٠) ، و « شرح الأبنية في النحو » (٩١) . ولسنا نعرف شيئاً عن هذه الكتب .

وأخيراً نقول إنَّ القاسم بن الحسين ، كان ذا مكانة مرموقة ، في عصره ، وبين أقرانه من الادباء والشعراء ، ومما يدل على مكانته ومنزلته ، وتقدير معاصريه له ، زيارة ياقوت الحموي له في بيته ، ووصفه له بأنه واحد الدهر في علم العربية (٩٢) ، كما وصف بأنه أفضل الأنام ، وأنه عمدة الاسلام ، وصاحب علمي المعاني والبيان ، وفخر الشرق والغرب (٩٣) .

(٨٦) الحدوج : جمع حدج : وهو مركب من مراكب النساء . والمالكية منسوبة الى مالك بن سعد بن ضبيعة . والخلايا : جمع خلية : وهي السفينة العظيمة .

والنواصف : جمع ناصفة : وهي الرحبة الواسعة ، تكون في الوادي . ودَد : اسم موضع .

(٨٧) الفوائد البهية . ص ١٢٦ . وذكر ابن قطلوبغا في تاج التراجم ص ٥٠ انه سمي شرح المفصل للزمخشري « التحرير » وهو في ثلاثة مجلدات . اما شرح المقامات فسماه التوضيح .

(٨٨) تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٥٠ ، الجواهر المضية ١ : ٤١٠ .

(٨٩) هدية العارفين ١ : ٨٢٨ .

(٩٠) الاعلام ٦ : ٨ .

(٩١) بغية الوعاة ٢ : ٢٥٣ .

(٩٢) معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ ، الكنى والالقب ٢ : ٣٧٢ (طبعة العرفان - صيدا) .

(٩٣) شروح سقط الزند - السفر الثاني ، القسم الاول . ص ١٨ من المقدمة . للتبريزي ، البطليوسي الخوارزمي . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

والحقيقة اننا لقاسم بن الحسين، شاعر متمكن بخلاف الزمخشري مثلاً، فهو شاعر معان ، نحى مَنحى أبي تمام ، ومنحى المتنبي ، في استغلاق معانيه وعمقها .

وتأثره بالمعري ظاهر ، في تتبعه القوافي الصعبة ، التي تبنى على حرف الشين أو السين ، او الفاء .

ومعاني هذا الشاعر عقلية ، تنتزع تشبيهها من العلم وأدواته ، فهو يقول مثلاً :

سنا جبينك مهما لاح في الظلم بتنا نطالع منه نسخة الكرم
وبعض معانيه قرآنية مثل قوله :

إن كان يعجبني خُشْبٌ مسنّدةٌ فليست أكرمَ نَجْلٍ من بني خلف
فهذا مأخوذ من قوله تعالى ، في وصف المنافقين : « كَانَتْ لَهُمْ خُشْبٌ »
مُسَنَّدَةٌ ، يحسبون كلَّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أتى
يُؤَفِّكون » (٩٤) .

الرقاشي :

هو أبو محمد عبدالله بن ابراهيم الرقاشي ، من أبناء الوزراء ، في اقليم خوارزم ، ومن الذين تفوقوا في الاتاج بالعربية^(١) .

كل ما صل الينا من أخبار هذا الشاعر ، ترجمة الثعالبي له ، تلك الترجمة التي لم تبين لنا سنة ولادته ، أو نشأته أو وفاته . وكل ما عرفناه منها ، أنه كان كاتباً شاعراً منجماً ، مثله في ذلك مثل كشاجم^(٢) .

وعلى الرغم من هذا النقص ، رأينا أن ندرسه منفرداً ، من خلال شعره ، المتبقي لدينا ، لأنه شعر يجمع بين شعر النابغة الجعدي ، وشعر عنترة بن شداد العبسي كما سنرى . وقد اورد الثعالبي من أشعاره ، تتفا قليلة ، نوردها مع شيء من الدراسة والتحليل ، لنلقي بعض الضوء على شعر هذا الشاعر ، الذي لم نجد له تراجم أخرى ، على الرغم من الجهد الذي بذلناه في سبيل ذلك ، ومثله في هذا مثل غيره ، من شعراء هذا الاقليم ، ممن انفردوا بقوت الحموي والثعالبي ، بالترجمة لهم .

ومن شعره الذي أورده الثعالبي ، قصيدته التي قالها في الشيبسي^(٣) :

إِنَّ الْهَوَى سَبَبٌ لِكُلِّ هَوَانٍ وَفِرَاقٌ مِّنْ تَهَوَّاهُ مَوْتُ ثَانِي
سَقِيًّا لِدَهْرٍ كُنْتُ حِلْفَ أَغَانِي فِيهِ وَخِذْنَ الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ
لَمْ تَبْقَ لِي هَمِي وَحَسَنَ شِمَائِلِي مِنْهَا سِوَى ذِكْرِي عَلَى الْأَزْمَانِ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ أَرَى مُتَفَرِّدًا دُونَ الْقَرَيْنِ مُقَارِعًا أَقْرَانِي
أَرْمِي إِذَا حَمَلُوا وَأُظْعَنُ إِنْ رَمَوْا وَأَقْدَهُ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ طِعْمَانِي
تَنْفِي الْخَنَاجِرِ فِي الْحَنَاجِرِ غَصْتِي وَالْبَيْضُ فِي بَيْضِ الْعَدَا أَحْزَانِي

(١) تنظر ترجمته في : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٥ (طبعة السعادة) .

(٢) المصدر السابق ٤ : ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٢٤٦ .

وَأَعَدُّ عِنْدَ مَوَارِدِي وَمَصَادِرِي حُكْمَ الْكُهُولِ وَصَوْلَةَ الشَّبَانِ
مُسْتَبْدِلًا ضَرْبَ الطَّلَابِ بِمَصَارِعِ الشَّ كَوَى وَضَرْبَ الدَفِّ وَالْعِيدَانِ (٤)
مُسْتَعْنِيًا بِالرَّمْحِ أَخْضَبَ صَدْرَهُ عَنْ كُلِّ مَخْضُوبِ الْبَنَانِ حَصَانِ
مُسْتَرْبِلًا زَرَدَ الدَّمُوعِ كَأَنَّهُمَا شَعْرٌ تَقْلَقُلٌ فِي لَحَى الْحَبْشَانِ (٥)
مُسْتَشْعِرًا بِاسْمِ الشَّيْبِيِّ الَّذِي عَمَّ الْوَرَى بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
يَقْدِي الْكُمَاةَ أَبَا سَعِيدٍ ، إِنَّهُ حَامِي الْحُمَاةِ وَفَارَسُ الْفَرَسَانِ
يَا أَحْمَدَ بْنَ شَيْبِ الْمَقْدِيِّ عَلَى جَوْرِ الزَّمَانِ وَسَطْوَةِ الْحَدَثَانِ
أَنْتَ الْقَرِينُ لِكُلِّ جَدٍّ مُقْبِلٍ أَنْتَ الْبَشِيرُ بِكُلِّ فَتْحٍ دَانِي
لَكَ عَزْمَةٌ بِهَرَامٍ مِنْ اتِّبَاعِهَا لَكَ هِمَّةٌ تَسْمُو إِلَى كَيَوَانِ
فَإِذَا رَكِبْتَ ضَمِنْتَ كُلَّ أَمَانٍ لِلخَائِفِينَ وَنَيْلَ كُلِّ أَمَانِي
وَإِذَا أَقَمْتَ فَإِنَّ ذِكْرَكَ طَاعِينَ تَسْرِي بِهِ الرُّشْكَبَانِ فِي الْبُلْدَانِ
فَقُتَّ الْأَنَامَ حِجَى وَفُقَّتْ شَجَاعَةُ

وَرَجَحَتْ عِنْدَ الْجُودِ فِي الْمِيزَانِ (٦)

إِنَّ الْفَتْوحَ عَلَى يَدَيْكَ تَتَابَعَتْ كِتَابِعُ الْأَنْوَاءِ فِي نَيْسَانَ
حَقَرُوا الْخَنَادِقَ حَوْلَهُمْ فَكَأَنَّمَا حَقَرُوا مَقَابِرَهُمْ لَدَى الْخِذْلَانِ
وَتَعَزَّزُوا بِالْمَاءِ ثُمَّ سَقَوْا بِهِ كَسَقَاوَةِ الْمَطُورِ بِالطُوفَانِ (٥)

(٤) الطلى : الاعناق . وقيل هي اصول الاعناق وهي جمع الطلادة ، اي العنق . ويقال تطفى فلان اذا لزم اللهو والطرب . والطفى : اللذة . ويقال قضى فلان طلاه من حاجته ، اي هواه . (لسان العرب ٢ : ٦١١ « مادة طلي ») .

العيدان : جمع العود . والعود آلة من المعازف ذات الاوتار .

(٥) الحبشان : جنس من السودان ، وهم الاحبش . والحبشان : الجراد الذي صار كانه النمل سوادا .

(٦) الحجا : العقل والفتنة .

(٧) المطور : الذي اصابه المطر .

عَدُّوا فَعُودِرَ مِنْهُمْ أرواحهم في النار ، والأشباح في القُدْرانِ
خَفَقَتْ بُنُودُكَ حَوْلَهُمْ فَكُنَّا طَارَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْخَفَقَانِ
وَسَرَّتْ طَوَارِقُ لَظْفِ كَيْدِكَ فِيهِمْ كَلْطَافَةُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْسَدَانِ
وَلَنْ حُسِدَتْ فَلَسْتُ أَوْلَ سَابِقٍ يَرْمِيهِ بِالْبَغْضَاءِ الْأُمِّ وَأَنِّي
أَنْ الْكَرِيمِ مُحَسَّدٌ فِي قَوْمِهِ وَتَرَى الْحُسُودَ مَطِيَّةَ الْأَشْجَانِ

وقد علق الثعالبي على هذه القصيدة بقوله : « انها من غرر قصائده » .

فالشاعر في هذه القصيدة ، يتألم لفراق من أحبهم ، ويتحسر على شبابه
الذي ولى ، ويترحم على تلك الأيام ، التي مضت ، لأنها أيام لهوه المتمثل في
عكوفه ، على معاقرة الخمر ، وارتياح أماكن الغناء والطرب .

ثم نراه يلفّ هذه الحسرة بغلاف الفخر بالنفس ، ذاكراً أن حسن
شمائله وهِمَمِهِ ، لم تبق له من تلك الأيام الخوالي ، الا الذكريات .
ثم يأخذ في وصف حاله ، وكيف أصبح وحيداً دون قرين ، وهذا ما يحز
في نفسه ويحزنه .

ثم نراه يلجأ الى الفخر بنفسه مرة أخرى ، ذلك الفخر الذي يحاول أن
يخفيه ، وراء شكواه وغصته ، فيبين لنا أنه يحاول أن يدفن آلامه ، وأحزانه
في الحروب ، ومطاعنة من أراد النيل منه ، ولذلك فإنه قد استبدل لهوه
ولذاته ، بضرب الأعناق ، ومصاحبة الاخذان ، بمصاحبة الرماح ورؤية الدماء ،
الأمر الذي يؤدي به الى البكاء وسكب الدموع .

ثم نراه يصف نفسه ، بأن له حكمة الكهول ، وصولاً الشبان ، الى أن
يتخلص من الشكوى والتذمر والفخر ، الى المدح الممزوج بالمبالغة ، شأنه في
ذلك شأن غيره من شعراء هذا الاقليم ، ومع ذلك نراه في مدحه حكيماً
عاقلاً ، مجيداً في وصفه حال الانسان الكريم ، وكثرة حساده ، وحال الحسود
وكثرة أشجانه ، وذلك في قوله :

إِنَّ الْكَرِيمَ مُحَسَّدٌ فِي قَوْمِهِ وَتَرَى الْحُسُودَ مَطِيَّةَ الْأَشْجَانِ
وله فيه من أخرى (٨) :

(٨) نيتمة الدهر ٤ : ٢٤٦ - ٢٤٧ (السعادة) .

أَمِنْ الْمَلَالِ أَمِ الْخَفَرُ هَذَا التَّشَاجِي وَالضَّرَرُ^(٩)
 أَمْ غَرَّكَ الصَّبْحُ الَّذِي أَطْلَعْتَ مِنْ لَيْلِ الشُّعَرُ
 أَمْ عَرَّضْتَ أَيْدِي الْخَطْوِ بَ صَفَاءٍ وَدُّكَ لِلْكَدَرُ
 وَأَرَى الْمَتَّامَ بِلُتْدَةٍ لَا تَشْتَهِي إِحْدَى الْكُبَرُ
 وَأَعُدُّ نَفْسِي فِي الْحَضَرِ لَكِنْ هَمِّي فِي الْمُسْفَرِ

ومن شعره أيضا قوله (١٠) :

كَفَى بِنَحُولِي عَنْ هَوَايَ مُتَرَجِّمًا
 وَبِالدَّمْعِ هَمًّا عَلَيَّ إِذَا هَمِّي
 تَأَلَّمْتُ مِنْ ثَقَلِ الْهَوَى مَتَشَبِّهًا
 بِخَصْرِيهِ مِنْ أَرْدَافِهِ إِذْ تَأَلَّمَا
 وَوَكَّلَ طَرَفِي بِالنَّجُومِ كَأَنِّي
 لِرَعْيِ نَجُومِ اللَّيْلِ صِرْتُ مُنْجَمًا^(١١)

هذه الأبيات من قصيدة ، في مدح الشيبني أيضا ، ونرى الرقاشي فيها
 يسير على نهج القصيدة العربية ، حيث يفتح قصيدته بالغزل ، ثم يتخلص منه
 الى المدح ، حيث يقول :

خَرَجْنَا نَهَارًا خَلْفَهُ نَطْلُبُ الْعِدَا
 فَلَبَسْنَا لَيْلًا مِنَ النَّقْعِ مَظْلَمًا^(١٢)
 أَثَرْنَا سَحَابَ النَّقْعِ لَمَّا تَجَاوَبَتْ
 رَعُودُ صَهِيلِ الْخَيْلِ تَسْتَمْطِرُ الدَّمَا

(٩) الخفر : شدة الحياء . التشاجي : الشجو : الهم والحزن .

(١٠) يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٧ .

(١١) وكل طرفي : وكل اليه الامر : سلمه ، ووكله الى رايه : تركه . والوكل :
 الذي بكل امره الى غيره .

(١٢) النقع : قيل هي الارض الحرة الطين ، ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض
 ولا انهباط وقيل : هي التي يستنقع فيها الماء . والشاعر يريد : الغبار
 الذي يعلوهم من الارض ، والذي تثيره حوافر الخيول ، بحيث يصبح
 الجو كأنه ليل لكثرة الغبار .

فكم من جوادٍ قد حسبناه بعدما
أكثرناهم من كثرة النبئل شبَّهما (١٣)
وأشهبَ قد خضنا به الحربَ فاكسى
دماً وقتاماً عادَ أشقرَ أدهما (١٤)

فنحن نلاحظ في هذه الأبيات ، مسحة من الشعر الجاهلي ، المتمثل في شعر النابغة الجعدي ، وشعر عنترة بن شداد ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، في طريقتهم في سرّد حوادث الحرب ، ووصف المعارك ، وما تركته من آثار ، هذا بالإضافة الى الألفاظ الجاهلية التي استعملها الشاعر الرقاشي ، مثل القتام والنفع . كما نرى المبالغة المفرطة التي أضفاها على صوره ، ولا سيما في وصفه للحصان الذي أصبح كالقنفذ من كثرة رمية بالنبال . وعلى الرغم من تلك المبالغة ، الا أنه أجاد في رسم صورته ، وفي تشبيحاته كما أجاد في بيته الذي يقول فيه :

وأشهبَ قد خضنا به الحربَ فاكسى
دماً وقتاماً عادَ أشقرَ أدهما

ففي هذا البيت نرى مسحة واضحة من الشعر الجاهلي ، في فخره بالشجاعة ، وفي تهويله في رسم الصورة . وهذا المعنى مأخوذ من قول النابغة الجعدي :

ونثكر يومَ الرّوعِ ألوانَ خيلنا
من الطّعن حتى تحسبَ الجوّنَ أشقرا (١٥)

(١٣) الشَّبَّهم : الدلول ، وهو ذكر القنافذ ، أو نوع آخر غير القنفذ ، أو ما عظم شوكة من ذكرانها .

(١٤) الشهب والشبهة : لون بياض يصدعه سواد في خلاله . أو البياض الذي غلب عليه السواد . والشبهة في الوان الخيل : ان تشق معظم لونه شعرة ، أو شعرات بيض ، كميتا كان أو ادهم أو اشقر . والادهم : البين الدهمة . والدهمة : في الخيل : السواد الذي لا شية فيه ، واصلها من سواد الليل . والشية : العلامة . والشقر والشقرة من الالوان . وهي في الخيل حمرة صافية ، يحمر معها العرف والذنب ، فاذا اسودا فهو الكميت والقتم والقتام : الفبار .

(١٥) يوم الحرب : الحرب . والجون : الاسود . والجون من الخيل : الحصان . الادهم الشديد السواد .

وله من قصيدة أخرى يقول فيها (١٦) :

لا الراحُ راحي ولا الرِّيحانُ رِيحاني
ما لم تَزُرْني ، ولا النَّدْمَان نَدْماني
وما التعلُّش - والأيام حائلة
بيني وبينك - بالآمالِ من شاني
وما جَزَعْتُ على شيء سوى جَزَعِي
أن لم أَمُتْ كَمَدًا من فَقْدِ خِلَائي
وقد ذَكَرْتُكَ والأبطالُ عابِسة
والمَوْتُ يَبْسِمُ عن أنيابِ شَيْطانِ
والنبل كالشَّهْبِ في لَيْلِ العِجَاجِ وبِأ
ب الأمن ناءٍ كصبري والرَّدى داني
والشَّمْرُ تَبْكِي دَمًا والبيضُ ضاحكة
والجوُّ داجٍ وَلَوْ أنَّ الملتقى قاني (١٧)

وتبين لنا هذه القصيدة تأثر الشاعر بالشعر الجاهلي تأثراً ملموساً ، حيث نرى الشاعر يتذكر خلانه وأحبابه ، وهو بين الحياة والموت ، وسط الحرب الدامية . وقد سبقه الشاعر عنتره الى هذا المعنى ، حيث كان يتذكر عبلة وهو وسط المعركة اذ يقول :

ولقد ذَكَرْتُكَ والرماحُ نَوَاهِلُ
مني ، ويضُّ الهنْدُ تقطرُ مِن دَمِي
فوددت تقبيل السيوف لأتَّهَمَا
لمعت كَبَارِقُ ثَغَرِكِ المتَّبَسِّمِ

(١٦) بئمة الدهر ٤ : ٢٤٧ - ٢٤٨ (السعادة) .

(١٧) السمر : يريد الرماح السمر .

أما البيت الثاني من هذه الأبيات ، فقد أخذهُ الشاعر من شعر المتنبي في قوله (١٨) :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي
ولا الفَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي (١٩)

ومن شعره أيضاً قوله (٢٠) :

وَقَيْنَةُ تَنْظِفُ يَمْنَاهَا وَتَلْقُطُ الْعُنَابَ يُسْرَاهَا (٢١)
إِذَا سَرَتْ نَمَّ عَلَيْهَا الْحَلَى وَضَوْءُ خَدَيْهَا وَرِيَّاها (٢٢)
لو أن ابليس رأى وجهها صَلَّى لها طوعاً وماتها
تَظَلُّمِي فِي هَجَرِها مثلما أَسْفَلُها يَظْلُمُ أَعْلَاهَا
ما تفعلُ الخمرَ بِشُرَّابِها ما فَعَلْتَهُ فِي عَيْنِها

في هذه الأبيات نرى الشاعر يتغزل بقينة ، ويصفها بالجمال الذي لو رآه ابليس صلى طوعاً له . ولذلك فقد سكر الشاعر من فعل عينيها ، ففعلهما فيه كان أقوى من فعل الخمر بشرابها . وغزله في هذه الأبيات ، ليس فيه الحرارة التي نشعرنا بقلب وله الحب ، وأضنته لوعة الغرام . ولا نكاد نتبين له احساساً تفرد به ، أو لمحات امتاز بها ، وليس معنى ذلك أنه لم يجرب الحب ، ولم يشغل قلبه ، وربما حصل له ذلك ، فنحن لا نستطيع أن نصدر عليه حكماً ، من خلال هذه الأبيات القليلة ، التي استطعنا الحصول عليها .

(١٨) ينظر : شرح ديوان المتنبي . وضعه : عبدالرحمن البرقوقي . ح ٤ .

ص ١٥٥ . نشر : دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .

(١٩) التعلل : تزجية الوقت بالشيء اليسير بعد الشيء . والتزجية : يقال زجيت الشيء تزجية اذا دفعته برفق .

(٢٠) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٧ « طبعة حجازي » .

(٢١) تَنْظِفُ : النطف : اللؤلؤ الصافي اللون ، أو الصفار منه ، أو القرطة .

والتنطف من الفلمان : القرط بتومتي قرط . والجارية منطفة ومنطفة .

ووردت هذه الكلمة في الاصل « تنطق » ولعل الصواب ما اثبتناه .

والعناب : نوع من الثمر معروف ، واحدته عنابة . ويقال له

السنجلان بلسان الفرس . وربما سمي ثمر الاراك عنابا . والعناب :

النبكة الطويلة في السماء ، يكون أسود وأحمر ، وعلى كل لون يكون .

والغالب عليه السمرة .

(٢٢) رباها : الري : المنظر الحسن ، وهو خلاف الذبول .

الفصل الخامس الشعراء الوافدون

هذا الفصل استعراض عام لأهم الشعراء الوافدين الى اقليم خوارزم

وهم :

- ١ - أبو حامد بن الربيع بن عاصم الغرناطي المازني •
- ٢ - ابن عنين •
- ٣ - يعقوب بن الجندي •
- ٤ - محمد بن أحمد بن علي بن أحمد النسوي •
- ٥ - ابن سينا •
- ٦ - محمد بن الحسين الكاتب المعروف بالقصاب والملقب بصريع الكأس •

الشعراء الوافدون

وفد كثير من الأدباء الى اقليم خوارزم ، وكان قدومهم لضيق العيش في مواطنهم ، أو لظلم يلحقهم من حكامهم . وزادَ في الرغبة في الهجرة الى هذا الاقليم ، ما عرف عنه من خيرات كثيرة .

وكان كثير من هؤلاء الوافدين ، على حظ كبير من الثقافة والمعرفة ، فعاونت حياتهم في هذا الاقليم ، على اشاعة الثقافة والمعرفة فيه .

وكان لامتزاج ثقافة هؤلاء الوافدين ، بثقافة أدباء الاقليم ، أثر جلي واضح ، لا سيّما أن عدداً من أدباء الاقليم ، قد طوفوا في البلدان ، ثم عادوا الى بلادهم ، وقد نهلوا من منابع ثقافات البلاد التي طوّفوا في أرجائها . ومن أمثلة هؤلاء الشاعر أبو بكر الخوارزمي ، الذي طوّف الآفاق ، واستفاد الكثير من بلاط سيف الدولة الحمداني . والإمام جار الله الزمخشري ، الذي جاور سنين كثيرة في مكة ، واستفاد من علم وأدب الأمير ابن وهاس وغيره (١) .

ومن الوافدين إليه أيضاً ، أبو حامد بن الربيع ، بن عاصم الغرّناطي المازني ، الذي كان عالماً فاضلاً ، بالإضافة الى شاعريته . وذكر ابن الأثير عنه ، أنه حدث في هذا الاقليم ، ثم انتقل الى سقّسين من بلاد الترك (٢) . ومن شعره قوله :

يَهْنِيكَ عِيدُ الْفَطْرِ جَاءَ مَهْنِئاً لَكَ بِالْقَبُولِ وَتِلْكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ

(١) هو علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس ، ابو الطيب ، من ولد سليمان ابن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . توفي بمكة في سنة نيف وخمسمائة . ينظر عنه : معجم الادباء ١٤ : ٨٥ .

(٢) ينظر : اللباب في تهذيب الانساب ٢ : ١٦٩ . وفيه ان الشاعر كان بخوارزم سنة سبع وخمسمائة ، وانصرف الى سقّسين .

ومن الوافدين أيضاً : شاعر الشام المشهور : ابن عنين^(٣) ، الذي طاف الآفاق ، ومدح الرؤساء والأمراء ، الذين كان يلقاهم ولسان حاله يقول^(٤) :
 غريب "إذا ما حلَّ مصرأ أبي له وشيكُ النوى الا ارتحالا" إلى مصر
 فحتّام لا أنفك في ظهر سبَسبٍ أهجّر أو في دويّة قفر^(٥)
 دخل ابن عنين الجزيرة والعراق ، ثم انتقل منها الى خراسان وأذربيجان ، وأحب لقاء الإمام فخرالدين الرازي ، فبعث اليه قصيدة قال فيها^(٦) :

ريح الشمال عساك أن تتحملي شوقي إلى صدر الإمام الأفضـل
 وقفي بواديهِ المقدس وانظري نور الهدى متألقاً لا يأتلي^(٧)
 من دوحة فخرية عثريّة طابت مفارس مجدها المتأثـل

وكان ابن عنين في نيسابور ، حينما وجه هذه الأبيات الى الامام فخرالدين الرازي ، الذي كان في خوارزم ، وحين وصل ابن عنين الى خوارزم ، هرع اليه وذهب الى مجلسه . قالوا : وكان يدرس فسقطت حمامة بقربه ، خوفاً من جارح يلاحقها في الجو ، فأمسك بها الامام الرازي ، وربّت عليها بعطف وحنان ، فتأثر ابن عنين لهذا المنظر ، وأتشّد قائلاً^(٨) :

من نبال الورقاء أن محكم حرّم وأتاك ملجأ للخائف
 وفدت عليك وقد تدانى حقها فحبوتها ببقائها المستأنف

(٣) هو شرف الدين محمد بن نصر ، المعروف بابن عنين . ولد سنة ٥٤٩ هـ - ١١٤٤ م . وتوفي سنة ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م . ينظر عنه : معجم الادباء ١١ : ٢٥٩ - ٢٦١ ، أدب الدول المتتابعة . ص ٣٤٤ .

(٤) الفلاكة والمفلوكون - احمد بن علي الدلجي - ص ٢٩ . مط . الاداب - النجف سنة ١٣٨٥ هـ .

(٥) السبب : القفر والمغازة ، أو الارض المستوية البعيدة ، وجمعها سباسب . والدوية : الفلاة الواسعة الاطراف ، أو الفلاة المستوية .

(٦) ينظر معجم الادباء ٧ : ١٢٤ « طبعة هندية » ، أدب الدول المتتابعة . ص ٣٤٩ وفيه خدمني بدلا من « شوقي » .

(٧) لا يأتلي : اي لا يزال ، ولا يقصر .

(٨) ينظر : ديوان ابن عنين . ص ٩٥ .

جاءت سليمان الزمان بشكوها والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم^٩ لواه القوت حتى ظله بإزائه يجري بقلب واجف^(٩)

فالشاعر قد أجاد وأحسن ، في وصفه لهذه الحمامة الأليفة الخائفة ، كما
أجاد في وصفه للطائر الجارح الذي يلاحقها ، وقد أتبعته تلك الملاحقة .

وقد تأثر ابن عنين بيئة خوارزم المحيطة به ، كما تأثر بنماذج مختلفة من
الجمال الذي لم يعهده في بلاده ، تأثر بجمال الفتيات التركيات ، وبضيق
عينها ، فتغزل بالمقل وبضيق العينين ، كما في قوله (٢٠) :

لا تعرضن لضيّق المقل فتيت من أمن على وجل
واترك ظباء الترك سائحة لا تعرض لجبال الأجل
من كل مائة منعمة غرثي الأياطل فعمة الكفل^(١١)

فالشاعر يتغزل كما نرى ، بجمال الفتيات التركيات ، حيث يتغزل بذوات
العيون الضيقة والمقل ، وهي غالباً ما تكون من ظباء الترك . والتغزل بضيق
العيون دليل على تكيف الشاعر للبيئة . كما نرى الشاعر يلجأ في غزله الى
الغزل الحسي ، فيصف سيقانها وعجزها ، ودقة خصرها .

كما تأثر ابن عنين بالجمال المرئي ، فراقته صباحة الوجوه في خوارزم ،
ولكن أقلقه مؤذنها^(١٢) .

(٩) قرم مأخوذة من قرم الى اللحم : اذا اشتدت شهنوته اليه .

(١٠) ديوان ابن عنين . ص ٤٠ - ٤١ .

(١١) مائة : ماس اي تهادي وتبخر فهو مائس وهي مائة .

غرثي : يقال هي غرثي الوشاح ووشاحها غرثان : اذا كانت خميسة
البطن دقيقة الخصر .

الأياطل : الاطل : الخاصرة كلها ، او منقطع الاضلاع من الحجة ، وقيل
هو عظم الورك . فعمة : فعمت المرأة : استوى خلقها وغلظ ساقها فهي
فعمة .

الكفل : المعجز او ردفه ، او القطن : ما بين الوركين الى العجز ، وجمعه
اكفال ، ولا يشتق منه فعل ولا صفة .

(١٢) ينظر ديوانه . ص ٢٤٠ .

ولم تُنسَر مداعبات الشاعر ، التي رأيناها أثناء دراستنا الاتجاهات الشعرية ، كما لم تنسه هذه الظباء وذلك الحسن ، الذي تغزل به ، الحنين الدائم الى بلاده ، فكل نسمة تمر به ، يحسبها آتية من قل راهط ، المظل على غوطة الشام الخضراء ، فيصرخ متلهفاً (١٣) :

ألا يا نسيمَ الريح من تكلَّ راهطٍ

وروض الحمى كيف اهتديتْ إلى الهند (١٤)

ومنهم القاضي يعقوب بن الجندي (١٥) ، وقد قال عنه ابن الأثير : إنَّه كان فاضلاً ، وله شعر جيد ، قدم الى هذا الاقليم سنة ثمان واربعين وخمسةائة .

ومن الشعراء الوافدين اليه ، محمد بن أحمد بن علي بن أحمد النسوي (١٦) ، وكان من العلماء والكتاب المشهورين . قالوا عنه إنَّه كان (١٧) : « لغوياً نحوياً مفسراً ، مدرساً فقيهاً مفتياً ، مناظراً محدثاً ، شاعراً » ، ومن شعره قوله :

مَنْ رامَ عِنْدَ الإِلهِ مَنْزِلَةً فليُطعِ اللهَ حَقَّ طَاعَتِهِ
وَحَقَّ طَاعَتِهِ الْقِيَامَ بِهَا مُبَالِغاً فِيهِ وَوُسْعَ طَاقَتِهِ

ومن شعره أيضاً قوله :

اتَّخَذَ طَاعَةَ الإِلهِ سَبِيلًا تَجِدُ الْقَوَازِ بِالْجَنَانِ وَتَنْجُو
وَاتَرَكَ الإِثْمَ وَالْفَوَاحِشَ طَرًّا يُؤْتِيكَ اللهُ مَا تَرْوُمُ وَتَرْجُو

(١٣) المصدر السابق . ص ٧٣ ، ادب الدول المتتابعة . ص ٣٥٠ .

(١٤) تل راهط وروض الحمى : موضعان في غوطة دمشق وضواحيها . ويقع تل راهط بعد مرج العذراء .

(١٥) نسبة الى مدينة « جند » : وهي مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، أهلها مسلمون ينتحلون مذهب ابي حنيفة . ينظر : معجم البلدان ٢ : ١٦٨ (طبعة بيروت) .

(١٦) نسبة الى مدينة « نسا » من خراسان . معجم البلدان ٥ : ٢٨١ (بيروت) .

(١٧) ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ١٧٦ (طبعة البابي الحلبي) .

ومن الملاحظ ان المسحة الدينية ، تطغي على أبيات الشاعر ، في دعوته الى طاعة الله ، ونهيه عن الفحش ، ومنازل الائم ، ليفوز الانسان بالحياة الأخرى ، وينجو من العذاب .

ومن الحكمة قوله (١٨) :

العلم يأتي كل ذي خفض ويأتي كل آبي
فالما ينزل في الوهـاـا وليس يصعد في الروابي

ومن الوافدين الى هذا الاقليم أيضاً ، العالم الحكيم الفيلسوف الشاعر ، ابن سينا (١٩) ، الذي عاش هناك تحت رعاية خوارزم شاه ، علي بن مأمون بن محمد ، ووزيره أبي الحسن السهيلي .

ومما ينسب اليه هذه القصيدة التي يقول فيها (٢٠) :

إحذر بُني من القران العاشر واتر بنفسك قبل نقر النافر (٢١)
لا تشغلنك لذة" تلهو بهـا فالموت أولى بالظلوم الفاجر
لا تركن الى البلاد فانها سيمتها حد الحسام الباتر
من فتية فطس الأنوف كأنهم سيل طما أو كالجراد الناشر
خزر العيون تراهـم في ذلـة كم قد أبادوا من مليك قاهر
ما قصدهم الا الدماء كأنهم نار لهم من كل فاه آمر

(١٨) دمية القصر وعصره اهل العصر ٢ : ٩١ « تحقيق الحلو » .

(١٩) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا . ولد في أفشنة من قرى بخارى قرب « خرمين » في سنة ٢٧٠ هـ - ٩٨٠ م . تنظر ترجمته في : وفيات الاعيان ١ : ٤١٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٢ ، هدية العارفين ١ : ٣٠٨ ، طبقات الفقهاء - زاده - ص ٧٠ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء . ص ٤٣٧ ، الاعلام ٢ : ٢٦١ ، اعيان الشيعة ٢٦ : ٢٨٧ ، قصة الحضارة - ديورانت - م ٤ . ح ٢ . ص ١٩٢ . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط ٣ . سنة ١٩٦٨ م .

(٢٠) ينظر : الوافي بالوفيات (مخطوط) ح ١١ . ورقة ٨٥ ، عيون الانباء في طبقات الاطباء . ص ٤٤٧ .

(٢١) يريد بالقران العاشر ، على ما زعمه المنجمون ، قران المشتري بزحل ، في برج الجدي ، وهو انحس البروج .

وخراب ما شاد الوری حتی یری ققرا عمارتهم برغم العمام
وقال منها یبین خراب بعض البلاد ، علی أیدی هؤلاء :

أما خراسان تعود منابتها للعشب لیس لأهلها من جابر
وکذا خوارزم وبلخ بعدهما تضحي ولیس بربعها من صافر (١٢٢)
ثم بعد ذلك يأخذ فی وصف حالة البلاد بعد خرابها فیقول (٢٢) :

ویفر سفاک الدما منهم کما فرّ الحمام من العقاب الکاسر
فهو الخوارزمی یکسر جیشها فی نصف شهر من ربیع الآخر
ویموت من کمد علی ما ناله من ملکه فی لجّ بحر زاخر
والقصيدة طويلة وهي تبين لنا حالة البلاد ، عندما هاجمها التتار ، وهزيمة
خوارزم شاه ، والد جلال الدین منکبرتي ، وموته غرقا ، وترك أمور البلاد
لأبنه ، جلال الدین منکبرتي ، ویظهر ذلك فی قوله :

ویکون آخر عمره فی آمدٍ یسرى إلیه وما له من سائر
ویعود عظم جیوشه مرتدةً عنه الی الخصم الألدّ الفاجر

ومن الجدير بالذكر ، أن نشیر الی أن استشهدانا بهذه القصيدة لم یکن
علی أساس انها من شعر ابن سینا ، ولكن لأنها تمثل حالة البلاد فی عهدہا
الأخیر خیر تمثیل ، کما تمثل النهایة المؤلمة ، للسلطان جلال الدین منکبرتي
وسقوط الدولة الخوارزمية ، سنة ٦٢٨ هـ . وبهذا التأریخ أصبحنا علی ثقة
تامة ، بأن هذه القصيدة المنسوبة ، للشیخ الرئیس لیست له ، لأن الشیخ
الرئیس توفي کما تجمع أكثر المصادر ، سنة ٤٢٨ هـ ، أي قبل هذه الحوادث
المذكورة ، فی القصيدة بزمان طویل ، وبهذا تكون هذه القصيدة ، من وضع
شاعر متأخر ، شاهد بنفسه تلك الحوادث ، أو سمع عنها .

(٢٢) الصافر : اللص : طیر جبان ینکس رأسه ، ویتعلق برجلیه وهو یصفر
خيفة ان ینام فیؤخذ ، أو هو الجبان مطلقا . وكل ذی صوت من الطیر .
ویقال : ما بالدار من صافر : أي أحد یصفر وما بها ديار .

(٢٣) الوافی بالوفیات (مخطوط) ح ١١ . ورقة ٨٥ .

وممن تقاذفته الغربة الى هذا الأقليم ، وأقام به حتى مماته ، محمد بن الحسين ، الكاتب المعروف بالقصاب ، والملقب بصريع الكأس ، وهو من أهالي نيسابور ، وذكر القفطي أن له كتابة حسنة ، ونظماً بارعاً ، منه قوله (٢٤) :

حَيْثَاكَ مِنْ ذَا الرِّيعِ الطَّلَقَ قَادِمُهُ
وَأَيُّ عَيْشٍ هَنِيٌّ أَنْتَ عَادِمُهُ ؟
أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَلَّى بَعْسَكَه
حَلَّتْ عَزَائِمُهُ مِنْهَا هَزَائِمُهُ !
وَالغَيْمُ أَقْبَلَ يَبْكِي مَلَأَ مَقْلَتَهُ
وَالرَّوْضُ أَقْبَلَ مَفْتَرَا مِبَاسِمُهُ
وَالْأَرْضُ تَحْكِي عُرُوساً فِي مَعَارِضِهَا
وَالْجَوْثُ قَدْ كَثُرَتْ فِيهِ مَآتِمُهُ
حَتَّى كَأَنَّ يَدَ الشَّيْخِ الْأَجَلَ سَقَى
خَضِرَ الرِّيَاضِ فَرَوَّتْهَا غَمَائِمُهُ
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ خَلْقِ الرِّيعِ وَقَدْ
غَدَا عَلَى خَلْقِ مَوْلَانَا يَكَارِمُهُ
فَلَيْسَ تَحْكِي مَعَانِيهِ مَعَانِيَهُ
هِيَئَاتِ أَنْ يَحْكِيَ الْمَخْدُومُ خَادِمُهُ !

فهذه الأبيات من جميل الوصف ، الذي قاله هؤلاء الشعراء في وصف البيئة الحية ، وصف الربيع والرياح والخضرة ، كما هي وصف للبيئة الصامتة ، تمثلت في ذكر الشاعر الغيم والجو والغيام ، والقصيدة في جملتها صورة جميلة حية ، لفصل جميل من فصول السنة وهو الربيع . وقد اقرء صريع

الكأس ، من بين شعراء هذا الاقليم بهذه الخاصية ، لأننا لم نجد في شعرهم
مما بين أيدينا شيئاً من هذا القبيل .

ووصف الشاعر للطبيعة في هذه الأبيات ، وصف وجداني يصور الجانب
الراقي الباسم ، الفواح بالعطر والشذى ، فالأرض شبّهت بالعروس لجمالها ،
فهي ضاحكة لبكاء سمائها ، ذلك البكاء الذي روّى الأرض ، فاخضرّ لذلك
العود .

ونكتفي بهذا الاجمال ، عن الشعراء الوافدين ، الى هذا الاقليم ،
بدراسة وافية ، عن الشاعر الكبير رشيد الدين الوطواط ، شاعر بلاط
الخوارزمشاهيين .



الفصل السادس

رشيد الدين الوطواط :

اولا : حياته

- ١ — ولادته ونشأته في مسقط رأسه « بلخ » .
- ٢ — تحصيله العلوم والآداب في المدرسة النظامية ، في بلخ وأشهر أساتذته .
- ٣ — ذهابه الى خوارزم ، واتصاله بسلاطين الدولة الخوارزمية .
- ٤ — مذهبه وغيرته على الاسلام .
- ٥ — اختصاصه ببلاط الخوارزميين ، وخصتهم بالقسم الأكبر من شعره في المديح .
- ٦ — اتصاله بأدباء عصره وعلمائه .

ثانيا : اغراضه

- ١ — المديح : وهو الغالب على شعره .
- ٢ — الوصف .
- ٣ — أغراض أخرى .

ثالثا : سمات شعره

- ١ — المبالغة في اضفاء صوره على ممدوحه ، الى حد الاستحالة .
- ٢ — غرامه وشغفه بالمحسنات البديعية .
- ٣ — أكثر معانيه في المديح دينية ، يتصل بنصر الإسلام ، والدين الاسلامي، وبعضها يتصل بالعدل .
- ٤ — معانيه — أحيانا — كمعاني العرب الجاهليين

رشيد الدين الوطواط^(١) :

هو محمد بن محمد بن عبد الجليل . وقد شهر برشيد الدين الوطواط . ونسبه يتصل بسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ويكنى بأبي بكر ، ويلقب بالوطواط ، وانما لقب به لصاله جسمه ، وهزال بنيته^(٢) . والراجح أن ولادته بين سنتي ٤٨٠ هـ و ٤٨٧ هـ ، في بيت من بيوتات بلخ^(٣) . وبلخ في تلك الأيام كانت من أعظم مدن خراسان ، حتى اعتبروها مساوية في المكانة لنيسابور وهراة ومرو . وهي تمتاز بكثرة المدارس والجوامع والمكتبات ، التي كان يقضي فيها الفضلاء والعلماء أيامهم ، ناشرين نور العلم والفضل ، مقيمين أسواق الافادة والاستفادة^(٤) .

وظفولته لا نعرف شيئاً عنها ، ولكننا نستطيع أن نقول : إنه تلقى علومه الأولية ، في مسقط رأسه بلخ ، قبل أن يفد الى خوارزم ، وأنه درس في المدرسة النظامية في بلخ ، وحصل فيها قدراً من علومه ، وكان أستاذه الذي تأثر به كثيراً ، في تلك المدرسة ، هو الإمام أبو سعد الهروي ، الذي كانت له منزلة خاصة ، لدى رشيد الدين الوطواط ، والتي تراءى لنا في رسالته التي بعث بها اليه ، والتي يقول فيها^(٥) :

كتابي وفي الأحشاءِ وَجَدَ على وجد

الى الصدرِ مولانا الأجلُّ أبي سعد^(٦)

- (١) تنظر ترجمته في : معجم الادباء ١٩ : ٢٩ ، بغية الوعاة ١ : ٢٢٦ ، ترجمات المتقدمين من الشعراء - ابن خلكان - ص ٢٥ ، هدية العارفين ٢ : ٩٩ ، تاريخ كزيدة . ص ٧٥٦ . ، روضات الجنات ١ : ٧٧ ، الاعلام ٧ : ٢٥١ ، تاريخ الادب في ايران . ص ٤١٧ .
- (٢) ينظر تاريخ الادب في ايران . ص ٤١٧ .
- (٣) ينظر معجم الادباء ١٩ : ٢٩ ، الاعلام ٧ : ٢٥١ .
- (٤) ينظر : مقدمة كتاب حقائق السحر في دقائق الشعر . ص ٣ .
- (٥) ينظر : معجم الادباء ١ : ١٠٣ - ١٠٤ .
- (٦) الوجد : الحزن . والصدر : البارز السابق . يقال : صدر الفرس : اي برز بصدرة وسبق ، وصدروه في المجالس فتصدر .

أشَمَّ طويل الباع أصبح رافعاً
الى قمّة الأفلاك ألوية المجد^(٧)

سَراةُ بني الاسلام عقدُ جواهر
وفيه أبو سعد كواسطة العقد^(٨)

وله فيه من أبيات اخرى ، يحنّ فيها الى اجتماعه معه في المجالس ، وفي
المدرسة النظامية ويمدحه بعاطفة صادقة حيث يقول :

للهِ دَرٌّ امام كلّ شئ أدب بفضلُه يتحلّى العجْمُ والعَرَبُ
أو قوله من كتاب بعثه إليه وفيه ^(٩) : « الله يعلم أنّي وإن شَطَّ
المزَارُ ، وشحطت ^(١٠) الديار ، لا أقطع أكثر أوقاتي ، ولا أتزجي ^(١١) أغلب
ساعاتي ، الا في مدح معاليه ، وشرح أياديه ^(١٢) » ، لو أنفقت عمري في ذلك
وسلكت طول دهري تلك المسالك » .

ثم ختم الكتاب ببيت من الشعر ، يؤكد فيه اعترافه بفضلِه عليه ، حيث
يقول :

لما كنتُ أقضي بعضَ واجبِ حقِّه
ولا كنتُ أحصي من صنائعه عَشراً^(١٣)

(٧) رجل أشم : أي طويل الرأس . واشم الرجل : مر رافعاً رأسه ، والمراد
علو المكانة . قمّة الجبل وقتته : اعلاه .

(٨) السراة : اسم جمع للسري .
واسطة العقد : حبة كبيرة تجمل في وسط العقد عند نظمه ، في سمطه .
وهي اثنان حبات العقد وزينته .

(٩) معجم الادباء ١ : ١٠٥ .
(١٠) شط المزار : بعد . شحطت : أي بعدت .

(١١) أزجي : زجيت الشيء تزجية ، اذا دفعته برفق . يقال : كيف تزجي
الايام ، أي كيف تقتضيها ، والريح تزجي السحاب .

(١٢) أباديه : الابادي : النعم . وهو هنا على سبيل المجاز المرسل ، علاقته
السببية كما هو معروف .

(١٣) صنائع : جمع صنيغة : وهي الجميل والمعروف .
عشراً : يريد جزء قليلاً ، لا العشر بعينه . قال تعالى : « وما بلغوا معشار
ما أتيناهم » . أي بعضه .

أو قوله فيه أيضاً (١٤) :

مجالس مولانا أبي سعد الذي
به سعد الأيام والدين والدنيا
هـمام حوى يوم الفخار بنائمه
على رغم آناف العدا قصب العكيا (١٥)

ولما أنهى رشيد الدين الوطواط دراسته في بلخ ، انتقل الى اقليم خوارزم ، وأقام هناك في خدمة السلطان خوارزم شاه اتسز . وظل على وفائه لأستاذه يكتبه من خوارزم ، ويقرّ بفضلته ، ويستمتع لنصائحه (١٦) .

وقد أصبح رشيد الدين الوطواط ، شاعراً لبلاط خوارزم شاه اتسز ، ولابنه ايل أرسلان من بعده ، ثم لابنه علاء الدين تكش . وقد بقي في خدمته مدة ثلاثين سنة . وكان السلطان اتسز قد اتخذ منه رفيقاً خاصاً ، بالإضافة الى كونه شاعراً لبلاطه ، طيلة مدة حكمه من سنة ٥٢١ - ٥٥١ هـ . وظل الى آخر عمره في خدمة ملوك خوارزم ، الى أن أدركته الوفاة .

عاش رشيد الدين ، في عصر السلطان سنجر وأخوته ، (٤٨٥ - ٥٥٢ هـ) ، وكان عصر سنجر بصورة عامة ، عصرأ زاهراً في الأدب والعلم ، وفيه ازداد عدد الشعراء والكتاب والعلماء ، من الفرس والعرب ، ونبغ فيه جماعة من الشعراء ، والكتاب من الأمتين : العربية والفارسية . وكان رشيد الدين الوطواط ، مثلاً للأدبين وكان الشاعر أنوري ، شاعر بلاط سنجر ، ومنافس رشيد الدين ، مثلاً للأدب الفارسي ، ومثله كان سنائي والطار نظامي ، وعمر الخيام .

ومن دراسة ديوان رشيد الدين الوطواط ، يظهر لنا أنه كان لسان السلطان

(١٤) معجم الادباء ١ : ١٠٤ .

(١٥) قصب العليا : اي استولى على الامد والغاية ، في العليا والرفعة واصله انهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبه ، فمن سبق اقتلعها واخذها ، ليعلم انه السابق ، من غير نزاع . ثم كثر حتى اطلق على كل مبرز .

(١٦) معجم الادباء ١ : ١٠٣ .

اتسز الخاص ، الذي يمدحه ويهجو عدوه سنجر ، وشاعره أنوري ، ولذا كان السلطان سنجر متحاملاً عليه ، حتى أقسم كما يقال انه قاتله إذا ظفر به .

كان القرن السادس الهجري ، الذي عاش فيه الشاعر ، قرناً نفقت فيه سوق العلوم ، والآداب الاسلامية ، في الممالك الاسلامية الشرقية ، ولا سيما في خراسان ، وما وراء النهر ، ومنها اقليم خوارزم ، حيث انتقلت مشاعل العلم ، وأنارت مدناً كبيرة ، مثل مرو وبلخ ونيسابور ، وهراة وطوس ، والجرجانية ، وبخارى وسمرقند (١٧) .

وكان لكل من السلاجقة والخوارزميين ، وزراء محبوبون للعلم والأدب ، وكان بعضهم كتاباً وشعراً ، كما هي حال الشيبسي ، والرقاشي والسهيلي ، والتاجر وغيرهم . كما كان لجهودهم التي بذلوها في سبيل الأمن والسكينة ، في هذا الاقليم المسلم ، فضل كبير ، فكان لهذا أثره البالغ في ازدهار الأدب ، على ألسنة الأدباء ، الذين استطاعوا في هذا الجو الهاديء ، أن ينتجوا الكثير ، فازدهرت مدن الاقليم وقراء ، وزخرت المدارس والمحافل بمن فيها ، كما رأينا في دراستنا للحياة العقلية .

ويقول ياقوت الحموي (١٨) : إنَّ الوطواط كان « من نوادر الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل زمانه في النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب . طار في الآفاق صيته ، وسار في الاقاليم ذكره » .

أما مذهبه ، فالظاهر أنه كان علوي المذهب ، يتبين ذلك من شعره في قوله (١٩) :

لقد تجمَّع في الهادي أبي الحسن ما قد تفرَّق في الأصحاب من حسن
ويلق القمي على هذا البيت بقوله : كان الوطواط أخذ هذا من شعر
الصاحب بن عباد ، في قوله :

(١٧) للتفصيل ينظر مقدمة كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر . ص ٢٦ .

(١٨) ينظر كتابه : معجم الادباء ١٩ : ٢٩ .

(١٩) ينظر : الكنى والالقب ٢ : ٢٧٢ (النجف) ، ديوان الصاحب بن عباد .

تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين . ص ٢٦٨ . بغداد ١٣٨٤هـ -

١٩٦٥ م .

نجم فيه ما تفرّق في الوري من الخلق والأخلاق والفضل والعلی
كما يشعرا نعلوئته ، تألیفه المسمى ، مطلوب كل طالب من كلام علي بن
أبي طالب ، علیه السلام (٣٠) .

وكان رشیدالدين الوطواط ، غیورا علی الدين الاسلامي ، مدافعاً عنه ،
رامياً أعداءه بالجهالة والغرور ، معيراً إياهم بحب الدنيا وزخارفها ، والمیل عن
الجنة ونعيمها (٣١) . وكان يتمنى لو أتاح له الزمن ، كما أتاح للزمخشري
مجاورة بيت الله الحرام ، فهو يقول في كتاب بعثه ، الى الامام جارا لله
الزمخشري : « كانت قصوى منيتي ، وقصار (٣٢) بغيتي ، أن أكون أحد
الملازمين لسدته الشريفة ، التي هي مخيم السيادة ، ومقبل أفواه السادة ،
من ألقى بها عصاه ، حاز في الدارين مناه ، ونال في المحلين مبتغاه ، ولكن سوء
التقصير ، أو مانع التقدير ، حرمني من تلك الخدمة ، وحرم علي تلك
النعمة (٢٣) » .

وقد اتصل الوطواط ، بكثير من ادباء عصره وعلمائیه ، الذين عرفوا
فضله ، فأحسنوا معاشرته ، ومنهم الزمخشري ، وتلميذه ابن شيرين (٢٤) ،
الذي يقول فيه (٢٥) :

محيّاً جمال الدين في الخطب كوكباً
وجَدوى جمال الدين في الجدب وابل
والطافه علم وحلم وشؤدد
وأوصافه عزم وحزم ونائل

(٢٠) ذكر هذا الكتاب في : كشف الظنون ٢ : ٤٥٩ ، الذريعة الى تصانيف اهل
الشيعة ٦ : ٢٨٦ ، مجمع المطبوعات . ص ١٩٢٢ .

(٢١) تنظر : مجموعة رسائله ٢ : ١٣ .

(٢٢) قصار : القصار والقصارى : الفاية .

(٢٣) ينظر : المصدر السابق ٢ : ٢٩٠ .

(٢٤) هو القاضي الامام جمال الدين يعقوب بن شيرين الجندي . كان تلميذاً
للامام الزمخشري .

(٢٥) مجموعة رسائله ١ : ٥٣ .

١٦٠ طواق دُرْ شعْرُهُ أم قصاصيد
وأوراق سحر نثره أم رسائل
فمن بدره للمهتدين مرشد
وفي صدره للمجتدين منازل (٢٦)

وكانت ملازمته لآتسز مبعث حسد الأدباء ، ومثار بث الحقد ، في صدر آتسز عليه ، من الوشاة ، مما دفع السلطان آتسز الى التغير عليه في أواخر أيامه . ومن هذا يتبين لنا أن الخوف قد أدى بالكثيرين ، ممن حول آتسز ، من شعراء وأدباء ، أن يتبوءوا هذا الفتى الطاريء على خوارزم ، تلك المكانة العالية في قلب السلطان ، واستكثروا عليه أن يشاركهم في ديوان الشعراء ، كما شاركهم في ديوان الكتاب . ثم امتاز عليهم بأن أصبح وزيراً للسلطان آتسز ، فاتهموه بالضعف في شعره ، كما اتهموه في أخلاقه ، ورموه بالغرور وسلطة اللسان ، وفحش الألفاظ ، حتى لقد رأى المستشرق براون BROWNE ان كثرة أعدائه وخصومه ، سببها حدة لسانه ، ولكننا نرى أن الحسد والمنافسة ، هما اللذان ولدا تلك العداوة ، وأوجدا تلك الخصومة بينه وبين أدباء عصره . ومنهم الشاعر أديب صابر ، الذي يقال إن آتسز ، أمر باغراقه في نهر جيحون في سنة ١١٤٧/٥٤٢ م (٢٧) . ومنهم الشاعر الخاقاني (٢٨) ، الذي هجا رشيد الدين ، وقدح فيه ، بسبب ما أبداه رشيد الدين من تحقير وتهوين لمنشأته كما يقال (٢٩) . فقد كان شعراء عصره ، يرسلون اليه أشعارهم ، لييدي رأيهم فيها ، ويظهر أنه كان صريحاً معهم في ابداء رأيهم ، وأن صراحته تلك قد أغضبتهم .

هذا الى أن الحياة السياسية ، قد لعبت دوراً هاماً في الخصومة ، التي

(٢٦) بدره : البدر : القمر الممتلئ .

المجتدين : جمع جاد وهو سائل الجدوى ، والجدوى : المطيعة .
ويجمع الجادي على (جداة) .

(٢٧) ينظر : تاريخ الادب في ايران . ص ٤١٧ - ١٨٤ .

(٢٨) هو افضل الدين بديل بن علي الخاقاني الشرواني . ولد سنة ٥٠٠ هـ . وتوفي سنة ٥٩٥ هـ .

(٢٩) ينظر : حقائق السحر في دقائق الشعر . ص ٣٥ .

كانت بينه وبين أدباء عصره ، ولا سيما الشاعر أنوري ، والشاعر أديب صابر ، الذي كان نديماً للسلطان سنجر ، في الوقت الذي كان فيه رشيد الدين ، كاتب اتسز الخاص ، وشاعر بلاطه ، ولهذا ساءت العلاقات بينهما ، نتيجة سوء العلاقة بين السلطانين ، ووصل الأمر بالشاعرين الى التهاجي بأفحش العبارات والأقوال ، بعد أن تمادحا بأرقّ الألفاظ (٣٠) .

بلغ رشيد الدين مكانة عالية ، في بلاط اتسز ، في ديوان الشعراء ، وفي ديوان الانشاء أيضاً . وكان هو كاتب اتسز ، لتمكنه من صناعة النثر، وصناعة الشعر . وظل شاعر بلاطهم ، يمدح ويسجل انتصاراتهم ، ويهجو أعدائهم ، حتى آخر أيامه ، كما ظل نائراً يجيد ما يطلب منه تحريره في ديوان الانشاء . وله في هذا رسائل كثيرة ، الى الملوك والوزراء والعظماء ، سنوفيتها حقها ، حينما نتكلم عنه نائراً

وبقيت هذه حاله ، حتى توفي اتسز ، فرثاه ، بقصائد كثيرة (٣١) ، ثم ظل يعمل مع ابنه احتراماً وتقديراً ، لذكرى والده ، حتى توفي الابن فعمل في خدمة ابنه علاء الدين تكش . ويقال : إنه في يوم تملكه عرش خوارزم ، سنة ٥٦٨ هـ ، حمل اليه رشيد الدين الوطواط ، في محفة لكبر سنه ، اذ كان قد جاوز الثمانين ، فهناه الوطواط برباعية (٣٢) ، وهكذا بقي رشيد الدين الوطواط ، في بلاط الخوارزميين شاعراً مكرماً حتى توفي سنة ٥٨٧ هـ .

(٣٠) ينظر حقائق السحر . ص ٤٤ .

(٣١) تنظر رباعيته في رثاء اتسز ، في ديوانه . ص ٦١٥ . وتظهر فيها عاطفة الشاعر ، وحبه لاتسز .

(٣٢) ينظر ديوانه . ص ٦١٢ ، الدريرة الى تصانيف اهل الشيعة ٦ : ٢٨٦ .

شعره :

يعدّ رشيدالدين من أغزر الشعراء الوافدين أو الطارئین على هذا الاقليم شعرا . وقد خلف ديوان شعر باللغة الفارسية ، يشتمل على خمسة عشر ألف بيت من الشعر ، على حد قول براون ، نقلاً عن دولتشاه^(١) . كما خلف أشعاراً متفرقة ، باللغة العربية ، نجد بعضها في كتابه : حقائق السحر في دقائق الشعر ، وبعضها في رسائله التي كتبها باللغة العربية ، والتي سنوفيها حقها من الدراسة ، حينما ندرسه كاتبا .

أما ديوانه الشعري ، فإنه تناول فيه أكثر الأغراض المعروفة ، في الشعر العربي ، والمدح هو الغالب عليه ، وأكثره في مدح السلطان اتسز . وله قصائد في الذم والهجاء ، وجهها الى الشاعر ، أديب صابر^(٢) ، وإلى الشاعر أنوري . وله بالإضافة الى هذا أبيات في التهئة ، وأخرى في التشوق ، والنصيحة والرجاء .

أما قصائده بصورة عامة ، فتمتاز بأنها من باب الفخر والحماة ، وبها المبالغات التي اعتادها شعراء المدح في ذلك الوقت .

نقول إنّ المدح هو الغالب ، على شعر الوطواط ، ولا عجب في ذلك ، فالشاعر بدأ حياته وختمها شاعراً رسمياً ، في خدمة الخوارزمشاهيين ، ووزيراً لأبي المظفر خوارزم شاه ، هذا بالإضافة الى ملازمته لهم في سفرهم وحضرهم ، وخدمته لهم ، وتلبية لرغباتهم . وقد أثر هذا في تأليفه ، فلم يستطع على الرغم من مكاتته الأدبية والعلمية ، أن يتحفنا بكثير من المؤلفات ، لاشتغاله بمهام أولياء نعمته ، يضاف الى هذا أنه كان يحب السلطان اتسز حباً جما ، فكان صادق العاطفة في مدحه ، ولم ينس قط أنه ولي نعمته وفضله .

هذه بعض أحوال رشيدالدين الوطواط ، التي تفسر لنا غلبة المدح على

(١) تاريخ الادب في ايران . ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٢) هو الاديب شهاب الدين صابر بن اسماعيل الترمزي .

شعره . وأما أحوال عصره العامة ، فواضح أنها كانت أحوالاً شجعت ، كما شجعت غيره من الشعراء ، على السير في هذا الاتجاه ، لما عرف عن الأمراء ، والحكام والملوك ، من حبهم للمدح ، وتقريبهم للشعراء المادحين لهم .

ومن الجدير بالذكر أن نشير ، إلى أن مدح هذا الشاعر ، لم يكن كله مدحاً خالصاً ، وإنما خالط القصائد فيه ، أغراض أخرى مثل الغزل الذي يستفتح به بعض قصائده ، سيرا على النهج التقليدي^(٣) . أو التشويق والعاطفة القوية ، التي تحملها أبياته في مدح أستاذه ، أبي سعد الهروي ، والتي سبق أن استشهدنا بها قبل قليل .

أما الوصف فقد طرقة الشاعر أيضاً ، وأجاده على الرغم من مبالغته فيه . وقد لاحظنا له في هذا الباب ، قطعة شعرية يصف بها قصر خوارزم شاه ، وفي رأينا أنه شاعر يحسن الوصف ، ويبدع التشايب والتراكيب ، ويستخدم الاستعارات والمجازات . على أنه — وإن أجاد في الوصف — شاعر مدح ، حتى يمكن أن يعد ديوانه من أكثر الدواوين اقتصاراً عليه — كما نوهنا — وقد بينا أن هذا ربما كان نتيجة معيشته في بلاط الخوارزميين ، وفي رعايتهم .

وفي وصفه للقصر ، نجده يصوره متجهاً للسعادة ، ولا متجه غيره ، على حد قوله ، ولذلك فإن الزمان قد وقع في حيرة من وهمه ، وأن النجم قد وقف في مكانه اعتباراً له^(٤) .

وها نحن نورد نماذج من شعره في المدح ، ليكون القارئ على بينة منه . قال في صدر الدين نظام الدين ، رئيس جرجان^(٥) :

(٣) ينظر ديوانه . ص ٣٣ — ٣٤ . قصيدة في مدح السلطان اتسر . يبدأ بالغزل ، ثم يتخلص منه إلى المدح . والقصيدة مكونة من ١٦ بيت .

(٤) ينظر ديوانه . ص ٦٠٣ ، والقصيدة مكونة من عشرة أبيات . وفي ص ٩٩ له قصيدة في وصف بلخ ، مكونة من عشرين بيتاً ، يتشوق فيها إلى موطنه ويحن إليه ، ويصفها بكل وصف جميل . وفي ص ٤٠٨ له قصيدة أخرى في وصف قصر خاقان كمال الدين محمود ، مكونة من ٢٥ بيتاً ، يصفه بأنه روضة المجد ، وبيضة الدولة ، وكعبة العز .

(٥) تنظر مجموعة رسائله ١ : ٦٤ .

لله شبل نظام الدين أن لله
 طبعاً بدائعهم في الأرض منتشر
 فالنظم دُرّ يشوق النفس منتظم
 والنثر وردّ يروق العين منتشر
 وقال فيه أيضاً :

جنا بك صدر دين الله حصن
 لأهل الفضل من ثوب الزمان
 وصدرك في الخطوب إذا ألمت
 محط رجال أولاد القسيران^(٦)
 وجودك دونّه فيض الغواصي
 وعزمك دونّه حدّ السنان
 وبابك فيه مسكن كل عاف
 وعفوكم فيه مأمن كل جان
 غدوت قريع فرسان القواصي
 وحائز خصلها يوم الرهان^(٧)
 لقد بلغت قاصية المعالي
 كما ملكت ناصية المعاني
 وأعجزت الأفاضل وقت نطق
 بمعجزة الفصاحة والبيان
 يشق سناك جلباب الليالي
 وجنح ظلامها ملقى الجيران^(٨)
 فالشاعر يمدحه بالفضل والشجاعة ، والكرم ويمدحه بالفصاحة والبيان .

- (٦) القران : القوة . والقران من القوم : سيدهم .
 (٧) الخصل : الغلبة . أي انه غلب المتراهنين وفضلهم .
 (٨) الجران : مقدم العنق .

وفي مدح ضياء الدين علي بن جعفر قال (٩) :

وَقَالَكَ اللَّهُ نَائِبَةً اللَّيَالِي وَصَانِكَ مِنْ مَثَلَمَاتِ الزَّمَانِ
جَنَابُكَ رَوْضَةُ الْإِقْبَالِ تَزْرِي أَطَائِيثُهَا بِرَوْضَاتِ الْجَنَانِ
يَشْقُ إِذَا بَدَأَ بَدْرُ الدِّيَاجِي جَبِينُكَ وَالْدَجَى مَلَقَى الْجِرَانِ
أَيَا ابْنَ الْمُصْطَفَى فَتَقَتِ الْبَرَايَا بِأَصْنَافِ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي
غَدَا وَلَدَاكَ بَلْ عَضُّدَاكَ بَحْرًا وَسَيْفًا بِالْبَيَانِ وَبِالْبَنَانِ
هُمَا غَيِّثَانِ لَكِنْ فِي الْعَطَايَا هُمَا لَيِّثَانِ لَكِنْ فِي الطَّعْمَانِ
فَهَذَا مَا لَهُ فِي الْعِلْمِ نَدَى وَهَذَا مَا لَهُ فِي الْجِلْدِ نَائِي (١٠)

فالشاعر يبدأ قصيدته ، بالدعاء للممدوح ، ثم يمدحه بالانتساب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمدحه بالعلا وبالقصاحة ، والكرم والشجاعة .

ومن أبياته المضمنة قوله في مدح السلطان اتسر (١١) :

ثُغُورُكَ مِثْلُ عَقْدِ الدَّرِّ حُسْنًا وَعَقْدُ الدَّرِّ مِثْلُ سَيْقُ النَّظَامِ
وَوَجْهُكَ كَالْهَلَالِ إِذَا تَبَدَّى يَشْقُ سَنَاهُ أَوْدِيَةِ الظُّلَامِ
جَبِينُكَ سَاطِعٌ كَالْبَرْقِ مِنْهُ جَفُونِي هَاطَلَاتٌ كَالْغَمَامِ
وَجَفْنُكَ لَيْسَ يَدْعَى الْجَفْنَ إِلَّا وَفِي أَلْحَاطِهِ عَمَلُ الْحَمَامِ
يَمْلِكُنِي فِرَاقُكَ كُلَّ مِيلٍ عَلَى لَهَبٍ شَدِيدِ الْاضْطِرَامِ
أَبَيْتُ فِي جَفُونِي مَاءً حُزْنٌ وَمَا بَيْنَ الضُّلُوعِ لَطْفُ غَرَامِ (١٢)

(٩) ديوان رشيد الدين الوطواط . ص ٨٢ « والابيات باللغة العربية ، فهي مضمنة ، وفي ديوانه مثل هذا » .

(١٠) ينظر ديوانه . ص ٨٢ - ٨٣ . والقصيدة طويلة . اقتصرنا منها على هذه الابيات .

(١١) ينظر ديوانه . ص ٧١ - ٧٣ . وهي مكونة من ٣٢ بيتا ، بما في ذلك هذا التضمين .

(١٢) « لطف غرام » في الاصل « لطف غرام » . ويبدو انها مصحفة ، ولعل الصحيح ما اثبتناه .

كريم" في السخا كفتاه بحر خضّم زاخِرُ الأمواج طام
شعارُ نهامٍ للأيام زينٌ وحسنٌ علاه للإسلام حامي
فهو يمدحه بالجمال ، وكأنه يتنزل به ، ثم يبين له حاله ، وما يسببه له
فراقه ، ويتبع في ذلك طريقة العاشق ، الذي يث شوقه وآلامه لحبيته • ثم
يستمر في مديحه ، فيمدحه بالكرم والسخاء ، وحماية الدين •

ومن الجدير بالاشارة ، أن العادات غير العربية - مهما زالت - إلا أن
لها بقايا في النفوس ، من ذلك مدحهم الممدوح بالجمال ، فإن العرب لا يحبون
المديح للرجل بالصورة الجميلة ، كما أنهم لا يرحبون بأن يمدحوا بما يمدح
به الملوك وأفضل من ذلك ان يمدح الشخص منهم بصفات اسلامية ، ولذلك
فإن عبدالملك بن مروان ، قد غضب على ابن قيس الرقيات حين مدحه بهذا
في قوله :

يأتلق التاجُ فوقَ مفرقه على جبين كآتته الذهب
ويقال : إنَّ عبدالملك قال له : تمدحني بما يمدح به الأعاجم ، وتقول في
مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهابٌ من الله (م) تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ
ومما يلاحظ عليه أيضاً ، في هذه القصيدة ، تأثره بالمتنبي في أخذه بعض
معانيه في البيت الذي يقول فيه :

وجفئك ليس يدعى الجفن إلا وفي الحاظه عمل الحسام
مأخوذ من بيت المتنبي الذي يقول فيه :

ولذا اسمُ أَعْطِيَةِ العيونِ جفونها

من أَتْهَا عَمَلُ السيفِ عَوامِلُ

فهو يقول : إنَّما سميت أَعْطِيَةُ العيونِ جفونها ، لأنها ضمنت أحداقاً ،
تعمل عمل السيف (١٣) •

(١٣) ينظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ٣ : ٢٥٢ .

والذي يهمننا من ايراد هذه القصيدة بالذات ، هو تبيان عاطفة الشاعر الصادقة ، في مدحه لهذا السلطان ، وهي واضحة جلية في كل قصائده التي قالها في مدحه . وتتميز بجملاتها ، وبلاغة أسلوبها ، على الرغم من مبالغاتها المستحيلة (١٤) .

اما مدى اهتمام الوطواط بالصنعة البديعية ، وشغفه بها ، فيظهر في قصيدته هذه ، التي قالها في أحد الوزراء معدداً فضائله ، وأنعمة عليه (١٥) :

أيا مَنْ لِلْعِدَى مِنْهُ اخْتِرَامُ	ويا من للهدى منه احترامُ (١٦)
به لِقَبَائِلِ الشَّرْعِ اِثْتِلَافُ	به لِقَبَائِلِ الشَّرِكِ انْهَزَامُ
فَمَنْه لِمَنْ يَحَافِقُهُ حَيَاةُ	ومنه لِمَنْ يَخَالِفُهُ حِمَامُ
تُحَلَّى مِنْ مِيَامِنِكَ النَّوَادِي	ويجلى من مجاسنِكَ الظَّلَامُ
وَتَلْقَى فِي مَغَانِكَ الْأُمَانِي	وَيَلْقَى فِي أَيَادِيكَ الْمَرَامُ
وَلِلدُّنْيَا بَغْرَتُكَ ابْتِهَاجُ	وللعليا بعزَّتِكَ اغْتِصَامُ
فَمَا لِنَاءِ حَضْرَتِكَ انْقِطَاعُ	ولا لِبْنَاءِ دَوْلَتِكَ انْهَادُ
وَمِنْكَ لِحَامِدِ الْكَرَمِ انْسِجَامُ	ومنكَ لَخَامِدِ الْأَدَبِ اضْطِرَامُ
بَقِيَتْ وَفِي يَدَيْكَ الْكُلُّ مَلِكُ	وملك أنتَ تهوَاهُ زِمَامُ

ومن الملاحظ أن المسحة الدينية ، كثيراً ما تطفئ على مديحه ، كما يطفئ عليه الوصف الحي أو الوصف الجسمي - إن صحَّ هذا التعبير - أحياناً .

(١٤) تنظر قصائده في مدح هذا السلطان ، في ديوانه وفي صفحات كثيرة منه : ص ٥ - ٩ قصيدة مكونة من ٥٧ بيتاً ، ص ٨ - ٥٠ قصيدة مكونة من ٢٣ بيتاً ، ص ٦٦ - ٦٨ قصيدة مكونة من ٤١ بيتاً . كما تنظر الصفحات التالية : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٨ . وغيرها فالديوان مليء بمدحه .

(١٥) مجموعة رسائله ١ : ٥٠ .

(١٦) اخترام : الخرم : مصدر قولك : خرم الخرزة يخرمها ، أي فصمها . وانخرم الثقب : انشق وانقطع . والشاعر يريد أن يقول : ان الممدوح قاهر أعداءه ، ولذلك فكانهم مقطعون أربا أربا منه .

هذا بالإضافة الى مدحه بالصفات المتعارف عليها عند العرب ، من كرم وشجاعة ، وعزة وإباء • ولكنه يغلف كل ذلك بهذه المسحة الدينية ، التي تكاد تغطي على أكثر أشعاره • واسمعه يقول : من كتاب بعثه الى بعض العترة النبوية (١٧) :

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ الَّذِي صَوَّبُ كَفَّهُ
يَجْتَلِ صَوْبَ الْمُزْنِ وَالْمُزْنُ هَاطِلُ
غَدَوْتَ وَقَيْتَ الثَّرَّ أَكْرَمَ مَا جَدُ
إِلَى صَدْرِهِ الْحُرُوسُ تَطْوِي الرُّوَاهِلُ
ضَمِيرُكَ وَالْآدَابُ بِحَرٍّ وَلَوْ لَوُ
وَطَبْعُكَ وَالْأَلْفَافُ غِيَمٌ وَوَابِلُ
جَنَابُكَ فِيهِ لِلْجِياعِ مَطَاعُمُ
وَبَابُكَ فِيهِ لِلْعِطَاشِ مَنَاهِلُ
تَفَرَّعْتَ مِنْ دَوْحِ الرِّسَالَةِ شُعْبَةً
إِلَى ظِلِّهَا الْمَدُودِ تَأْوِي الْأُمَاطِلُ
قَبِيلُكَ الْعَالِيَا لَهَا الْفَخْرُ كُلُّهُ
إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمَ الْفَخَارِ قَبَائِلُ
فَمَا فِي تَصَابِ دُونَ أَصْلِكَ مَفْخَرُ
وَلَا فِي كَلَامِ دُونَ نَظْمِكَ طَائِلُ
بَلْ اخْضَرَّ عَوْدُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحِجَى
وَعَادَ إِلَيْهِ مَأْوُهُ وَهُوَ ذَائِلُ
فَجَدَّدْتَ رَسْمَ الْمَجْدِ وَالْمَجْدُ دَارِسُ
وَأَشْنَهَرْتَ صَيْتَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلُ خَامِلُ
فَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلُكَ مَفْضِلُ
وَلَا فِي بِلَادِ اللَّهِ مِثْلُكَ فَاضِلُ

بَقِيتَ هَنِيءَ العِشْرِ مَا جَنَّ غِيْهَبٌ
 وَعَشْتُ رَخِيَّ البَالِ مَا حَنَّ بَازِلٌ^(١٨)
 وَخَصْمُكَ فِي بُرٍّ مِنَ الذِّلِّ وَقَعُ
 وَسِلْمُكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعِزِّ رَافِلٌ

فالشاعر في قصيدة المدح هذه ، يضيف على المدوح كل الصفات المحببة الى النفس ، من كرم وحلم وفضل ، وعقل وحكمة ، ونسب رفيع . وقد صاغ كل ذلك ، بأسلوب جزل عذب ، سهل الألفاظ ، غلبت عليه عاطفته الصادقة ، وطفئت عليه نزعته الدينية ، فجاء متدفقاً جيّاشاً ، مليئاً بالمشاعر المتصارعة ، والوصف المتدفق .

وفي هذا قال أيضاً ، في الامام فخر الدين ، أبي ثابت ، عبدالعزيز بن عبد الجبار الكوفي ، مفتي نيسابور ومدرسها :^(١٩)

صَنَائِعُ فَخْرِ الدِّينِ عِنْدِي كَثِيرَةٌ
 تَقَاصَرُ عَنْ اَعْدَادِهَا عَدَدُ الْقَصْرِ^(٢٠)

فَكَو نَظَمَ الرَّحْمَنُ عَقْدَ اجْتِمَاعِنَا
 نَثَرَتْ عَلَى اَعْطَافِهِ دُرَرُ الشُّكْرِ

وفي الامام محمود بن عمر الزمخشري ، قال الوطواط^(٢١) :

لَقَدْ حَازَ جَارُ اللَّهِ - دَامَ جَمَالُهُ -
 فَضَائِلَ فِيهَا لَا يَشْقُ غُبَارُهُ

(١٨) جن الشيء : اي ستره . وجن عليه الليل : اي ستره ، وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم . والغيب : ليل غيب : اي مظلم ، وجمعه غياهب .

والبازل : يقال جمل بازل وبزول . ويقال للذكر والانثى . وبزل بزلا وبزولا للبعير : فطر نابه وطلع . والبازل : الناقة في التاسعة .

(١٩) مجموعة رسائله ١ : ٤٢ .

(٢٠) تقاصر : اي تضائل .

والقصر : الحطب الجزل .

(٢١) مجموعة رسائله ٢ : ٢٨ - ٢٩ .

تَجَدَّدَ رَسْمُ الْفَضْلِ بَعْدَ انْتِشَارِهِ

بِاثَارِ جَارِ اللَّهِ جَارُهُ

ولرشيد الدين شعر كثير في هذا الباب ، ولكننا نكتفي بما ذكرنا ، فإنه كفيل بأن يلقي بعض الضوء ، على هذه الناحية ، من شعر الوطواط .

أما الرثاء فقد أجاد فيه الشاعر ، كما أجاد في المديح ، لأن رثاءه كان نابعا من عاطفة قوية ، هي العاطفة التي رأيناها واضحة في مدحه للسلطان اتسز ، وتلك العاطفة الصادقة ، التي تمثلت في رثائه للشخص نفسه ، الذي رعاه وحماه ، فأحبه وأخلص له ، ورثاه بالدمع السخي الغزير . وفي ديوانه الكثير من هذا الرثاء (٢٢) ، الذي يمثل لنا جانبا انسانيا ساميا ، ويحمل كل معاني العاطفة الصادقة ، واللوعة والحسرة العميقة ، في نفس الشاعر ، والتي عبر عنها بتلك الرباعية ، التي يقول فيها (٢٣) :

شاهها فلک از سیاست می لرزید

پیش تو بطبع بندگی می ورزید

صاحب نظری کجاست تادر نگرد

تا آن همه مملکت بدین می آرزید

فالشاعر في هذه الأبيات يقول: أيها الملك .. لقد كان الفلك يرتعد لشدة قهرك .. وكان ينقاد طواعية لأمرك .. فأين من يتعظ ، لينظر في قبرك ، وهل كان كل هذا الملك ، ليساوي هذه النهاية - عندما غيبوك في قبرك ..

(٢٢) ينظر ديوانه ص ٥٧١ قصيدة قيلت في رثاء جمال الدين يوسف ، متكونة من عشرين بيتا . وفي ص ٥٨٤ قصيدة في سبعة أبيات ، في رثاء شخص اسمه فخر الدين . وفي ص ٦٠٩ بيتان في رثاء شخص اسمه نصره الدين . وفي ص ٥٧١ بيتان في رثاء نصره الدين اتسز . وفي ص ٥٢٦ قصيدة في رثاء سيد معزالدين ابن بهاء الدين علي بن جعفر نعمة ، في ١٠٩ أبيات . ومثل هذا كثير في صفحات أخرى من ديوانه .

(٢٣) ينظر ديوانه . ص ٦١٥ ، تاريخ كزیده . ص ٨٥ ، وفيه (سلطنت) بدلا من « مملکت » . و « باين » بدلا من « بدین » . وينظر تاريخ جهانكشاي ٢ : ٨ .

ولعل رشيد الدين الوطواط ، نظم ديوانه بالفارسية ، مع قدرته على ذلك في العربية ، ليؤكد بذلك مقدرته وكفايته في اللغتين .

ولم يقتصر الوطواط في شعره ، على هذين الغرضين ، وإنما طرق أغراضاً أخرى ، حيث نراه تارة يرجو ، وأخرى يتشوق ، ويوصي ويهنيء ويشكر .

ومن التهئة قوله في صدر الأئمة ، خطيب خوارزم ، يهنئه بالجلوس للدرس ، في مدرسة ، ويهديه كتابين (٢٤) .

يا قدوة الإسلام يا كهف الهدى
صدر الأئمة أخطب الخطباء
يا من اذا عند العلوم وأهلها
عقدت عليه خناصر الكبراء
لك خاطر " كالنار وقت تلهب
لك منطق " كالسيف وقت مضاء
لك راحة " للناس فيها راحة"
تربى صنائعها على الأنواء (٢٥)
هنأت مدرسة " بجاهك جاوزت
شرفات مفرها ذرى الجوزاء
فيها تجدد رسم دين المصطفى
وبها اضحل مراسم الأهواء
هناكم " وسرت وجهي خجلة
إذ ليست الدنيا لكم بكفاء

(٢٤) تنظر مجموعة رسائله ٢ : ٣٤ . وورد الشطر الاول من البيت غير موزون ، ولذلك رأينا ان نصوبه وكان كما يلي : يا قدوة الاسلام كهف لهدى . والصواب يا كهف الهدى .

(٢٥) الراحة الاولى : كتابة عن الكف ، وتطلق على البدعامة . والراحة الثانية : عدم التعب . وهي هنا كناية عن الكرم .

والله لا أرضى السماءَ وشبهها

لكَ في جليلِ القَدَرِ شِسْعَ حِذاءِ (٢٦)

فالشاعر في هذه القصيدة يهنيء وهو يمدح ، ذلك المدح المعروف عنه، في مبالغته التي تخرج به أحياناً ، الى أن يكون مدحه ممجوجاً ثقيلًا ، كما في بيته الذي يقول فيه :

والله لا أرضى السماءَ وشبهها لكَ في جلالِ القَدَرِ شِسْعَ حِذاءِ

كما نراه يكرر المعاني نفسها التي رأيناها عنده من قبل ، من المدح بالعلم والفضل ، والجود والكرم ، واهتمامه بالمعاني الدينية ، في أكثر أبياته .

ومن التوصية ما كتبه إليه أيضاً ، يعترف بما له عليه من الأيادي ، ويستوصيه بأخيه خيراً (٢٧) :

غَمَامُ نَدَى صَدْرُ الْأُئْمَةِ سَاكِبُ

وَنَجْمُ علا صَدْرِ الْأُئْمَةِ ثاقِبُ

وناديه للرشودِ فيه مراتعُ

وواديه للورودِ فيه مشارِبُ

هو البحرُ والأجوادُ طُرّاً مذائبُ

هو البدرُ والأمجادُ طُرّاً كواكبُ

فأفعالهُ للمعضلاتِ صَوَالِحُ

وأقواله في المشكلاتِ صَوَائِبُ

وعَرَصَتُهُ مَثْوًى لِمَنْ هو راغِبُ

وَعَقْوَتُهُ مأوى لِمَنْ هو راهِبُ (٢٨)

(٢٦) جاءت في الاصل « وشبهها » ولعل الصواب ما اثبتناه .

(٢٧) ينظر مجموعة رسائله ٢ : ٣٥ .

(٢٨) عقوته : العقوة والعقاة : الساحة ما حول الدار والمحلة ، وجمعها عقاء . وقيل : عقوة الدار : ساحتها . وقيل : ما حول الدار وقريبا منها .

وَسُدَّتْهُ تَرْجَى لَدَيْهَا رَغَائِبُ
وَحَضَرَتْهُ تَرْجَى إِلَيْهَا رَكَائِبُ

ويسير على هذا المنوال في المديح ، تارة شعراً ، وتارة ثراً حتى يصل الى غايته في نهاية الكتاب ، وهي التوصية بأخيه ، حيث يقول :

« عبده أخي عمر - أيده الله في عاجله ، وأسعده في آجله - تركته بالبلد معتضداً بعنايته الكريمة ، معتمداً على رعايته العظيمة فآلتوقع من أعراقه الطاهرة ، وأخلاقه الزاهرة ، أن يختصه باكرامه ، ويستخلصه لأنعامه ... » .

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النمط ، الذي يغلب فيه غرض المدح ، على الغرض الرئيس ، الذي قيلت من أجله وهو التوصية . وهو في معانيه ، لا يتعدى الصفات التي رأيناها يضيفها على ممدوحه من قبل ، وهي صفات معروفة ، في الأدب العربي ، كتشبيهه الممدوح بالعمام الندي ، والبحر الواسع في الكرم ، وبالنجوم في العلو والرفعة ، والمنزلة الرفيعة العالية . والوطواط غير سباق في بعض معانيه وتشبيهاته ، ولا سيما في بيته الذي يقول فيه :

هُوَ الْبَحْرُ وَالْأَجَادُ طُوراً مَذَانُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالْأَمْجَادُ طُوراً كَوَاكِبُ (٢٩)

فهذا مأخوذ من شعر النابغة الذبياني ، في مدحه للنعمان بن المنذر ، في قوله :

فإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ

وكتب الى أحد القضاة ، يهديه في عيد الأضحى ، مجلدة من رسائله العربية ، قال فيه (٣٠) :

(٢٩) المذانب : جمع مذنب : مسایل الماء أو الجدول اذا لم يكن واسعا .
(٣٠) ينظر مجموعة رسائله ١ : ٨٣ .

لا قضي قضاة المشرقين مكارم
 تزيد على النوء الربيعي امدادا
 هو الطَّوْدُ طَوْدُ العِلْمِ من نَسْلِ معشرٍ
 أكابرٍ كانوا للشريعةِ أَطْوَادا
 اجلُّ رجالِ السيادةِ محتدا
 وأصدقُ أَجْوَادِ البسيطةِ ميعادا
 وأصوبُهم في مشكلِ الأمرِ أسهُما
 وأصلبُهم في مُعضِلِ الخطبِ أعْوَادا
 فكيفَ اهتبهَ بعيدٍ وقد غدا
 بهِ كلُّ أيامِ البريةِ أعْيادا

وهو في قصيدته هذه ، لم يجد عما جاء به من قبل من المعاني الدينية ،
 ومن المدح الذي يغلب على الغرض الرئيس ، الذي قيلت من أجله الأبيات •
 وله من قصيدة يشكر فيها ، قوام الدين سهيل بن عزيز المستوفي ، على
 زيارته في بيته ، لأن تلك الزيارة ، رفعت مقامه في أعين الناس ، على حد
 قوله • وتلك الأبيات هي (٣١) :

قد زُرْتُ يَا مَلِكَ الْأَفَاضِلِ مَنْزِلِي
 فَرَفَعْتَهُ عِنْدَ ذَوِي الْمَنَاصِبِ مَنْصِبِي
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جَمَّةٌ
 لِيثٌ يَمِيلُ إِلَى زِيَارَةِ ثَعْلَبِ

(٣١) ينظر مجموعة رسائله ٢ : ٦ ٨ •

سمات شعره :

يلاحظ على شعر رشيد الدين ، كما يلاحظ على شعر غيره ، من شعراء هذا الاقليم ، أنه يسير على الخط التقليدي ، في الشعر العربي . وعلى الرغم من أن رشيد الدين ، كان يسير على هذا النهج ، الذي سار عليه سابقوه ، كأبي بكر الخوارزمي وغيره ، إلا أن له سماته الخاصة ، التي تظهر واضحة جلية عنده ، في المديح خاصة . فالشاعر يشتط في الغلو والمبالغة فيه ، ولا سيما حين يمدح السلطان اتسز ، فإنه بدافع من عاطفته الصادقة في حبه ، واعترافه بجميله ، وحمائته له في بلاطه ، يضيف عليه صورا مستحيلة ، ولكنها — على بعده فيها — تبدو جميلة ، حين تقرأ بلغتها الفارسية . ولننظر اليه وهو يقول ما معناه : إِنَّكَ الملك المظفر ، والدهر خادملك ، والدنيا مسخرة لك ، والفلك تابعك ، وقدرك أعلى من الفلك (١) .

فالشاعر في كل قصائده هذه ، يسرف كما نرى في صفاته ، فيضيف على ممدوحه ، أسى آيات العدل ، ذلك العسدل الذي جعل الحيوان الأليف كالحمار ، يعيش في طمأنينة تامة ، مع الحيوان المتوحش وهو الأسد ، ويشربان من مورد واحد ، دون أن يفكر الأسد في الفتك بالحمار ، لأن عدل الممدوح ، قلع أساس الفتنة والظلم ، وبأسه أزال قوة الماء والنار ، وإن المشرق والمغرب وجدا الطمأنينة فيه ، لأنه ملجأهم في السراء والضراء (٢) .

وبعد هذا نقول : إن فن المدح في شعره ، هو أهم فن يمكننا ملاحظته ، وإن الطابع العام الذي يغلب عليه ، هو جنوحه الى المبالغة والغلو ، واضفاء الصفات الحسنة التي ترضي النفس البشرية ، على ممدوحه ، مضفيا على أكثر معانيه مسحة دينية ، تتصل بنصر الاسلام ، والدين الاسلامي ، والنسب

(١) تنظر الابيات بلغتها الاصلية « الفارسية » في ديوانه . ص ٥٠ - ٥٥ .
وفي صفحات كثيرة من ديوانه ، تتخلله مثل هذا النوع من المديح .
ينظر أيضا ص ٧٨ ، ٩٢ .

(٢) ينظر في مثل هذا الذي ذكرنا ، قصائده في ديوانه . ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ .

للسول الكرم . وبعضها ىعلق بالعدل ، وبعضها كمعاني الجاهلن ، مثل النابغة الذباني ، وبعضها كمعاني المتنبي وغبه .

وربما ىرجع تعلقه بهذا ، نسبته الى العرب ، والى الخلفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأما غلوه فى المذب ، فربما مرّد ذلك هو مبل الفرس الى مثل هذا الغلو ، ولس ببعب ان ىتأثر الشاعر بالمحيط الذى عىش فىه .

ومن السمات الأخرى ، التى مكننا ملاحظتها فى شعره ، غرامه وشغفه بالمحسنات الببعية، وأسرافه فىها ، الى البء الذى قء يؤبى الى فساء الصورة، والى تشوبه جمال القصبءة . وقء كان مغرمأ بصناعة الترضع حتى اءعى أن أءأأ غبفه ، لم ىسبقه الى انشاء قصبءة كاملة ، ءخلها الترضع فى سائر أببائها ، وأنه المبتكر الأول لهذا النوع ، من بب الشعاء ، سواء منهم شعراء الفارسبىة ، أو العرببىة ، على ءء قول المشرق براون^(٣) .

ثم هناك ظاهرة تأثره بالحباة البقافبىة الزاهرة ، التى كان عىش فىها هذا الالبم ، وغبه ، من أقالب ما وراء النهر ، فى تلك البقبة وقء تمثلت فى شعره بقافته العرببىة ، التى كان بحرص عليها ، وبفخر بها ، فظهر ذلك واضأأ ، فى قوة ألفاظه ، وفى ببانه وبلاغته .

أما صناعته الببعبىة ، فقء كانت كما قلنا ، السمة الظاهرة فى شعره ، لأن غرامه بها طعى على أسلوبه الشعربى ، كما طعى على أسلوبه البثرى ، وهذا ما ءفع بالبكبرن^(٤) الى أن بتهموه ، بأن أشعاره ءالبىة من الرقة واللطف ، اللبزن نبس بهما فى أشعار طائفة من معاصربه . هذا مع أن أشعاره العرببىة منها والفارسبىة ، قوة التركب ، محكمة البناء .

وبن نقول : ربما كانت مراعاته للببعب ، فى أغلب مصاربعه ، وبببهاءه فى ألا بترك ببأ من أببائه ، ءالبأ من الترضع ، أو الموازنة ، أو ما شابه ذلك من الصناعات الببعببىة ، هو الذى أضفى على شعره ، تلك السمة التى كانت سببأ فى أن بتهم بذلك .

(٣) بظر كتابه : باربب الاءب فى ابران . ص ٤١٨ - ٤٢١ .

(٤) مضم الءكتور ابراهبم امبب الشوارببى ، فى مقءمته لكتاب ءقائق السحر فى ءقائق الشعر . ص ٢٤ .

ومن أشعاره التي ظهرت فيها الصنعة واضحة جلية ، قوله من
الترصيع^(٥) :

يا بانيَ الفَخْرِ الأَشَمِّ يا ثانيَ البَحْرِ الخِضَمِّ
أَنْتَ المَقْدَمُ في الهُدَى أَنْتَ المَعْظَمُ في الأَمَمِ
مَعْنَاكَ لِلرَّاجِي حِمَى وَذَرَاكَ لِلْأَجِي حَرَمِ
اللَّيْثُ دُونَكَ في الوَعَى وَالْفَيْثُ دُونَكَ في الكَرَمِ
تَلْقَى بِحَضْرَتِكَ المُنَى تَنْقَى بِغُفْرَتِكَ الظُّلَمِ
ومن السجع المتوازن قوله^(٦) :

هُوَ الشَّمْسُ قَدْرًا وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ
هُوَ الْبَحْرُ جُودًا وَالْكَرَامُ مَذَانِبُ
ومن رد العجز على الصدر قوله^(٧) :

لَقَدْ حَازَ أَقْسَامَ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا فَأَمْسَى وَحِيدًا فِي فَنُونِ الْفَضَائِلِ
ومن قوله في التشبيه ، وهو من التشبيه المشروط^(٨) :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَقْوَلُ
ومن تشبيه التسوية قوله^(٩) :

صُدَّغُ الْجَبْرِ وَحَالِي كِلَاهُمَا كَالْيَلَالِي^(١٠)

- (٥) ينظر المصدر السابق . ص ٩١ .
والترصيع : هو استواء آخر جزء في صدر البيت ، وآخر جزء في عجزه ،
في الوزن والروي والأعراب . وهو أليق ما يكون في مطالع القصائد .
(٦) ينظر حقائق السحر . ص ١٠٧ .
(٧) المصدر السابق . ص ١١٣ .
(٨) المصدر السابق . ص ١٤٢ . والتشبيه المشروط : نوع من أنواع فن
التشبيه .
(٩) المصدر السابق . ص ١٤٤ .
(١٠) الصدغ : الشعر المتدلي على ما بين لحاظ العين ، الى أصل الأذن . اي
على المنطقة التي تسمى بنفس الاسم .

تَغْشَوْرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَدْمُعِي كَالسَّلَالِي
ومن ارسال المثل قوله (١١) :

تَحْيِّرُنِي مِنْ طَرْفِهِ لِحَظَاتِهِ
وَهَلْ فِي الْوَرَى مِنْ لَا يَحْيِرُهُ السَّحَرُ
أَرَى مِنْهُ جَمْرًا مُضْرَمًا فِي جَوَانِحِي
وَكُلِّ مَجْبٍ فِي جَوَانِحِهِ جَمْرُ
لَقَدْ عَيْلَ فِي الْأَحْزَانِ صَبْرِي كُلَّهُ
وَمَنْ خَالَفَ الْأَحْزَانَ خَالَفَهُ الصَّبْرُ
عَشِقْتُ وَقَلْبِي ضَاعَ فِي الْعَشْقِ سِرَّهُ
وَفِي أَيِّ قَلْبٍ يُجْمَعُ الْعَشْقُ وَالسَّرُ
ومن المعنى قوله في الكعْبَتَيْنِ (١٢) :

ثَلَاثَةٌ أَبْطَالٌ يَغْيِرُونَ عُنُودَهُ
عَلَى كُلِّ مَالٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ فَائِدُهُ
يُعِينُهُمُ سِتٌّ وَخَمْسٌ وَأَرْبَعٌ
عُقَيْبٌ ثَلَاثٌ وَاثْنَتَيْنِ وَوَاحِدُهُ

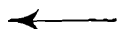
والحقيقة أن مثل هذه الشواهد كثيرة ، عند رشيد الدين الوطواط .
نراها ماثلة في كتابه : « حقائق السحر في دقائق الشعر » . ونرى أمثالها
شواهد في كتب العروض ، وفي مواضع مختلفة منها . وهذا يدل على قيمة
شعر الوطواط وأهميته (١٣) .

(١١) المصدر السابق . ص ١٥٥ .

(١٢) ينظر حقائق السحر . ص ١٧٢ . والمعنى : وهو أن يذكر الشاعر
اسم معشوقته بطريقة خفية ، أو يذكر اسم شيء من الأشياء في بيت
من أبياته بواسطة القلب ، أو الحساب ، أو التشبيه أو التصحيف ،
أو أي وجه آخر .

والكعبتين : الكعب والكعبة : مفرد كعاب وهي فصوص النرد .

(١٣) ينظر كتاب : المعجم في معايير أشعار المعجم « بالفارسية » ، فقد



إذاً فرشيد الدين الطوطا ، ذو منزلة شعرية عظيمة ، بين شعراء العرب ، فقد قال عنه ياقوت الحموي إنه : « أفضل زمانه في النظم والنثر ، وأعلم ، الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب » (١٤) .

وهذا ابن خلكان يقول فيه (١٥) : « كان أديباً فاضلاً بارعاً ، ذا نظم ونثر بالعربية وبالعجمية » .

ويقول محمد عوفي (١٦) : إن الطوطا ، كان صاحب فضل موفور ، صاد بأدبه قلوب ملوك الزمان ، وقيد به أرباب الدول ، لأن أدبه من الأدب الدائم ، الذي لا يندم ، حتى انقرض العالم . ولذلك لم يستطع أحد أن ينال ما ناله من غاية الكمال ، ونهاية المثانة في النظم والنثر .

وهكذا رشيد الدين الطوطا كان شاعراً ، وكاتباً بليغاً أيضاً . له الأسلوب الأخاذ ، وله ديوان رسائل منشورة ، سنوفيه حقه حينما تتكلم عنه نائراً أو كاتباً .

ولقد عده المؤرخون ، من أفاضل أئدانه ، وأفذاذ زمانه ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، كما رأينا ، وكان له من المقدرة الفنية ، ومن سرعة البديهة ، ما يستطيع به ، أن ينشيء في وقت واحد بيتاً بالعربية من بحر ، وبيتاً بالفارسية من آخر ، ويميلهما معا (١٧) .

وهكذا كان رشيد الدين ، علماً من أعلام الشعر العربي ، الذين ظهوروا في هذا الاقليم المسلم ، من أقاليم ما وراء النهر . كان شاعراً من شعراء العربية ،

استشهد فيه صاحبه ، بشعر الطوطا ، في مواضع مختلفة ، مثل التكرير في ص ٣٤٢ . والتجنيس في ص ٣٤٣ . والتزام القافية في ص ٣٨٦ . والمقلوب في ص ٤٣٥ . والتشبيه المعكوس في ص ٣٥٢ . (١٤) ينظر كتابه : معجم الادباء ١٩ : ٢٩ . وعنه أخذ السيوطي في بغية الوعاة ١ : ٢٢٦ .

(١٥) ينظر كتابه : ترجمات المتقدمين من الشعراء . ص ٢٥ .

(١٦) ينظر كتابه : لباب الالباب (بالفارسية) . ص ٧٨ .

(١٧) ينظر : معجم الادباء ١٩ : ٢٩ ، روضات الجنات ١ : ٧٧ .

الذين نشأوا في بلاد اسلامية ، بعيدة كل البعد عن مركز الخلافة الاسلامية ،
ومع ذلك جاء بالشعر الجيد ، والنظم الحسن ، اللذين ربما عدّ بهما من أبرع
شعراء العربية ، في القرن السادس الهجري ، في هذا الاقليم ، ومن الشعراء
الذين حملوا راية الأدب العربي ، في بلاد المشرق من الدولة الاسلامية • وهو
من أصحاب اللسانين : العربي والفارسي ، في منظومه ومنثوره •



الباب الثاني

النشر

- الفصل الاول : النشر وأشهر الناشرين
- الفصل الثاني : أنواع النشر
- ١ - نشر ادبي « نشر خالص - نشر تأليفي »
- ٢ - نشر علمي
- الفصل الثالث : أبو بكر الخوارزمي
- الفصل الرابع : أبو القاسم الزمخشري
- الفصل الخامس : رشيد الدين الوطواط

الفصل الأول

النثر العربي واشهر النثرين

تكلّمنا في الفصل الخاص بالاتجاهات الشعرية ، على الشعر العربي ، في هذا الاقليم . وقلنا إنّنا لا نعرف شيئاً عن الشعر الفارسي قبل الاسلام ، سواء في هذا الاقليم ، أم في غيره من الاقاليم الايرانية . كما أشرنا الى أن أكثر نقاد الأدب الايراني ، أشاروا الى أن الشعر الفارسي ، نشأ مع دخول الاسلام ، ومع تلاحم الأمتين : العربية والفارسية ، بلحام القرآن الكريم ، وحب العربية . كما تعرض المؤلفون والأدباء العرب^(١) لمثل هذا ، وقالوا: إنّ التّأليف من الموضوعات التي لم تكن رائجة ، في ايران قبل الفتح الإسلامي ، لغموض الخط الفهلوي^(٢) وابهامه . ولما تمّ فتح ايران ، قلّ التّأليف بالفارسية ، حتى عقلت بعد قرنين من ظهور الاسلام .

وهنا لا بدّ لنا من التساؤل ، عن حال النثر في هذا الاقليم ، قبل الفتح الإسلامي ، وهل أن حاله حال الشعر أم لا ؟ .
وجواب هذا أن نقول : إنّ أمر النثر لم يكن كذلك . نستدل على قولنا هذا ، بقول شمس الدين محمد بن قيس الرازي^(٣) ، في اثناء كلامه عن استهجان علماء عصر بهرام جور ، قوله الشعر كما رأينا ، ونصحهم له بالابتعاد عنه ، تنزهاً عن معاييه ، ومن أجل ذلك كانت مدائح باربد وأغانيه ، عند كسرى أبرويز ، كلها منشورة لا نظم فيها .

وفي كتاب الشعر والشعراء ، يقصر ابن قتيبة قول الشعر على العرب ،

(١) منهم الدكتور طه حسين وآخرون في كتاب : التوجيه الادبي . ص ٢١٢ ،

مطابع دار الكتاب العربي بمصر . سنة ١٩٥٤ م .

(٢) الفهلوية : لغة الفرس القديمة ، المنسوبة الى فهلة ، معرب « بهلة »

اسم يقع على اصبهان والري ، وماه ، ونهاوند ، ولندا واذربيجان .
كما ورد في معجم متن اللغة { : ٤٦٠ .

(٣) ينظر كتابه : المعجم في معايير اشعار اهل المعجم . ص ٢٣ .

ويجرد العجم منه • ومعنى هذا أنه لم يجرد هؤلاء من النثر ، وإنما جردهم من الشعر فقط •

نشأ النثر الفارسي الحديث ، في رعاية الأدب العربي ، وتحت سلطانه وطبع على غاراه ، في أكثر الأساليب والموضوعات • وإذا كانت هذه حال هذا الأدب ، فكيف بنا في الأدب الذي قيل باللغة العربية ؟ ••

من خلال دراستنا لتطور هذا النثر في هذا الأقليم ، نرى أن كتابه وجدوا في النثر العربي مثلهم الذي يحتذونه ، ومعينهم الذي ينهلون منه ، ولذلك حاكوا بلغاء الكتاب في رسائلهم ، فظهرت تلك المحاكاة واضحة ، في رسائلهم الديوانية ، ورسائلهم الخاصة ، التي كتبت - كما نرجح - على غرار رسائل ابن العميد^(٤) •

ولا نكاد نجد نماذج ذات شأن ، من نثر كتاب هذا الاقليم ، إلا ما نعرفه من نثر أبي بكر الخوارزمي ، ونثر أبي القاسم الزمخشري ، ونثر رشيد الدين الطواط • ولكن الذي لا شك فيه ، هو أن هذا الاقليم عرف الكثير من الناثرين ، الذين كان لهم حظ في هذا المجال ، يفوق حظهم من الشعر •

ومنذ سادت العربية هناك ، أصبحت بلادهم موطناً من مواطن الأدب العربي ، شعره ونثره ، وبقيت هذه حاله ، الى أن أغار التتار على بلادهم ودمروا حضارتهم •

وكان لأصحاب اللسانين ، الذين نظموا باللغة العربية واللغة الفارسية ، القدح المعلى في ذلك • وكان طبيعياً وقد أسهمت الكتابة ، في مختلف الشؤون السياسية ، للدولة الاسلامية اسهاماً فعالاً ، أن تسهم أيضاً في علاج الشؤون العامة ، الخاصة بالشعب المسلم الجديد • ومع الدولة السامانية ، ارتفع كما نوهنا سابقاً ، شأن البلاغة ، وظهر كبار الكتاب ، وابتعث الأدب بصورة عامة ، لاقبال أهل هذا الأقليم ، على تعلم اللغة العربية ، بسرعة عجيبة • ومع

(٤) وهو أبو الفضل ابن العميد • من الكتاب الشعراء الاذكياء • ولذلك يلقب بندي الكفايتين • توفي سنة ٣٦٦ هـ • كما ورد في معجم الادباء ٥ : ٣٤٧ ، وفي الاعلام ٥ : ١٤٣ • اما في النثر الفني ٢ : ١٩٣ فقد جاء فيه ان وفاته كانت سنة ٣٥٩ هـ •

أن معظم حكام هذه الدولة ، كانوا من الفرس ، وكانت اللغة الفارسية ، هي اللغة الرسمية في أيامهم ، كما لاحظنا ، حين تكلمنا عن الحالة السياسية ، إلا أنهم حموا في قصورهم كتاب اللغة العربية ، الى جانب كتاب اللغة الفارسية ، وكانت هذه حالهم مع الشعراء كما رأينا .

ولسنا نريد من هذا ، أن نتعرض للنثر الفارسي في هذا الاقليم ، وإنما لنندل على أن النثر العربي ، قد سائر النثر الفارسي ، وسار معه جنباً الى جنب ، مثله في ذلك مثل الشعر .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى أن بحثنا للنثر ، سينصب على القرن الرابع الهجري ، والقرنين التاليين ، لعدم توفر نماذج ثرية لدينا قبل هذه الحقبة ، مثله في ذلك مثل الشعر . وقد آتانا ثرهم بأجلى صوره ، في القرن الرابع الهجري ، على يد الكاتب الكبير ، أبي بكر الخوارزمي ، وغيره ممن نبغوا في هذا الاقليم .

وبما أن أكثر الناثرين هم الشعراء ، فانه كما سبق أن نوهنا ، أثناء كلامنا على الشعر واتجاهاته ، وقلنا إن الشعر الفارسي القديم ، لم يكن معروفاً لدى أولئك الشعراء الذين نظموا باللغة العربية ، ولذلك كان تأثرهم بالأدب العربية ، تأثراً سريعاً ، كذلك نقول عن النثر والناثرين ، وفي هذا جواب عن الدهشة التي تصيب القاريء ، من الصورة البليغة ، التي وصل اليها نثر أبي بكر الخوارزمي ، وغيره من أدباء هذا الاقليم ، الذي كان أعجيباً قبل الفتح ، وثم تركياً بعده وتحت حمايته ، وذلك بسيطرة حكامه الأتراك ، من السلاجقة والخوارزميين .

وقد عرف إقليم خوارزم ، طائفة من الأدباء الكتاب ، الذين كان بعضهم قد أسهم بنشاط ثري غزير ، كأبي بكر الخوارزمي ، وأبي القاسم الزمخشري ، ورشيد الدين الوطواط ، ووجدنا الشيء القليل عند غيرهم . وليس معنى هذا أنهم لم ينتجوا الا هذا القليل الذي وجدناه ، وإنما سبب ذلك — كما نرجح — ضياع منتوجهم ، مثله في ذلك مثل شعرهم ، وكثير من علومهم ومعارفهم ، ابان الغزو التتاري ، الذي أصاب هذا الاقليم ، ودمر كل شيء ، وذلك في سنة ٦١٨ هـ .

ومن خلال دراستنا للحياة الأدبية ، رأينا ظهور جيل من الناثرين ، الذين كانوا يكتبون في دواوين الدول ، التي تعاقبت على حكم هذا الاقليم ، فكانوا يمدحون وينادمون ، ويملون في المدارس ، ويؤلفون الكتب في أكثر الميادين .
ومن خلال دراستنا لرسائل أبي بكر الخوارزمي ، ومقامات أبي القاسم الزمخشري ، ومقالاته في كتابه أطواق الذهب ، ورسائل رشيد الدين الوطواط ، وبعض الرسائل الأخرى ، التي استطعنا الحصول عليها ، مما تبقى من نثرهم ، نستطيع القول : إنّه من الملاحظ على نثرهم ، انه كان متأثراً بنثر القرن الرابع الهجري ، وامتداداً لنثر ابن العميد .

ومن ابرز مظاهر هذا النثر ، أنه طرق المواضيع التي تناولها الشعر ، من مدح وفخر ، وهجاء وشكوى ، وتهنئة وتعزية ، الى غير ذلك ، من أغراض الشعر العربي المعروفة (٥) .

ويمكننا القول إنّ النثر في هذا الاقليم ، كان على درجة من الرقي والتقدم ، ويتضح هذا في تلك الكثرة من الادباء الناثرين ، الذين ازدحم بهم الاقليم ، والذين حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم ، اسماء كثيرة منهم (٦) ، حتى ازدحم بهم بلاط السلاطين ، فكان لهم منهم كتاب ، أمثال السهيلي ، والشيبيني ، والوطواط . وهذا ليس ببعيد التصور ، بعد أن عرفنا ما كان لهذا الاقليم من وثبة ثقافية ، استطاعت أن تثب بالأدب العربي ، الى مدى بعيد .

وعلى هذا يمكننا القول : إنّ النثر العربي في هذا الاقليم ، لم يكن نثراً بسيطاً ، وإنّما كان نثراً فنياً ، تنضح فيه المؤثرات الاجنبية ، من فارسية وتركية ، نتيجة اتصال هذه الفنون ببعضها .

ومن الجدير بالذكر أن نشير ، الى أن المؤلفين لم يعنوا الا بنثر أبي بكر الخوارزمي ، من كتاب هذا الاقليم . ونسوا أو تناسوا أن هناك كتاباً آخرين وأن هذه البلاد ، عرفت بعض الناثرين ، الذين كان لهم حظ في هذا المجال ،

(٥) للدلالة تنظر : رسائل أبي بكر الخوارزمي ، ورسائل رشيد الدين الوطواط .

(٦) تذكر منهم على سبيل المثال : الحسن بن المظفر النيسابوري ، واحمد ابن محمد الصخري ، والقاسم بن الحسين الخوارزمي ، وابا عبدالله ابن حامد ، والرقاشي وغيرهم .

ذلك لما كان من دواعٍ للنشر كالخطابة^(٧) ، التي هي ضرورة تقتضيها ظروف النزاع بين الدول ، التي تعاقبت على حكم هذه البلاد . كما تتطلبها المناسبات الدينية ، ولا سيّما صلاة الجمعة مثلاً ، وخاصة في اقليم مقل على دين جديد تكون خطبة الجمعة فرضاً فيه . كما تتطلبها المناسبات السياسية ، من تنصيب سلطان ، أو ترئيس رئيس ، أو تهنة بمنصب جديد أو ترقية ، الى غير ذلك . وبعد هذا نقول : إنّه لا يمكننا أن نتصور أن المسلمين ، قد عاشوا في هذا الاقليم ، دون أن يصغوا الى خطباء ، هذا بالإضافة الى ورود أسماء كثيرة ، في كتب التراجم ، ضمن أسماء الخطباء ، ومنهم من عرف عنه هذه المهنة ، حتى اشتهر بها ، مثل الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي ، المعروف بخطيب خوارزم . ومن خطباء هذا الاقليم : حسام الدين المشاطي ، الذي ذكره ابن بطوطة في رحلته ، بقوله^(٨) : « إنّه كان خطيباً مصقلاً » . ومنهم البرقي ، وكان من الخطباء الفصحاء ، على حد قول ابن ماكولا^(٩) . والباقى الذي كان يرتجل الخطب ارتجالاً ، كما ذكر السمعاني^(١٠) .

كما ورد في هذه الكتب ، أسماء كثير من الوعاظ ، أمثال : محمد بن أحمد الكركردى رانخاسي ، وحسام الدين المشاطي أيضاً ، الذي وصفه ابن بطوطة بقوله^(١١) : « كان من أكبر الوعاظ والمذكرين » .

وكما قلنا إن النافرين ، هم في الغالب الشعراء ، ومن هنا يسهل علينا تفسير ظاهرة تضمينهم لأطبايب الشعر في ثرهم^(١٢) .

وقد ذكرنا قبل قليل ، أن ثرهم كان ثراً فنياً ، ونزيد بأن نقول : إن

(٧) ذكرت كتب التراجم أسماء كثيرة من خطباء خوارزم ، اشتهرهم خطيب خوارزم ، وحسام الدين المشاطي . ومع ذلك لم نجد نماذج من خطاباتهم . ولعل سبب ذلك ضياعها ، أثناء تدمير الاقليم ، كغيرها من العلوم والفنون الأخرى .

(٨) ينظر ص ٥٢ .

(٩) ينظر كتابه : الاكمال ١ : ٨٣ .

(١٠) ينظر كتابه : الانساب « مخطوط » . ورقة ٢٦١ .

(١١) رحلة ابن بطوطة . ص ٥٢ .

(١٢) التضمين عندهم ، اما ان يكون من شعر الكاتب نفسه ، أو من شعر غيره ، من الشعراء المشهورين .

خصائصه الفنية هي خصائص النثر العربي الفني، في القرن الرابع الهجري ، من ميل الى الایجاز ، وعناية بقوة العبارة أكثر من العناية بجمالها ، والاعتناء بالألقاب ، التي ظهرت واضحة في العصر العباسي فيما بعد ، ولعل مرجع ذلك الاختلاط الحاصل بين العرب ، وأهل البلاد المفتوحة . وامتزاج الحضارات العربية ، والفارسية والتركية ، مع الحضارات الطارئة على البلاد ، مثل اليونانية •

وأهم خاصة في ثرهم ، هي ظاهرة السجع والمحسنات البديعية ، التي عرفها القرن الرابع الهجري ، وهي واضحة كل الوضوح ، عند أبي بكر الخوارزمي ، ورشيد الدين الطوطا ، كما سنشير الى هذا فيما بعد •

ومن خواصه أيضاً : ظاهرة الاقتباس ، من القرآن الكريم (١٣) ، وكثرة الكلمات الدعائية ، كما في رسائل رشيد الدين الطوطا •

ومنها : عدم تقيد نثره بصيغة خاصة ، في بداية كتبه ، فمنهم من يكتب موضوعه مباشرة ، من غير أن يقدم له بشيء ، ودون مراعاة لقواعد ما ، اللهم الا في حالة مخاطبة الوزراء والأمراء والملوك ، حيث تبدأ الرسالة بالعبارات المملوءة بالمجاملة ، كقول رشيد الدين الطوطا ، في بداية كتاب كتبه الى واحد من أركان الدولة ، وأعيان الحضرة (١٤) :

« جناب سيدنا أدامَ الله علوه ، وَحَرَسَ سموه ، نَجعةُ الروادِرِ ،
وشرعةُ الورادِرِ ، وكعبةُ تطوف بها طوائفُ الكرامِ ، وقبله » يتوجه اليها
أكابرُ الأنامِ ، كلٌّ من ضربٍ إلى عقوتهِ أكبادِ المطي ، وأناخ راحلتهِ
بذلك الكنفِ الوطني ، خلص من أيابِ النوائبِ ، وَنَجَا من أنواعِ
المطالبِ ، بما أملَ وَرَجَا • • » •

كما نجد التأنيق في الأسلوب الأدبي ، يبلغ ذروته في رسائل أبي بكر

(١٣) تنظر رسائل رشيد الدين الطوطا . ص ٧٩ . حيث ضمن كتابه الآية الكريمة : « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا » . سورة النساء آية ١٠ . كما ضمنه بعض المعاني القرآنية الاخرى •

(١٤) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٣٧ •

الخوارزمي • وقد ظهرت عندهم المبالغة المفرطة في المعاني ، تلك المعاني التي رأيناها عندهم في الشعر أيضاً . ويتضح هذا في قول أبي بكر الخوارزمي ، في كتابه الى تلميذه (١٥) :

« وَرَدَّتِ الْقَصِيدَةُ الْغُرَاءَ ، بَلَرِ الدَّرَّةِ الْعَذْرَاءَ ، بَلَرِ الْهَدِيَّةِ الْعَظِيمَةِ ، بَلَرِ التَّحْفَةِ (١٦) الْكَرِيمَةِ ، بَلِ الْيَاقُوتَةِ الْيَتِيمَةِ ، بَلِ فَرِيدَةِ الدَّرِّ • بَلِ غُرَّةِ الْغُرِّ (١٧) ، بَلِ شَمْسِ الْكَرَامِ وَغُرْبَةِ الْأَيَّامِ • بَلِ الْخُطَابِ الْجَزْلِ ، وَالْمُنْطَقِ الْفَصْلِ •• » .

وأخيراً نقول : إذا جاز لنا تقسيم النثر ، فنقول : إنّه يقسم إلى نثر أدبي ، ونثر علمي ، وإنّ النثر الأدبي ، يتألف من نثر يمكننا تسميته بالنثر الخالص ، الذي نراه متمثلاً في الرسائل والمقامات والمقالات • وهو نثر يراد به تصوير عاطفة ، أو نقل تجربة لها بعض الاتصال بالعاطفة • ونثر تألّفي : وهو النثر الذي تصاغ به المعارف الانسانية ، التي ألّفت في أسلوب أدبي • أما النثر العلمي : فيشمل النثر الذي كتب به الفلك والرياضيات ، والجغرافية والفلسفة وغير ذلك •

أقول إن صحّ هذا التقسيم ، فإن النثر في هذا الاقليم ، كان شاملاً لهذا كله • وقد عرف اقليم خوارزم ، النثر التألّفي بأوسع صورته ، ومرجع ذلك حياته الثقافية العالية ، ومستواه العلمي الرفيع — كما رأينا ذلك في دراستنا للحياة العقلية — والذي أهّله لأن يعد في أوائل أقاليم المملكة الاسلامية ، في هذا المجال ، بما خرّجه من أعلام وعلماء ، في الميادين العلمية والأدبية ، وفي مختلف فروع الثقافة •

ومن الملاحظ على نثرهم ، الذي أسميناه بالنثر الخالص، أنه كان مقصوراً

(١٥) تنظر رسائله . ص ١٥٣ .

(١٦) جاءت في الاصل (الشمسة) ويبدو أنها مصحفة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(١٧) لعلها الفرر ، وانما جاءت هكذا للسجع لتناسب « الدر » .

على الفروع التقليدية ، كالرسائل والمقامات (١٨) ، والمواظ ، وما أشبه ذلك .
ولكنه يتسم بالجودة ، الناتجة عن استخدام بعض المحسنات البديعية ، التي
نراها كثيراً في كتاباتهم ، ومنها ما أتى به دون تكلف أو تعمّل ، ومنها ما خرج
عن ذلك أحياناً .

وعلى الرغم من ذكر بعض خصائص النثر في هذا الاقليم ، إلا أننا نقول :
إننا وإن كنا قد استطعنا أن نميز للشعر العربي هناك ، بعض السمات الخاصة
به ، فربما من المتعذر علينا تمييز مثل ذلك للنثر ، اللهم الا اكثاره من
المحسنات البديعية ، وغلوهم في استعمالها ، وهذه ليست خاصة بهذا الاقليم ،
وإنما هي صفة عامة ، في الممالك الشرقية ، من الدولة الاسلامية .

(١٨) هي أحدث الفنون ظهوراً ، في الادب النثري . ولم نجد منها عند كتاب
هذا الاقليم ، الا ما وجدناه عند جارا الله الزمخشري .

الفصل الثاني

أنواع النثر

النثر الخالص^(١):

نستطيع القول إنَّ هذا النوع من النثر ، سار متأثراً بمذهب ابن العميد ، الذي أخذ يتجه بشكل واضح ، الى استعمال المحسنات البديعية ، وتطويل الرسائل .

كذلك انعكست عليه ثقافة اقليم خوارزم العالية ، التي عمت أكثر مدن هذا الاقليم ونواحيه . ولذلك نرى هذا النثر ، وقد كثرت فيه الجمل الدعائية المفخمة^(٢) ، والجمل الاعتراضية ، وتضمن الشعر . ومثال على الجمل الاعتراضية ، قول الحسن بن المظفر النيسابوري^(٣) :

« عَرَفَ اللهُ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ ، بِرَكَّةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَوَفَّقَهُ مِنْ طَاعَتِهِ ، لِمَا يَكْتَسِبُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ ، وَلَوْلَا الْعَذْرُ الْوَاقِعُ مِنَ الْوُصُولِ ، لَقَصَدْتُ مَجْلِسَهُ - أَعْلَاهُ اللهُ - بِالْتَهْنَةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَقَضَاءِ حَقِّهِ الْعَظِيمِ هَذَا - أَدَامَ اللهُ تَمَكِينَهُ - وَعَهْدِي بِهِ يَعُدُّنِي مِنْ جَمَلَةِ عِيَالِهِ . وَيَخْصُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ بِأَفْضَالِهِ . فَلَيْتَ شِعْرِي لِمَ عُدَلْ إِلَى الْفُطَامِ ، مِنْ ذَلِكَ الْإِنْعَامِ ، فَإِنْ كَانَ نَسِيَانٌ فَقَدْ جَاءَهُ ذِكْرِي ، وَإِنْ كَانَ هَجْرَانٌ ، فَحَاشَاهُ مِنْ هَجْرِي » .

فقد احتوت هذه القطعة ، على بعض الجمل الاعتراضية . هذا الى جانب ما فيها من الحسن ، والابداع الفني .

(١) كنا نظن اننا لم نسبق الى هذا الاصطلاح ، حتى الانتهاء من كتابة هذا الفصل الخاص بالنثر . وصدفة وجدنا ان الدكتور شوقي ضيف قد سبقنا في استعمال هذا الاصطلاح ، في كتابه : الفن ومذاهبه في النثر العربي . ص ٣٩٤ .

(٢) مثل : وفقك الله ، واطال الله بقاء سيدنا ، وايد الله الشيخ الرئيس ، واعز الله تعالى ... الى غير ذلك من هذه العبارات ، وهي كثيرة في رسائل رشيد الدين الطواط .

(٣) ينظر : معجم الادباء ٩ : ١٩٣ - ١٩٤ . وذكر ياقوت الحموي ، ان للحسن بن المظفر النيسابوري ، ديوان رسائل .

أما ظاهرة التضمن الشعري ، فكانت إحدى الظواهر الواضحة في كتاباتهم ، مثال ذلك ما نجده في بعض رسائل أبي بكر الخوارزمي ، ورسائل رشيد الدين الوطواط ، وفي القليل المتبقي لدينا من نثر القاسم بن الحسين الخوارزمي .

ولا ننسى أنّ نظم الشعر كان يغلب على كتاب القرن الرابع الهجري ، وكانوا يلجأون إليه في المواطن التي لا يحسن فيها غير القريض ، كما كانوا يلجأون الى تحليل الشعر ، وأخذ معانيه في مثل هذه المواطن أيضاً . كما لا ننسى أنهم كانوا يغالون في الصنعة ، وهذا ما يدفعهم على الحرص ، في الإجادة المتأنية عن تضمينهم للشعر ، لأن الشعر أدخل في النفس من النثر . كما ان تفوق هؤلاء في صناعتي الشعر والنثر ، جعل منزلتهم في النثر الفني أعلى وأرفع ، ولذلك كان هذا النوع من النثر عندهم ، فنّاً خالصاً ، ليس بينه وبين الشعر - كما سنرى - غير القوافي والأوزان . ومن يقرأ رسائل أبي بكر الخوارزمي ، ورسائل رشيد الدين الوطواط ، يرى أننا لم نطلق الأحكام جزافاً .

كما يلاحظ أن النثر الصادر ، عن ذوي الثقافة الدينية ، كان أكثر استشهاداً بالقرآن الكريم ، والمعاني القرآنية ، وأكثر ميلاً الى السجع . وخير مثال على ذلك ، الكاتب رشيد الدين الوطواط ، في كتابه الى الخليفة المقتفي لأمر الله ، اذ يقول فيه^(٤) :

« الحمد لله كاشِفٌ غُمَّةٍ الغم عن عبادِهِ ، ومزيل ظلمة الظلم عن بلادِهِ . قاهر من يترك حجته ، وناصر من يسئل محجته . معمر من يعمر العالم بالعدل والاحسان ، ومدمر من يسفك دماء بني آدم ، بالظلم والعدوان . قَدُمْتُ جبروته ، وعَظُمْتُ ملكوته . لا مرد لقضائه ، ولا مفرّ عن نازل بلائه . هو العظيم الذي لا يقهر سلطانه ، الحكيم الذي لا يُبْهَر^(٥) برهانه .. من

(٤) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٤ - ١٣ . فالكتاب طويل اقتصرنا منه على على ما ذكرنا .

(٥) يبهر : لا يغلب . ابهره بهرا : غلبه وغلاه : فضله وظهر عليه .

اعتصم بجبل مشايعته ، وانتظم في سلك مبايعته ، نال في الدارين مناه ، وحاز في المحليين مبتغاه ، وصار من القوم الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون» .
ومثل هذا قوله من كتاب بتقليد أحدهم قضاء بلدة^(٦) :

« لما وجدنا فلاناً أدام الله فضله ، أهلاً للصنيعة ، ومستحقاً للمنزلة الرفيعة ، على الحداثة من سنه ، والغضاضة من غصنه ، لما آتسنا فيه من دلائل النجابة والرشد . وتقرسنا من مخايل الدراية والزهد . وتحققنا من اشتغاله بالعلم ، واقباله على العمل الرافع ، وتجنبه مراض^(٧) الآثام . . . قلَّـدناه قضاءً بلدة كذا وما يليها ، من أطرافها ونواحيها . واعتمدنا في ذلك على وفور تديثنه ، وكمال تصوُّـثـه . وأمرناه أن يجعل الهدى شعاره ، والتقى دثاره ، والورع زاده ، والعفة عتاده^(٨) . وأن يحكم بين الناس بالعدل ، ويتحرز من المداهنة والميل ، ويصون نفسه من المطامع الدنيئة ، والمطامع الويبة ، ولا يغتر بالدنيا وزخارفها ، فإنها متاع الغرور ، وجالبة غضب الله يوم النشور ، وأن يحفظ أموال اليتامى من الأيدي الغاصبة ، والاكف الناهبة ، فإن الله تعالى في محكم تنزيله وهو أصدق القائلين . « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ، وسيصلون سعيراً . . . »

أما الكتابة الرسمية في هذا الاقليم ، فالظاهر أنها لقيت عناية كبيرة ، حيث قام بها طائفة من الأدباء المقتدرين ، الذين وصل بعضهم الى منصب الوزارة ، ولمع من بين الأسماء في هذا الميدان : السهيلي ، والرقاشي ، والوطواط .

واشتهر في هذا النوع من الشر « الخالص » أيضاً : جماعة منهم : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن شاه الخوارزمي البرقي ، وابنه الشيخ أبو بكر ، الذي اشتهر بنشره الكثير ، وبديوان شعره ، كما ذكر ابن ماكولا^(٩) .

ومنهم الباقي ، الذي كان يكتب الرسائل المطولة ، من غير حاجة الى روية ، وكان فصيح اللسان ، بليغ الكلام ، حسن المحاضرة ، حلو العبارة ، حاضر

(٦) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٧٩ .

(٧) جمع مريض وهو مأوى .

(٨) عدته .

(٩) ينظر كتابه : الاكمال ١ : ٤٨٣ .

البديهة^(١٠) . والموفق بن أحمد خطيب خوارزم . والعالم الكاتب النسوي ، وهو من الوافدين ، وقد تولى كتابة الإنشاء ، في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي^(١١) .

أما الصخري : فكان من الكتاب البارعين ، بليغاً مرتجلاً ، سريع الخاطر ، سليم الطبع . ومما وصل إلينا من ثمره قوله^(١٢) :

« الشيخ أصدق لهجة ، وأبين في الكلام محجة^(١٣) » ، من أن يُخْلَفَ بَرَقَ ضَمَانِهِ ، ولا يُمْطَرُ سحابَ احْسَانِهِ ، فليت شعري : ما الذي فعله في أمر وليه^(١٤) ، القاصر عليه أمله ؟ وهل بلغ الكتاب أجله ؟ وقد استهل^(١٥) الشهر الثامن استهلالاً ، ولا نرى لأفق مواعده هلالاً » .

ومن ثمره أيضاً قوله^(١٦) : « طَبَعَ كَرَمُهُ أَغْلَبَ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى هَزِّ وَحْسَامٍ فَضْلِهِ أَقْطَعُ مِنْ أَنْ يُهْزَّ لِحَزِّهِ » .

وهو القائل أيضاً^(١٧) : « كتابي — وقد عرتني عِلَّةٌ ، منعني من استغراق المعاني واستيعابها ، واشباع الكلم في وجوها وأبوابها ، فاختصرت وقصّرت ، وعلى الشبذ اليسيرة اقتصرت ، وما أعرف هذه العلة إلا من عوادي فراقه ، ودواعي اشتياقه ، وإن كانت النعمة بمكانه خارجة عن القياس غير خافية من جميع الناس ، إلا أنها ازدادت الآن ظهوراً ، وإن لم يكن قدرها مستوراً ، وقدر النعمة لا يعرف إلا بعد الزوال ، ولا يتحقق إلا مع الانتقال — أَهْلَكْنَا اللَّهُ لِعُودِهَا — لنحسن جوارها ، بشكرها وحملها ، وأصبحه

(١٠) ينظر الانساب « مخطوط » . ص ٢٦١ ، انباه الرواة ٢ : ١٣٢ ، طبقات

الشافعية الكبرى ٢ : ٢٣٣ .

(١١) ينظر سيرة جلال الدين منكبرتي . ص ٢٤ — ٢٥ .

(١٢) معجم الادباء ٥ : ٢٣ — ٢٤ .

(١٣) المحجة : جادة الطريق : أي معظمه ووسطه . وجمعه محاج .

(١٤) الولي : العبد والسيد وابن العم . والمراد هنا : الاول من باب التواضع .

(١٥) أي ظهر وبدأ .

(١٦) معجم الادباء ٥ : ٢٢ .

(١٧) معجم الادباء ٥ : ٢٤ — ٢٥ . وقد أورد ياقوت الحموي له أيضاً نماذج

أخرى من ثمره .

السلامة حالاً ومرتحلاً ، ومقيماً ومتنقلاً ، إنه خيرُ صاحبٍ ، يصحب كلَّ غائبٍ » .

ومنهم أبو عبدالله بن حامد ، الذي قال الثعالبي إنَّ له نثراً كثر الورد ، والذي كان في شبابه ، كاتباً لأبي سعيد الشيبني ، ثم للصاحب بن عباد ، وإنه تغلب عليه ببرايعته ، وحذقه في صناعته ، وقد اعتمده رجال الدولة الخوارزمية ، في المهمات السلطانية ، والسفارات الكثيرة ، لحسن عبارته (١٨) .

ومنهم الرقاشي والقاسم بن الحسين ، الذي وصفه الحموي ، بذلاقة اللسان ، والبراعة في الأدب ، ونثر الخطب (١٩) .

ومن نثره ما كتبه الى بعض أصدقائه قوله (٢٠) : « كتابي إلى المجلس الرفيع ، جمال الحرمين ، إمام الفريقين ، يديم الله رفعتَه ثم يديم ويُنِيم عنه طوارقَ الحداث (٢١) ثم يُنِيم وأنا إليه كالصادي إلى قَعْقَعَةِ الجَمَد (٢٢) ، وبجماله كهو (٢٣) بجمال المجد ، لا أروي الا عن فضله وأفضاله (٢٤) ، ولا أرتوي إلا من ورده وزلاله . ولا أتحرر إلا على ليل وشيئتها (٢٥) بجواره ، ثم طرزتها بحواره :

إذا ذكرتها النفس باتت كأنها

على حدِّ سيف بين جنبيَّ يُنتَضَى

تولَّى الصبَّ والمالكية أعرضت

وزال التصابي والشبابُ قد انقضَى

(١٨) ينظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٤٨ (طبعة السعادة) .

(١٩) معجم الادباء ١٦ : ٢٣٨ .

(٢٠) المصدر السابق ١٦ : ٢٤٧ .

(٢١) الحداث : الليل والنهار .

(٢٢) الصادي : العطشان . والقعقة : الصوت . والجمد : ما جمد من الماء .

(٢٣) لعل كلمة « مشغوف » سقطت . وتأتي بعد كلمة « وبجماله » .

كهو : هكذا جاءت في النص ، وكاف التشبيه جاءت مع الضمير .

(٢٤) الافضال : الاحسان واناثة الفضل .

(٢٥) وشيئتها : نقشتها .

رفعَ اللهُ البَيْنَ من البَيْنِ (٢٦) ، حتى أرى نضارَه في قميص
من اللجين (٢٧) » .

ولعل أهم ما تتميز به هذه القطعة ، هو أن شخصية القاسم بن الحسين
شاعراً ، أثرت في شخصيته كاتباً . يظهر هذا في لجوئه الى التضمين الشعري ،
الذي زَيَّنَ به كتابه . وهو في ذلك ككتاب هذا الإقليم ، ممن أشتهروا
بالصناعتين ، صناعة الشعر ، وصناعة النثر .

كما نلاحظ أنه أتحنفنا بألوان من الصنعة البديعية ، ولا سيما في
استعماله الجناس ، والسجع وتكراره لألفاظه ومعانيه .

ومن ثمره أيضا ما أورده ياقوت الحموي ، وقد بحث به الى الدار
العزيزة ببغداد ، حرسها الله تعالى ، يقول فيه (٢٨) :

« رايات مولانا الصوّام القوّام (٢٩) ، أمير المؤمنين ، وامام المتقين ،
وخليفة رب العالمين ، الإمام الذي ليس للتابعين غيره إمام ، ولا دون عتبته
مُتَمَسِّكٌ واعتصام ، هي التي لم ازل أدعو الله أن يَعْقِدَ بِعَذَبَاتِهَا (٣٠)
النَّضَرَ . ويجعل من أشياعها الذئب والنسر . تسابيرها الآمال ، وتحل
حيثما رفعت الآجال . وَيَحْتَقُّ بها الجُدود ، ويرفرف عليها الشعود ،
وهذا دعاء لو سَكَتُ كَمِيَّتُهُ ، وأمل " لو لم أسأله ، فَقَدْ أُوتِيَتْهُ ، مني
العبد أن يسعى الى المواقف المقدسة ، مسعى القلم يحبو على رأسه ، لا على
القدم ، لِيَسْمِ بِرَاهَا الثَّرَى (٣١) لَخَلْجَةِ الْمِسْكِ الذكي ، وَيَعْفُرَّ

(٢٦) البين الاول : الفراق . والثاني كلمة تنصيف وتشريك ، وهي ظرف
بمعنى وسط . ومعنى الجملة : رفع الله الفراق من وسطنا .

(٢٧) النضار : الذهب . واللجين : الفضة .

(٢٨) معجم الادباء ١٦ : ٢٤٧ .

(٢٩) القوام : مبالغة في قائم ، اي كثير القيام في الليل ، لاقامة الصلاة . ومثلها
صوام اي كثير الصيام .

(٣٠) عذباتها : جمع عذبة : وهي ما يسبل من العمامة بين الكتفين ، وهو
مجاز .

(٣١) ثراها : الثرى : ترابها الذي بعد الجدوبة واليبس .

بها جبينه وأتمه • ويَجِيل في مسارح الحمد طرفه ، ويستلم عتبة بها التّف الثّقْلان ، ودانت لها الأيام بعد حِران ، لكنّ الحوادث قلّما توافقه ، والأيام ثُمّا كِسّه (٣٢) - أعلى نور الله به مشارق الأرض ومغاربها - تلقّاه العبد بالتعظيم والإجلال ، ووضعه على قِمّة الامتثال • • » •

ونحن نرى الكاتب في هذه القطعة ، قد سائر القدمات في سجعهم ، فزَيّن به كل مقطع من مقاطعه تقريباً ، كما نراه يعمد الى تغيير فاصلته ، ثم يأتي بفاصلة على نسقها ، بعد مقطع أو مقطعين • ثم يستمر في كلامه ، فيأتي بفواصل آخر • وهذا يدل على حال من الاستطراد ، الذي عرف عن الجاحظ ومن سار على طريقته فيما بعد •

ولعل الكاتب أراد بعمله هذا أن يدل على مقدّرته في الكتابة ، ببعض الكلمات الصعبة ، التي تحتاج في فهمها الى استعمال القاموس ، بحيث يجعلنا نحس كأنه جاء بزخرف السجع ، من أجل أن يكون تابعاً للفظ الغريب ، كأنه الأساس أو الخيط ، الذي ينسج عليه هذا الزخرف ، أو هذا الوشي •

ولنستمر معه حيث يقول : «وفضّ خِتامه عن الدشر المكنون • بل أناسي العيون (٣٣) • وعن مشمول من الروض مجنوب (٣٤) • وكلم على صفحات الدهر مكتوب ، فما زالت أعضاؤه تودّ أن تكون شفاهاً تُقَبِّلُهُ ، وخواطر تتأمله ، تمنياً يكلّذه به المستهام (٣٥) ، ويحلو له الغرام • ثم استدعى الأرامل

(٣٢) ماكسه : اي شاكسه وشاحه •

(٣٣) أناسي العيون : جمع انسان العين : وهو سوادها •

(٣٤) مجنوب : اي اصابته ريح الجنوب • ومثله المشمول : اي اصابته ريح الشمال •

(٣٥) هذا شطر بيت للمتنبي :

تمن يلد المستهام بمثله وان كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي

ينظر : شرح ديوان المتنبي • وضعه عبدالرحمن البرقوقى • ح ٢٠٠

ص ١٦٢ • نشر : دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان •

والأيامي (٣٦) فأعطاهم واستحضرَ المساكين واليتامى وأغناهم، وأنحى (٣٧)
 ما ملكت يمينه من العبيد والأسرى ، فأعتقَهُمْ وأطلقَهُمْ شكراً ، وسأل
 الله تعالى أن يديمَ أكنافَ (٣٨) العرصة (٣٩) الفيحاء ، مرتعاً للعزة
 القعساء (٤٠) ، أن شاء الله تعالى » .

وممن اشتهر بهذا النوع من النثر ، الهراسي ، الذي يقول فيه الزركلي:
 إنه من كتاب الرسائل البليغة (٤١) .

ومنهم أحمد بن علي الصفار الخوارزمي ، الذي كان من بلغساء اقليم
 خوارزم وكتابه ، وذكر ياقوت الحموي ، نقلاً عن لسان محمد بن أرسلان ،
 أن له رسائل لبقة (٤٢) خفيفة ، جمعها الحسن بن المظفر الأديبي ، المعروف بأبي
 حفص (٤٣) .

ومما وصل إلينا من نثره ، ما كتبه عن أبي سعيد ، سهل بن أحمد
 السهيلي ، الى عميد الملك أبي نصر الكندري ، حين أنهض ولده الى
 حضرته (٤٤) :

« كتابي - أطل الله بقاء الشيخ السيد - وأنا معترف برِّقٍ ولائه ،

(٣٦) الأيامي : الايِّم من النساء : من لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيباً مطلقاً
 كانت أو متوفى عنها ، جمعها أيامي وأيام . ويستعار للرجال . أو هي
 التي كان لها زوج ، فمات عنها ، وهي تصلح للزواج ، لان فيها سورة
 من شباب . وقيل الايم : الحرة . وقيل الايامي : القرابة كالاخت والبنت
 والخالة .

(٣٧) انحى : أقبل على .

(٣٨) الكنف : الحرز والستر . والكنف : الجانب والظل . والكنف : الناحية .

(٣٩) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، وجمعها عراض
 وعرضات وأعراس .

(٤٠) العزة القعساء : أي الثابتة .

(٤١) ينظر الاعلام ٧ : ١٦١ . كما ذكر الصفدي في كتابه : الوافي بالوفيات
 ٤ : ١٢١ ان له كتاب رسائل .

(٤٢) أي ظريفة .

(٤٣) ينظر معجم الادباء ٤ : ٦٧ .

(٤٤) المرجع السابق ٤ : ٦٨ - ٧٠ .

متصرف في شكر سوابق آلائه ، حامد الله تعالى ، على تظاهر أسباب عزه وعلائه ، ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته ، أنطوي على مبايعته ، وأتلقى شوقاً الى التسعد بخدمة حضرته ، التي هي مجمع الوفود ، ومطلع الجود ، وعصرة المحمود ، وأتمنى على الله تعالى ، حالاً تدنيني من جنابه الرحب ، ومشرعه (٤٥) العذب ، ومتى تذكرت تلك الأيام ، التي كانت تسعفني بالتمكن من خدمته ، التي هي مادة الجمال ، وغاية الآمال ، اثنت بحسرة مرة ، أو انطويت على غصة (٤٦) مستمرة » .

ففي هذه الرسالة ، نرى أن أحمد بن علي الصفار ، قد أتبع الطريقة التي سار عليها غيره من كتّاب هذا الاقليم ، وهي التأثر بكتابة القرن الرابع الهجري ، فقد جمل كتابه بالجمال الإعتراضية ، والمحسنات البديعية ، ولا سيما السجع .

ولنستمر معه في كتابه ، لنراه كيف ملأه بالمديح ، وكيف غالى في مديحه ، فأضفى على المدوح ، كل الصفات الحسنة التي تشتهاها النفس البشرية ، وجرد نفسه منها تواضعاً ، واكتفى بأن يكون الخادم الأمين ، للممدوح . ولم يكتف بوهب نفسه لتلك الخدمة ، وإنما وهب ابنه أيضاً (٤٧) ، فهو يقول :

« وكم كاتب شريف حضرته ، لا زالت محسودة مأنوسة ، فلم أؤهل لجواب (٤٨) ، ولم أشرف بخطاب ، فأمسكت عن العادة ، في المعاودة ، جرياً على طريقة الأصاغر ، في مراعاة حشمة الأكابر ، ولو جريت في مكاتبة حضرته ، على حكم الاعتقاد ، والنية الخالصة ، في الوداد ، لأكثرت حتى أضجرت ، وهو بحمد الله أحسن أخلاقاً ، وأوفر في الكرم والمجد ، خلافاً من أن يرى ، عن قدماء خدمه متجافياً ، ولخواص أصاغره جافياً ، ولو كان رحيلي ممكناً ، لاستعملت في الخدمة قدمي ، دون قلبي ، وحين عجزت عن ذلك ، لما أنا مدفوع اليه ، من اختلال الحال ، وتضاعف الإعتدال ، أنهضت ولدي أبا الحسين

(٤٥) المشرع : مورد الشاربة .

(٤٦) الغصة : الحزن والهم .

(٤٧) لا أقصد بالوهب انه اراده أن يكون له خادماً ، بالمعنى المتعارف عليه ، وإنما تقال مثل تلك العبارات ، على سبيل التواضع الزائد فقط .

(٤٨) أؤهل : اي اكن أهلاً .

خادمه ، وابن خادمه ، نائباً عني في إقامة رسم حضرته ، - التي من فاز بها ،
فقد فاز وسعد ، وعلا نجمه وصعد - فلا زال مولانا منيع الأركان ، رفيع
القدر والمكان ، سابغ القدرة والإمكان ، محروس العز والسلطان ، تدين المقادير
لأحكامه ، وتجري السُّعود تحت راياته وأعلامه ، آمين ان شاء الله » •

وواضح أن هذه الرسالة ، ليست كلها مسجوعة ، ولكنها مع ذلك قد
أحكمت صنعتها ، سواء من حيث اختيار ألفاظها ، أم من حيث دقتها في تصوير
غلو الكاتب في مديحه ، وخضوعه وتضاغره أمام المدوح ، ثم من حيث
تبطينه كل ذلك ، ببطانة باهتة ، من العتاب ، الذي نراه يطل بخجل من وراء
السطور ، خجل الخادم الذي ، يطلب المساواة مع سيده ، في أن يجاريه
بالجواب على رسائله ، وذلك الخجل نتيجة لذلك الشعور المتمكن في نفسه ،
والذي يذكره بأنه غير أهل لكي يتبوأ تلك المكانة ، التي تؤهله ليكون ندّاً
لمدوحه •

وقد صور لنا الكاتب هذا التضاغر ، تصويراً دقيقاً ، بحيث جعلنا نحس
أننا نعيش بين شخصيتين متناقضتين ، أحدهما تسيطر عليها عوامل الغنى ،
والكبرياء ، والسيادة ، والأخرى تسيطر عليها عوامل الضعف والاستكانة ،
التي أوجدتها الحاجة وربّما لقمة العيش •

وقد أجاد الكاتب في رسم هذه اللوحة البديعة ، وإن كنا لا نستطيع
الجزم بأن هذه الصورة ، التي رسمها لنا ، إنّما هي صورة للواقع الذي
يعيش فيه •

وأظن أن صنعة أحمد بن علي الصفار الخوارزمي ، قد وضحت لنا ، في
هذه النماذج القليلة ، إذ رأيناها يعنى في رسالته ، بالصنعة البديعية ، باستعماله
السجع وهو أحد فنونها ، كما عنى ببعض الجمل الاعتراضية ، وسلك مسلك
الشعراء في استعماله للأغراض المعروفة ، في الشعر العربي • ونبها إلى أن
ظاهرة الغلو في المدح ، والتضاغر والخضوع للمدوح ، من سمات معاني
النثر في هذا الأقليم •

ومنهم الأدبي ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ، وقال عنه نقلاً عن
أبي محمد في تاريخ خوارزم ، إنه كان ، كاتباً بارعاً ، حسن التصرف في

الترسل (٤٩) ، وافر الحظ من حسن الكتابة ، وفصاحة البلاغة ، كما كان خطه ، في الدرجة العليا ، من أقسام الحسن والجودة (٥٠) .

ومما وردنا من منشور كلامه قوله (٥١) : « الزيادة فوق الحد نقصان » ، والأساءة بلسان الحق إحسان » .

وقال ياقوت الحموي أيضاً ، نقلاً عن أبي محمد ، إن الأديبي كان إذا رأى كتابة متقدمة ، متكلفة ، قال : « الكتابة تسكن سكن أخرى » (٥٢) .

ومن هذا نفهم أن الأديبي ، كان يفضل الأسلوب السهل ، على الأسلوب المعقد ، لأن السهل يأتي طبيعياً ، ولا يحتاج الى التكلف والتصنع ، كما هي الحال في الأسلوب المعقد ، الذي يخضعه تعقيده الى التصنع والتكلف .

ومما وردنا من نثره أيضاً ، وما كتبه الى بعض الرؤساء ، يشكو رجلاً ثقيلاً (٥٣) :

« قد منيت من هذا الكهل الرازي ، صاحب الجبسة الكهباء (٥٤) ، واللحية الشهباء (٥٥) ، بالداهية الدهياء ، والصيلم (٥٦) الصماء ، جعل لسانه سناناً (٥٧) ، وأشفار عينيه الصلبة شفاره (٥٨) ، فاذا تكلم كلم بلسانه ، أكثر مما يكلم بسنانه ، واذا لمح ببصره ، جرح القلوب بلحظه ، أشد »

(٤٩) اي الكتابة الانشائية .

(٥٠) هذا يدلنا على اهتمامهم بجمال الخط ايضا .

(٥١) ينظر معجم الادباء ٢ : ١٣١ - ١٣٢ .

(٥٢) اي تحل محلها بغير حق .

(٥٣) المصدر السابق ٢ : ١٣١ - ١٣٢ .

(٥٤) الكبة : لون ليس بخالص في الحمرة ، وهو في الحمرة خاصة .

(٥٥) الشبهة في اللون : البياض الذي غلب على السواد .

(٥٦) الصيلم : الداھية . والصماء الشديدة : اي الداھية ايضا .

(٥٧) السنان : الرمح أو ظبته .

(٥٨) شفاره : جمع شفرة ، وهي من السيف حده .

مِمَّا جَرَحَ الْأَذَانَ بَلْفَظِهِ ، يَظْهَرُ لِلنَّاسِ ، فِي زِيٍّ مَظْلُومٍ ، وَإِنَّهُ لَظَالِمٌ ، وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ وَجَعَ السَّلِيمِ^(٥٩) ، وَهُوَ سَالِمٌ » •

ومن الملاحظ أنه ، على الرغم من الأسلوب البسيط ، الذي ارتضاه الأديبي لنفسه إلا أنه قد مال الى استعمال بعض المعاني الصعبة ، التي لا تفهم الا بشرحها •

ومن منشور كلامه ، ما كتبه الى واحد ، بعث اليه شاة^(٦٠) :

« وَصَلَتِ الشَّاةُ فَكَانَتْ شَاةَ الشِّيَاةِ ، حَسَنَةَ الْحَلِيِّ وَالشِّيَاةِ^(٦١) ، فَفَرَّجَ الْفَرَارِيحُ بِمَكَانِهَا ، وَمَلَأُوا مِنْهَا حَوَاصِلَهُمْ^(٦٢) ، وَتَنَوَّأُوا بِالْذِّشَاءِ^(٦٣) وَالذِّشَاءُ أَنَامِلُهُمْ » •

وله أيضاً^(٦٤) : « سَاعَدَتِ الْأَيَّامُ بِالْمُرَادِ ، وَوَقَّتْ بِالْمِيعَادِ ، وَجَمَعَتْ لِي بَيْنَ طَرَفَيْ الْإِصْفَادِ ، وَالْإِصْفَادِ » •

ومن منشوره أيضاً قوله^(٦٥) :

« حَفَرْتُ مَوَالِيَا الْحَضْرَةِ ، الَّتِي تُضْرَبُ إِلَيْهَا أَكْبَادُ الْإِبِلِ^(٦٦) ، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، وَتَمْتَدُّ نَحْوَهَا أَعْنَاقُ الْأَمَلِ ، مِنْ كُلِّ قَوْجٍ وَقَرِيقٍ » •

ومن ثمره الذي خرج به الى المدح قوله^(٦٧) :

(٥٩) السليم : الذي لدغته الأفعى تجوزاً بأنه يسلم بعد .

(٦٠) ينظر معجم الادباء ٢ : ١٣٣ .

(٦١) الشيات : جمع شية ، وهي العلامة . جانس بها بين شياة الاولى ، التي هي جمع شاة ، وبين شيات الثانية التي هي العلامات .

(٦٢) أي التقطوا من العلف الذي قدم اليها . ومن المحتمل انه يريد انهم شربوا من لبنها .

(٦٣) الذباء : القرع ، واحدته دباءة .

(٦٤) معجم الادباء ٢ : ١٣٣ .

(٦٥) المرجع السابق ٢ : ١٣٣ - ١٣٤ .

(٦٦) أي ان يرحل اليها .

(٦٧) المرجع السابق ٢ : ١٣٤ .

« أَيْتَامُ مَوْلَانَا مُشْرِقَةٌ كَأَخْلَاقِهِ ، وَأَخْبَارُهُ عَيْقَةٌ » (٦٨)

كَأَعْرَاقِهِ (٦٩) ، تَزْهِي (٧٠) بِجَلَالِ مَكَانِهِ الرَّتَبُ وَالْمَهَارِجُ ، وَتُزَيِّنُ بِكِرَامِ (٧١) وَجْهِهِ الْأَعْيَادُ وَالْمَهَارِجُ (٧٢) .

ومن الجدير بالذكر ، أن تشير إلى أن من أشهر الناثرين في هذا المجال ، الكاتب أبا بكر الخوارزمي ، وجار الله الزمخشري ، ورشيد الدين الوطواط ، ولم تتعرض لهم هنا ، لأننا رأينا أن نفرد لكل منهم ، دراسة خاصة به ، لنعطي صورة أوضح عن النثر العربي ، في هذا الاقليم .

(٦٨) أي ذكية الرائحة ذات عبق . والعبق : النثر والعبير . (٦٩) أعراق الرجل : أصوله . وفي الكلام تشبيهه . (٧٠) تزهى : تزين . (٧١) أي من الزهو وهو الإعجاب ، أي أن الرتب والمعالى تفخر به ، وتشبه إعجاباً بقدرة .

(٧٢) أي يكسو وجهه الأعياد والمهرجانات ، زينة وحشنا .

(٧٢) المهارج : جمع مهرجان ، وهو من أعياد الفرس . وتكتفي بهذه النماذج للدلالة على ثمره ، وقد أوردناه هنا قوت الحموي ، في كتابه : معجم الادباء ٢ : ١٣٤ - ١٣٥ نماذج أخرى .

النثر التأليفي :

وتقصد به ذلك النثر ، الذي تصاغ به المعارف الإنسانية ، المؤلفسة في أسلوب أدبي ، ولكنها لا تعني التعبير عن عاطفة ، أو تجربة تتصل بالعاطفة ، كما لاحظنا في النثر الخالص .

وقد عرف اقليم خوارزم ، النثر التأليفي ، بأوسع صورته ، وذلك للمستوى الثقافي ، والعلمي اللذين عما أنحاء هذا الاقليم .

ومن خلال دراستنا لبعض مؤلفاتهم ، رأينا أنها تشترك بطابعها الثقافي ، العربي منه والاسلامي ، ولكنها تفترق فيما بينها ، تبعاً لميول أصحابها ، وميلهم الى فرع معين ، من فروع الثقافة .

ومن الجدير بالذكر ، أن الأدباء ، هم في الغالب المؤلفون ، وأن هناك الكثير ممن قام بدور فعال في الانتاج بالعربية ، ولا سيما أصحاب اللسانين منهم .

والنثر التأليفي يحتاج الى نضج عقلي ، وازدهار ثقافي واسع ، واستقرار نفسي ، وقد وجدت كل هذه العوامل ، في اقليم خوارزم ، الذي هنيء فترات طويلة ، بالهدوء والأمن والطمأنينة ، هذا بالإضافة الى بيئته الفنية ، الوافرة الخيرات ، التي سهلت سبل العيش ، وكانت من أسباب الاستجابة ، الى هذه الطريقة في أسلوب النثر .

وقد توفر الأدباء والعلماء ، على التأليف ، وأتجوا لنا الشيء الكثير ، حتى أن بعضهم ألف في أكثر أنواع فروع الثقافة الإسلامية ، كما فعل الامام جارا الله الزمخشري ، الذي ألف في القرآن والحديث ، واللغة والأدب ، والشعر والوعظ ، والفقہ (١) .

وامتاز بعضهم بأنه جمع الى جانب أطراف الثقافة الاسلامية ، والعربية

(١) تنظر مؤلفاته في معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ - ١٣٤ ، وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٤ .

ثقافات أخرى ، كالبيروني ، الذي كان يجيد لغته الأصلية الفارسية ، بالإضافة الى اللغة السنسكريتية واليونانية والهندية .

كما ظهر في هذا المجال أعلام مخلصون ، في التأريخ الأدبي ، وفي علوم الحديث والفقه ، والتاريخ ، والقراءات ، والتفسير ، والفلسفة ، وما إليها . ونخص بالذكر منهم ، الامام فخرالدين الرازي ، والامام الزمخشري أيضاً .

ومن النادرين المؤلفين ، في هذا الاقليم ، الغزّميني ، وله تأليف كثيرة، ذكر اللكنوي^(٢) ، وطاش كبرى زادة^(٣) منها : كتاب « شرح القدوري » ، و « رسالة الناصرية » و « زاد الأئمة » و « المجتبى في الأصول والفرائض » و « شرح مختصر القدوري » ، وكتاب « قنية المنية لتتيمم الغنية » « استصفاهما من البحر المحيط ، للبدیع القزويني » ، وكتاب « الحاوي » وغيرها .

ومنهم الفراوي^(٤) ، وكان من أعيان الكتاب ، ومن أحفظ الناس لما يستملي من لسان ذوي أمره ، حتى أملي عليه ألف كتاب مختلفات الأغراض ، لم يخطيء حرفاً ، ولا أخل بنكتة ، على حد قول البخارزي^(٥) .

وذكر البخارزي أنه كان يكتب في ديوان الشيخ أبي الفضل سوري بن المعتز ، الذي قال فيه :

قلتُ للنائبِ لما تبدتْ
لا تدوري بنكتة حولَ دوري
ليس للدهر مطمعٌ في اهتضامي
ظلٌّ سوري من الحوادثِ سوري^(٦)

(٢) الفوائد البهية . ص ١٧٠ .

(٣) مفتاح السعادة . ص ٢٧٩ .

(٤) هو أبو الحسن نصر بن محمد الفراوي . نسبة الى « فراوة » بلدة متطرفة من جهة خوارزم . يقال ان عبدالله بن طاهر ، هو الذي بناها ، في خلافة المأمون .

ينظر : المشتبه في الرجال ٢ : ٥٠٠ ، الجواهر المضية ٢ : ٣٣٣ .
نقلا عن السمعاني .

(٥) ينظر دمية القصر ٢ : ٩٠ . تحقيق د . الحلو .

(٦) استعمل الكاتب الحسنات البديعية في قوله : سوري الاولى اسم

ومنهم الزيدري^(٧) ، منشيء جلال الدين خوارزم شاه ، له كتاب معروف باسمه « تاريخ الزيدري » ، كتبه سنة ٦٢٢ هـ ، في انقراض دولة الخوارزميين ، وفتنة المغول ، ويعد من الوثائق المعاصرة المهمة .

ومنهم أبو المحامد ، عماد الدين^(٨) ، من رجال القرن السادس الهجري ، وذكرت كتب التراجم له عدة مصنفات منها : سلك الجواهر ونشر الزواهر ، و « خلاصة المقامات » ، وكتاب كبير سماه « خلاصة الحقائق » ، يشتمل على خمسين باباً ، في آثار ومواظ وحكايات ، ذكره اللكنوي ، قائلاً إن ابن قطلوبغا قد طالعه ، وقال فيه إنّه : « كتاب لم يكتحل عين الزمان ثانيه »^(٩) .

ومنهم المطرزي وله تأليف كثيرة ، ذكرت في كتب التراجم منها : « المغرب في لغات الفقه » و « الايضاح » أو « شرح مقامات الحريري » و « الاقناع في اللغة » و « مختصر اصلاح المنطق » ، ومقدمة في النحو سماها « بالمصباح »^(١٠) و « مختصر المصباح في النحو » ، ومقدمة فيه مشهورة ، سماها « بالمطرزية »^(١١) .

ونكتفي بهذا الكلام ، عن النشر التألفي ، لأننا لا نقصد في بحثنا هذا النوع ، من النشر أو النشر العلمي ، الذي سنعرض له بعد قليل ، وإنما هدفنا هو النشر الخالص الذي تمثل في الرسائل ، عند أبي بكر الخوارزمي ، ورشيد الدين الطوطا ، وغيرهما ، وفي المقامات ، عند الامام الزمخشري ، وإنما تعرضنا له من باب الإلمام به فقط .

الرجل الممدوح ، وسوري الثانية ، أي السياج الذي يحيط بالبناء ، يريد أن الممدوح كان حامياً له ، كالسياج بالنسبة للبيت .

(٧) هو الخواجة نورالدين محمد الزيدري الخراساني . ينظر عنه : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول . ص ٦٤ .

(٨) هو محمود بن احمد بن أبي الحسن ، أبو المحامد ، عماد الدين ، استاذ شمس الائمة الكردي . توفي سنة ٦٠٧ هـ .

(٩) تنظر الفوائد البهية . ص ١٦٦ .

(١٠) ينظر هدية العارفين ٢ : ٤٨٨ ، طبقات الفقهاء . ص ١٠٦ ، الفوائد البهية . ص ١٧٣ ، مفتاح السعادة ١ : ١٢٦ .

(١١) بنية الوعاة ٢ : ٣١١ ، الاعلام ٨ : ٣١١ ، روضات الجنات ٤ : ٧٣١ ، تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٧٩ .

النشر العلمي :

ونقصد به المؤلفات التي ألّفت ، في ميدان العلم ، لا في ميدان الفن ، وهي كثيرة منها في الجغرافية الفلكية ، ومنها في العلوم والرياضيات ، والتنجيم والفلسفة وغير ذلك .

وممن اشتهر بالفلك والتنجيم ، وكان من علماء الحساب ، في هذا الاقليم ، الجغمني ، وذكر المستشرق براون ، أن أكثر مؤلفاته ضاعت ، باستثناء كتاب واحد ، هو « الملخص في الهيئة »^(١) .

ومنهم ابن سينا ، وكان من الحكماء العلماء المسلمين ، الذين غلبت عليهم الفلسفة ، والذي يقال : إنَّ له من المؤلفات نحو مائة كتاب ، منها ٢٦ كتاباً ، في الفلسفة^(٢) .

ولم يقتصر ابن سينا على هذا ، وإنما ألّف في الطب ، ومن أشهر كتبه في هذا المجال ، « القانون » .

وترجع أهمية ابن سينا الى براعته ، في كثير من العلوم ، وخاصة الفلسفة والطب ، أما مؤلفاته ، فقد تناولت أكثر العلوم ، من فلسفة وطب ، وهندسة وفلك ، كما ألّف في الالهيات ، وفقه اللغة ، والفنون .

وأهم نادر علمي ، ظهر في القرون الوسطى ، وكان علماً من أعلام العلماء ، الذين جاد بهم القرن الرابع الهجري البيروني ، الذي استطاع بدقة عقله وسعة

(١) وذكر الزركلي في كتابه الاعلام ٨ : ٥٩ . رسالة في الحساب «مخطوط» وشرح طرق الحساب في مسائل الوسايا «مخطوط» . وفي دائرة المعارف الاسلامية « الترجمة العربية » ٧ : ٥٥ ذكر قسم آخر من مؤلفاته .

(٢) من أشهر كتبه في الفلسفة ، الشفاء . ويقول ابن خلدون في تاريخه ١ : ٦٠٥ بأنه سمع ان هناك ملاحم ايضا منسوبة لابن سينا . وينظر ايضا تاريخ التمدن الاسلامي ٣ : ١٩٦ .

علمه ، أن يخضع النثر ، ويعبّر به عن أعقد مشكلات العلم ، وأن يطوعه ليستوعب أدق فروعه من فلك وجغرافية ، ورياضيات وغيرها (٢) .

أما مؤلفاته فهي كثيرة ، ذكر ياقوت الحموي بعضها ، قال إن له كتباً في النجوم والهيئة ، والمنطق والحكمة تفوق الحصر ، وأنه رأى فهرستها في وقف الجامع بمرّو ، في نحو ستين ورقة ، وبخط مكتنز (٤) .

والواقع أن البيروني كان أحد أئمة الفكر العلمي والفلسفي ، كما كان ذا عقلية جبارة ، في أكثر الميادين العلمية ، ولذلك فاق علماء عصره ، بابتكاراته القيمة ، وبحوثه المستفيضة (٥) . وقد أعانته معرفته لعدة لغات ، على التوسع في مختلف العلوم ، كما أعانته شغفه بالعلم على ذلك . ومما يدل على هذا الشغف ، ما حكى عنه : أنه دخل عليه بعض أصحابه ، وهو يجود بنفسه ، فسأله وهو في تلك الحال عن مسألة ما ، طالباً جوابها ، خوفاً من أن يترك الدنيا وهو جاهل بها .

وكنموذج على ثره ، تقتطف بعض الفقرات من كتابه : تحديد نهايات الأماكن قوله (٦) :

« لما كانت العقول محتاجة الى الاستمداد ، والنقوش غير مستغنية عن الاسترفاد ، فأخلق بي أن أعرض ما يخطر بالبال ، من استنباط فن واكمال ، على الشيخ ليكتسي بتأمله اياه سربال البهاء ، ويكتسب برضاه به ، محاسن الدوام والبقاء ، فهو الفائز بعظم الأخلاق ، والحائز مزية الفضل بالاضافة والاطلاق ، وإني لا أكاد أصدق بموضوعات ، أصحاب صناعة الأحكام (٧) ، في

(٣) على الرغم من ان البيروني اشتهر ايضا في النواحي الادبيّة ، الا ان النواحي العلمية كانت غالبية عليه .

(٤) مكتنز : اي مجتمع . ينظر : معجم الادباء ١٧ : ٨٥ .

(٥) من الجدير بالذكر ان كل الدراسات التي تناولت البيروني ، تناولته من نواح معينة ، هي ناحية الشخصية الرياضية الفلكية ، التي ركز عليها المستشرقون خاصة . اما الجوانب الاخرى كالفلسفة والادب وسواهما ، فلم يتعرضوا لها الا عرضاً .

(٦) ينظر ص ٣ .

(٧) يعني احكام النجوم .

الأدوار وتدابير الكواكب ، لمثيها وألوفها ، وجريان الأحوال ، في العالم بأسره بحسبها » •

الى أن يقول : « إذا نظرت الى أهل زماننا ، وقد تشكلوا في أقطاره ، بشكل الجهل ، وتباهوا به ، وعادوا ذوي الفضل ، وأوقعوا بمن أئسم بعلم ، وساموا أنواع الظلم والضميم ، ثم أطبقوا — وان كانت الأمة لا تجتمع على ضلالة — على استحسان أقبح الأخلاق وأضرها بالكل ، التي معظمها الطمع لا على وجهه .. » •

وثره هذا — كما نراه — بعيد عن الصناعة البديعية ، يتوخى فيه الوضوح ، ويميل الى التعابير والألفاظ السهلة الواضحة •



الفصل الثالث

أبو بكر الخوارزمي

من كبار كتاب القرن الرابع الهجري ، المعروفين بإنشائهم بالعربية .
كان كثير الترحال ، في طلب العلم ، زار نيسابور وبلخ ، والعراق والشام
 وغيرها ، وسمع الشيوخ في الأدب والحديث والفقه . وتمرس في الكتابة
 والشعر ، تميزاً تاماً ، وساعده على ذلك استعداده الفطري ، للتقبل والتلقي ،
 كما ساعده ذهنه الوقاد ، وحافظته العجيبة ، وقريحته المتدفقة السيالة ، مما
 جعل أديباً كبيراً كالثعالبى يقول عنه^(٢) : « علم النثر والنظم ، يجمع بين
 الفصاحة العجيبة ، والبلاغة المفيدة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ » .

برع الخوارزمي في كتابة الرسائل ، ولا سيما الاخوانية منها ، وكان
 طابع التجويد والابداع ، ظاهراً على كل ما ينظم ، وما ينشئ^(٣) .

وحاز أبو بكر شهرة واسعة ، في ميدان الأدب ، فقصده الطلاب من كل
 حذب وصوب ، على أنه على الرغم من تلك المنزلة العالية ، في هذا الميدان ،
 عاش فقيراً بائساً ، يعاني ضنك العيش ومرارته . وهو يقول فيه^(٤) :

« إنما يكره الفقر ، لما فيه من الهوان ، ويستحب الغنى لما فيه من
 الصوان^(٥) » ، فاذا نبغ الضم من تربة الغنى ، فالغنى هو الفقر ، واليسر هو

(١) من الجدير بالذكر ان نشر الى ان دراسة الدكتور زكي مبارك ، لابي
 بكر الخوارزمي كاتباً ، هي دراسة جيدة ، ومع ذلك رأينا ان نخصه
 في بحثنا ، بدراسة مفردة ، وذلك راجع لمكانته الكتابية المرموقة ، في
 الكتابة الفنية ، في القرن الرابع الهجري . وراجع ايضا الى اننا ربما
 استطعنا ان نكشف بعض الجوانب الاخرى ، التي قد يكون الدكتور زكي
 مبارك اغفلها في دراسته ، او تجنبها خوفاً من التطويل .

ينظر كتابه : النشر الفني في القرن الرابع ٢ : ٢٥٩ - ٢٧٦ .

(٢) ينظر يتيمة الدهر ٤ : ١٩٤ (طبعة حجازي) .

(٣) ينظر ديوان رسائله .

(٤) المرجع السابق . ص ١١٣ ، يتيمة الدهر ٤ : ٢٠٣ . (حجازي) وفيه
 بعض الاختلافات عن الاصل .

(٥) اي صون الكرامة والنفس .

العسر ، لا بل الفقر على هذه الصفة ، والحالة والقضية ، أجمل من الغنى حالاً ، وأقل منه اشتغالاً ، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منك الرقبة من كل رق ، لا يلزمه اداء الزكاة ولا تتوجه اليه غوائل النابات ، ولا يستبطنه اخوانه ، ولا تطمع فيه جيرانه ، ولا ينتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا في الربيع باكورتته^(٦) ، ولا في الخريف فاكهته .. » .

فهذا الكلام كما تتصور صادر عن انسان ، ذاق مرارة الفقر وهوانه ، تلك المرارة التي تحولت أثناء الكلام ، الى حكم صادرة ، عن فكر متوقد ، وفهم للامور الدينية والدنيوية .

ومن الملاحظ أن العاطفة الصادقة ، هي ما يميز كتابة الخوارزمي ، وربما سبب ذلك يعود الى ضيق عيشه ، فقد عاش في وطنه ، وهو في أضيق حال . ولننظر اليه يقول من كتاب أرسله الى خوارزم شاه^(٧) :

« فَمَا زَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بِخَوَارِزْمٍ ، تُثَقِّلُنِي جَهْرًا ، وَتُخَالِتُنِي سِرًّا ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْهَا أَعْرَى مِنْ حَيَّةٍ ، بَعْدَمَا كُنْتُ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ ، وَأَفْقَرُ مِنَ الْحَجَرِ ، بَعْدَمَا كُنْتُ أَغْنَى مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَأَعْطَلُ مِنَ الْمُحْرَمِ ، بَعْدَمَا كُنْتُ أَحْلَى مِنَ الشَّمْسَةِ^(٨) . قَدْ كَسَّرْتُ كَسْرَ الْجَوْزِ ، وَقَشَّرْتُ قَشْرَ اللُّوزِ ، وَجَرَى عَلَيَّ مِنْ مَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَجْمَعِ أَسْرَتِي ، وَمَقْطَعِ سِرْتِي ، مِنَ الْعِزْمِ الثَّقِيلِ مَا كَانَ مِنَ الثَّقْلِ أَثْقَلِ ، وَمِنَ الذِّلِّ الطَّوِيلِ ، مَا كَانَ مِنَ الطُّوْلِ أَطْوَلَ ، وَمَرَّ عَلَى رَأْسِي ، مَا لَوْ مَرَّ عَلَى رَأْسِ الشَّابِّ لِشَابِّ ، وَلَوْ نَزَلَ بِالْحَدِيدِ لَكَذَابٌ .. » .

وأبو بكر بليغ في كلامه ، مما جعل الثعالبى أيضاً يشهد له بهذه البلاغة ، مستشهداً له بشيء من ثره ، للدلالة على تلك البلاغة المتمثلة في قوله^(٩) :

(٦) باكورة الشيء : أول ما يظهر منه .

(٧) ينظر : التمثيل والمحاضرة . ص ١٤١ .

(٨) هكذا جاءت في الاصل (الشمس) مع تاء التأنيث .

(٩) ينظر : التمثيل والمحاضرة . ص ١٤١ .

« لا صغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العظلة والبطالة ، وإنما الولاية أُنْثِيَتْ وتَصَغُرُ وتكبر بواليتها ، ومطية تحسن وتقبح بممتطيتها ، والصدر بمن يليه والدُسْتُ (١٠) بمن يجلس فيه ، والأعمال بالعمال ، كما أن النساء بالرجال .

إنَّ ولاية المرء ثوب ، فإن قصر عنه ، عَرِيَ منه ، وإن طال عليه ، عَثِرَ فيه » .

ومن ايجازه وسحر بيانه ، قوله (١١) :

« قد أراحني الشيخ ببره ، بل أتعني بشكره ، وخفف ظهري من ثقل المحن ، لا بل أثقله بأعباء المنن ، وأحيانني بتحقيق الرجاء ، بل أماتني بفرط الحياء ، فإتي له رقيق ، بل عتيق ، وأسير بل طليق » .

فهذه الكلمات من أحسن وأظرف ما يمكن أن يقال .

وأهم ما في رسائل أبي بكر ، أنها تعرفنا على بعض الظواهر الاجتماعية ، ومدى تقبل المجتمع لظاهرة منها أو رفضه لها ، مثل ظاهرة زواج الأم الأرمل العجوز ، فقد كانت ظاهرة من الظواهر ، التي لا يقرها المجتمع ، كما كانت مؤلمة للابن ايلاً شديداً ، حيث يصبح مجالاً للتندر والسخرية ، لذلك فهي مصيبة كبرى ، توجب العزاء للابن الذي حلت به المصيبة .

ومثال على هذا رسالة أبي بكر ، الى ابن مسكويه ، أحمد بن محمد بن يعقوب ، التي يقول فيها (١٢) : « العاقل أعزك الله تعالى ، لا يرى المحنة إذا تَخَطَّتْ دينه محنة ، ولا يرى النعمة ، إذا تعلقت بِذَنْبٍ خَطِيئَةٍ نعمة ، ولا يَريْدُ الشرفَ الا بالتقوى ، ولا يرى الضعة الا ما وضع ، من رتبته ، في الدار الأخرى ، وَبَلَغَنِي ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى ، فحمدتُ الله تعالى ، الذي رزقك والداً لا يلزمك حق أبوته ، ووعدك

(١٠) الدست : « دخيلة عباسية » وتعني صدر المجلس ، كما تعني الديوان والرياسة ، ومجلس الوزارة .

(١١) خاص الخاص . ص ١٣ ، الاعجاز والايجاز . ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٢) رسائل أبي بكر الخوارزمي . ص ٢١٣ - ٢١٤ .

أخاً ، لا يجعلك حمل أخوتِهِ ، وقد كنتُ أسأل الله تعالى ، أنْ يباركَ لك في حياتِها ، والآن أسأله أنْ يجعلَ لك بوفاتِها ، فإن القبرَ أكرمُ صهرٍ وإن الموتَ أسترُ ستر ، ولا تذهب نفسك حشرات ، على ما سبقك عليك الدهر ، وغلبك عليه الرزق ، فلا حمية فيما أحلَّ الله ولا مضايقة من حيث وسع الله ، وللإنسان إباء ، والحمد لله ، الذي كان العقوق من جهتها ، ووقع الجفاء من جنبها ، فإنك بررتَها صغيراً ، وبلغتَ مرادها كبيراً ، فاجتمع لك برٌّ ، ووقع لك على الله أجران » .

ففي هذه القطعة ، يواسي الكاتب الخوارزمي ، صديقه ابن مسكويه ، على البلوى التي حلت به ، بزواج أمه ، ذلك الغزاء المغلف بروح التفككه والسخرية ، التي لم تمنعه من الحكمة الرزينة ، الصادرة عن ذهن حاد ، وذكاء وقاد ، سهلاً للكاتب في هذه الرسالة الجمع بين النقيضين ، ومع ذلك جاءت صورة طريفة ، من الأدب الفكاهي ، الرفيع الساخر (١٣) .

كما يبين لنا بعض الظواهر الأخرى ، مثل انتقادهم للظلم ، المتمثل في شخصية الظالم ، ولذلك نرى أبا بكر يقول ، في وصف ظالم شديد في ظلمه (١٤) :

« وردَ علينا فلان ، ونحنُ نيام نومَ الأمانة ، وسكارى سكر الثروة ، ومتكونَ على فراشِ العدلِ والنصفة ، فما زال يفتحُ علينا أبوابَ المظالم ، ويحتلبُ فينا ضِرْعَى الدنانيرِ والدراهمِ ، ويسيرُ في بلادنا سيرة ، لا يسيرها السنوورُ في الغار ، ولا يستخيرها المسلمونَ في الكفار ، حتى افتقرَ الأغنياءُ ، وانكشفَ الفقراءُ ، وحسَى تركَ الدهقان ضيعته ، وجحدَ صاحبِ الغلةِ غلتهُ ، وحتى أخربَ البلادَ ، بل أخربَ العبادَ ، وحتى شوقَ إلى الآخرةِ ، أهلَ الدنيا ، وحسبَ الفقَرَ إلى

(١٣) ينظر الادب في موكب الحضارة الاسلامية . د . مصطفى الشكعة . ص ٧٤ . مط : مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٨ م .

(١٤) رسائل أبي بكر الخوارزمي . ص ١٣٨ - ١٣٩ .

أَهْلَ الْغَنَى ، وَحَتَّى نَشْفَ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ ، وَأَهْلَكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ،
وَحَتَّى لُتْقَبَ بِالْجَرَادِ ، وَكُنِّيَ أَبَا الْفَسَادِ ، وَصَارَ الدَّرْهَمُ فِي أَيَّامِهِ ،
أَقْلَ مِنْ الصَّدَقِ فِي كَلَامِهِ ، وَصَارَ الْأَمْنُ فِي أَعْمَالِهِ ، أَعَزُّهُ مِنَ السِّدَادِ فِي
أَفْعَالِهِ . . . » .

وَمِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا ، أَنَّ ظَاهِرَةَ ظَلَمِ الْحُكَّامِ ، كَانَتْ شَائِعَةً ، فِي
عَصْرِ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ ، كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ كَاتَبَ ، قَدْ تَنَاوَلَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ ،
تَنْفِيسًا لِمَا تَخْتَلِجُ بِهِ نَفْسُهُمْ ، مِنْ الْغَضَبِ وَالْحَقْدِ ، عَلَى الْحُكَّامِ الظَّالِمِينَ ^(١٥) .
وَلِلْخَوَارِزْمِيِّ رِسَائِلُ غَيْرُ قَلِيلَةٍ ، تَلْقَى بِعُضْضِ الضُّوْءِ ، عَلَى مَشْكَلاتِ عَصْرِهِ ،
وَعَلَى بَعْضِ ظَوَاهِرِهِ الْاجْتِمَاعِيَةِ ، نَلَاظُهَا وَاضِحَةٌ ، فِي أَثْنَاءِ رِسَائِلِهِ ، وَقَدْ
جَاءَتْ عَرْضًا ، وَلَمْ تَكْتُبْ بِقَصْدِ عِلَاجِ تِلْكَ الْمَشْكَلاتِ .

وَمِنْ الظَّوَاهِرِ الَّتِي نَسْتَشْفِهَا ، مِنْ كُتُبِ مَنْ تَرَجَمُوا لَهُ ، تِلْكَ الْمُنَافَسَاتُ
وَالْمُنَازَعَاتُ ، الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَشَدِّهَا ، بَيْنَ الْكُتَّابِ الْمَعَاصِرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَالَّتِي
كَانَتْ فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ ، تَقَامُ لَهَا الْمَجَالِسُ ، فِي الْأَمْكَنَةِ الْعَامَةِ ، أَوْ فِي دَارِ أَحَدِ
الْأَعْيَانِ أَوْ الْفُضْلَاءِ الْمَعْرُوفِينَ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ ، تَأْخُذُ شَكْلَ قَاعَاتِ
الْإِمْتِحَانِ ، بِمَا تَعْقِدُهُ مِنْ مَنَازِلَاتٍ ، بَيْنَ الْمُتَنَافِسِينَ ، أَوْ الْمُتَخَاصِمِينَ ، وَالَّتِي
تَنْتَهِي بِفَوْزِ أَحَدِهِمَا ، فَيَنْفُضُ الْمَجْلِسُ ، كَمَا حَدَثَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ ،
وَبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ .

وَمِنْ الظَّوَاهِرِ الْأُخْرَى ، الَّتِي تَوْحِي بِهَا لَنَا رِسَائِلُهُ ، ظَاهِرَةُ كَرَاهِيَتِهِ لِلْبَنَاتِ ،
وَعَدَمِ مَسَاوَاتِهِنَّ بِالذَّكُورِ ، وَاعْتِبَارِ مَجِيئِهِنَّ إِلَى الدُّنْيَا ، نَكْبَةً لِلْوَالِدِينَ ، لِأَنَّهُنَّ
عَوْرَةٌ تَكْلِفُ الرَّجُلَ الْكَثِيرَ لِسِتْرِهَا ، وَلِذَلِكَ فَالْقَبْرُ هُوَ أَحْسَنُ صَهْرٍ لِهِنَّ ، وَفِي
هَذَا يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ ، فِي أَحَدِ رِسَائِلِهِ ، مَعْزِيًا أَحَدَ الرُّؤَسَاءِ بِوَفَاةِ ابْنَتِهِ ^(١٦) :
« . . . وَلَوْلَا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ سِتْرِهَا ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ غُرَائِبِ أَمْرِهَا ،
لَكُنْتُ إِلَى التَّهْنِئَةِ أَقْرَبَ ، مِنَ التَّعْزِيَةِ ، فَإِنْ سَتَرَ الْعَوْرَاتِ ، مِنَ الْحَسَنَاتِ ،
وَدَفَنَ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ ، وَنَحْنُ فِي زَمَانٍ ، إِذَا قَدِمَ أَحَدُنَا فِيهِ الْحَرَمَةُ ،

(١٥) رَأَيْنَا بِدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيَّ ، قَدْ تَنَاوَلَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ فِي رِسَائِلِهِ .

(١٦) تَنْظُرُ رِسَائِلَ أَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ . ص ٩٢ .

فقد استكمل النعمة ، واذا زَفَّ كَرِيمَةً الى القبر ، فقد بلغ أمنيته من الصَّهْرَ .. » •

ففي هذه القطعة ، نرى الروح الجاهلية ، في نظرتها الى المرأة ، واعتبارها احدى العورات ، التي تلزمها المحافظة والستر ، ولذلك فهي ثقل ينوء الرجل بحمله ، فيتمنى الخلاص منه •

ومثل هذا نراه في كتاب آخر له ، بعث به الى كثير بن أحمد ، يعزيه في ابنة له فقدها ، يبين لنا فيه ، مدى استصغارهم ، لمنزلة المرأة ، فهو يقول (١٧) :

« ... ولأن يقع سهم الزمانِ على النسوانِ ، أمثل من أن يقعَ على الذكرانِ ، فالحمد لله تعالى الذي جعلَ في طيِّ المحنةِ منحةً ، ومزجَ الترحةَ بفرحةٍ ، فسترَ عورةً من حيث سلبَ أنْسا ونزهةً ، وكفَى مؤنةً من حيث جلبَ فجعةً ، وأبقَى الكبيرَ من حيث أخذَ واحدةً صغيرةً • وَجَمَلَ والدًا من حيث ائكلَ والدةً ، وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين ، فإنَّ الدهرَ إذا ساءَهم في القليلِ ، أحسنَ اليهم في الجليلِ ، وإذا كاشَقَهم في الخفيِّ المستور ، صانَهم في الجليلِ المشهور • » •

وديان رسائل الخوارزمي ، بمضمونه وأغراضه ومقاصده ، وأخيلته ، ما هو الا ديوان شعر منشور ، فيه أكثر الأغراض ، التي طرقها الشعر العربي ، من مديح وهجاء ، وتهنئة ورناء ، واستعطاف وعتاب •

ومن الشكوى رسالته ، الى صاحب الديوان قوله (١٨) :

« كِتَابِي الى الشيخِ من الديوانِ ، وأنا فيه ملتحفٌ بالحرمانِ ، مشتملٌ بالذلِّ والهوانِ ، قاعدٌ بينَ النقصانِ والخسرانِ ، عن يميني مستخرجانِ ، وعن يساري وكيلانِ ، والحمد لله على تصاريِفِ الدهرِ وأحوالِهِ ، وصلَّى الله تعالى ، على سيِّدِنا محمدٍ وآله ، قد أحضيتُ قلْمي

(١٧) المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩ •

(١٨) رسائل أبي بكر الخوارزمي • ص ١٣٨ - ١٣٩ •

ويدي ، في كتبي الى الشيخ ، أخطب نظره لي ، وأنشد ما أضلته من عنايته بي ، فلم يعطف عليّ عطفه ، ولم يشغل نجابتي طرفه .. » .

فالخوارزمي يبدأ رسالته بشكوى عامة ، ثم يعرض لمشكلته ، ومشكلة عامة الناس ، مع الوالي الظالم ، فيصفه بأوصاف غير حسنة ، فهو وال غير عادل ، يقتصب الأموال بشراهة ، حتى أدى الأمر بالناس ، الى تمني الموت ، فهو أرحم من هذا الظالم : « وحتى شوّق الى الآخرة أهل الدنيا » .

ولنستمر معه في كتابه ، لنراه يبالغ في وصفه لهذا الظالم ، فيضني عليه صورة مكبرة للظلم ، حيث يقول :

« والله ما الذئب في الغنم ، بالقياس اليه الاّ من المصلحين ، ولا السوس في الخزّ ، في الصيفِ عنده ، الاّ من المحسنين ، ولا الحجاج بن يوسف الثقفي ، في أهل العراق ، الاّ أول العادلين ، ولا يزّ دَجِرْد (١٩) الاّ في أهل فارس بالاضافة اليه ، الاّ من النبيين والصديقين ، ولا فرعون في بني اسرائيل إذا قابلته به ، الاّ من الملائكة المقربين .. » .

وفي هذه القطعة ما يدل على مدى مقدرة الكاتب ، في دقة تصويره تصويره لشخصية الظالم . ومقدرته الفنية في تشبيهاته ، واتقاء صورته عند المقارنة .

ومن ثره في العتاب ، ما كتبه الى أحد أصدقائه ، عاتباً عليه عدم زيارته له في محنته ، ومن ثم تهنتته حين زوال تلك المحنة عنه (٢٠) :

« كتابي وقد خرجت من البلاء ، خروج السيف من الجلاء ، وبروز

(١٩) وردت هذه الفقرة ، في رسائله . ص ١٣٩ هكذا : « ولا يحسب الاثيم في اهل فارس » ووردت في النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ٢٧٢ « ولا يزدجرد الاثيم » واثبتنا ما ورد في النثر الفني ، لانه اكثر انسجاما مع المعنى .

(٢٠) ينظر : رسائل أبي بكر الخوارزمي . ص ١٢٢ . ولسنا ندري ماهي تلك المحنة التي ذكرها اهي محنة المرض ، ام هي تخلصه من يد محمد ابن ابراهيم ، كما ورد في عنوان كتابه .

البدر من الظلماء ، وقد فارقتني المحنة ، وهي مفارق لا يشترق اليه ،
وودعتني وهي مودع لا يبكي عليه . والحمد لله على محنة يجليها ،
ونعمة ينيلها ويوليها . كنتُ أتوقعُ أمسَ كتابَ الشيخِ بالتسليّةِ ، واليومَ
بالتهنئةِ ، فلم يكاتبني في أيامِ البرحاءِ بأثنا غمته ، ولا في أيامِ الرخاءِ
بأثنا سرته . . . »

ففي هذه القطعة ، ترى الهيجان العاطفي بأجلى صورته ، ولعل ذلك ناتج
عن طبع الخوارزمي ، وسرعة غضبه .

وكتب الخوارزمي يصف بؤسه وتغير الناس عليه ، حتى أدى به بؤسه
الى تشتت أفكاره ، فهو يقول (٢١) :

« كتابي الى الشيخ ، وقد أمضتُ الأيام في حكمها ، وأنفدتُ في صبري
وتجلدي سهمها ، والحمد لله تعالى على كل شيء ، الا غيبتني عن الشيخ ،
الى غايةٍ ليسَ بينها وبينَ الموتِ حجاز ، ولا وراءها للبلاءِ مجاز ، حتى
لقد ركبْتُ غيرَ دابتي ، وأكلْتُ غيرَ نَفَقَتِي ، ونزلْتُ بيتاً بكرأ ، وأكلْتُ
خبزاً بَسْراً (٢٢) ، وحرمتُ العيني (٢٣) ، وشربتُ
الزَبِي (٢٤) ، ولبستُ الصوفَ في المصيف ، والبرد في الخريف ،
وكوتبتُ مواجهة ، وخطبتُ بالكافِ مشافهة . وأجلستُ في صفِّ النعال ،
أعني أَخْرِيَاتِ الرجالِ . وناظرَني من كانَ يدرس علي (٢٥) ، وخالفني
من كانَ يختلفُ اليَّ . وحتى لقد نَشَرْتُ عليَّ جاريتي (٢٦) ، وحزنتُ عليَّ

(٢١) تنظر رسائله . ص ٤٢ - ٤٤ « من كتاب بعث به الى ابي علي البلعمي ،
لما فارق الحضرة وورد نيسابور » .

(٢٢) البُسْر : الفض من كل شيء . والبَسْر : ما لم ينضج .

(٢٣) العيني : العين من الماء : الظاهر الجاري على الارض . والعَيْنُ والعَيْنُ :
من الأسْقِيَةِ « والكسر اكثر » : الذي سال ماؤه ، او الجديد .

(٢٤) الزبيبي : نقيع الزبيب ، ويسمى الخشاف .

(٢٥) وردت في الاصل « يدوس » ولعلها مصحفة . واثبتنا ما رأيناه مناسباً
للمعنى .

(٢٦) نشزت المرأة بزوجها : استعصت عليه وترفعت عنه ، وخرجت عن

دأبني (٢٧) ، وتقدمني في السير رفيقي ، الذي جمعني وایاه طريقي « . . . » .
 وديوان رسائله مليء بهذه الأغراض الأدبية ، التي عرفها الشعر العربي ،
 وهي ليست خاصة بطبقة من الناس ، وإنما كانت توجه الى السلاطين والأمراء ،
 والوزراء والقضاة والعَمَـال ، والعلماء واللغويين . وهي تارة تهنيء بالعيد
 وبالمُنصب وبالنجاة من محنة ، أو من مرض ، والشكر على هدية ، وتارة
 بالتعزية بوفاة وغير ذلك .

وفي ديوان رسائله ما يظهره لنا مغالياً في تشييعه . كتب الى جماعة من
 الشيعة في نيسابور يقول (٢٨) :

« قال أمير المؤمنين ، ويعسوب الدين عليه السلام : المحن إلى شيعتنا
 أسرع من الماء إلى الحدور . وهذه مقالة أُسِسَتْ على المحن ، وولد أهلها في
 طالع الهزاهز والفتن ، فحياة أهلها نَفْصٌ » ، وقلوبهم حَشَوها غصص ،
 والأيام عليهم متحاملة ، والدنيا عنهم مائلة . فاذا كنا شيعة أئمتنا في الفرائض
 والسنن ، ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن ، فينبغي أن تتبع آثارهم في
 المحن ، غصبت سيدتنا فاطمة — صلوات الله عليها وعلى آله — ميراث
 أبيها صلوات الله عليه وعلى آله ، يوم السقيفة وأُخِّرَ (٢٩) أمير المؤمنين عن
 الخلافة ، وسُمِّى الحسن رضي الله عنه سِرّاً (٣٠) ، وقُتِلَ أخوه كرم
 الله وجهه جبراً ، وصُلِبَ زيد بن علي بالكُنَاسَةِ (٣١) ، وقُطِعَ رأسُ

طاعته ، وبغضته وفركته . وقيل : النشوز يكون بين الزوجين فقط .
 وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم والاحاديث .

(٢٧) حُرنت : أي صارت حرونا . والحرون : ذات الحيران من ذوات الحافر :
 وهي التي اذا استدر جريها وقفت .

(٢٨) تنظر رسائله . ص ١٦١ — ١٧٢ . والكتاب طويل وقد اكتفينا ببعضه .
 وينظر هذا الكتاب أيضا في : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون .
 ص ٢١٢ .

(٢٩) وردت في الأصل « آخَر » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣٠) وردت في الأصل « سر » بالرفع ، والصحيح ما أثبتناه بالنصب .

(٣١) الكناسة : محلة بالكوفة ، عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي ، زيد بن
 علي بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب ، عليه السلام .

زيد بن علي في المعركة ، وقتل ابنه محمد وإبراهيم ، على يد عيسى بن موسى العباسي (٣٢) .. » .

وتظهر لنا في هذا الكتاب ، روح الخوارزمي المتمردة الثائرة ، الحاقدة على كل من عادى أهل البيت عليهم السلام . وقد تعرض الدكتور زكي مبارك ، لهذه الرسالة وعلق عليها بقوله : إنها تبدو لمن يقرأها ، وكأنها صاعقة تصب على رؤوس من عادى الرؤساء ، كما يبدو الخوارزمي فيها ، وهو أزرق الناب ، مسموم اللعاب ، كالحية النضاض . وفيها أيضا يبدو طيب أبي بكر وخبثه ، وكرمه ولؤمه (٣٣) .

والحقيقة أننا لو نستمر مع الخوارزمي في هذه الرسالة ، لرأيناه فيها تارة مثلما ذكره الدكتور زكي مبارك . وسنراه تارة مؤمنا متبتلاً ، خاشعاً صبوراً .

وأبو بكر الخوارزمي ، أديب معجب بنفسه وبقومه كل الإعجاب ، يطرب لمن يطربه ، حتى يصل به الطرب أحياناً حد الغرور ، حين يقول (٣٤) :

« إن قوماً أنا أصغرهم لكبار ، وإن أمة أبو ذرٍّ شرّها لخيار » .

والواقع أن الخوارزمي في رسالته هذه ، ما هو الا صدى للمتنبى ، فهو يصور أخلاقه تصويراً دقيقاً ، في روحه المتمردة ، ونفسه المتعالية المتفاخرة ..

والخوارزمي شاعر في منشوره ، سلك الطريق الذي سلكه ابن العميد من قبل ، وبهذا يكون قد ابتعد عن طريق الترسل الذي نهجه ابن المقفع ، ثم الجاحظ من بعده ، الى طريق السجع الذي نهجه ابن العميد ، وإن رأينا أبا بكر الخوارزمي ، يذكر في إحدى رسائله ، أنه سار في ثره مترسلاً ، ولكنه في الحقيقة بعيد كل البعد عن الترسل (٣٥) .

(٣٢) النص مضطرب ، لان إبراهيم ومحمد هما ابنا عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن ، وليس ابني زيد بن علي .

(٣٣) ينظر النشر الفني في القرن الرابع الهجري ٢ : ٢٧٥ .

(٣٤) تنظر رسائله . ص ١٢٩ .

(٣٥) يقول في إحدى رسائله . ص ٢٣١ « ... وخرجني واصطنعني ، فتعلمت الترسل من ثره .. » .

مميزات فنه الكتابي :

كان أبو بكر الخوارزمي ، كثير المحفوظ من الشعر والنثر ، وأمثال العرب • ولكنه كان حزين النفس ، لبعده عن وطنه ، وعدم استقراره ، وضيق عيشه ، واحساسه بالبؤس والشقاء ، فأثر ذلك في أدبه ، وطبعه بطابع حزين ، على الرغم من الطابع الفكاهي ، الذي يلون أسلوبه أحياناً • ولننظر اليه وهو يقول^(١) :

« ياملك الموت الى كم تنام ؟! » • فهو يطلب الموت ، ليخلصه من بؤسه وشقائه ، وهل يطلب الموت الا من ملّ الحياة ؟ •

يغلب على أسلوب الخوارزمي ، السجع والوضوح وقلة الغريب • وهو يستعين بالأدب القديم ، ويستشهد بالشعر ، مما يدل على كثرة محفوظه ، مما جعل أديباً مثل الزركلي ، يعده من أئمة الكتاب^(٢) ، كما عده المستشرق آدم متز من أكبر كتاب العرب ، وأشهرهم في كتابة الرسائل الإخوانية^(٣) •

والواقع أن رسائل أبي بكر ، مقصورة على هذا النوع من الرسائل ، وقد أجمع من ترجموا له ، أنه نادر أبرع منه شاعراً • ولا يفض هذا من منزلته الشعرية ، وإن فاقت براعته في النثر براعته في الشعر •

وديان رسائله شبيه برسائل سابقه ، من حيث الشغف بالألفاظ الجزلة ، والتشبيهات الحسنة • والقلق الناتج عن نفسية الكاتب القلقة • كما يلاحظ عنده المبالغة والتكرار ، الناتجان عن أسلوبه الساخر الفكاهي أحياناً ، ومن رسائله في هذا المجال قوله^(٤) :

« فلان» أبطأ عليّ ، فليت شعري الريح قلعته ، أم الأرض ابتلعتة ، أم

(١) ينظر : التمثيل والمحاضرة . ص ١٢٤ .

(٢) ينظر كتابه : الاعلام ٧ : ٢٠٥ .

(٣) ينظر كتابه : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٤٣٣ .

(٤) ينظر ديوان رسائله . ص ١١١ .

الأفعى نهشته ، أم السباع افترسته ، أم الغول أغوته ، أم الشياطين استهوته ،
 أم أصابته باقعة ، أم أحرقت صاعقة ، أم رفته الجمال ، أم اغتاله
 الجمال .. » .

ففي هذه القطعة ، يظهر أسلوب الخوارزمي الساخر ، الذي كثيراً
 ما يعمد إليه باعتباره طريقة فنية ، لما يحويه من تكرار وحشو .

ومن فكاهاته أيضاً ، رسالته في وصف بستان ، يذكر فيها أن ذلك
 البستان ، كان مرتعاً لناظره ، ومتنفساً لخاطره ، ومجالاً لبصره ، ومداراً
 لفكره إذ ليس فيه زاوية ، الا وقد صب عليه فيها كأس ، ونام في حافتها وجه
 صبيح ، وتقلب في أطرافها قدّ مريح .. ثم يفاجئنا بقوله : بأن بستانه هذا ،
 ما هو الا : « بَقِيْعَةٌ طولها باع ، وعرضها ذراع ، أعني باع البقعة ، وذراع
 الذرة ، وأقلّ من لا ، وأصغر من الجزء الذي لا يتجزأ . لو طارت عليه
 ذبابة لغطته ، أو دخلته نملة لسدته ، تسقى بالمسقط^(٥) صباحاً ، وتكنس
 بالظلال مساءً ، أشجاره مائة الا تسعة وتسعين ، وأنهاره خمسون إلا تسعة
 وأربعين^(٦) .. »

كما يميل الخوارزمي في بعض الأحيان ، الى الإطراف والتجديد في
 كتابته ، مثال ذلك رسالته التي يظن القاريء حين يقرأها لأول وهلة ، أنها
 قيلت في وصف بستان ، ولكنه حينما يتمعن فيها ، ويصل الى نهايتها ، يرى
 أنها في وصف الشعراء يقول أبو بكر في هذه الرسالة^(٧) :

« البستان قد وعدتني يا سيدي ، وظيفته بالشجر ، وبالنور والزهر ،
 وأنت يا سيدي قمين^(٨) ، ووافؤك ضمين ، وذلك المكان مرتفع ناظري ،
 ومتنفس خاطري ، ومجال بصري ، ومراد فكري ، وتقلي اذا شربت ، ومحدثي

(٥) المسقط والمُسَقَطُ الاناء يجعل فيه السعوط ، ويصب في الأنف .
 وجاءت كلمة (لسدتها) في النص وأثبتنا (لسدته) تمشياً مع النص .

(٦) ينظر ديوان رسائله . ص ٢٠ .

(٧) المرجع السابق . ص ١٩ - ٢٠ .

(٨) القمن والقمين : السريع : القريب . وهو قمن ان يفعل كذا وقمين به :
 جدير .

إذا خلوت ، وتسليتي اذا اغتممت ، وشمامتي إذا شممت ..
وكأني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس ، فظنوا أنني
أصف بستان الزاهر^(٩) ، أو دار ابن طاهر^(١٠) ، أو أذكر
الجعفرية^(١١) ، أو البركة المتوكلية ، أو أعني صفد خراسان^(١٢) » .

وهكذا نراه ينتقل من فكرة الى أخرى، حتى نراه يقول في نهاية الكتاب:
« وإني شاعر إذا أحس من لسانه بسطه ، ووجد في خاطره فضله ، وأصاب
من القول جريانا ، ووجد ميدانا ، وقال ما وجد بيانا ، وما ظنك بقوم :
الاقتصاد محمود إلا منهم ، والكذب مذموم إلا فيهم ، إذا ذموا ثلبوا ،
وإذا مدحوا سلبوا ، وإذا رضوا رفعوا الوضيع ، وإذا أغضبوا
وضعوا الرفيع ، وإذا أقرؤا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم أحد » .
وهكذا يستمر في ذكر مثل هذه الصفات ، التي تتردد عادة في شعر
الشعراء ، الى أن نراه يقول : « بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام ، يقتصرون

(٩) بستان الزاهر : احد بساتين قصور بغداد في العصر السلجوقي . ومحلّه
قرب جامع عادلة خاتون .

(١٠) ابن طاهر : لعله من آل طاهر بن الحسين ، ودار طاهر : يعني الحريم
الطاهري .

(١١) الجعفري : اسم قصر بناه أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله بن المعتصم
بالله ، قرب سامراء ، بموضع يسمى (الماحوزة) سنة ٢٤٥ هـ . وفيه
قتل سنة ٢٤٧ هـ . وهذا القصر هو الذي يقول فيه البحتري :

قد تم حصن الجعفري ولم يكن ليتم إلا بالخليفة جعفر
في رأس مشرفة حصاها جوهر وترابها مسك يشاب بعنبر

تنظر الابيات في : أحسن ما سمعت ص ٨١-٨٢ .

والجعفرية : محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد . ينظر
معجم البلدان ٢ : ١٤٣ (طبعة بيروت) .

(١٢) صفد خراسان : جاءت في الاصل (صعد) ولعلها مصفحة والصواب
ما أثبتناه . والمراد بصفد خراسان ، الربع الرابع من ارباع خراسان ،
حسب تحديد بعض الجغرافيين . معجم البلدان ٢ : ٣٥١ (طبعة
بيروت) .

طويله ، ويخففون ثقله ، ويقتصرون معدوده • ولم لا أقول ما ظنك
 بقوم ، يتبعهم الغاؤون ، وفي كلِّ وادٍ يهيمون ، ويقولون ما لا يفعلون •
 ومن الملاحظ أن أبا بكر ، ختم كتابه مستشهداً بالآية الكريمة :
 « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم ترَ أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنَّهم
 يقولون ما لا يفعلون » (١٣) •

والخوارزمي يستشهد كثيراً بالشعر ، وقد يكون الشعر له أو لغيره ،
 ومثال هذا قوله من كتاب (١٤) ، بعثه الى وزير خوارزم شاه حينما نكبه ، ولا
 ندري سبب نكبه ، وكل ما نعرفه أن أبا بكر حاول في كتابه أن يخفف من
 تلك النكبة ، في نفس الوزير ، وذلك بلجوه في رسالته الى الحكمة والنصائح
 والتصبر ، ملقياً اللوم على الدهر، المولع بصب النكبات على رؤوس الأفاضل •
 ثم نراه يستشهد على ذلك بقول ابن المعتز :

يا محنة الدهر كفي إن لم تكفي فخفي
 قد آن أن ترحمينا من طول هذا التشفي

ثم نراه يطيب خاطره بقوله : إن هذه المحنة ما هي الا امتحان للوزير، حتى
 يستطيع أن يعرف عدوه من صديقه، ويستشهد على كلامه بقول البحتري (١٥) :

لئن ثنى الدهرُ من سَهني فلمْ يَصِلْ
 ورَدَّ من يَدي الطَّوْلَى فلمْ تَنَلْ
 لَقَدْ حَمِدْتُ ضُروفاً مِنْهُ عَرَفَنِي
 مَذْمُومُهَا عَصَباً مِمَّنْ عَلَيَّ وَلِي

ومثل هذا كثير في رسائل أبي بكر الخوارزمي •

وأخيراً نقول : إنَّ أبا بكر الخوارزمي ، كان موسوعة معارف ، فهو

(١٣) سورة الشعراء . آية ٢٢٤ •

(١٤) ينظر ديوان رسائله . ص ٤٠ - ٤١ •

(١٥) ينظر ديوانه م ٣ . ص ١٨٧٢ . تحقيق حسن كامل الصيرفي . مط :

دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م •

أديب ناقد للشعر والشعراء ، وناقد للانشاء • وصفه الأستاذ جرجي زيدان فقال : ولم يسبقه في هذا المجال ، الا ابن قتيبة ، المتوفى سنة ٢٦٧هـ • في كتابه أدب الكاتب (١٦) •

وتأييداً لهذا نقول : إنّ أبا بكر يتناول أحياناً ، في رسائله بعض ما يتصل بالأدب ، يتناوله تناول المحلل الناقد ، مع سلاسةٍ في التعبير ، وبذلك فإن بين أسلوبه وأسلوب كتّاب العرب ، في القرن الثالث الهجري ، شبهاً وقرباً (١٧) •

(١٦) ينظر كتابه : المختصر في تاريخ اللغة العربية . ص ١٥٥ .
(١٧) للتفصيل ينظر : تاريخ أدبيات ايران « فارسي » . ص ٦٣٩ - ٦٤٠ .

الفصل الرابع

أبو القاسم الزمخشري

من مشاهير الكتّاب ، في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

ونحن نراه من أكبر المؤلفين باللغة العربية ، ومؤلفاته لها مكانة علمية ودينية هامة^(١) .

وشهرة الزمخشري وخاصة في التفسير ، لا تحتاج الى اشارة ، وإنما أريد هنا أن أشير الى شخصيته كاتباً ، كما سبق أن أشرت اليه شاعراً وبيّنته . وقبل أن آخذ بهذا ، أبيّن أنه مع ما له من فضل على علوم اللغة العربية عامة ، كان استاذاً لعدد كبير من الأدباء والفقهاء والمحدثين^(٢) .

وقد شهد للزمخشري معاصروه ، بالعلم والفضل والأدب ، وأثنى عليه معظم مؤرخيه . قال ياقوت الحموي فيه^(٣) : « كان إماماً في التفسير والنحو والأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفنناً في علوم شتى^(٤) » . وقال السمعاني^(٥) : « كان يضرب به المثل ، في علم الأدب والنحو » .

(١) يكفينا دليلاً على هذا ان نشير الى كتابه : « الكشف » و « المفصل » و « أساس البلاغة » الذي يعطينا صورة واضحة ، عن تمكن الزمخشري من اللغة العربية ، تمكناً تاماً .

(٢) من تلاميذه بزمخشري : أبو عمرو عامر بن الحسن السمار . وبطبرستان أبو المحاسن اسماعيل بن عبدالله الطويلي . وبأبيورد أبو المحاسن عبدالرحيم بن عبدالله البزار . وفي سمرقند أبو سعد أحمد بن محمود الشاشي وغيرهم . والحقيقة ان تلامذته كثيرون ، وهم من بلدان مختلفة كما رأينا . وقد عقد لهم الدكتور الحوفي ، في كتابه : « الزمخشري » فصلاً خاصاً بهم ، فمن اراد الاطلاع على المزيد من اسمائهم فليُنظر ص ٥٢ .

(٣) معجم الادباء ١٩ : ١٢٦ .

(٤) تنظر مؤلفاته في مقدمة الادب ١ : ١١ - ١٨ .

(٥) الانساب . ورقة ٢٧٧ « مخطوط » .

وقال ابن خلكان^(٦) : « كان إمام عصره غير مدافع ، تشد إليه الرحال في فنونه » .

أما القفطي فقد قال فيه^(٧) : « ألقت العلوم إليه أطراف الازمة ، واتفقت على اطرائه الألسنة . وتشرفت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة . ولم يتمكن في دهره واحد من جلاء رذالة^(٨) النظم والنثر ، وصقال صوارم الأب والشعر ، الا بالاهتداء بنجم فضله ، والاقتداح بزند عقله » .

وهذا السيوطي يقول فيه^(٩) : « كان واسع العلم كثير الفضل ، غاية في الذكاء وجودة القريحة ، متفنناً في كل علم ، معتزلياً قوياً في مذهبه » .

وقال فيه صدر الأئمة ، الموفق بن أحمد المكي : « خوارزم كانت قبل فخرها^(١٠) ، مزهوة بأبي بكرها ، متباهية به ، مباهاة بكرها ، تعده لغرائب من رغائبها ، وتعهده لرغائبه من غرائبها ، وما أخطأت خوارزم باعتقادها فيه . »^(١١) .

وعلى هذا الأساس نستطيع القول : إن الزمخشري يمثل من ناحية تفكيره ، أنموذجاً طريفاً فريداً .

وصل إلينا من نثر الزمخشري ، مقاماته ومقالاته^(١٢) . وهذه وهذه تمثل لنا الفترة الثانية من عمره أي بعد توبته^(١٣) .

(٦) وفيات الاعيان ١ : ١٠٧ .

(٧) انباه الرواة على أنباه النحاة ٣ : ٢٦٥

(٨) وردت في الاصل « رذائل » ولعل الصحيح ما اثبتناه . ورذالة او رذال بمعنى : ما انتفى جیده ، وبقي رديته .

(٩) بغية الوعاة ٢ : ٢٧٩ .

(١٠) أي الزمخشري ، لانه يسمى فخر خوارزم . اي ان خوارزم قبل الزمخشري ، كانت تزهو بأبي الخوارزمي ، وهو أهل لذلك .

(١١) ينظر : مجمع الاداب في معجم اللقاب ح ٤ . ق ٣ . ص ٣٩٢ .

(١٢) أقصد بها كتابه أطواق الذهب .

(١٣) من الممكن تقسيم حياته العلمية الى فترتين : الفترة الاولى حتى سنة ٥١٢هـ ، وهي السنة التي مرض فيها بالمرض المنهكة ، كما سماها في مقاماته . ويطلب على تأليفه في هذه الفترة الطابع اللغوي والنحوي . والفترة الثانية : بعد سنة ٥١٢هـ حتى سنة ٥٣٨هـ ، وهي سنة وفاته ، ويطلب عليها الطابع الديني والوعظي .

ومن خلال دراستنا لمقاماته ومقالاته ، وحكمه المسجوعة ، في كتابه
« الكلم النوايع »^(١٤) ، ومن التنف المتناثرة ، التي استطعنا الحصول عليها
في كتبه ، سندرسه كاتباً فنياً . أما رسائله التي ذكرت في بعض المصادر^(١٥) ،
فلم نستطع الحصول عليها ، لأنها ما زالت مفقودة .

على أننا وإن لم يتأت لنا الحصول على رسائله هذه ، فإن الذي بين أيدينا
من نثره ، يمكننا من اصدار الأحكام ، التي نطمئن إليها كل الاطمئنان .

امتاز الزمخشري عن سابقه من النثرين ، بأسلوبه الوعظي التجريدي ،
وقد عرفنا عن بديع الزمان في مقاماته ، أنه جعل لها شخصية معروفة ، وهي
شخصية عيسى بن هشام . وكذلك فعل الحريري ، فجعل أبا زيد شخصية
لمقاماته . أمّا الزمخشري فلم يفعل فعلهما ، وإتّما حاول أن يخلق من نفسه
شخصية أخرى ، فيخاطبها بكنيته ، وهذا النوع من الخطاب بالكنية يأتي عادة
في أساليب التجنب ، وهو يستفتح مقاماته بقوله : « يا أبا القاسم » — وهي
كنيته — ويلجأ الانسان عادة الى مخاطبة نفسه ، في الحالات العاطفية ، التي
تصل فيها العاطفة ذروتها . وفيها يبدو الزمخشري ، وهو على أشد حالات
الندم والتوبة ، وأشد حالات الرجاء والاستعطاف لقبول توبته ، للتكفير عن
ماضيه .

كان جارا لله الزمخشري ، في فترة حياته الأولى ، يمدح الملوك والوزراء ،
والعظماء ، ويحصل على عطاياهم ، وبعد مرضته التي سماها بالمرضة المنهكة
وتوبته ، أخذ العهد على نفسه ، ألا يطاء عتبة سلطان مادحاً ، وأخذ يترفع عن
فعل ما كان يبيحه لنفسه ، ونأى بها عما يرتضيه غيره من الأدباء ، لكسب العيش
عن طريق التزلف الى الملوك ، والوزراء والرؤساء والأمراء ، وغيرهم . كما
حزّ في نفسه تجاهل حكام عصره لمنزلته ، ورفع من هم دونه مكانة ، وتبوؤهم
ما لا يستحقونه من المنزلة والجاه ، فكان لهذا عظيم الأثر في نفسه الحساسة ،

(١٤) ورد اسم هذا الكتاب ، في كثير من المصادر باسم (نوايع الكلم) .

(١٥) ذكرها ابن خلكان في وفياته : ٤ : ٢٥٤ . وذكرها ابن قطلوبغا في كتابه :
تاج التراجم في طبقات الحنفية . ص ٧٢ .

وهذا التأثير كان واضحاً في مقاماته ، وهي مواظ ونصائح ، ولكنها نصائح بليغة ، ومثالها قوله (١٦) :

« يا أبا القاسم أترك الدنيا قبل أن تترك ° ، وافرکها قبل ان تفرمک ° (١٧) ، طلق القائلة بماء فيها أنا غدارة ° غراره ° ، ختالة ° ختاره ° (١٨) ، وما الفائل ° (١٩) رأيه الا من رأي على الأخرى مختاره ° ، لا تني أيامها ولياليها ينحتن من أقطارك ° (٢٠) ، فقضي فيها أسرع ما تقضي أهم أوطارك ° ، إن أهم أوطارك فيها تزودك منها ، فالبدار البدار ° (٢١) قبل اشخاصك عنها ° ° » (٢٢) .

ومن هذا يظهر لنا ، أن الزمخشري كتب مقاماته ، في الفترة الثانية من حياته ، تلك الفترة التي تحررت فيها نفسه من مباحج الحياة ، وندم على العمر الذي قضاه في الوقوف ، على أعتاب الأمراء والوزراء وغيرهم ، وعاتب نفسه على ما فرط منها ، في طلب ذلك الزائل ، وعزفها عن طلب الأبدى حيث يقول (٢٣) :

(١٦) مقامات الزمخشري . ص ٢٢ - ٢٤ .

(١٧) الفرك والغرك : ان تبفض المرأة زوجها . قيل : وهذا حرف مخصوص به المرأة والزوج ، ولم يسمع في غير الزوجين . وهو هنا يشبه الدنيا بالمرأة ، ويحث على الابتعاد عن ملذاتها وتطليقها ، كما تطلق المرأة .

(١٨) الختل : الخدع ، وكلب ختال : يختل : الانسان حتى يشب عليه . والختر : اقبح القدر .

(١٩) الفائل رايه : اي ضعيفه .

(٢٠) ينحتن من أقطارك : يأخذن من جوانبك ، بمعنى ينقصن قواك ويضعفن بدنك .

أقطارك : القطر : الناحية والجانب ، والجمع أقطار .

(٢١) البدار : بدر الى الشيء : أسرع وسبق . والزمخشري هنا يحث نفسه على الاسراع في عمل الخير ، قبل ان يترك الدنيا .

(٢٢) اشخاصك : شخص عن قومه : خرج منهم . وشخص من بلد الى بلد : ذهب او سار . والمراد هنا : تركه الدنيا .

(٢٣) اطواق الذهب . ص ٣٨ - ٣٩ .

« يا عَبْدَ الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ ، مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا ؟ ، ويا أُسِيرَ الْحَرِصِ وَالطَّمْعِ ، مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا (٢٤) ؟ هَيْهَاتَ لَا عِتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ الْمُمَزَّقِ (٢٥) ، وَلَا اِطْلَاقَ أَوْ تَقَادِي بِخَيْرِكَ الْمُتَلَزَّقِ (٢٦) ، يَا مَنْ يُشْبِعُهُ الْقُرْصُ ، مَا هَذَا الْحَرِصُ ؟ ويا مَنْ تُرْوِيهِ الْجُرْعُ ، مَا هَذَا الْجَزَعُ ؟ سَتَعْلَمُ غَدًا (٢٧) إِذَا تَنَدَّدْتُمْ أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتُمْ ، وَإِذَا لَقِيتَ الْمَنُونَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ ، وَلَا بَنُونَ . مَا يَصْنَعُ بِالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ (٢٨) ، عَابِرُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ (٢٩) ، وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَحَةِ ، نَازِلٌ ظِلِّ هَذِهِ السَّرْحَةِ (٣٠) » .

ومن هذا يظهر لنا ، أن الكاتب كان خصباً في لغته وانشائه ، ملتمساً بمفردات اللغة ومترادفاتها ، ونراه نسيج وحده في مقاماته وإن كان قد تأثر ،

(٢٤) أي يا خادماً النقيدين ، في أي وقت تترك خدمتهما ، وتخدم ربك ؟ . والمراد به : التوبيخ على صرف كل همته وخدمته ، في طلب الرزق . ومثله قوله : يا أسير الحرص . . الخ : أي فاتق الله ، وجمل في الطلب . (٢٥) قوله هيهات . . الخ : أي بعد ذلك الاطلاق والعنق على ضعيف الاعتقاد . وقوله لا عتاق : تأكيد أي لا تعتق نفسك ، إلا بالمكابرة على دينك المخرق ، أي بترك عبادتك الناقصة ، ولا تطلقها إلا أن تغذيها بحسناتك .

وقوله الممزق : كقولهم المرقع .

(٢٦) الملقق : يقال لغير المتمكن ملزق .

(٢٧) قوله ستعلم غدا : أي يوم الميعاد .

(٢٨) القناطير : جمع قنطار وهو مائة رطل من ذهب أو فضة .
المقنطرة : المكمل .

(٢٩) القنطرة : الجسر فوق النهر . والمراد به هنا الدنيا .

(٣٠) السرحة : واحدة السرح : وهو كل شجر طال ، والتي لا شوك عليها ، أو هي الدوحة العظيمة المحلل ، يحل تحتها الناس في الصيف ، ويبنون البيوت تحتها ، وظلها صالح .

كما سنرى بالحريري ، وتأثره به واضح ، فقد كان معجباً به أشد الإعجاب ، حتى قال في مدحه (٣١) :

أقسم بالله وآياته
ومشعر الحج وميقاته
إن الحريري حري بأن
نكتب بالتبر مقاماته

كما يظهر لنا تأثره بالجاحظ ، في استطراده ، فالزمخشري يسلك أحياناً هذا المسلك ، فينتقل بالقاريء من عظة الى عظة ، ومن حديث الى حديث ، بلا تبويب ، أو ترتيب • ولم يكن الزمخشري أول من تأثر بهذا ، فقد صنع هذا الصنيع كثير ممن تقدموه وعاصروه • ولهذا المنهج قيمته في تشويق القاريء ، ونقله من حال الى حال ، بين لحظات الامل واليأس ، والرضا والقناعة وعدمهما ، وبين لحظات من السعادة ولحظات من الألم •

ومن مقاماته التي تنقلنا من فكرة الى أخرى ، مقامة الصدق التي يقول فيها (٣٢) :

« يا أبا القاسم كل سيفٍ يُحَادِثُ^(٣٣) بالصِّقالَ ، دونَ لسانٍ يُحَدِّثُ بِصِدْقِ المَقَالِ ، فلا تحرِّكْ لسانَكَ بالنشْطَقِ ، إلا إذا كانَ النشْطَقُ بالصدِّقِ ، وصنْتهُ مِنْ خَطَا الكَذِبِ وَعَمْدِهِ ، كما يُصَانُ اليمانيُّ في غِمْدِهِ ، إنَّ الحُسامَ يَذْهَبُ بِرَوْقِهِ الصِّدَا ، والكَذِبُ لِلِّسانِ مِنَ الصِّدَا أَرْدَى • أصدِّقْ حَيْثُ تَظُنُّ أَنَّ الكَذِبَ يَقيُّ عليكَ المغانِمَ ، ولا تكذبْ حَيْثُ تَحْسَبُ أَنَّ الصِّدْقَ يَجْرُ اليكَ المَغَارِمُ • وإذا عَقَدْتَ ميثاقاً^(٣٤) ، فأوفِ بِعَقْدِكَ ، أوْ وَعَدْتَ فَسارعْ إلى إِنْجازه وَعَدِكَ ، ولا يَكُونَنَّ

(٣١) ينظر كشف الظنون ٢ : ١٧٨٧ ، الترجمانة الكبرى . ص ٥٧ . وجاء فيها : « والمشعر الحنيف وميقاته » .

(٣٢) تنظر مقاماته . ص ١٧٧ .

(٣٣) محادثة السيف : تعهده بالصقل .

(٣٤) الميثاق : العقد المؤكد بيمين أو عهد . وجمعه موائق وميثاق .

مَوْعِدُكَ مِثْلَ لَمْعِ الْبُرُوقِ (٣٥) بِالذَّنَبِ ، وَلَا مُشَبَّهًا يَلْمَعُ
الْبُرُوقِ الْخَلْبُ (٣٦) ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَمْسَحَ نَاصِيَةَ الْكَرَمِ
السَّابِقِ ، وَتَضْرِبَ قَوْنَسَ (٣٧) الْمَجْدِ ، فَأَشْبِهِ سَحَابًا تَقْدَمُ
وَدَقَّتْهُ (٣٨) عَلَى رَغْدِهِ ، وَكُنْ رَجُلًا قَدِمَ عَطَاؤُهُ قَبْلَ
وَعْدِهِ » •

ففي هذه المقامة نرى لغة مخاطبة النفس ، مصاغة بحكم ونصائح وينهى
بها عن الكذب ، مع بيان مضاره ، ويحث على اللجوء الى الصدق ، لأنه
يؤدي الى السعادة •

ثم يستمر في استطراده ، فيتكلم عن الوفاء بالعهود ، داعياً الى انجازها،
والأخذ بالميثاق ، ثم ينتقل الى فكرة أخرى ، ليتكلم عن الكرم ، داعياً الى
السخاء في العطاء ، مؤيداً كلامه هذا بنصيحة عامة ، وهي تقديم العطاء على
الوعد ، وقد جاء بكل ذلك بأسلوب جميل ، وسبب هذا الجمال يرجع الى
دقة المؤلف ، ، في تعابيرهِ ، وسلامة القطعة من الفضول ، وفهمه لمواقع البلاغة •
ولا ننسى أن الزمخشري من الوجهة الفنية ، يعد من أعرف الناس ، بصياغة
الكلام ، وهو يراعي فنون البديع مراعاة تامة ، يكثر من السجع ، ولعل مرجع
ذلك ، الى كونه أقرب فنون البديع ، الى لغة أصحاب المقامات ، لأنه أسرع
تأثيراً في أذن السامع ، ولكنه يأتي به في صورة مقبولة حسنة • أما اختياره
للعوظ ، فربما يرجع الى تأثره ، بكتاب الوعظ ، أمثال الحسن البصري، الذي
يذكره على سبيل الاستحسان مشبهاً نفسه به ، كما سنرى •

(٣٥) البروق : برقت الناقة : تلتحت وشالت بذنبها بعد اللقاح ، فتوهم انها
لاقح ، فهي بروق •

(٣٦) البروق : جمع برق • وبرقت السماء اي لمعت وجاءت بالبرق •
الخب : يجوز أن يكون صفة للمع ، كقولك : برق خلب •

(٣٧) القونس : أعلى الرأس وجمعه قوائيس • والقونس من الانسان مقدم
راسه ، والمراد هنا بقونس المجد علوه وقمته •

(٣٨) ودقه : الودق : المطر •

كان أبو القاسم ، عزيز النفس ، مقبلاً على عمله ، يظهر ذلك من قوله (٣٩) :

« ما مثلي مع أعلام العلماء ، الا كمثل الشها (٤٠) ، مع مصايح السماء ، والجهم (٤١) الصفر والرهام (٤٢) مع الغواصي العامرة للقيعان والآكام ، والشكيت (٤٣) المخلف عن خيل السباق (٤٤) والبغاث (٤٥) مع الطير العناق (٤٦) ، وما التقلب بالعلامة ، إلا شبه الرقم بالعلامة (٤٧) ، والعلم مدينة ، أحد بابيها الدراية (٤٨) ، والثاني الرواية ، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة (٤٩) ، ظلي فيها أخلص (٥٠) من ظل حصة . أمّا الرواية فحديثة الميلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا

(٣٩) هذا كتاب بعثه الى حافظ الاسكندرية ، ابي الطاهر السلفي ، جواباً عن كتاب كتبه السلفي اليه ليستجيزه . ينظر معجم الأدباء ١٩ : ١٣٢-١٣٣ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٦ ، تلخيص مجمع الاداب في معجم اللقباب ج ٤ . ق ٢ . ص ١١١٦ .

(٤٠) السها : كوكب خفي .

(٤١) الجهم : السحاب لا ماء فيه . الصفر : « ويثلث » . الخالي .

(٤٢) الرهام : المطر الدائم .

(٤٣) السكيت : السكيت والسكيت : من خيل السباق . او الذي يجيء في آخر الحلبة ، وقيل هو العاشر ولذلك يجيء آخر الحلبة . وسمي بالسكيت لانه يبقى مسكناً في اثناء جريان الخيل .

(٤٤) في وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٦ « مع خيل السباق » .

(٤٥) البغاث : طائر ابغث : اي ضعيف .

(٤٦) العناق : دابة كالغهد ، أو الكلب من الجوارح الصائدة ، ويقال لها « النفة » ، وهي لا تؤكل ، ولا تأكل الا اللحم ، لونها ابيض ، ورأسها سوداء .

(٤٧) في وفيات الأعيان ٤ : ٢٥٦ (بالعلامة) . وفي معجم الادباء ١٩ : ١٣٢ « والعلامة » .

(٤٨) الدراية : العلم .

(٤٩) مزجاة : اي قليلة . وفي التنزيل العزيز : « وجئنا ببضاعة مزجاة » . سورة يوسف . ص ٣٢٢ . آية ٨٨ .

وقال ثعلب : بضاعة مزجاة : فيها اغماض لم يتم صلاحها .

(٥٠) اي اقل .

الى أعلام مشاهير . وأما الدراية فَتَمَدُّ (٥١) لا يبلغ أفواها ، وبرّض (٥٢) ما يبلّ شفاها .

ولنستمر معه في تواضعه ، لنرّه وهو يقول (٥٣) :

« ولا يغرنكم قول فلان وفلان فيّ ، فإن ذلك اغترار (٥٤) بالظاهر المموّه (٥٥) ، وجهل بالباطن المشوّه ، ولعلّ الذي غرّهم مني ، ما رأوا من حسن النصح للمسلمين ، وبلوغ الشفقة على المستفيدين ، وقطع المطامع (٥٦) ، وإفادة المبارء والصنائع (٥٧) ، وعزة النفس والرّبّء (٥٨) بها عن السفاسف (٥٩) ، والإقبال على خويّصتي (٦٠) ، والاعراض عمّا لا يعينني ، فجللت في عيونهم ، وغلطوا فيّ ، ونسبوني الى ما لست منه ، في قبيل أو دبير (٦١) ، وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي ، كما قال الحسن البصري ، رحمه الله تعالى - في قول أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه « وليتكم ولست بخيركم » : ان المؤمن ليهضم نفسه ، وإتّما صدقت الفاحص عني ،

(٥١) ثمّد : الثمد : الماء القليل لا مادة له . وقيل هو الحفر فيه قليل ماء . وجمعه أثماد وثماد .

(٥٢) برّض : البرض من الماء : القليل وجمعه براض وبروض وإبراض .

(٥٣) معجم الادباء ١٩ : ١٣٣ ، وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٦ وفيه : « لا يغرنكم قول فلان في وقول فلان .

(٥٤) في وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٦ : فان ذلك اغترار (منهم) بالظاهر المموّه .

(٥٥) المموّه : اصله أن يطلى الحديد ونحوه بماء الذهب ، ليظن انه ذهب . ثم صار مثلاً في كل شيء مزور .

(٥٦) المصدر السابق ٤ : ٢٥٦ : « وقطع المطامع عنهم » .

(٥٧) في المرجع السابق : « والصنائع عليهم » . المبار : المبرة : البر .

(٥٨) الرّبّء : العلو والرفعة .

(٥٩) في وفيات الاعيان ٤ : ٢٥٦ السفاسف « الدنيا » .

(٦٠) أي ما يخصني .

(٦١) يقال في الكلام : ما يعرف قبيلاً من دبير . والاصل ان القبيل : القتل

الاول ، والدبير : القتل الثاني ، يريدون لا يعرف ما قتل فحسب ، مما

أحكم فتيله ، ويقولون فيه عند ذلك ، انه لا يعرف الشاة المقابلة من

المدايرة . والمقابلة ما قطعت أذنها وبقيت مدلاة . وكذلك يريدون بهذا

القول : انه لا يعرف من يقبل عليه ، ممن يدبر عنه .

وعن كنه روايتي ودرايتي ، ومن لقيت وأخذت عنه ، وما بلغ علمي ، قُصارى فضلي ، وأطلعت طلع أمري ، وأفضيت اليه نجية سري ، والقيت اليه عَجْرِي وَبَجْرِي (٦٢) ، وأعلمته نجمي وشجري (٦٣) » .

وفي هذا الكتاب نراه حريصاً على تتبع أحوال معاصريه ، وربط ما يسمع من أخبارهم ، بما نقل اليه من أخبار السالفين ، معتمداً في ذلك على الدُّرَاية والرواية .

وفي هذا المجال قال أيضاً (٦٤) :

« عِزَّةُ النَّفْسِ وَبَعْدُ الْهَمَّةِ ، الموتُ الْأَحْمَرُ ، وَالخُطوبُ الْمُدَّ لِهَمَّةٍ ، وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مِنْهَكَ الذُّلَّ فَعَاثَهُ ، اسْتَعَذَبَ نَقِيعَ الْعِزِّ وَذُعَاغَهُ (٦٥) ، وَمَنْ لَمْ يَصْطَلِ بِحَرِّ الْهَيْجَاءِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ الْمَغْنَمِ ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ (٦٦) أَسَدِ اللَّقَاءِ ، لَمْ يُصِيبْ أَطْرَافاً كَالْعَنَمِ (٦٧) .. » .

(٦٢) عجري : يقولون شكا اليه عجره وبجره أي عيوبه وأحزانه . أو ما أبدى وما أخفى ، أو ظاهر أمره وباطنه .

ويقال : أفضيت اليه بعجري وبجري : أي أطلعت من ثقتي به على معايبه ، والعرب تقول : أن من الناس من أحدثه بعجري وبجري ، أي أحدثه بمساوي . ويقال هذا في إفشاء السر .

(٦٣) نجمي وشجري : يريد أنه أعلمه طالعه وسره .

(٦٤) أطواق الذهب . ص ٢٢ .

(٦٥) نقيع العز : النقيع من الشراب : الناجع يذهب العطش ، والنقيع : الماء البارد والعذب ، ونقيع العز هنا على الاستعارة .

وذُعَاغُهُ : الذعاف والدعف : السم القاتل سريعاً وجمعه ذُعُفٌ . ولست أدري ماذا يقصد الزمخشري هنا بذعاف العز وهل أتى به من أجل السجع أم أن الكلمة محرفة ؟

(٦٦) برائن : البرثن : مخلب الاسد ، أو ظفر مخلبه ، ويستعار لاصابع الانسان .

(٦٧) العنم : شجر لين الاغصان لطيفها ، يشبه به البنان . أو ضرب من الشجر له نور أحمر ، يحمل ثمرأ احمر كالغناب ، أو ثمر العوسج يكون احمر ، ثم يسود اذا نضج وعقد . يشبه بكل ذلك البنان المخضوب . واحدته عنمة .

ولعل الزمخشري ، يريد أن يقول : إنَّ عِزَّةَ النفس وعلو الهمة ، من الأمور الصعبة ، وإنَّها على الرغم من أنها منبع عزٍّ ، لمن عرفت عنه ، إلا أنها تكلف صاحبها كثيراً ، وربَّما يراها كالسم القاتل ، لأنَّ عِزَّةَ النفس ، لا تبيح لصاحبها ما يرتضيه غيره ، ولعله هنا يقصد نفسه بهذا ، ويقصد الوقوف على أبواب الأمراء والوزراء وغيرهم ، ويرى أن المعيشة في اكتافهم عز ، ولكنها بالنسبة لأبي النفس سم وذل . ثم نراه يستدرك فيقول : ولكن من عرف مشرب الذلِّ ، وتركه كراهة به ، استطاب مرَّ العز وسمِّه ، ومن لم يتعذب بحرَّ الحرب ، لم يصل الى المغنم الهنيء ، ومن لم يصبر على سلاح شجعان الحرب ، لم يحظَ بامرأة بناتها رخص ، مخضوب كأطراف شجرة العنَم .

وقد أصطدمت عِزَّةُ نفس الزمخشري وكبريائه ، بتجاهل أهل وطنه لمنزلته الأدبية ، وأثر ذلك التجاهل في نفسه ، حتى أخرجه شعراً ونثراً على لسانه ، فهو يقول (٦٨) :

« رَبُّ مَوْصُوفٍ بِالْمَكَارِمِ وَالْمَسَاعِي ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِالْمَكَارِهِ
وَالْمَسَاوِي ، وَمَنْعُوتٌ بِالْحِلْمِ الرَّاسِي ، وَالْعِلْمِ الرَّاسِخِ ، وَهُوَ مِنْهُمَا عَلَى
أَمْيَالٍ وَفِرَاسِخٍ (٦٩) ، حَسْبُكَ بِهَذَا الشَّطَطِ مُسْتَنْزِلًا
لِلشَّخْطِ » .

وهو يريد أن يقول : إنَّ كثيراً من الناس يصفهم الجاهلون بمحاسن الصفات ، ومكارم الأخلاق ، والمساعي المشكورة ، وهم عند ذوي الحق والتحقيق ، معروفون بالعيوب والمقايح . وَرَبُّ مَنْعُوتٍ بِالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ الثَّابِتِينَ ، وهو بعيد منهما مسافة طويلة .

وهو يريد أن يشير هنا الى موقف حكام عصره ، ورفعهم للرجل الغشوم ، وعدم رفعهم للفاهم المثقف ، كما هي حاله ، مع أنه كان ركناً من أركان الحياة الأدبية في زمانه ، مما دعاه الى الضجر من تلك الحال . وكثيراً ما حمله ضجره ،

(٦٨) اطواق الذهب . ص ١٠١ .

(٦٩) الميل : الف باع . والفرسخ ، ثلاثة اميال .

على الإكثار من شكوى الزمان ، فهو تارة يشكو غربته عن موطنه ، وتارة يتحدث عن موقف أولئك الحكام حيث يقول (٧٠) :

« يا أبا القاسم ! يا أسفي على ما أمضيت من عمر ك ، في طلب أن
يشاد بذكر ك ، ويشار اليك بأصابع بني عصر ك ، عنت على
ذلك طويلاً ، فما أغنييتُ عنك فتيلاً (٧١) ، حسبت أن من
ظفر بذلك فقد استصفى المجد بأغباره (٧٢) ، واستوفى الفخر
بأصباره (٧٣) وقد رت أن الشارة (٧٤) البهية هي الجمال ، وأن
الشهرة في الدنيا هي الكمال ، وما أدراك يا غافل ما الكامل ،
الكامل هو العامل الخامل ، الذي هو عند الناس منكور ، وهو
عند الله مذكور ، مجفوف في الأرض ، ليس له ظهير ولا ناصر ،
ولا تمنني به أباهيم ولا خناصر (٧٥) » .

وليس في هذه المقامة شيء جديد ، فإن شكوى الزمان ، من الظواهر
الإنسانية ، التي يجدها القاريء عند القدماء والمحدثين . كما يجب ألا توهي
الينا هذه المقامة ، أن حكام عصر الزمخشري ، هم وحدهم من اتصفوا بعدم
الإنصاف أو أن أهل القرن الخامس ، الذي عاش فيه الزمخشري ، كانوا
أكثر الناس جحوداً ، بأبنائهم النابيين ، وأما هم كذلك في نفس أبي القاسم
الزمخشري .

(٧٠) مقامات الزمخشري . ص ١٧١ . وهي مقامة طويلة اكتفينا منها بالقليل .
(٧١) الفتيل : ما في شق النواة من نحو الشعرة . وقيل هو ما تفتله بين
أصبعيك .

(٧٢) بأغباره : بأجمعه . وغير الشيء بقيته ، وكذلك هو من الليل بقياه .

(٧٣) بأصباره : أي جميعه .

(٧٤) الشارة : الهيئة . يقال فلان حسن الشارة ، حلو الإشارة .

(٧٥) أباهيم : جمع إبهام في اليد أو القدم ، كبرى الأصابع . مؤنث وقديكر .

وجاء في الشعر إبهام وإبهامات .

خناصر : الخنصر والخنصر : الأصبع الصفري أو الوسطى وجمعها
خناصر . وهي مؤنث . وهو يعني أن الناس لا تذكره ، وهم في ذلك
سواء أولهم وآخرهم ، أي أنه لا يذكر البتة لخموله .

ولجار الله الزمخشري مقالة ، مليئة بالانتقاد لفساد الحياة الاجتماعية ، وقبول القاضي للرشوة ، ومقدار ما تفعله الرشوة ، في النفس البشرية ، من نشوة تعادل نشوة الشارب للخمر حيث نراه يقول (٧٦) :

« القاضي تعمل فيه الرشوة (٧٧) ، ما لا تعمل في الشارب النشوة ، إن أئتته فسكران ميلًا وطربًا (٧٨) وإن فاتته فشكران ويأسًا وحرابًا (٧٩) ، كأن لم يسمع أن الرشوة من السحت (٨٠) ، وأن السحت (٨١) ، وإن آكله ممن يسحنه الله بمثلاته (٨٢) ، ومن جملة من ينحت الله أثلاته (٨٣) ، آية نار يورث (٨٤) حين يقسم ويورث (٨٥) ، يقدم نصيبه ونصيب من نصبه ، على حقوق ذوي الفرض والعصبة (٨٦) ، يسمى القاضي ، وهو السثم القاضي (٨٧) » .

(٧٦) اطواق الذهب في المواعظ والخطب . ص ٤٦ - ٤٧ .

(٧٧) قوله تعمل : أي تؤثر .

(٧٨) ميلًا وطربًا : هزة وفرحًا .

(٧٩) قوله وبلا وحرابًا : أي تفجعًا وتحسرا ، ويقال : واحرباه في التحزن والتأسف .

(٨٠) السحت : كسب خبيث وفيه عار .

(٨١) السحت الثانية : الاهلاك والاستئصال .

(٨٢) بمثلاته : أي بعقوبات امثاله . ومفردها مثلة : والمثلة : ما أصاب الفرد من العذاب .

(٨٣) ينحت أثلاته : يطعن فيه ويذمه . وأصل ينحت يبزي وينحل ، والأثلاث : جمع أثلة ، وهي شجرة معروفة ، فصار كناية عما ذكر .

(٨٤) أي إبة نار عظيمة يوقد . أي شرا عظيما يهيج .

(٨٥) قوله : حين يقسم ويورث : أي حين يقسم التركة ، ويحكم بالارث بين الورثة .

(٨٦) يريد بهذه الفقرة : أي يأخذ حصته قبل الورثة المقدمين ، على ذوي الارحام : وهم أصحاب الفرض كالجددة والام ، والعصبة كالابن والعم .

(٨٧) قوله : يسمى القاضي : أي فاصل الخصومات . وقوله : وهو السثم القاضي : أي القاتل .

وفي هذه القطعة تظهر لنا صناعة الزمخشري جيدة باهرة، تشهد له بالحدق وطول الباع . واليك قوله أيضاً (٨٨) :

« لَا تَمْنَعِ الْمَعُونََ وَالْمَاعُونَ^(٨٩) ، حَسْبَى يَنْعَاكَ النَّاعُونَ^(٩٠) ،
إِنَّ مَثَلَ تَوْسِعَتِكَ عَلَى أَخِيكَ ، وَقَدْ أَضَاقَ^(٩١) ، وَحَقْنِكَ
مَاءَ وَجْهِهِ أَنْ يَهْرَاقَ^(٩٢) ، مَثَلُ الْعَيْنِ الْغَدِيقَةِ^(٩٣) ، فِي حَرِّ
الْوَدِيقَةِ ، ذَاكَ مِنْ ذَوَائِبِ الْخَيْرِ وَالنَّوَاصِي ، وَحَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ
بِهِ النَّوَاصِي » .

ومثل هذا قوله أيضاً (٩٤) :

« رَبُّ مَطِيقٍ يَوَدُّ غَدَا لَوْ لَمْ يَكُنْ بِمَطِيقٍ^(٩٥) ، وَمِنْطِيقٍ ،
يَقُولُ لَيْسَنِي كُنْتُ غَيْرَ مِنْطِيقٍ^(٩٦) ، وَقَدْ يَجُوزُ عَلَى الصَّرَاطِ
مَنْ هُوَ مَفْحَمٌ^(٩٧) ، وَالْمَفْوَهُ فِي كِبَةِ النَّارِ مَفْحَمٌ ، وَمَا يَدْرِيكَ
لَعَلَّ بَاقِلًا وَائِلٌ ، وَيُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ سُحْبَانٌ وَائِلٌ^(٩٨) ، فَلَا

(٨٨) أطواق الذهب . ص ١٧ .

(٨٩) المعون : الاعانة . والماعون : المعروف ، وكل ما انتفع به ، أو كل ما يستعار من فأس وقدم وقدر .

(٩٠) النمي : الاخبار بالموت .

(٩١) التوسعة : تكثير الرزق . والمراد بالآخ كل انسان ، لان الناس اخوانه ، ويعبر به للتعطيف .

(٩٢) حقن الماء : حبسه عن الاراقة ، ويهراق : أي يراق . وارقة ماء الوجه كناية عن الخضوع والذل .

(٩٣) العين : ينبوع الماء . والغديقة : غزيرة الماء .

(٩٤) أطواق الذهب . ص ٦٨ .

(٩٥) قوله رب الخ : أي قد يتحتم ذو الطاقة ، أي صاحب القدرة والوسع ، أنه لم يكن مطيقاً ، بل ضعيفاً ، حيث يرى الضعفاء ، قد نالوا ما لم ينله الاقوياء .

(٩٦) المنطيق : البليغ ، أي البالغ الدرجة العليا في المنطق .

(٩٧) قوله قد يجوز الخ : أي وقد يمر بالسلامة ، على جسر جهنم من كان عيا من الكلام ، وقد لا يستطيع المرور المنطيق ، فيرمى في نار جهنم .

(٩٨) قوله وما يدريك الخ : أي أنك لا تعلم ما يكون ، فربما نجا العي ، وعوقب

تَغْبِطُنَ الْخَطِيبَ الْمُشَقَّقَ ، فَلَعَلَّ تَشْقِيقَ الْحَطَبِ ، كَانَ خَيْرًا
لَهُ مِنْ تَشْقِيقِ الْخُطْبِ (٩٩) ، وَلَا الشَّاعِرَ الْمَفْلُقَ فِي قَصَائِدِهِ (١٠٠) ،
فَقَدْ سَمِعْتَ مَا جَاءَ فِي اللِّسَانِ وَحَصَائِدِهِ (١٠١) » .

ومن الظواهر الاجتماعية ، التي يمكننا ملاحظتها ، في مقالات الزمخشري ،
ظاهرة مدى أهمية الشرف لدى المرأة ، وأن ذلك هو الطريق الصحيح ، الذي
يرجوه من يريد الزواج ، وأن المرأة تخطب لهذه الصفة ، وليست لصفة
الجمال ، وإن كان هذا من الأمور المعروفة في المجتمعات العربية والإسلامية ،
إلا أن الزمخشري تناول هذا الموضوع تناولاً فنياً ، وأحاطه بأجمل صورة
للوغظ والنصيحة ، فهو يقول (١٠٢) : « لَا تَخْطُبِ الْمَرْأَةَ لِحُسْنِهَا ، وَلَكِنْ
لِحُسْنِهَا ، فَإِنَّ اجْتِمَعَ الْحَصْنُ وَالْجَمَالُ ، فَذَلِكَ هُوَ الْكَمَالُ ، وَأَكْمَلُ
مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَعِيشَ حَصُورًا (١٠٣) ، وَإِنْ عَمَّرْتَ طَوِيلًا » .

فالعفة وصون العرض ، في نظر أبي القاسم ، يأتيان بالدرجة الأولى ، ثم
يأتي الجمال مكملًا لهما ، وفي هذا تتجلى لنا الروح العربية المسلمة المحافظة ،

الفصيح ، وفي الكلام استفهام إنكاري . ويقول : إن باقل بن عمرو بن
ثعلبة الأبادي ، يضرب به المثل في المي ، وائل الأول : بمعنى الناجي .
ووائل الثاني : هو ابن زفر بن أياس . ووائل اسم قبيلته ، وهو خطيب
مصقع ، يضرب به المثل في البيان ، أدرك الإسلام وأسلم . يسحب
على وجهه : أي يجرم مكبا .

(٩٩) الخطيب المشقق : شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .
قوله : فلا تغبطن الخ : أي فلا تمنى أن تكون مثل الخطيب الذي يخرج
الكلام أحسن مخرج ، فلعل تقطيع الخطب ، كان أحسن من تحسين
الخطب .

(١٠٠) قوله ولا الشاعر المفلق : هو من يأتي بالبلاغة العجيبة في شعره .
(١٠١) قوله فقد سمعت الخ : إشارة لما في الحديث النبوي الشريف « وهل
يكب الناس على مناخرهم في النار ، إلا حصائد السنتهم » .
حصائد اللسنة : ما يقطع من الكلام لا خير فيه .

(١٠٢) ينظر أطواق الذهب . ص ١٠٧ .
(١٠٣) حَصُورًا : الحصر : الحبس ، ويقال حصره : أي ضيق عليه . والمراد
أي إحبس نفسك عن الزواج ، أي أمنعها فعل ذلك .

بأجلى معانيها ، وأوضح صورها • ثم نراه يقول بعد ذلك : إنَّ اجتماعَ الكمال والجمالِ ، من أحسنِ حالاتِ الزواجِ ، ثم كأنه يلوم نفسه على ما قال ، حيث يستدرك قائلاً : وأحسن من ذلك التنحي نهائياً عن الزواج ، والابتعاد عن النساء ، مهما طال عمر الانسان • ولعله في هذا يقصد نفسه ، لأنه كما علمنا ، عاش عازباً ، ولم يتزوج أبداً •

كان الزمخشري قوي العقيدة ، صادق الايمان ، منافحاً عن الدين الاسلامي ، والعروبة ، ضد الشعوية ، وضدَّ من أراد النيل ، من الدين الاسلامي ، ومن العرب والعربية ، أوليس هو القائل : « فرقك بين الرطب والعجم ، هو الفرق بين العرب والعجم » (١٠٤) ، أو قوله في كتابه المفصل (١٠٥) : « الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية ، وجعلني على الغضب للعرب والعصية ، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي الى ليف الشعوية وأنحاز ، وعَصَمَنِي من مذهبهم ، الذي لم يُجدِ عليهم ، الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق بأسنة الطاعنين » (١٠٦) •

ومن هذا يتبين لنا أن الزمخشري ، كان فوق مروته العقلية ، جريئاً في ثبوته على مذهبه ومعتقده ، فهو يقول (١٠٧) : « السنة منهاجي ، ومنها آجي ، عيني تقرّ بكم عند تقربكم » (١٠٨) •

وهو هنا يريد أن يقول : إنَّ الطريقة المرضية المسلوكة ، في الدين ، هي سبيله الواضح ، ومذهبه الأبلج ، منها يذهب ، ومنها يجيء ، وهو لا يخرج عن تلك السنة • وبسبب شدة حب الزمخشري للدين الاسلامي ، وتعلقه وايمانه به ، أحب العرب والعربية ، ودافع عنهما بايمان ، واعتبرهم الأصل ،

(١٠٤) ينظر الكلم النوابع . ص ٩٠ .

العجم الاول : هو النوى ، وكل ما كان في جوف مأكول الزبيب ، وما أشبهه ، فهو عجم ، واحدته عجمة . والرطب : ما ادرك من ثمر النخل .

(١٠٥) ينظر ص ٢ . طبعة : التقدم بمصر - ط ١ . سنة ١٣٢٣ هـ .

(١٠٦) الرشق : الرمي بالنبال ، ويستعار للقول .

المشق : الطعن بسرعة .

(١٠٧) النعم السوانع في شرح الكلم النوابع . ص ٨ .

(١٠٨) تقرّر بكم : اي يصبح قرير العين . تقربكم : اي دنوكم وقربكم .

وغيرهم الفروع . قال فيهم^(١٠٩) « العرب نبع صلب المعاجم ، والغرب من الأعاجم » .

وكان الزمخشري أعرف أهل زمانه ، بما ترك الأولون ، ومقاماته تشهد على ذلك . وفي إحدى مقاماته نراه يصور الشائل العربية ، ويكلف بتقديم طائفة من الصور المختلفة عن عادة الغزو ، والأخذ بالثأر ، وكثير من الحوادث التاريخية . وقد أتى بكل ذلك بطريقة فنية ، قوية أخاذاً ، جعلت له مكاناً بين العالمين بمعرفة المسير التاريخي ، والعادات والتقاليد العربية ، التي حرمها الاسلام ، وبقيت بعض آثارها بين القبائل البدوية ، حتى بعد الاسلام .

والزمخشري ليس مبتكراً في هذا ، ولكن فضله فيها ، أنه تناولها تناولاً فنياً ، وحاطها بعاطفة حارة صادقة . واسمعه يقول في إحدى مقاماته ، وهي المقامة المسماة بأيام العرب ، وهي من أطول مقاماته^(١١٠) :

« يا أبا القاسم استنكف أن تشتري المتاع القليل الفاني ،
بالمثل الكبير والتعظيم الخالد ، فقد استنكف أن يدفع ابنه عتبة
بحصين بن ضرار شتين بن خالد^(١١١) . وقد عرّضت عليه ثلاث ،
وقيل له اختر فلم يرض إلا أن يعطى أعور بأعور . ولا تجعل
الدنيا لك مؤنس^(١١٢) ، فإنها لا أم لك - مؤنس^(١١٣) ، تجر
على طلبها من جهد البلاء ، ما جرّته أسماء على راكب

(١٠٩) ينظر : النعم السوابغ في شرح الكلم النوابع . ص ١٥ .

(١١٠) ينظر ص ٢١٢ - ٢٣٢ . وهي كما نرى طويلة ، اقتصرنا على ذكر بعضها .

(١١١) قصة ذلك أن عتبة بن شتين ، قتل حصين بن ضرار ، فطلب ضرارتار ابنه ، فأمر شتين ، وهرب عتبة وكان شيخاً أعور ، فخبره بين ثلاث : أن يرد عليه ابنه ، ويدفع اليه عتبة ، أو يقتله مكانه فقتله .

للتفصيل في هذه القصة ينظر : مقامات الزمخشري . حاشية ص ٢١٣ .

(١١٢) مؤنس : أراد مؤنس ، أي غير موحشة .

(١١٣) المؤسمة والموس : المرأة الفاجرة . من الموس : وهو الكلام الخفي ، واسم بغي كانت في بني مرة بن سعد بن ذبيان .

الشَّيْءُ (١١٤) ، وعلى هاشم ودُرَيْد ابني حَرَمَلَة (١١٥) ، من وقَّع
السَّتان ، ونفوذ المِعْبَلَة (١١٦) . . . » .

والرسالة كلها على هذا المنوال ، يأتي الزمخشري فيها بالخبر تلو الخبر ،
جريباً على شكل الأحاديث ، وهو بهذا يخالف بديع الزمان الهمذاني ، الذي يأتي
بأخباره على شكل أقاصيص . ولسنا ندري إن كان بإمكاننا إضافة هذا النوع
من الأحاديث ، الى الأقاصيص الوصفية ، فإن مؤلفها لا يريد منها ، الاغراب في
العقدة والشخصيات ، وإنما يأتي بها كما أننا بها الزمخشري على شكل
أحاديث متتابعة .

ولو سرنا معه في هذه المقامة ، لرأينا هذا التتابع الذي ذكرناه واضحاً كل
الوضوح ، ولرأيناه كذلك ينتقل من فكرة الى أخرى ، ومن حادثة الى حادثة ،
مجتملاً ذلك بالعظات التي يأتي بها بين الفينة والفينة . ومن هنا نرى مدى
ثقافة الزمخشري ، ومعرفته للحوادث السابقة لزمنه ، واطلاعه على الحوادث
والأحاديث ، بعقل يقظ ، وفكر متنبه ، أتاحت له ثقافته الواسعة ، واطلاعه
الكثير .

وكان الزمخشري بطبعه كلفاً بحرية الرأي ، ميّالاً الى عمق الفكر ،
وتقليب وجهات النظر ، ميّالاً الى المناقشة والجدل ، ولا عجب في ذلك ، فإن
الجدل والمناقشة ، من عناصر مذهب الاعتزال . وهذا الزمخشري يقول في
احدى مقالاته (١١٧) :

(١١٤) الشيماء: فرس معاوية بن عمرو الشريد .

(١١٥) هاشم ودريد : رجلان من سادتهم .

(١١٦) المعبلة من النصال : ما عرض وطول . وقد عبلت السهم : ركبت فيه
معبلة . وقصة ذلك : أن اخا الخنساء الشاعرة ، معاوية بن عمرو بن
الشريد السلمي ، وافى عكاظ في بعض المواسم ، فلقى اسماء المربية ،
فدعاها الى نفسه ، فامتنعت وهددته بسيد العرب هاشم بن حرملة .
فقتل معاوية نتيجة فعلته . وقتل دريد ثاراً لمعاوية ، من صخر اخي
معاوية . ثم قتل صخر من بعض بني جشم . للتفصيل ينظر : مقالات
الزمخشري . حاشية ص ٢١٤ .

(١١٧) ينظر اطواق الذهب . ص ٤٣ - ٤٤ .

« إِمْشِرْ فِي دِينِكَ تَحْتَ رَايَةِ السُّلْطَانِ (١١٨) ، وَلَا تَقْنَسْ بِالرَّوَايَةِ عَنْ قُتْلَانٍ وَقُتْلَانٍ ، فَمَا الْأَسَدُ الْمُحْتَجِّجُ فِي عَرِينِهِ ، أَعَزُّ مِنَ الرَّجُلِ الْمُحْتَجِّجِ عَلَى قَرِينِهِ (١١٩) ، وَمَا الْعَنْزُ الْجَرَبَاءُ تَحْتَ الشَّمَالِ الْبَلِيلِ (١٢٠) ، أَدْلَى مِنَ الْمُقْلَدِ (١٢١) عِنْدَ صَاحِبِ الدَّلِيلِ ، وَمَنْ تَبَعَ فِي أَصُولِ الدِّينِ تَقْلِيدَهُ ، فَقَدْ ضَيَّعَ وَرَاءَ الْبَابِ الْمُرْتَجِّجِ اقْتْلِيدَهُ (١٢٢) ، وَجَامِعَ الرِّوَايَاتِ الْكَثِيرَةِ ، وَلَا حُجَّةَ عِنْدَهُ ، مُقْنُو أَوْ قَرَّ ظَهْرَهُ بِالْحَطَبِ ، وَأَغْفَلَ زَنْدَهُ (١٢٣) . » .

هكذا كان الزمخشري ، قوياً في إيمانه ، حريصاً على الذود عن دينه الإسلامي ، وعن العروبة ، ولذا فقد كان دائم الخوف من ارتداد أهله وقومه عن الدين الإسلامي ، لأن أقليم خوارزم ، كان محاطاً بقبائل تركية ، مشركة بالله ورسوله ، كما كان هذا الأقليم ، محط أنظار جيرانه ، الذين كانوا يتطلعون الى امتلاكه ، ويودون أن يبدل أهله دينهم . وفي هذا يقول أبو القاسم الزمخشري ، في كتابه ربيع الأبرار (١٢٤) : « إِنَّ خَوَارِزْمَ تُغَرٌّ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ ، قَدْ اكْتَنَفَهُ أَهْلُ الشَّرْكِ ، وَأَطَافَتْ بِهِ قِبَائِلُ التُّرْكِ ، فَغَزَوْا أَهْلَهُ مَعَهُمْ دَائِمًا ، وَالْقِتَالُ بَيْنَهُمْ قَائِمٌ ، قَدْ أَخْلَصُوا فِي ذَلِكَ نِيَاتَهُمْ ، وَأَمَحَصُوا عَنْ طَوِيلَاتِهِمْ ،

(١١٨) السلطان : الحجة .

(١١٩) المحتجج : الاتي بالحجة . والقرين : الصاحب .

(١٢٠) الشمال : ريح الشمال . والبليل : الندية ، وقد تتأذى منها العنز الجرباء وتذل . وهو يريد بالعنز هنا أنثى الجبارى ، وهي طائر معلوم ، حيث تغلبها ريح الشمال ، تفرغها وتخفضها ، لا سيما اذا كانت ضعيفة من الجرب .

(١٢١) المقلد : من يأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله .

(١٢٢) المرتجج : المقلق . والاقليد : المفتاح .

(١٢٣) أوقر : الوقر : الحمل الثقيل على ظهر أو راس .

والزند : العود الذي تقدح به النار ، وهو الأعلى . والسفلى زنده ، ومثناها زندان ، ولا يقال زندتان ، وجمعه أزند وزنود وزناد .

(١٢٤) ينظر : الجزء الاول (خ) . ورقة ٩٦ (نسخة مكتب الاوقاف العامة ببغداد ، برقم ٣٨٦) . وينظر أيضا آثار البلاد وأخبار العباد . ص ٥٢٥ .

وقد تكفل الله بنصرهم ، في عامة الأوقات ، ومنحهم الغلبة في كافة الوقعات ، ثم حصنه بجيكون ، بواد عسر المعبر ، بعيد المسالك ، غزير الماء ، كبير المهالك ، فلا يتوغله متوغل ، الا خاطر بمهجته ، ولا سلك منافذه سالك ، الا كان على يأس من سلامته » .

أحبّ الزمخشري زمخشر ، مسقط رأسه ، حباً جمّاً ، وأحب مكة موطنه الثاني مثل ذلك الحب ، وقد رأينا ذلك ، حين كلامنا عن شاعريته ، كما أحب أحد أبناءها الأبرار ، وهو الأمير ابن وهاس ، فقد كان من الشخصيات التي كان لها أثر كبير في حياة أبي القاسم ، وقد مدحه الزمخشري شعراً ، كما مدحه نثراً ، فهو يقول فيه ، في إحدى مقالاته (١٢٥) :

« لله بِلَادُهُ عَبْدٌ مَكِّيٌّ ، ذِي مُنْتَسَبٍ زَكِيٌّ ، قَامَ عِنْدَ مَطْلَعِ سُهَيْلٍ ، قَبْلَ أَنْ يَتَقَوَّضَ خِبَاءُ اللَّيْلِ (١٢٦) ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَوَحَّدَهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ وَسَلَّمَ ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَاسْتَلَمَ (١٢٧) ، وَاعْتَنَقَ الْمُسْتَجَارَ وَالْمُتَلَتِّزَ (١٢٨) ، وَتَبَيَّنَ بِالْمَقَامِ وَزَمَنَ (١٢٩) ، وَأَتَى الْحَظِيمَ (١٣٠) فَدَعَا تَحْتَ الْمِيزَابِ ، ثُمَّ تَنَحَّى فَأَقْبَلَ عَلَى الْأَحْزَابِ (١٣١) ، فَصَفَّ قَدَمَيْهِ فِي يَمِينِ الْحِجْرِ (١٣٢) ، إِلَى أَنْ طَلَعَ مُسْتَطِيرُ الْفَجْرِ (١٣٣) » .

(١٢٥) ينظر اطواق الذهب . ص ٦٢ .

(١٢٦) أي قبل انهدام خيمة الليل ، أي زوال ظلامه .

(١٢٧) الإستلام : لمس الحجر الاسود وتقبيله .

(١٢٨) المتلزم : الجدار الذي بين الحجر الاسود والباب .

(١٢٩) تبين : أي تبرك .

والمقام : أي مقام ابراهيم عليه السلام . وهو الحجر الذي فيه اثر

قدميه الشريفتين ، وسبب هذا الاثر ، أنه لما ارتفع بنيان الكعبة ، قام

على ذلك الحجر ، ليتمكن من رفع الحجارة ، فاثرت فيه قدماه ، آية له .

(١٣٠) الحطيم : موضع من الركن اليماني ، الى الشامي ، فيه مزارب الرحمة .

(١٣١) الاحزاب : الجماعة ، والمراد بهم المجتمعون هناك حينئذ للعبادة .

(١٣٢) الحجر : ما حواه الحطيم المحاط بالكعبة المشرفة ، من جانب الشمال .

(١٣٣) مستطير الفجر : ما انتشر من شفقته وضوئه .

فالزُمخشري هنا يمدح ابن وهَّاس ، الطاهر النسب ، بأنه قائم بوظائف
العبادة ، في تلك المواطن الشريفة .

كتب الزُمخشري مقاماته ، بعدما تاب وزهد ، في الحياة ومباهجها ، ونذر
نفسه لخدمة الله عوضاً عن وقوفه على أعتاب الأمراء والوزراء ، ودعا الى مقت
هذه الدنيا ، كما مقتها الله وأنبياءه ، لأنها حياة زوال . وقد آتانا الزُمخشري ،
بكل ذلك بأسلوب وعظي عاتب ، معزز بالحديث النبوي الشريف ، الذي يؤكد
على قلة شأنها عند الله ، فهو يقول (١٣٤) :

« يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا لَكَ لَا تَرْفُضُ هَذِهِ الْفَانِيَةَ رَفْضاً ، وَلَا تَنْفُضُ
يَدِيكَ عَنْ طَلَبِهَا نَفْضاً ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَبْغَضَهَا اللَّهُ ، وَأَبْغَضَهَا أَنْبِيََاؤُهُ ،
وَمَقَّتْهَا أَوْلِيََاؤُهُ ، وَلَوْلَا اسْتِجَابُهَا أَنْ تَكُونَ مَرْفُوضَةً لَوْ زَنْتَ عِنْدَ
اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ (١٣٥) ، إِنْ رَاقَتْ رِوَاؤُهَا الْجَمِيلَ ، فَمَا وَرَاءَهُ
مُشَوِّهٌ (١٣٦) . مَا هِيَ إِلَّا سُمٌّ ذُعَافٌ ، بِالْعَسَلِ مُمَوِّهٌ (١٣٧) ،
مُتَغَصِّصَةٌ الْمَسَارِ ، لَمْ تَخْلُ مِنْ أَذًى ، مَطْرُوقَةٌ (١٣٨) الْمَشَارِبِ ، لَمْ
تَصِفْ مِنْ قَذًى ، مَعَ كُلِّ اسْتِقَامَةٍ فِيهَا اعْوَجَاجٌ ، وَفِي كُلِّ دَعَاةٍ مِنَ
الْمُشَقَّةِ مَزَاجٌ ، شَهِدْتُهَا مُشْفُوعٌ يَبْرُ النَّحْلِ ، رَطْبُهَا مَصْحُوبٌ »

(١٣٤) مقامات الزُمخشري . ص ٢٥ . مقامة الزهد .

(١٣٥) لوزنت عند الله جناح بعوضة : من قول النبي صلى الله عليه وسلم :
« لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة
ماء » .

(١٣٦) رواؤها : جاءت في الاصل هكذا : « رواها » .

وراءه : جاءت في الاصل هكذا : « وراه » .

الذعاف : السم الذي يقتل .

المموه : اصله ان يطلّى الحديد ونحوه بماء الذهب ، ليظن انه ذهب ،
ثم صار مثلاً في كل شيء مزور . والتمويه تفعيل من تركيب الماء ، لان
اصله ماء بدليل مويه وامواه .

(١٣٧) يقال ماء طرق ومطروق : وهو الذي طرقت الدواب وخاضه ، وبالت
وبعرت فيه ، ومنه قولهم : هذا معنى مطروق : الذي لم به غير واحد .

(١٣٨) السلاء : شوك النخل ، والواحد سلاءة .

بِثَلَاثٍ (١٣٩) الذَّخَلِ ، أَمَامَ الظَّفَرِ بِغَنِيمَتِهَا الإِصْطِلَاءُ بِنَارِ
الْحَرْبِ ، قَبْلَ اعْتِنَاقِ سَيِّبِهَا مُعَانَقَةُ أَبْنَاءِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ • •
ومن هذا نرى أن الزمخشري ، قد تخلص لخدمة الله ، بعدما تاب وزهد
في الحياة وملاهيها ، وأن لا نعيم الا في الحياة الأخرى واسمعه يقول (١٤٠) :
« يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ » ، وَأَمَلٌ مَكْدُوبٌ ، وَعَمَلٌ خَيْرُهُ
يَقْطُرُ وَشَرُّهُ يَسِيلُ ، وَمَا أَكْثَرَ خَطَاهُ وَصَوَابَهُ قَلِيلٌ ، أَنْتَ بَيْنَ
أَمْرَيْنِ ، لَذَّةٍ سَاعَةٍ بَعْدَهَا قَرَعُ السِّنِّ (١٤٠) وَالشَّقَوطُ فِي
الْيَدِ ، وَمَشَقَّةُ سَاعَةٍ يَتَلَوُّهَا الرِّضْوَانُ ، وَغَبِطَةُ الْأَبَدِ ، فَمَا
عَذْرُكَ فِي أَنْ تَثْقَلَ ، كُلَّ هَذَا الْإِرْقَالِ (١٤١) ، إِلَى الشَّقَاءِ وَطُولِ
الْحِرْمَانِ ، وَأَنْ تَغِذَ كُلَّ هَذَا الْإِغْذَاذِ (١٤٢) ، إِلَى النَّارِ ، وَغَضَبِ
الرَّحْمَنِ ، وَأَيْنَ عِلَّتْكَ فِي أَنْ تَشْرُدَ شِرَادَ الظَّلِيمِ (١٤٣) ، عَنْ
رِضْوَانِ اللَّهِ وَدَارِ النَّعِيمِ ، هَيْهَاتَ لَا عَذْرَ وَلَا عِلَّةَ ، إِلَّا أَنْ
عَاجِلًا حَدَاكَ (١٤٤) حُبُّهُ عَلَى إِثَارِهِ ، وَدَعَاكَ دَاعِي الشَّهْوَةِ (١٤٥)
إِلَى اخْتِيَارِهِ ، إِلَّا أَنْ تَمَامَ الشَّقْوَةِ (١٤٦) ، إِنْ تَقَعُدَ أَسِيرَ
الشَّهْوَةِ • •

-
- (١٣٩) مقامات : الزمخشري . ص ١٧ - ١٩ .
(١٤٠) يقال للنادم : قرع سنه ، وسقط في يده ، واكل كفه ، وعض أنامله
وبنانه . وهذا من باب الكناية ، لان ذلك مما يرداف الندم .
(١٤١) الإرقال : الاسراع ، مستعار من ارقلت الناقة ، فهي مرقال .
(١٤٢) يقال جاء مغداً : أي مسرعاً . وقال أبو عبيد : الانجذاب : سرعة
المشي ، والاغذاذ مثله .
(١٤٣) شراد الظليم : مثل يقال اشرد من ظليم ، وهو ذكر النعام ، وكأنه
سمي ظليماً لانه يظالم غيره ، بان يأخذ بيض ذاك يحضنه ، كما يأخذ ذاك
بيضه .
(١٤٤) حده على الامر : بعثه عليه وحته ، وهو من حدو الابل .
(١٤٥) جعل للشهوة داعياً مجازاً ، كما جعل لها شيطاناً .
(١٤٦) الشَّقْوَةُ والشَّقْوَةُ : لفتان وهي قرينة الشهوة .

والزَمْخَرِيَّ سِوَاءَ فِي مَقَامَاتِهِ ، أَمْ فِي مَقَالَاتِهِ ، يَحَاوِلُ أَنْ يَعْرِفَنَا أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقْدِمَ لَنَا مِنْ آدَابِ النَّفْسِ ، وَلَطَافَةِ الذَّهْنِ وَالْحَسِّ ، كَمَا يَحَاوِلُ أَنْ يَنْبَهِنَا إِلَى مَا يَنْتَظِرُنَا مِنْ سَوَابِغِ نِعْمَةِ اللَّهِ ، مِمَّا يَغْنِيُنَا عَنِ التَّفْكِيرِ ، فِي طَلَبِ الزَّائِلِ ، كَمَا يَرِيدُ أَنْ يَعْرِفَنَا عَوَاقِبَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ ، وَمَا يَتَّبِعُهُمَا مِنْ تَنْعَمٍ أَوْ عَذَابٍ • وَنَحْنُ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ اسْتَفَادَ كَثِيرًا ، مِنْ تَجَارِبِ مَنْ سَبَقُوهُ ، وَأَنْ دَرَّاسَاتِهِ الْوَاسِعَةِ ، وَاطَّلَاعِهِ الْكَثِيرِ ، جَعَلَهُ مَتَفَهِّمًا لِلْحَوَادِثِ الْمَاضِيَةِ ، بِحَيْثُ جَعَلْنَا نَرَاهَا كَأَنَّمَا هِيَ مُتَّصِلَةٌ ، بِالْحَوَادِثِ الْحَاضِرَةِ ، وَلَكِنَّهُ هُوَ يَخَاطَبُ نَفْسَهُ قَائِلًا (١٤٧) :

« أَذْكَرَ الْمَرَوَاتِي (١٤٨) ، وَمَا مَنِيَّ بِهِ مِنْ خَطِئَةٍ عَلَى رَأْسِهِ مَصُوبَةٍ ، حِينَ غُصَّتْ بِحَبَّةِ الرُّثْمَانِ حُبَابَتُهُ الْمَحْبُوبَةِ ، ثُمَّ هَبَّهَا مَرَوْقَةُ الْمَشَارِبِ ، مُصَفَّقَةً (١٤٩) مِنَ الشَّوَائِبِ ، قَدْ صَفَّتْ لِصَاحِبِهَا كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَظْلَمَتْهُ سَحَابَةُ اللَّتْمِ هَاطِلَةٌ مَرْدَّةٌ (١٥٠) • أَمَا يُكْفِي تَيَقُّنُ الْمَسْرُورِ بَزَوَالِ مَا هُوَ فِيهِ ، مُتَعَصِّيًا

(١٤٧) ينظر مقامات الزَمْخَرِيَّ . ص ٢٦ .

(١٤٨) المرواني : هو يزيد بن عبد الملك بن مروان .

وحبابة : هي جارية اشتراها يزيد بن عبد الملك .

وقصة ذلك : أن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، اشترى جارية ، اسمها حبابة ، بأربعة آلاف دينار ، وبلغ من استهتاره بها ، أنه لهُى بها عن تدبير الخلافة ، فكان لا يقعد للناس ، في الأيام ، إلا يوما واحدا ، فأصبح ذات يوم ، فقال : لا كَذِبْنِ اليوم ، من قال لا تصفو الدنيا لبشر يوما ، فأمر فحملت المفارش والآلات إلى بستان له بظاهر الرصافة ، وفرش له حول بركة ، واجتمع من كان يستأنس به من ندمائه واندفعت حبابة تضرب وتغني ، فاهتز على غنائها وطرب ، وصفق بيديه وقال : أظير أظير ، قالت : فعلى من تدع الخلافة يا أمير المؤمنين ؟ قال : عليك . فبينما هم على ذلك ، إذ أخذت حبابة ، حبة رمان ، فرمت بها في حلقها ، ففصت بها ، وكانت فيها نفسها ، وكذب الله دعواه ، ومات بعدها بسبعة أيام . ينظر مقامات الزَمْخَرِيَّ . حاشية ص ٢٦ .

(١٤٩) مروقة : روق الشراب وصفقه : صفاه . قال الإصمعي : صفق الشراب : حوله من أناء إلى أناء ليصفو . والتصفيق : الصرف والتحويل من صفق إلى صفق : وهو الناحية .

(١٥٠) مردة : المردة : التي انت بالرداذ ، وهو الضعيف من المطر ، وارتدت

لِسُرُورِهَا ، وَزَاجِرًا لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْتَوِي^(١٥١) عَلَى غُرُورِهَا ، بَلَى إِنَّ
نَزَلَ اللَّيْبُ عَلَى قَضِيَّةٍ لَبَّهِ ، إِنَّ دَعَاهُ دَاعِي الشَّهْوَةِ لَمْ يُلْبَّهِ ،
وَهِيَّاتَ إِنَّ مَدْعُوَّ الْهَوَى لَمُجِيبٌ ، وَإِنَّ سَهْمَ دَعْوَةِ الدَّاعِي
لَمُصِيبٌ ، اللَّهُمَّ إِلَّا عَبْدًا بِحَبْلِ اللَّهِ يَعْتَصِمُ ، وَيَتَمَسَّكَ
بِعُرْوَتِهِ الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ .. » .

ومقامات الزمخشري مليئة بهذا النوع من الزهد ، زهده بالدنيا ، وترغيبه
بالآخرة ، وما ينتظر الفاسد فيها من عذاب ، وما ينتظر الصالح فيها من ثواب ،
وترغيبه لنا بالزهد ، من خلال حديثه عن الأوائل ، ثم نراه يتحدث عن اللغة وعن
العروض وعن الشعر وعيوبه ، مستخدماً كل ذلك في سبيل الترغيب في الآخرة ،
والزهد في الدنيا ، وقد جاء بذلك على شكل صور فنية بليغة ، ولعله قصد إليها
رغبة في تثبيت مقدرته البلاغية ، وقوته في معرفة الشعر وميزانه ، ومن ذلك
قوله في المقامة العروضية^(١٥٢) :

« يَا أَبَا الْقَاسِمِ لَنْ تَبْلُغَ أَسْبَابَ الْهُدَى ، بِمَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ
وَالْأَوْتَادِ^(١٥٣) ، أَوْ يَبْلُغَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ ، إِنَّ
الْهُدَى فِي عَرُوضِ^(١٥٤) سِوَى عِلْمِ الْعَرُوضِ فِي الْعِلْمِ ، وَالْعَمَلِ

السماء وأرض مرذ : عليها رذاذ . قال الاصمعي وعن الكسائي : أرض
مرذة .

(١٥١) لا يلوى على شيء : أي لا يمرج عليه . وحقيقة لوى عليه : عطف عليه .
(١٥٢) مقامات الزمخشري . ص ١٨٦ . والمقامة طويلة ، ولكننا اكتفينا منها
بالقليل ، بغية التدليل .

(١٥٣) السبب : اسم لحرفين ، فان كان أولهما متحركاً والثاني ساكناً نحو
« قُلْ » فهو سبب خفيف ، وان كانا متحركين نحو (لِمَ) فهو سبب
ثقيل .

والوئد : اسم لثلاثة أحرف ، متحركان بعدهما ساكن نحو : (نَعَمْ) .
(١٥٤) في عروض : في جانب . يقال : أنا في عروض فلان ، اذا كان في ناحيته
وكنفه .

بالسُتْنِ والفُرُوضِ ، ما أَحْوَجَ مِثْلَكَ إِلَى الشُّغْلِ بِتَعْدِيلِ أَفَاعِيلِهِ ،
 عَنْ تَعْدِيلِ وَزْنِ الشَّعْرِ بِتَقَاعِيلِهِ ، مَنْ تَعَرَّضَ لَابْتِغَاءِ صُنُوفِ
 الْخَيْرِ وَضُرُوبِهِ ، أَعْرَضَ عَنْ أَعَارِيضِ الشَّعْرِ (١٥٥) ، وَأَضْرَبَ عَنْ
 ضُرُوبِهِ ، مَا تَصَنَّعَ بِالضُّرُوبِ (١٥٦) وَالْأَعَارِيضِ ، فِي الْكَلَامِ الطَّوِيلِ
 الْعَرِيضِ ، فِي صِنَاعَةِ الْقَرِيضِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ حَيْلُولَةُ الْجَرِيضِ (١٥٧) .
 وهناك المقامة التي عنوانها بالنهي عن الهوى ، والتي رصفها بأبيات من
 الشعر ، متحدة القافية والوزن ، وهو فن — كما يظهر — يجيده الزمخشري
 أجادة تامة ، يقول فيها (١٥٨) :

« يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ (١٥٩) ، رَكَّبَ فِيكَ
 عَقْلَكَ وَهَوَاكَ ، وَهُمَا فِي سُبُلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دَلِيلَاكَ ، وَفِي
 مَرَاجِلِ الرُّشْدِ وَالْعِيَّ نَزِيلَاكَ (١٦٠) ، أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ عَالِمٌ
 يَسْأَلُكَ بِكَ فِي الْبَرْدِ دِينَ (١٦١) الْمَحَبَّةِ (١٦٢) الْبَيْضَاءَ ، وَيَرُدُّ
 بِكَ زُرْقَ الْمَنَاهِلِ (١٦٣) ، وَالْآخِرُ اعْمَى جَاهِلٌ ، يَخْبِطُ بِكَ فِي

-
- (١٥٥) الاعاريض : جمع العروض ، الذي هو آخر المصراع الاول من غير
 قياس ، ويحتمل أن يكون جمع أعروضة .
 (١٥٦) الضروب : الضرب : مصراع الثاني كالعروض للاول ، وذلك نحو :
 منزلي فحوملي .
 (١٥٧) حيلولة الجريض : من قولهم : حال الجريض 'دون القريض' ، وهو أن
 يجرض بريقه ، إذا غص به عند الموت . والجريض بمعنى الجرض .
 وقيل : هو الفصة .
 (١٥٨) مقامات الزمخشري . ص ١٦١ - ١٦٥ .
 (١٥٩) فسواك : فجعلك مستوي الخلقة ، متناسبا غير متفاوتها .
 (١٦٠) نزيلاك : الذي ينزل معك ، ويقال للضيف النزيل .
 (١٦١) البردان : الفداء والعشي .
 (١٦٢) المحبة : الطريق ، أو جادة الطريق ، أو السنة . وجمعها محاج .
 (١٦٣) زرق المناهل : أي الماء الأزرق ، وهو الصافي ، ويكون أزرق : لانعكاس
 زرق السماء فيه لصفائه .

بَيْضَةُ الْهَاجِرَةِ (١٦٤) الْبَيْدَ ذَاتَ الْمَعَاطِشِ (١٦٥) ، وَالْمَجَاهِلِ » •

وهكذا يسير على هذا المنوال ، من الانتقال من عظة الى عظة ، حتى نراه يقول : « وَكُنْ فِي تَقْوَاكَ كَسَالِكَ طَرِيقِ شَائِكَ (١٦٦) ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَّقَى وَيَتَحَفَّظَ وَيَأْخُذَ حِذْرَهُ وَيَتَّقِظَ » •

هُوَكَذَا أَعْمَى فَلَا تَجْعَلْهُ مَسْبَغاً

لَا يَعْتَسِفُ بِكَ عَنْ بَيْضَاءَ مَسْلُوكِهِ

إِتْرَكَهُ وَامْشِ عَلَى آثَارِ عَقْلِكَ فِي

مَحَجَّةٍ مِثْلَهَا لَيْسَتْ بِمُتْرُوكِهِ

فَالْعَقْلُ هَادٍ بِصِيرٍ لَا يَزِيغُ إِلَى

بَصِيرَةٍ عَنْ سَدَادِ الرَّأْيِ مَأْفُوكِهِ

وَمَنْ يَقْدَهُ هَوَاهُ فِي خِزَامَتِهِ

فَذَلِكَ بَيْنَ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَضْحُوكِهِ »

وبعد دراسة مقامات الزمخشري ، نستطيع أن نبیح لأنفسنا ، الحكم عليه ، بسعة الاطلاع ، والثقافة الواسعة ، التي نراها في استشهاده بالأحاديث النبوية ، وفي معرفته للحوادث التاريخية ، وفي خوضه في الشؤون الأدبية والوعظية ، ولم يكتف بكل هذا ، بل تعداه الى المعضلات الكلامية ، ولا غرابة في ذلك ، وهو أحد أقطاب مذهب الاعتزال ، وقد أتى بكل ذلك بأسلوب خطابي وعظي ، فهو مفطور على العظة والوعظ ، نتيجة نشأته الدينية ، ولهذا كثيراً ما نراها مثبتة في مقاماته ، بجانب أوصافه ولمحاته الأدبية ، وكأنه أراد

(١٦٤) بيضة الهاجرة : شدة القِيْظ .

(١٦٥) المعاطش : جمع معطشة . والمعطشة : الارض لا ماء بها .

(١٦٦) من قول وهب بن منبه لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين سأله عن التقوى : يا امير المؤمنين : هل مشيت قط في طريق شائك ؟
ينظر مقامات الزمخشري . حاشية ص ١٦٤ .

بذلك أن يودع مقاماته ، أظهر ضروب البيان ، ومن ذلك قوله في مقامية التوقي (١٦٧) :

« يا أبا القاسم لا تقولنَّ شيء من سيئاتك ، حقيرٌ ، فلعلَّه عندَ اللهِ نخلةٌ » ، وعندك نقيز (١٦٨) ، وراو (١٦٩) في جلاله قدر النّاهي وكبيره ، ولا تنظرُ الى دِقَّةِ شأنِ المنهيِّ عنه وصِغَرِه ، فإنَّ الأشياءَ تتفاضلُ بتفاضلِ عناصرِها ، وإنَّ الأوامرَ والنّواهي ، تجلُّ وتدقُّ بحسبِ مصادِرِها ، لا تُسمُّ الهنةٌ من الخطيئةِ هنةٌ (١٧٠) ، فإنَّ ذِمَّتَكَ باجتماعِها مُرتَهنةٌ ، وتذكّرُ حسابَ اللهِ ومَوازِينَهُ المُعدَّلةَ ، والنّقاشَ (١٧١) في مِثقالِ الذَّرَّةِ ، ووزنِ الخَرَدَلِ ، واستعْظِمُ أن تَنفَلِتَ عَنْ مُلتَقَى أَجْنَانِكَ لَحْظَه ، أو تَقْرُطَ من عذبة لسانِكَ (١٧٢) لَفْظَه ، أو تُخَالِجَ (١٧٣) مِنْ ضَمِيرِكَ خَطَرَه ، أو تَتَصَلَ بِقَدَمِكَ خَطْوَه ، وَلَحْظَتِكَ بِمَقْلَةٍ مُرِيبَةٍ ، وَلَفْظَتِكَ لَا عَنْ لَهْجَةٍ أَرِيبَةٍ (١٧٤) ، وَخَطَرَتِكَ

(١٦٧) مقامات الزمخشري . ص ٦٢ - ٦٥ .

(١٦٨) النقيز : النقرة في ظهر النواة التي تخرج منها النخلة ، وهو مثل في القلة .

(١٦٩) رَوَّاتٌ في الأمر إذا فكرت فيه ، ورويت عامة .

(١٧٠) الهنة الاولى : الشيء الذي يستفحش ذكره ، وهو مؤنث ، ومدكره (هن) ويجمع على هنين . ويكنى به عن الاشياء التي تذكر بأسمائها ، عن كل اسم جنس ، أو هو الفرج .

وهنة الثانية : أي الشيء القليل جدا بحيث لا يكاد يذكر .

(١٧١) النقاش : المناقشة ، وهي المداقة في الحساب ، والتفتيش عن جليله ودقيقه .

(١٧٢) عذبة اللسان . طرفه .

(١٧٣) خالَج قلبه كذا : أي جاذبه ونازعه فكره ، والخلج الجذب ، ومنه الخليج ، لانه خلج من البحر .

(١٧٤) اللَّهْجَةُ : اللسان . وقالوا الفصيح اللَّهْجَةُ بالتحريك ، سميت للهجة بالنطق والاستكثار منه .

فِكْرٌ" فِي خِلَافِ سَدِّدٍ (١٧٥) ، وَخَطْوَتِكَ مَشْيِي" عَلَى غَيْرِ
جَدِّدٍ (١٧٦) ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ مَأْمُورٌ بِالْغَضِّ مِنَ الْبَصَرِ ،
وَحَذْفِ فَضُولِ النَّظَرِ ، وَبِأَنَّ تَجْعَلَ الصَّمْتَ مِنْ دَيْدَنِكَ
وَدِينِكَ (١٧٧) ، إِذَا لَمْ يَعْنِكَ الْمُنْطِقُ فِي دُثْيَاكَ وَدِينِكَ .. » .

فالزَّمخشرى لَا يَلْبِثُ ، بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْأُخْرَى ، يَذْكُرُنَا ، بِحِسَابِ اللَّهِ ، كُلِّ
حَسَبِ عَمَلِهِ ، كَمَا يَذْكُرُنَا بِنَاءَ هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَبِقَاءِ الْآخِرَى ، وَكَأَنَّهُ وَاعِظٌ حَكِيمٌ ،
وَعَلَى ذِكْرِ الْحِكْمَةِ ، فَلِلزَّمخشرى عِبَارَاتٌ حَكِيمَةٌ ، اِحْتَوَاهَا كِتَابُهُ الْكَلَمُ النَّوَائِغُ ،
كَمَا تَنَاطَرَتْ فِي مَقَامَاتِهِ وَكُتِبَتْ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ (١٧٨) : « مَنْ لَمْ يَقُومِ التَّائِبُ ، لَمْ
يَقُومِ التَّائِبُ » . وَقَوْلُهُ (١٧٩) : « سُورَةُ السَّفِيهِ تَكْسِرُهَا الْحُكَمَاءُ ، وَالنَّارُ
الْمُضْرَمَةُ يَطْفِئُهَا الْمَاءُ » . وَقَوْلُهُ أَيْضًا (١٨٠) : « عِشْ الْمَجَاهِدَ جَهِيدَ ، وَرِزْقَ
الزَّاهِدَ زَهِيدَ » . أَوْ قَوْلُهُ (١٨١) : « الْأَمِينُ آمَنَ ، وَالْخَائِنُ حَانَ » .
وَقَوْلُهُ (١٨٢) : « مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَشَقَى مَنْ يَعُومُ فِي الْأَمْوَاجِ ، أَمْ مَنْ يَقُومُ عَلَى
الْأَزْوَاجِ ؟ » .

وَكِتَابُهُ الْكَلَمُ النَّوَائِغُ ، كُلُّهُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، مِنَ الْحُكْمِ الْقَصِيرَةِ
الْمُسْجُوعَةِ ، وَقَدْ أُرِيدَ لَهُ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْكَشْكُولُ » ، نَبْذًا مِنْ هَذِهِ
الْحُكْمِ (١٨٣) .

-
- (١٧٥) السَّدَدُ : السَّدَادُ ، وَنَحْوُهَا الرُّشْدُ وَالرَّشَادُ ، وَالْفَلَاحُ وَالْفَلَاحُ .
(١٧٦) الْجَدُّ : الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَالْجُدُّ جَدُّ مِثْلِهِ .
(١٧٧) الْدِينُ : الْعَادَةُ . وَالْدِينُ : الْعَادَةُ أَيْضًا .
(١٧٨) يَنْظُرُ الْكَلَمُ النَّوَائِغُ . ص ٢٨ . وَيَقُومُ : أَيُّ يَصْلُحُ اعْوِجَاجُهُ .
(١٧٩) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ . ص ٦٦ .
(١٨٠) سُورَةُ السَّفِيهِ : سَطُوتُهُ . وَسُورَةُ الشَّرَابِ : وَثُوبُهُ فِي الرَّاسِ .
(١٨١) يَنْظُرُ الْكَلَمُ النَّوَائِغُ . ص ١٨ .
وَجَهِيدُ : أَيُّ تَكْدُ . وَزَهِيدُ : أَيُّ قَلِيلُ .
(١٨١) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ . ص ١٨ .
وَالْحَائِنُ : الْهَالِكُ .
(١٨٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ . ص ٦٠ .
(١٨٣) يَنْظُرُ ص ٣٤٦ .

ومن بديع كلامه قوله (١٨٤) : وَأَيْنَ مَنْ أَنْتَضَيْتَ مِنْ صُلْبِهِ ،
 ثُمَّ أَعْمَدَكَ الْهَوَىٰ فِي قَلْبِهِ (١٨٥) ، فَكُنْتَ أَحْصَىٰ بِفُؤَادِهِ مِنْ
 سَوَادِهِ ، لِفَرْطِ مِقْتِهِ (١٨٦) لَكَ وَوَدَادِهِ • أَبَاكَ وَأَبِي إِلَّا كُلَّ
 خَيْرٍ لَكَ ، وَرَبَّكَ وَحَبَاكَ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ مَبَاغِيكَ ،
 وَرَشْحِكَ لِمَا أَصْلَحَكَ تَرْشِيحًا وَرَقَّحَ (١٨٧) لَكَ مَا عِشْتَ
 بِهِ تَرْقِيحًا وَنَقَّحَ (١٨٨) عَوْدَكَ مِنْ الْعَقْدِ تَنْقِيحًا • •

(١٨٤) مقامات الزمخشري . ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١٨٥) يريد ابن الذي كنت نطفة في صلبه ، وانتضاك الله منه ، ثم حبساك
 ما تحت قلبه ، فكانما انتقلت من صلبه الى قلبه .

(١٨٦) لفراط مِقْتِهِ : لكثرة حبه ووداده . ويقال : هو ذو مقة ، اي محبة -

(١٨٧) الترقيح ، الكسب والاصلاح ، والاسم منه الرقاحة : اي الكسب
 والتجارة .

(١٨٨) نقح : نقح الشيء : ازال عيوبه . ونقح العصا والجذع : شذبها .

مميزات فنّه الكتابي :

أهم ما يلاحظ على أسلوب الزمخشري ، تأثره بالكتّاب السابقين ، ولا سيّما كتّاب القرن الرابع الهجري ، في اعتماده كثيراً على المحسنات البديعية ، وخاصة السجع والجناس ، واعتماده في بعض الأحيان ، الى تضمين النثر ، بعض الاشارات التاريخية ، والتلميحات الأدبية والثقافية ، والحكم الوعظية ، كما عني أحيانا بتدعيم نثره بالشعر^(١) .

امتاز الزمخشري عن سبقه ، من كتّاب النثر باستعماله بعض الألفاظ الصعبة ، التي نراها منتشرة في مقاماته ، ولعل مرجع ذلك ، هو معرفته ، كيفية انتقاء ألفاظه ، والتعمق في معانيه ، وقد أتاحت له عزوبيته ، وفراغه الطويل ، وعدم التزامه بواجبات الأسرة ، وانعزاله عن الناس ، أشباع تلك الرغبة ، في ميله لركوب الصعب من الألفاظ . وربما كان لعاهته المستديمة ، واحساسه العميق بها ، أثر في لجوئه الى ذلك ، ليعوض ذلك النقص الجسماني ، بالتفوق على معاصريه ، ومن هنا إنكبَّ على الدراسة والمطالعة ، وربما يرجع بعض ذلك أيضاً الى عيشة الضنك والبؤس ، التي طبعت نفسه باليأس ، والتبرم بالحياة ، فكان ذلك من أسباب استجابته ، الى هذه الطريقة ، ولا عجب في ذلك ، لأن الأدب مرآة النفس البشرية ، يرق اذا رقت ، ويجفو إذا جفت وقد يكون لمذهبه الاعتزالي ، وتفكيره العقلي ، أثر فيما يترأى لنا ، من صعوبة في ألفاظه .

وعلى أية حال ، فنحن نرى أن هذه الأسباب مجتمعة ، أثرت في أدبه ، وطبعته بطابع الوعورة والصعوبة ، وربما التعقيد ، ويظهر هذا لقاريء مقاماته ، في استماله للفظ الغريب ، كأنه حلية يحلي بها كلامه . كما يظهر في جنوحه في بعض الأحيان — الى استعمال الاستعارة البعيدة ، كما في قوله^(٢) :

(١) تنظر الصفحات الآتية من مقاماته : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٧ .

(٢) ينظر المصدر السابق . ص ٦٦ .

« ٥٥ » وَقِيلَ أَهَبْ الْمَلِكُ لِفُلَانٍ قَبُولِهِ (٣) رُخَاءً ، وَأَرْخَى لَهُ عَزَالِي (٤) سَحَابِهِ إِرْخَاءً ، وَقَصَّارَى ذَاكَ أَنَّهُ يُصَيِّهُ بِنَفْحَةٍ (٥) مِنَ السَّحْتِ ، وَرَضْخَةً (٦) مِنَ الْحَرَامِ الْبَحْتِ ، هَزْءٌ مِنْ عِظْمِهِ وَنَسْطٍ ، وَكُشِفَ غِطَاءُ أَلْهَمٍ وَكُشِطَ ، وَاسْتَطِيرَ فَرَحًا وَازْدَهَى ، وَرَمَحَ أَذْيَالَهُ وَزَهَى ، وَمَا شِئْتَ مِنْ اغْتِبَاطٍ مَعَ نَخْوَةٍ ، وَطَرَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ نَشْوَةٍ ، وَكَادَ يَبَارِي كُبَيْدَاتِ السَّمَاءِ ، وَيَنَاطِحَ هَامَةَ الْجَوِّ زَاءً ... » •

فالزَمْخَشَرِي فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ ، جَعَلَ لِلْقُلُوبِ رِيحًا قَبُولًا ، ثُمَّ جَعَلَهَا رُخَاءً لِيَنَةِ الْهَوْبِ طَيِّبَةٍ ، وَفِي هَذَا اسْتِعَارَةٍ ، وَلَكِنَّهَا بَعِيدَةٌ ، تَحْتَاجُ إِلَى التَّأَمُّلِ ، لِأَنَّهَا اسْتِعَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَنَادِرَةٌ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ الرَّافِعِيِّ الْفَارُوقِيِّ ، مُحَقِّقُ مَقَامَاتِ الزَمْخَشَرِيِّ •

وَكَانَ الزَمْخَشَرِيُّ وَاسِعَ الْإِطْلَاعِ ، مُتَّقًا تَقَافَةً عَالِيَةً ، حَزِينِ النَّفْسِ ، كَسِيرِ الْقَلْبِ ، فَأَثَّرَ ذَلِكَ فِي أَدْبِهِ ، وَطَبَعَهُ بِطَابَعِ انْعِكَاسِي لِنَفْسِيَّتِهِ ، فِي الظُّرُوفِ الْمُخْتَلِفَةِ ، الْمُخْتَلِفَةِ ، الَّتِي عَاشَهَا ، وَلِهَذَا رَأَيْنَا كَيْفَ أَنَّ الْمَقَامَاتِ فِي نَظَرِهِ مَا هِيَ إِلَّا الْمَوَاقِعُ وَالْحُكْمُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ انْعِكَاسُ لِنَفْسِهِ ، فِي فِتْرَةٍ مِنْ فِتْرَاتِ حَيَاتِهِ ، تِلْكَ الْفِتْرَةُ الَّتِي اسْتَجَابَتْ بِهَا نَفْسُهُ إِلَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَرَّرَتْ مِنْ سَيِّطَرَةِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْمَالِ ، وَالْمَنْصَبِ وَالْجَاهِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَى أَعْتَابِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ •

(٣) قَبُولُهُ : الْقَبُولُ مِنَ الرِّيَّاحِ : الصَّبَا تَهَبُ مِنَ تَلْقَاءِ الْكَعْبَةِ •

(٤) عَزَالِي : الْعِزْلَاءُ : فَمُ الْمَزَادَةُ وَهِيَ مَسْكَبُهَا الَّتِي فِي أَسْفَلِهَا ، كَانَهَا فِي الْأَصْلِ صِفَةً لِلْمَسْكَبَةِ ، تَأْنِيَتْ الْإِعْزَلُ . شَبِّهَتْ بِالذَّنْبِ الْإِعْزَلُ ، وَهُوَ الْمَائِلُ فِي شِقِّ ، وَالْجَمْعُ عَزَالِي وَعَزَالِي ، وَبِهَا تُشَبَّهُ مَخَارِقُ الْوَدَقِ ، وَتُسْتَعَارُ لَهَا ، فَتَرَاهَا وَارِدَةً عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ تَارَةً ، وَعَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ أُخْرَى •

(٥) نَفْحَةٌ : النَّفْحَةُ أَصْلُهَا فِي الرَّائِحَةِ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَتْ فِي الْقَلِيلِ مِنَ الْعَطِيَّةِ ، يُقَالُ أَصَابَهُ بِنَفْحَةٍ وَنَفْحَاتٍ •

(٦) رَضْخَةٌ : رَضَخَ لَهُ : أَقْلَ لَهُ مِنَ الْعَطَاءِ . وَرَضَخَ لَهُ فِي الدَّلْوِ : إِذَا سَكَبَ لَهُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْمَاءِ . وَاعْطَاهُ رَضِخَةً مِنْ مَالٍ وَرَضَاخَةً •

من كل ما تقدم نرى أن الزمخشري ، كان كاتباً حاذقاً ، وأديباً لامعاً .
له أسلوب آخاذ يخلب الألباب ، فيلهي عن تأمل ما به من صنعة ، بألفاظه
الفصاح ، التي نراها كأنها خلقت لتكون في أماكنها ، من جملة وفقراته ، وعلى
هذا يمكننا اعتبار ثمره من الطبقة العالية ، مع أنه كثير السجع ، ولكنه لا يلزم
ذلك ، ولذلك فقد أمتاز بالتعبير المشرق الفصيح .

أما أسلوبه في مقاماته ، فهو الأسلوب التجريدي الوعظي ، الذي يغلب
عليه كما نوهنا - السجع ، ولكنه سجع يكاد يكون طبعياً على كثرتة ، كما
يغلب عليه استعمال الألفاظ الصعبة ، التي تجعلنا نقول : إنه ربما كان يعنى
ويشقى في اختيارها ، كما عني بالحكم والمواعظ . وفي استطراده الظاهر في
انتقاله من فكرة الى أخرى ، مما يعطينا الحق أن نقول : إن ذوقه في ثمره ،
كان قريباً من ذوق أصحاب التصنع ، في القرن الرابع الهجري ، مع بعض المغالاة
في هذا التصنع ، الذي بلغ ذروته ، في عصر الزمخشري .

ولعل كثرة استخدام الزمخشري للبديع ، وما يتصل به من تعقيد بعض
زخارفه ، بالإضافة الى استخدامه للألفاظ الصعبة المبهمة ، التي لا تفهم الا
بالرجوع الى القواميس ، هو الذي جعل أسلوبه يترأى أحياناً للقاريء ، وفيه
غير قليل من التكلف والتعمّل .

أما قدرته البلاغية فيها ، فربما كان لا عتراله أثر فيها ، كما أننا يجب ألا
ننسى أنه نشأ نشأة أدبية كلامية ، ومن الطبيعي وهو لغوي أديب ، أن يكون
بصيراً ، بحقائق اللغة ومجازاتها ، وأن يستعين بعلمه وذوقه ، في استعماله بعض
المعاني الدقيقة ، والألفاظ الأنيقة ، ولذلك جاء أسلوبه قريباً أنيقاً ، على ما فيه
من صناعة ، تبدو متكلفة أحياناً .

أما من الوجهة العقلية ، فالزمخشري يقف عند تكرار ذكر الموت والميعاد
والثواب والعقاب . وهو بمقاماته يفرس بذور التقى والإباء ، في صدور
الناس . وقد استطاع أن يؤدي ما تجيش به نفسه ، ويطلق به صدره ، في
تعايير فصيحة عميقة المعاني ، فيها سلاسة ومتانة ، ورقة وبراعة .

أما ذلك التناقض الذي يترأى لنا عنده ، في غموض أسلوبه وتعقيدته ،

وفي سلاسته ومئاته ورقته ، وسلامته وجزالته ووضوحه ، فما هذا الا صور للنفس الإنسانية ، التي تفصح عما يختلج بها ، من معان وأفكار وآراء وأغراض .

إذاً فمقامات الزمخشري ، تنتهي الى فلسفة واحدة ، هي الوعظ والنصيحة والاسلوب الخطابي التجريدي ، والقول في مقالاته ، مثل القول في مقاماته ، من حيث أنها قيلت في الوعظ والنصيحة ، فهي نصائح فصيحة ، ومواعظ مليئة بمحاسن الجناس والكنائيات والنكات البلاغية الجليلة ، والتشابه الحسن ، التي تدرك بعد الدراسة والتمعن .

يقول في احدى مقالاته^(٧) : « موسرٌ يشحُّ بالنوالِ ، ومُعسرٌ يُلجُّ في السؤالِ^(٨) ، إذا التقيا فجنَّدَ لَتانِ تصطكَّانِ^(٩) ، وجديلتانِ من الضرائرِ تحتكتَّانِ^(١٠) ذاكَ كزٌّ شحيح^(١١) غيرٌ معوانٍ^(١٢) ، له في وجه الصعلوكِ فحيجٌ أفعوانٍ^(١٣) ، وهذا ملحٌ ملحفٌ ، مُحِفٌ مُحجِفٌ^(١٤) ، له دقٌّ بالوجنتين ،

(٧) ينظر اطواق الذهب . ص ٧٣ - ٧٤ .

(٨) قوله موسر الخ : أي أن الناس قسمان : غني يبخل بالعطاء ، وفقير شديد الطلب .

(٩) وقوله إذا التقيا : أي إذا التقى الموسر والمعسر ، كانا كصخرتين ، تضرب كل منهما الأخرى .

(١٠) وقوله وجديلتان من الضرائر .. أي وكانا قبيلتين من الاضداد تصطدمان . وأصل الضرائر : الزوجات لزوج واحد . ويجوز أن يقال « وجديلتان من الظران » الخ . والجدلة مدقة لمهراس أي (الهاون) . والظران : الحجارة المدورة المحددة . ولعل هذا ما قاله المصنف ، فحرفه محرف .

(١١) ذاك كز شحيح : أولاد بذاك أي الموسر . والكز : المسك . وأصله اليابس المنقبض .

(١٢) المعوان : الحسن المعونة ، أو غيرها .

(١٣) الافعوان : حية خبيثة . والفحيج صوتها من فيها ، والحفيف صوتها من جلدها .

(١٤) قوله : وهذا ملح الخ : اللاحاح كالأحفاف : تكرار السؤال بعنف ، واحفه ذكره بالقبيح . والاحجاف : الزيادة عن الحد المعروف المألوف .

دَقَّ انْقُصَارِ بِالْمِجْنَتَيْنِ^(١٥) ، إِنَّ مَنَعَ تَبَشَّشَ وَتَطَلَّقَ ،
وَتَبَصَّبَصَ وَتَمَلَّقَ^(١٦) ، وَإِنَّ مَنَعَ أَخَذَ بِالْمَخَانِيقِ^(١٧) ، وَرَمَى
بِالْمَجَانِيقِ^(١٨) .

ففي هذه القطعة ، نرى مقدرة أبي القاسم البلاغية ، وتشابيهه الجميلة ،
واستعماله الأضداد ، بمعان حلوة جميلة .

وقد أفادنا الدكتور الحوفي ، ببعض ملاحظاته ، عن أسلوب الزمخشري ،
وفتح أمامنا الطريق ، لنرى من خلالها ، المزايا الأخرى ، التي استطعنا على
ضوئها إصدار بعض الأحكام ، على أسلوب أبي القاسم .

ومما أشار اليه الدكتور الحوفي ، أن الصبغة العامة ، لأسلوب أبي القاسم
هي مجاراته لكتّاب عصره ، وكلفه بالسجع وتكلف المحسنات البديعية ،
وجنوحه الى حل المنظوم ، والتلاعب بالألفاظ الاصطلاحية^(١٩) ، ويعلق على
ذلك بقوله : ولقد كان من المأمول ، من أبي القاسم ، أن يتحرر من هذه
القيود ، التي كبلت النثر الفني ، منذ القرن الثالث الهجري ، الى القرن
العشرين ، لكنه لم يتحرر منها ، مع أنه قال في مقدمة المقامات^(٢٠) : « ولتعلم
أن ما سماه الناس البديع ، من تحسين الألفاظ ، وتزيينها ، بطلب الطباق فيها

(١٥) وقوله : وله دق الخ : أي ضرب بيديه على أعلى خديه ، كضرب القصار
التياب بمقصرتيه ، أي مدقتيه . والقصار : هو من يحور الثياب ، أو
يبيضها .
والميجنة : المدقة .

(١٦) تبصبص : استبشر .
تملق : تلطف . وتودد ، وزاد في ذلك عما ينبغي ، واعطى بلسانه خلاف
ما في قلبه .

(١٧) قوله : وإن منع أخذ بالمخانيق : أي امسك بمواضع الخنق من الرقبة ،
وهي جمع مخنق . ويقال : أخذ بتلايبه ، أي قبض على الثياب التي
على لبتة .

(١٨) قوله : ورمى بالمجانيق : كناية عن قذفه بالكلام القبيح ، وهي جمع
منجنيق والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة والنار ، في الحصار .

(١٩) ينظر كتابه « الزمخشري » . ص ٢٧٢ .

(٢٠) ينظر ص ٣ .

والتجنيس ، والتسجيع والترصيع ، لا يملح ولا ييرع ، حتى يوازي مصنوعه مطبوعه ، والا فما قلق في أماكنه ، ونبا عن مواقفه ، فمنبوذ بالعراء ، مرفوض عند الخطباء والشعراء » •

ونحن نقول : إنه على الرغم من نهج الزمخشري هذا المنهج ، وسلوكه ذلك المسلك الوعر الصعب ، وتعمّله وتكلفه أحياناً ، واغرابه وإثاره الألفاظ الصعبة في بعض الأحيان ، إلا أنه أتنانا بكل بليغ فصيح وجميل • ولعل سر بلاغته وفصاحته ، يرجع الى ما في معانيه من قوة وروح ، كما يرجع الى طرافته ، بحيث يستهوي العقل والقلب ، وأما سر جماله ، فيرجع الى ذوقه الأدبي المرفه ، ودقته في قياس الجمال البلاغي ، بما يضيفه من رشاقة ورونق على ألفاظه ، ليطلعنا على ما في أسلوبه من كمال وجلال •

وخلاصة القول : إن مقامات الزمخشري وحدها ، تكفي لتجعله علماً ، من أعلام النثر ، في القرن الخامس الهجري ، فهي تحفة من تحف النثر الفني ، فيها من إمارات العقل والذكاء ما فيها • وأسلوبه فيها — على صعوبته — من أدق الأساليب وأصفاهها ، ولذلك نستطيع أن نعهده ، على رأس من خرجهم أقليم خوارزم من النوانج ، في القرن الخامس الهجري •

الفصل الخامس

رشيد الدين الوطواط

إذا كنا قد التقينا في القرن الرابع الهجري ، بأبي بكر الخوارزمي ، فإننا نلتقي في القرن السادس ، برشيد الدين الوطواط ، الذي يعدُّ أشهر كتاب هذا القرن ، في بلاد فارس عامة ، وفي إقليم خوارزم خاصة .

وقد تكلمنا من قبل على رشيد الدين شاعرا ، وقلنا إنه ولد في مدينة بلخ ، التي كانت يومذاك أعظم مدن خراسان ، وكانت مساوية في مكاتها لنيسابور وهراة ومرو ، تكثر فيها المدارس^(١) ، والجوامع والمكتبات ، التي كان يقضي فيها الفضلاء والعلماء أيامهم ، ناشرين نور العلم والفضل ، مقيمين فيها أسواق الافادة والاستفادة^(٢) .

قدم رشيد الدين من بلخ ، الى خوارزم وافدا ، واشتغل بالأدب حتى مهر فيه ، وأصبح كاتب الدولة الخوارزمية . وكانت خوارزم قد بلغت أوج حركتها الثقافية ، الأدبية والعلمية ، في هذه الحقبة الزمنية ، فكان لهذا أثره البالغ في نفس هذا الأديب المثقف ، بعد أن عاش في هذه البيئة ، وفي وقت وصلت فيه الصنعة في الكتابة أوج عظمتها ، ولذلك لم يكن غريبا أن يتأثر بكل ما يحيط به ، ويعنى عناية كبيرة بتلك الفنون ، ويزيد في صنعته الى درجة الغلو . ذلك الغلو الذي يدل على مهارة الكاتب وبلاغته . وقد كان رشيد الدين باتفاق من ترجموا له ، أكثر أهل عصره صنعة ، وأكثرهم براعة ، في النواحي الأدبية واللغوية ، وأعلمهم بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب .

ومن دراسة ديوان رسائله ، يتراءى لنا صحة هذا القول ، فالصنعة ظاهرة في ثره ، كما هي ظاهرة في شعره ، فهو يتكلفها ويؤثر الجناس ، على

(١) من أشهر مدارسها المدرسة النظامية ، التي التحق بها رشيد الدين ، وحصل فيها قدرا كبيرا من معلوماته ، وكان استاذ به ، الإمام أبو سعد الهروي .

(٢) للتفصيل ينظر مقدمة كتاب : حقائق السحر ١ : ٣ .

سائر أنواع البديع ، ولكنه — كما نرى — لو أراد أن يترك الصنعة ، ويمضي على سجيته لأحسن وأجاد .

وأظهر فنونه الكتابية ، فن الرسائل الديوانية ، والرسائل الإخوانية ، ورسائله الاخوانية تظهر فيها عاطفته القوية ، المتمثلة في حنيه الى وطنه بلخ ، ومن ذلك رسالته الى جابر الله الزمخشري ، التي يقول فيها^(٣) :

« أنا منذُ لَفَظْتَنِي الْأَقْدَارُ مِنْ أَوْطَانِي ، وَمَعَاهِدِ أَهْلِي وَجِيرَانِي ، إِلَى هَذِهِ الْخَطَةِ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ ، بِمَكَانِ جَابِرِ اللَّهِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ، جَنَّةً لِلْكَرَامِ ، وَجَنَّةً^(٤) مِنْ نَكَبَاتِ الْأَيَّامِ ، كَانَتْ قُصُوى مَنِيَّتِي ، وَقَصَارَى بَغْيَتِي ، أَنْ أَكُونَ أَحَدُ الْمُلَازِمِينَ لِسَدَّتِهِ الشَّرِيفَةِ ، الَّتِي هِيَ مَخِيمِ السِّيَادَةِ ، وَمَقْبَلِ أَفْوَاحِ السَّادَةِ . مَنْ أَلْقَى بِهَا عَصَاهُ ، حَازَ فِي الدَّارَيْنِ مَنَاهُ ، وَنَالَ فِي الْمَحْكَلَيْنِ مَبْتَغَاهُ ، وَلَكِنْ سَوْءَ التَّقْصِيرِ ، أَوْ مَانَعِ التَّقْدِيرِ ، حَرَمَنِي مِنْ تِلْكَ الْخِدْمَةِ ، وَحَرَّمَ عَلَيَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ . . . » .

ومن محتوى الرسالة ، نفهم أن رشيد الدين ، بعث بهذه الرسالة ، الى جابر الله الزمخشري ، وهو مجاور لبيت الله الحرام ، تلك المجاورة التي طالما تمنّاها الوطواط لنفسه ، ولكن سوء التقصير ، أو مانع التقدير ، على حد قوله ، حرمه منها .

ثم يتحول الحنين الى آلام نفسية مبرحة ، فيتمثل لنا في شكل ثورة عارمة ، ومعاناة لأحزان دفينه ، سببها تلك المجافاة ، التي كانت نصيبه من بلده وأهل بلده ، حتى صغرت في عينيه ، بعدما كانت حبيبة الى نفسه ، مثلما صغروا في عينيه وهم أهله وأحبته ، فهو يقول^(٥) :

« كَانَتْ بَلَخُ كَمَا اللَّهُ سَيِّدَنَا مِنْ دُرُوعِ الْعَصَةِ أَضْفَاها ، وَسَقَاهُ

(٣) ينظر مجموعة رسائله ٢ : ٢٩ - ٣١ .

(٤) الْجَنَّةُ : البستان التف شجره حتى ستر الارض بأشجاء . وجمعها جنان وجنات واجنة . والجنَّة : الوقاية والستر والدرع : كل ما وارك من السلاح ، وكل ما وفى وجمعه جنن .

(٥) مجموعة رسائله ٢ : ٧ .

من كووس النعمة أصفها ، أعزّ عليّ من مكّة على الحجاج ، فصارت
أهون من « تباله^(٦) » على الحجاج ، لما عايّنت من جفّوات ساكنيها ،
وعانيّت من سيئات قاطنيها ، فطوّراً بالمشافهة والمخاطبة ، وتارةً
بالمراسلة والمكاتبه ، هم يبلخ وأنا بخوارزم ، وبَيْننا جبال سامية ،
وبحار طامية ، ومهامه قفر فسيح ، لا يجوزها برّق ولا يجوبها ريح ،
وكلاكل ضرّهم عليّ ملقاة ، ورواحل شرّهم اليّ مژّجاة ، أسكت الله
شقشقة لا تهدر الاّ بالافحاش والابذاء ، وقطع أنملة لا تنقش الاّ صورة
الايحاش والايذاء .. » .

ولنستمر معه في كتابه ، لنراه يصرخ متألماً ، فيصف أهل بلخ بالظلم ،
وعدم الانصاف ، لأنهم بعملهم هذا قد أنكروا عليه فضله ، ونسوا انه درّة
بلدهم وضوّؤها ، وقدوة أخيارها . فهو يقول :

« ولو نظر أهل بلخ ، بعيون الانصاف ، وعدلوا عن مواقف
الظلم والاجحاف ، لعرّفوا واعترفوا أنّي درّة تاجها ، وشمسة قتلايد
مفاخرها ، كلّما ذكرّت محاسن بلخ ، في المحافل الفاصّة ونثّرت
بين يدي العامة والخاصة ، فأنا صدر جريدتها ، وبیت قصيدتها ، ثني عليّ
الأصابع ، وتطوّى عليّ الأضالع . وليت شعري ما بال أهل بلخ يقدحون
فيّ ، ويرزون مساويّ ، فيخدمون بذلك نارهم ، ويهدمون فخارهم ، أما
يعلمون أنّي ركن » ، ان حطّمت قبن^(٧) رباعهم ، ويمن ان قطّعت قفن^(٨)
ذراعهم .. » .

(٦) تباله : بلد باليمن ، استعمل عليها الحجاج ، فأثاها فاستحقرها فلم
يدخلها . فقيل : أهون من تباله على الحجاج .

(٧) قبن : أي ذهب في الارض . والرابع : جمع ربع . والرّبع : الفصيل
يولد في الرّبيع ، وهو أول النّاج ، ومنه ربعية النّاج وربعية القوم أي
ميرتهم أول الشّتاء ، أو أول الرّبيع ، وبعدها الصّيفية ، ثم الدّفعية ، ثم
الرّمضية .

(٨) قفن : أي مات . والذراع في المساحة عند العرب ثلاثة : الشرعية ،
والحديد السوداء ، والهاشمية . وتقدر كل منها بكذا من الاصبع .

وعلى هذا المنوال من المدح والفخر بالنفس ، والذم والهجاء ، لمنكري فضله ، ينهي رشيد الدين كتابه هذا ، الذي بعثه الى واحد من أعيان بلده بلخ .

برع رشيد الدين في كتابة الرسائل الديوانية ، كما برع في كتابة الرسائل الاخوانية . وكان طابع الصنعة ظاهراً على كل ما نظمه وما أنشأه ، تلك الصنعة التي تدل على أن صاحبها ، كان على درجة كبيرة من الالمام بمعارف عصره . ولا عجب اذ كان من أصحاب اللسانين ، وهم الذين أجادوا العربية والفارسية . وترجع أهميته في النثر العربي ، الى رسائله المؤلفة فيه . كما ترجع الى كتابه المشهور : حقائق السحر في دقائق الشعر .

ومن يقرأ ما كتبه ياقوت الحموي عنه ، يجده يشيد به ، وبفضله في النثر اشادة عظيمة ، فهو عنده أفضل أهل زمانه فيه^(٩) .

أما صناعته في الكتابة ، فربما من باب التقليد ، وليست صادرة عن طبع في ذلك ، لأنه لو أراد أن يرسل نفسه ، كما قلنا على سجيته ، لأحسن وأجاد .

وأول رسالة تلقانا من رسائله ، كتابه الى الخليفة المقتفي لأمر الله ، وهو يبدأ بقوله^(١٠) :

« الحمد لله كاشِفُ غُمَّةِ الْعَمِّ عَنْ عِبَادِهِ ، وَمُزِيلُ ظُلْمَةِ الظُّلَمِ عَنْ بِلَادِهِ ، قَاهِرُ مَنْ يَتْرَكَ حُجَّتَهُ ، وَنَاصِرُ مَنْ يَسْلُكُ عَنْ مَحَجَّتِهِ . مُعَمِّرُ مَنْ يَعْمُرُ الْعَالَمَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَمُدْمِرُ مَنْ يَسْقِيكَ دَمَاءَ بَنِي آدَمَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ . قَدُمْتَ جَبَرَوْتَهُ ، وَعَظُمْتَ مَلَكُوتَهُ ، لَا مَرَدَّ لِقَضَائِهِ ، وَلَا مَقَرَّ عَنْ نَازِلِ بَلَائِهِ .. » .

ولعلَّ أهم ما يلاحظ في كتابة الوطواط ، أنها مليئة بالمحسنات البديعية ، من جناس وسجع وغيرهما .

(٩) ينظر معجم الادباء ١٩ : ٢٩ ، روضات الجنات ١ : ٧٧ ، الكنى والالقاب ٢ : ٢٧١ (طبعة الحيدرية . النجف) .
(١٠) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٤ .

ولنستمر في كتابه لنراه وهو يصف الأهوال التي أصابت البلاد بقوله (١١) :

« وَتَطَايَرَتِ السَّهَامُ ، وَتَكَثَّرَتِ الْجِرَاحُ ، وَتَكَثَّرَتِ الرِّمَاحُ ، وَأُطْلِقَتِ الْأَعْنَةُ ، وَأُشْرِعَتِ الْأَسْنَةُ ، وَتَضَاقَقَ الْمَجَالُ ، وَتَسَابَقَ الْآجَالُ ، وَحَمَى الْوَطِيسُ ، وَدَمَى الْمَرْوُوسُ وَالرَّئِيسُ ، وَانْفَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، وَتَلَاعَبَتِ الْأَسْيَافُ بِالْأَعْنَاقِ ، وَخَضَبَتِ الدَّمَاءُ الْخَنَاجِرَ ، وَبَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ ، حَمَلَ الْعَبْدُ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَتْبَاعَهُ ، زُمِرَ الشَّقَاقُ ، وَعُصِبَ النِّفَاقُ ، حَمَلَةُ اللَّيْثِ الْخَادِرُ ، وَسَطَلَا عَلَيْهِمْ سَطْوَةُ الْأَسَدِ الزَّائِرِ (١٢) ، رَافِعًا عَقِيرَتَهُ (١٣) بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، مُنْتَظِرًا النَّصْرَ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ ، فَمَنْ اللَّهُ بِالظَّفَرِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَأَيْدِهِ بِنَصْرِ مَنْ عِنْدَهُ ... » .

أرأيت هذه المحسنات المتتابعة ، في إحدى رسائل الوطواط ، وتلك العبارات المتتالية ، التي أتاننا بها ، فإذا الكلمة في السجعة الأولى ، تعود في السجعة الثانية ، ولكن مع شيء من القلب والعكس ، في هيئتها وصورتها ، فإذا « خناجر » في السجعة الأولى ، تصبح « خناجر » في السجعة الثانية . وتتوالى سجعاته ، حتى تتحول الى لعب بالألفاظ ، وهذا النوع كان يستهوي الأدباء في عصر الوطواط ، استهواء شديداً ، ولعل ذلك مما جعله يكثر من الجناس ، على اختلاف ألوانه . ومما ذكرنا قوله من كتاب بعث به الى الشيخ الامام مجد الدين ، حجة الحق صاحب البخاري (١٤) :

« فَارَقْتُ سَيِّدَنَا - أَطَالَ اللَّهُ فِي شَمُولِ السَّلَامَةِ ، وَسَبَّوْغِ الْكَرَامَةِ بَقَاءَهُ . وَرَزَقَنِي قَبْلَ اقْتِرَابِ الْأَجْلِ ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ لِقَاءَهُ . وَأَنَا أَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ الصَّبَا . وَالْعِيشُ رَوَائِحُهُ أَطِيبُ مِنْ نَسِيمِ

(١١) مجموعة رسائله ١ : ١١ - ١٢ .

(١٢) الأسد الزائر : أي المفضب .

(١٣) العقيرة : الصوت .

(١٤) ينظر مجموعة رسائله ٢ : ١١ - ١٢ .

الصَّبَا - فَمَا أَنَا وَهَامَتِي لَاحَ الْقَتِيرِ^(١٥) بِمَعْرِفَتِهَا ، وَطَلَعْتُ نَجُومَ الشَّيْبِ مِنْ مَشْرِقِهَا . زَالَ النِّظَامُ ، وَالْعِيشُ عَادَ ذَابِلًا عَوْدَهُ ، آفَلًا سَعُودَهُ . وَالْعَمْرُ آضُ^(١٦) مَنفَصًّا عَرَاهُ ، مَنفَقَضًا قَوَاهُ ، وَمَا أَبْغَى جَدَّتِي تَطَاوُلُ مَدَّتِي . وَلَكِنْ شِدَائِدُ لَا تُعَدُّ صَنُوفُهَا ، وَحَوَادِثُ لَا تُرَدُّ صُرُوفُهَا » .

وَلِنَنْظُرِ إِلَى قَوْلِهِ : لَاحَ الْقَتِيرِ ، وَالْعَمْرُ آضُ ، وَكَانَ بِمَقْدُورِهِ أَنْ أَنْ يَقُولَ ظَهَرَتْ أَوَائِلُ الشَّيْبِ ، وَالْعَمْرُ رَجَعَ ، وَلَكِنَّهُ أَثَرُ هَذَا التَّلَاعِبِ بِالْفَافِظَةِ ، لِيُثَبِّتَ مَقْدَرَتَهُ وَمَهَارَتَهُ فِي صَنْعَتِهِ .

وَمِنْ رِسَائِلِهِ الَّتِي تَكَثَّرَ فِيهَا الصَّنْعَةُ قَوْلُهُ : مِنْ رِسَالَةِ إِلَى قَوَامِ الدِّينِ سَهِيلِ بْنِ عَزِيزِ الْمُسْتَوْفِيِّ^(١٧) :

« حَضَرْتُ الْبَابَ ، وَخَدَمْتُ الْبَوَّابَ ، وَجَدَدْتُ الْعَهْدَ بِتَقْبِيلِ تَرَابِ تِلْكَ الْعُقُودَةِ^(١٨) الْمُبَارَكَةِ ، الَّتِي هِيَ مُرْتَبِعُ الْأُمَاطِلِ ، وَمُنْتَجِعُ الْأَفَاضِلِ وَشَكَرْتُ صَنِيعَةَ الْأُمْسِيِّ ، وَطَلُوعَةَ الشَّمْسِيِّ ، عَلَى بَيْتِي الَّذِي هُوَ أَهْوَنُ الْبُيُوتِ ، وَأَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ .. » .

وَمَا مِنْ رَيْبٍ فِي أَنَّ هَذَا كُلَّهُ ، يَدُلُّ عَلَى مَدَى مَا كَانَ يُحَاوِلُهُ الْوُطُوطُ ، مِنْ تَصْنَعٍ فِي رِسَائِلِهِ وَآثَارِهِ ، ذَلِكَ التَّصْنَعُ الَّذِي خَرَجَ بِهِ إِلَى الْغُلُوِّ ، وَإِلَى الْإِسْتِحَالَةِ أحيانًا ، وَلَعَلَّهُ كَانَ يَأْتِي بِالْفَنُونِ الْبَدِيعَةِ ، لِيُثَبِّتَ كَمَا قُلْنَا تَفُوقَهُ وَمَهَارَتَهُ ، وَلِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ بِاسْتَطَاعَتِهِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ كُلَّ مَا يُمْكِنُ مِنْ عَقْدِ التَّصْنَعِ وَصُعُوبَاتِهِ . وَهُوَ فِي هَذَا رَبَّمَا كَانَ مُتَأَثِّرًا بِالْحَرِيرِيِّ ، وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَادَ ، وَلَكِنَّهُ زَادَ عَلَيْهِمَا فِي صِنَاعَتِهِ .

لَمْ يَتَعَرَّضْ مِنْ تَرْجُمَا لِرَشِيدِ الدِّينِ الْوُطُوطِ ، إِلَى الْكَلَامِ عَنْ تَدِينِهِ ، ذَلِكَ التَّدِينُ الْعَمِيقُ ، الَّذِي يَتَرَاءَى وَاضِحًا ، لِكُلِّ مَنْ يَقْرَأُ رِسَائِلَهُ ، فَهُوَ كَثِيرٌ

(١٥) القَتِيرُ : أَوَّلُ الشَّيْبِ .

(١٦) آضُ : رَجَعَ .

(١٧) مَجْمُوعَةُ رِسَائِلِهِ ٢ : ٨٦ .

(١٨) الْعُقُودَةُ : الْمَحَلَّةُ .

الاستشهاد بأي القرآن الكريم ، والمعاني القرآنية ، ولعل بعض ذلك التدين ، يعود الى نسبه المتصل بالخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولذلك نراه متحمساً في دفاعه عن الاسلام وعقائده ، واقفاً بصمود في وجه كل من أراد النيل منه . ومن ذلك كتابه الى من رمى عقائد المسلمين بالقبايح ، وشهد على بواطن الأمور بالقضائح (١٩) :

« سَمِعْتُ أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلدُّنْيَا وَزَخَّارِهَا ، الرَّائِبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَخَارِفِهَا (٢٠) ، الْمُرُورُ فِي زَمَانِكَ بِرَأْسَةِ كَظَلِّ السَّحَابِ زَائِلَةٌ ، وَكَطِيفِ الْخِيَالِ رَاحِلَةٌ ، وَكَوْكَبِ الصَّبَاحِ آفِلَةٌ . الْمُرُورُ مِنْ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ وَأَوَّلَاكَ ، بِشَرِّ ذِمَّةٍ مِنَ الْجَهَالِ ، يَجْتَمِعُونَ حَوْلَكَ ، وَيَسْتَمْعُونَ قَوْلَكَ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهُ بَاطِلًا ، وَعَنْ دُنْيَةٍ (٢١) الصِّدْقِ وَجَلِيَّةِ الْحَقِّ عَاطِلًا ، أَتُكَّ تَصْعَدُ الْمُنْبِرَ وَهُوَ أَحَدُ مُصَاعِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَكْفُو عَلَيْهِ بِشْتَمِ أُمَّتِهِ ، وَتَغْلُو فِي إِشَاعَةِ فَوَاحِشِ أَهْلِ مِلَّتِهِ ، وَتُرْمِي عَقَائِدَ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَبَائِحِ ، وَتَشْهَدُ عَلَى بَوَاطِنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَضَائِحِ ، مِنْ غَيْرِ مَشَاهِدَةٍ وَعَيَانٍ ، وَاخْتِبَارٍ وَبِرْهَانٍ . أَلَيْسَ لَكَ دِينٌ يَرُدُّكَ ، وَلَا حَيَاءٌ يَنْفَعُكَ ، وَلَا كَرَمٌ يَزْجُرُكَ ، وَلَا حِجْرٌ يَحْجُرُكَ . تَشْهَدُ بِأَنَّكَ عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ ، وَتَحْكُمُ كَأَنَّكَ مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، مَا لِلْأَدْمِيِّ الَّذِي أَوَّلُهُ نَظْفَةٌ مُذْرَةٌ ، وَآخِرُهُ جَيْفَةٌ قَذْرَةٌ . وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهُمَا بُولٌ وَعَذْرَةٌ ، إِلَى عِلْمِ الْغُيُوبِ سَبِيلٌ ، وَعَلَى مَعْرِفَةِ مَكْنُونَاتِ الْقُلُوبِ دَلِيلٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْحَكِيمِ .. »

وعلى نحو ما اشتهر بحبه للدين الاسلامي ، ووقوفه بجانبه ، اشتهر بالكتابة الديوانية ، في بلاط السلاطين الخوارزميين ، وفي عصر السلطان السلجوقي سنجر واخوته ، ذلك العصر الزاهر في الأدب والعلم .

(١٩) ينظر مجموعة رسائله ٢ : ١٣ .

(٢٠) المخرفة : البستان ، أو جماعة النخل ما بلغت . وجمعها مخارف .

(٢١) الدنية : القرابة .

كان رشيد الدين كاتباً شاعراً ، ومن الكتاب الذين جمعوا الشعر والرسائل ، الطوال والقصار ، والكتب المؤلفة باللغتين (٢٢) .

ومن خلال تراجمه ، يظهر لنا أنه أهم كاتب ، ظهر في القرن السادس الهجري ، مما جعل محمد عوفي يقول فيه ما معناه (٢٣) : إنه صاد بفضلته ، ووفور أدبه ، قلوب ملوك الزمان ، وأرباب الدولة ، مما جعل السلطان اتسز ، يطلب الاستئناس بمحاورته في أكثر الأوقات ، ويرغب في مجاورته ، ويفرم بتتاج طبعه .

وهذا الرجل بلغ من فن الصنعة ، ما لم يبلغه أحد في عصره ، مما جعل عوفي أيضاً يقول فيه (٢٤) : إن كل من تكفل التكلف في صنعة الكتابة ، أو رأى التألق واجبا ، ما هو الا تلميذ كلامه .

وقد تبادل رشيد الدين الرسائل ، مع كثير من علماء عصره وأدبائه ، ومنهم الزمخشري ، والحسن القطان . وقد اورد ياقوت الحموي ، بعض رسائله الى القطان ، وهي رسائل تدور على الهجاء والسباب . أما رسائل القطان اليه ، فلم يتحفنا ياقوت بشيء منها ، لأنه لم يستطع — على حد قوله — العثور على شيء من ذلك ، حينما كتب كتابه : معجم الأدباء .

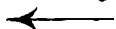
ومن الرسائل التي أوردها ياقوت الحموي ، هذه الرسالة المتضمنة لأجوبة يدل آخرها على اضراب القطان عن تهتمسه ، والاذعان ببراءة ساحته (٢٥) :

(٢٢) ذكر الخوانساري في كتابه : روضات الجنات ١ : ٨٧ . ان لرشيد الدين رسائل في الفارسية ايضا . اما ابن خلكان في كتابه : ترجمات المتقدمين من الشعراء . ص ٢٥ فذكر ان له نثرا باللغتين : اي بالعربية والفارسية .

(٢٣) ينظر كتابه : لباب الالباب . ص ٧٨ .

(٢٤) المصدر السابق . ص ٧٨ .

(٢٥) ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء ٩ : ٩٥ - ٩٦ . انه حينما كان في مرو ، عرض عليه الشيخ فخرالدين أبو المظفر عبدالرحيم بن تاج الاسلام ابي سعد السمعاني ، جزءا يشتمل على رسائل للحسن القطان ، الى رشيد الدين الوطواط ، محشوة بالسب له والثلب ، تصرحاً لا تعريضا . ويلزمه الحجة في انه نهب كتبه ، وسلبه نتيجة عمره ، ولذلك فانه يترك مجازاته لله وحده على فعله ذاك . وهذه الرسالة



« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » : قَرَعَ سَمْعِي مِنْ أَفْوَاهِ
الْوَارِدِينَ ، وَالسِّنَةِ الطَّارِئِينَ عَلَى خَوَارِزْمَ ، أَنْ سَيِّدَنَا
— أَدَامَ اللَّهُ فَضْلَهُ — كُلَّمَا تَفَرَّغَ مِنْ مَهَمَاتِ نَفْسِهِ ، وَوُظَّافِ
دَرْسِهِ ، أَقْبَلَ بِمَجَامِعِهِ عَلَى أَكْلِ لَحْمِي ، وَالْاطْنَابِ فِي سَبْغِي
وَشَتْمِي ، وَيَنْسُبُنِي إِلَى الْإِغَارَةِ عَلَى كُتُبِهِ ، وَيَالِغَ فِي هَتِّكَ
أَسْتَارِ الْكَرَمِ وَحُجْبِهِ ، أَهَذَا يَلِيقُ بِالْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ ؟ أَوْ يَجْمَلُ
بِالْكَرَمِ وَالْفُتُوَّةِ ، أَنْ يَقْتَرِيَ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، بِمَثَلِ هَذَا الْكَذِبِ
الْمُثْقَلِ ، وَالْبُهْتَانِ الْمُؤْلَمِ ، وَاللَّهِ — إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ ، يَوْمَ
النُّشُورِ ، وَبُعِثَتْ هَذِهِ الرِّمَمُ ^(٢٦) الْبَالِيَّةُ ، مِنْ الْأَجْدَاثِ
مُتَدَرِّعَةً مَلَابِيسَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ ، وَجُمِعَتْ عِبَادُ اللَّهِ فِي مَوَاقِفِ
الْعَرَصَاتِ ، وَتَطَايَرَتْ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَسُئِلَتْ
كُلُّ نَفْسٍ عَمَّا كَسَبَتْ ، فَمِنْ مُسِيءٍ يَسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ
إِلَى النَّارِ ، وَمِنْ مُحْسِنٍ يُحْمَلُ عَلَى أَعْطَافِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى
الْجَنَّةِ — لَمْ يَتَعَلَّقْ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الْهَائِلِ ، أَحَدٌ بِذِيْلِي طَالِباً
مَنْيًى مُلْكاً غَضَبْتُهُ ، وَلَا مَالاً نَهَبْتُهُ ^(٢٧) ، أَوْ دَمًا سَفَكْتُهُ أَوْ
سِتْرًا هَتَكْتُهُ ، أَوْ شَخْصاً قَتَلْتُهُ ، أَوْ حَقّاً أَبْطَلْتُهُ .. » .

ومن الملاحظ أنَّ أسلوب الوطواط في هذه الرسالة ، يغلب عليه السجع ،
وهو لون من ألوان البديع ، الذي أغرم به رشيد الدين . وعلى الرغم من
هذا السجع الذي التزمه الكاتب في هذه الرسالة ، إلا أنه أجاد وأبدع ، في
استعاطه بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف . أما أجادته فتظهر في تصويره

موجودة أيضاً في مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ٢ : ١٨ . وفي
تاريخها تكشف ٢ : ٦ - ٧ .

(٢٦) في مجموعة رسائله ٢ : ١٨ « الامم » . وفي معجم الادباء ٩ : ٩٨ « الرمم »
فأثبتنا ما رأيناه أكثر مناسبة للمعنى .

(٢٧) في مجموعة رسائله ٢ : ١٨ « أو مالا نهبتة » وأثبتنا ما في معجم الادباء
٩ : ٩٩ .

لليوم العظيم ، الذي يقفه كل مسلم أمام الله ، ليحاسب على ما اقترفته يده ، كما تظهر في تصويره ليوم الحشر ، وبعث الرمم البالية من الأجداث ، تلك الاجادة التي جعلتنا نعيش الموقف بكل جوارحنا ، لأن الكاتب استطاع أن ينقلنا بعواطفنا ، الى تلك اللحظة الحاسمة ، منتظرين صحائف أعمالنا ، بقلوب واجفة ، داعية ربّها أن تكون مع من يحملون على أعطاف الملائكة الى الجنة .

وقد جاء الكاتب بكل ذلك بأسلوب مبدع مشوّق ومروّع ، في نفس الوقت ، حيث جمع بين الترغيب والترهيب ، بما يلاقيه المحسن المؤمن ، وما يلاقيه المسيء المذنب .

ويذكر ياقوت الحموي أن الحسن القطّان ردّ على هذه الرسالة جواباً ، يكون في نحو كراستين ، يغلظ فيه له بالقول ، ويصرح فيه بالسب والتهمة ، فكتب اليه رشيد الدين يقول (٢٨) :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، وَرَدَ كِتَابُ سَيِّدِنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - فِي دَوْلَةٍ مُفْتَرَّةٍ (٢٩) الْمَبَاسِمِ ، وَنِعْمَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ الْمَرَاسِمِ ، مُشْتَمِلًا مِنْ الْإِيذَاءِ وَالْإِحْشَاشِ ، وَالْإِبْذَاءِ وَالْإِفْحَاشِ (٣٠) ، عَلَى كَلِمَاتٍ ، بَلَّ عَلَى ظُلُمَاتٍ ، لَوْ أَطْفَأَ - أَدَامَ اللَّهُ عَثْوَهُ - بَعْضَ لَهَبِهِ ، وَسَكَّنَ ثَائِرَةَ غَضَبِهِ (٣١) ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ مُتَّصِفًا لِأَلْفَافِهِ وَمَعَانِيهِ ، مُتَفَحِّصًا عَنْ مَقَاطِعِهِ وَمَبَانِيهِ ، لَمَا ارْتَضَى ذَلِكَ مِنْ دِينِهِ وَعَقْلِهِ ، وَلَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْ كَرَمِهِ

(٢٨) ينظر : مجموعة رسائله ٢ : ١٩ ، معجم الادباء ٩ : ١٠٠ - ١٠١ .
(٢٩) افتر : اي ضحك ضحكا حسنا ، وابدى أسنانه . وافتر عن ثغره : اذا تبسم ضاحكا .

(٣٠) وردت هذه العبارة هكذا في معجم الادباء ٩ : ٩٨ . وفيها اختلاف عما ورد في مجموعة رسائله حيث جاءت هكذا « مشتملا على الإيذاء والافحاش ، على كلمات ، بل على ظلمات » .

(٣١) هكذا وردت في معجم الادباء ٩ : ٩٨ . وفي مجموعة رسائله ٢ : ١٩ « كلمة غضبه محذوفة » .

وَفَضَّلِهِ ، إِلَّا أَنِّي أَعْذِرُهُ فِيمَا قَصَرَ كَلَامُهُ أَوْ طَالَ (٣٢) ، لِعِلْمِي أَنَّهُ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - مَسْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، جَرِيحٌ أَسِيسَةٌ الْقَهْرِ ، طَرِيحٌ صَدَمَاتِ الدَّهْرِ ، عَضَّتُهُ أَنْيَابُ التَّوَائِبِ ، وَخَدَشَتْهُ أَظْفَارُ الْمَصَائِبِ . نَهَبَتْ كُتُبُهُ وَإِمْوَالُهُ ، وَغَضِبَتْ رِحَالُهُ وَأَثْقَالُهُ ٠٠ » .

وهكذا نرى رشيد الدين يسترسل في رسالته هذه ، ناصحاً هاجياً ، حتى يصل الى غرضه الأصلي ، وهو نفي تهمة السرقة ، التي ألصقها به القطان ، حيث يقول :

« أَمَّا أَنَا فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ - وَقَدْ خَابَ مَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ (٣٣) بَاطِلًا - أَنِّي مَا فَتَحْتُ لِلْإِغَارَةِ بَابًا ، وَلَا نَهَبْتُ كِتَابًا (٣٤) ، بَلْ ذَهَبْتُ يَوْمًا عَلَى مُقْتَضَى إِشَارَتِهِ الْكَرِيمَةِ ٠ لِأَحْمِلَ كُتُبَهُ إِلَى الْمُعْسَكِرِ (٣٥) ، فَلَمَّا دَخَلْتُ دَارَهُ الرَّقِيعَةَ ، وَرَأَيْتُ كِتَابًا كَثِيرًا ، فَوَقَّ مَا يُحِيطُ بِهِ عَدٌّ ، أَوْ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حَدٌّ ، فَقُلْتُ : نَقُلْ هَذِهِ أَمْرٌ مُشْكِلٌ » ، وَحَمَلْتُ هَذِهِ خُطْبٌ مُعْضِلٌ ، فَتَرَكْتُهَا فِي أَمَاكِنِهَا (٣٦) ، وَخَلَيْتُهَا بِرُمَّتِهَا فِي مَعَادِنِهَا ، وَخَرَجْتُ كَمَا دَخَلْتُ خَالِي الْحَقَائِبِ ، فَارْغَ الزَّكَايِبِ (٣٧) ٠٠ » .

(٣٢) وردت هذه الفقرة في معجم الادباء هكذا : « فيما قال قصر كلامه او طال » .

(٣٣) في معجم الادباء ٩ : ١٠٢ « استشهده باطلا » .

(٣٤) في المصدر السابق ٩ : ١٠٢ « فتحت للإغارة بابه ، ولا نهبت كتابه » ، واثبتنا ما في رسائل رشيد الدين ، لانه اعم واشمل .

(٣٥) في مجموعة رسائله ٢ : ١٩ « العسكر » . واثبتنا ما في معجم الادباء .

(٣٦) ورد في معجم الادباء ٩ : ١٠٣ « فتركها بحالتها في اماكنها » .

(٣٧) الزكائب : جمع زكبة . والزكبة : شبه الجوالق . والجوالق « معرب جوال » وعاء من اوعية الطعام . وقيل الجوالق والجواليق : هو البر .

ففي هذه الرسالة يتبين لنا ، تلك الخصومات والمشاحنات ، القائمة بين الأدباء ، واتهام بعضهم بعضاً ، بسرقة الكتب كما رأينا ، ولكن التهمة بالسرقه لم تقف عند هذا الحد ، ولكنها كانت تتعداه ، حتى تصل الى التهمة بسرقة الأدب ، شعره ونثره . سرقة الأفكار والألفاظ والمعاني ، ولم يكن هذا بالشيء الجديد ، وانما هو قديم قدم الأدب .

ومما يؤكد لنا وجود السرقات الأدبية ، ما كتبه رشيدالدين ، الى واحد من الشعراء متهماً اياه بالسرقه ، من شعر الفحول من الشعراء ، ليشتهر بعد أن كان غمراً (٣٨) :

« عادة الأحداث الأغمار ، أنهم يَسْرِقُونَ أحياناً ، من دواوين شتى ، ثم يَتَصَرَّفُونَ فيها ، تَصَرَّفَ الأجنبي في مالٍ غَيْرِهِ ، ويعملون منها شعراً متكلفاً بارداً ، معتلّ اللفظ والمعنى « مختلّ الأساس والمبنى » ، ثم بعد هذا كله يكتبون على صدر ذلك الشعر ، أسم فحل من فحول الشعراء ، ويعثون به الي طالبين منّي التنبيه على صالحه وفاسده ، ومستقيميه ومائده ، ظناً منهم أنني إذا رأيت اسم ذلك الفحل ، على صدر ذلك الشعر ، لم أجترئ على تزييف باطله ، ولم أتجاسر على تهجين عاطله ، أو ليسوا يدرون أن الناقد البصير ، والعالم الخير ، لا ينظر الى مَنْ يقول ، بل ينظر الى ما يقال ، فقد يسمع القول وفيه طائل ، من صبي جاهل فيستحسنه ، وقد يسمع القول وفيه باطل من شيخ فاضل فيستتهجنه ، اعتماداً على وفور بضاعته ، وتعوّلاً على مهارته ، في صناعته ، والسلام » .

فرشيدالدين في هذا الكتاب ، ليس كاتباً فحسب ، بل هو ناقد مجيد ، يتمتع بكل الصفات المتوفرة في الناقد ، في عدله وبعده عن الأهواء النفسية . كذلك حدث بينه وبين القاضي جمال الدين ، يعقوب بن شيرين ، تلميذ الزمخشري ، جملة من المراسلات والمكاتبات ، ومما كتبه إليه قوله (٣٩) :

(٣٨) ينظر : مجموعة رسائله ٢ : ٦٧ - ٦٨ .

(٣٩) ينظر : المصدر السابق ١ : ٥٢ .

« يا جمال الدين يا علماً في الهدى ما مثله علماً
ذو فعال كله سنن ومقال كله حكم

أفاض الله تعالى على سيدنا جمال الدين ، أفضل القضاة كرمه ، وأصناف
نعمه ، فقد أعجبتني مواقع براعته ، حين وافاني خطابه الجليل خطره ، الجميل
أثره ، العالي عزّه وقدره ، الحالي عجزه وصدره .. » •

وعلى هذه الصورة ، من المديح لابن شيرين ، والسجع الذي يملأ
الكتاب ، يختم الوطواط كتابه هذا ، الذي افتتحه بيتين من الشعر ، كما
هي عادته في كثير من رسائله •

كما جرت بينه وبين الشاعر الخاقاني ، مكاتبات شعراً ونثراً ، واعترف
كل منهما لزميله بالفضل والأدب ، ومدح بعضهما بعضاً • ولكن الأمر انتهى
بينهما الى سوء التفاهم والعداوة ، فأخذ الخاقاني يهجو •

كذلك تراسل رشيد الدين ، مع أديب صابر بن اسماعيل الترمذي ،
وجرت بينهما جملة من المكاتبات الشعرية ، مدح كل منهما الآخر ، على
الأخص في الفترة التي كان رشيد الدين فيها ، يقوم بمهمة الكاتب الخاص
للسلطان اتسز ، خوارزم شاه ، بينما كان أديب صابر ، نديماً للسلطان
سنجر السلجوقي • وأخيراً ساءت العلاقة بينهما ، فتهاجيا بأفحش العبارات
والأقوال (٤٠) •

وأهم ما في رسائل رشيد الدين أنها تعرفنا على بعض ظواهر الحياة
السياسية ، مثل تعرض اقليم خوارزم ، لهجمات القبائل التركية ، الذين
يطلق رشيد الدين عليهم « أهل الكفر » ، كما تبين لنا شيئاً عن بيئة هذا
الاقليم ، عن شدة برودته شتاءً وشدة حرارته صيفاً ، وذلك في قوله من
كتاب بعث به ، الى الخليفة المقتفي (٤١) :

« .. إنَّ خوارزمَ حَمَاها اللهُ تَعَالَى ، واقعٌ في نَحْرِ الكُفْرِ ،

(٤٠) ينظر حقائق السحر . ص ٤٤ . وفي ديوان رشيد الدين الوطواط الكثير
من هذا الهجاء .

(٤١) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ١٦ - ١٧ .

ولأهلها أعداء" مِنْ الكَفَّارِ شَدَادُ الْأَنْيَابِ ، حَدَادُ الْأُظْفَارِ ،
والْعَبْدُ^(٤٢) يَغْزُوهُمْ كُلَّ سَنَةٍ كَرَّتَيْنِ ، فِي فَصْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ ،
شَتَاءَ يَكْثُرُ الْبَرْدُ فِيهِ عَنْ أَنْيَابِهِ ، وَيَشُقُّ الْإِهَابُ بِجَرَابِهِ^(٤٣) ، وَصَيْفٌ
يَحْمِي حَرْمَهُ وَطَيْسَ الْحَصْبَاءِ^(٤٤) ، وَتَعْمِي شَمْسُهُ عَيْنَ الْحَرْبَاءِ ،
بِأَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَجْنَادِهِ وَكَتَائِبِهِ ، يَرْدِي أَبْطَالَهُمْ ، وَيَسْبِي
أَطْفَالَهُمْ ، لِيَصُونَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ بَوَائِقِ مَكْرِهِمْ ، وَيَحْفَظَ دِيَارَ
الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ صَوَاعِقِ شَرِّهِمْ ٠٠ » •

ومن الملاحظ أن رشيد الدين ، يشير في هذا الكتاب ، الى خروجه مع
الجيش المحارب ، واشتراكه في الحروب ، التي كان يخوضها السلاطين
الخوارزميون ، واصطحابهم له في حملاتهم ، ولا سيما السلطان خوارزم
شاه ، آتسز •

كما يتبين لنا في هذا الكتاب ، إحدى الظواهر الاجتماعية ، وهي الغزو
الذي كان عادة يأتي مع الحروب • وفيه بعض الظواهر الدينية مثل تمسكهم
بالدين الإسلامي ، ومحافظةهم على شرائعه ، ضد أعدائه الكفار • وفيه
إشارة الى تسامح الدين الإسلامي معهم ، واعطائهم حرياتهم •

وفي نهاية الكتاب إشارة الى ظاهرة سياسية هامة ، وهي موالاتهم
للدولة العباسية ، والعمل على اتساع رقعتها ، والوقوف بوجه كل من يعاديها
في قوله^(٤٥) :

(٤٢) يريد نفسه ، لانه كان يذهب مع الجيش ، برفقة سلاطين خوارزم •

(٤٣) الإهاب : الجلد

جرابه : الجراب (وقد يفتح) المزود : وهو وعاء من إهاب الشاة لا يوعى
فيه الا اليابس • وجمعه : جُرْبٌ وَجُرْبٌ وَأَجْرِبَةٌ وَيَسْتَعَارُ لِقَرَابِ
السيف • وقد اتى الشاعر هنا به على التشبيه ، بالسيف الذي يشق
الجلد •

(٤٤) الحصاء : الحصى ، واحدها حصبة •

(٤٥) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٢١ •

« إِنَّ أَبَاءَ الْعَبْدِ ، سَقَاهُمُ اللَّهُ صَوْبَ غَفْرَانِهِ ، وَكَسَاهُمُ ثَوْبَ رِضْوَانِهِ ، كَانُوا مِنْ الْمُسْتَنْفِذِينَ مَجْهُودِهِمْ ، وَالْمُسْتَفْرَغِينَ مَجْلُودِهِمْ (٤٦) ، فِي مَوَالَاةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، مَهْدَدَ اللَّهِ بَنِيَانَهَا ، وَشَيْدَ أَرْكَانَهَا .. » .

ثم يتدرج الى ذكر الفتن التي أصابت خراسان ، في زمن هذه الدولة ، وامتدت حتى بلاد ما وراء النهر ، وتخریب المساجد والمدارس ، وسفك الدماء ، وضعف الدين الإسلامي في الديار ، الى غير ذلك من الظواهر العامة ، التي احتوتها كتب رشيد الدين ، التي بعث بها الى الخليفة المقتفي لأمر الله . والوطناء يحرس دائماً على أن ينوه ، بالموقف الإيجابي الذي وقفته عائلته ، في مساندتها للدعوة الإسلامية ، منذ دخولها في الاسلام ، وانه قد اقتضى أثرهم في ذلك ، فقصر أيامه على نصرة الدولة الإسلامية (٤٧) .

ومن مكاتباته نعرف أن اقليم خوارزم ، كان يسوده الهدوء والطمأنينة ، في أوقات كثيرة ، كما كان مقصداً للوافدين من الأقاليم الأخرى (٤٨) . وان هذا الاقليم أصبح مأمناً للخائف ، وملاذاً للهارب ، ومسكناً للطائف ، ومعاذاً للراهب ، وذلك في قوله (٤٩) :

« حَتَّى صَارَتْ خَوَارِزْمٌ ، عَمَرَهَا اللَّهُ فِي زَمَانِنَا ، مَأْمَنَ الْخَائِفِينَ ، وَمَسْكَنَ الطَّائِفِينَ ، وَمَلَاذَ الْهَارِبِينَ ، وَمَعَادَ الرَّاهِبِينَ ، يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا بِأَمْرِ مِنْ النُّكْبَاتِ مُضْطَرِبَةٍ ، وَصُدُورٍ مِنَ الْحِسْرَاتِ مُلْتَهِيَةٍ . فَيَنْصَرِفُونَ عَنْهَا وَعِلَلُهُمْ مُشْفِيَةٌ ، وَأَحْزَانُهُمْ مَنْفِيَةٌ ، وَمِهْمَاتُهُمْ مَكْفِيَةٌ . اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، عَلَى هَذَا الْعِزِّ الْوَاسِعِ النَّطَاقِ ، وَالشَّرَفِ الْمُرْتَفِعِ الرَّوَاقِ .. » .

(٤٦) مجلودهم : اي شدتهم وقوتهم ، وصبرهم وصلابتهم . قال الشاعر :
« فاصبر فان أخا المجلود من صبرا » .

(٤٧) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٢١ .

(٤٨) ينظر كتابه الذي بعثه الى والي اصفهان ، سنة ٥٤٥ هـ . في مجموعة رسائله ١ : ٤٠ .

(٤٩) ينظر المصدر السابق ١ : ٦٢ .

ورسائله تعرفنا على جوانب من الحياة الثقافية ، مثل عقد حلقات للدرس ، واقامة الندوات لذلك الغرض ، وذلك في قوله من كتاب ، بعث به ، الى عماد الدين ، صالح بن البلالي (٥٠) :

« مجلس سيّدنا أفضى القضاء ، عماد الدين ، قدوة الاسلام ، سيّد علماء الشرق ، والغرب ، متّع الله أهل الاسلام ، بطول مدّته ، وصرف مكاره الأيام عن جنبات سدّته ، دوحه للشرائع سامقة ، وبيعة للصنائع باسقة ، قد تفرعت منها أغصان ظاهرة الثمار ، وأفنان زاهرة الأزهار ، وهذا الشبل البار ، والنجل السار ، الذي فرّق الأمة ، وجملّ حلق الأئمة ، بجلوسه في ندوة الدرس والفتوى ، وتمسكه بعروة الورع والتقوى .. » .

ومنه أيضاً نعرف أن اقليم خوارزم ، كان مجمع العلماء والفضلاء والحكماء وذلك في قوله (٥١) : « إنّ خطة خوارزم حماها الله ، كانت في جميع الأوقات مجمع العلماء ومرتع الفضلاء ، يسكنها الحكماء المحققون ، ويقيم بها الأطباء المبرزون ، كالامام فريد العصر أبي مضر الضبي ، رحمة الله عليه ، وكالسيّد العالم شرف السادة ، اسماعيل الجرجاني ، طيّب الله ثراه ، وهو الذي انتشرت تصانيفه في الآفاق ، واشتهرت مجموعاته ، في أقطار خراسان والعراق ، وغيرهما من سروات كلّ فن ، ورجالات كلّ علم ... » .

كما يبين لنا بعض الظواهر الأخرى ، مثل ظاهرة بيع الأبناء ، وإن كنا لا نستطيع الجزم بأنها ظاهرة عامة ، لأننا لم نقف على مثل هذه الظاهرة ، في حياتهم الاجتماعية ، وإنما وجدناها ، عند رشيد الدين ، في كتاب أرسله الى بعض الأفاضل (٥٢) :

« سألتني لا زالت أمورك منتظمة ، وثغورك مبتسمة ، عن أمر الغلام ، بعناه والدموع ينسكب مزئها ، والضلوع يلتهب حزئها ، حسرة »

(٥٠) مجموعة رسائل رشيد الدين الطواط ١ : ٤٨ - ٤٩ .

(٥١) المرجع السابق ١ : ٦٤ .

(٥٢) ينظر مجموعة رسائل رشيد الدين الطواط ٢ : ٨١ - ٨٢ .

على ما فقدناه من نسيمٍ وصاليه ، ونعيمٍ جماليه ، والله لولا السيوف وحدتها ، والحتوف وشدتها ، لما بعنا شعرةً من دؤابةِ رأسه ، بل قطرة من صباية كأسه ، بملء الأرض تبرا وعَسْجَداً ، وبطلاع^(٥٣) الدنيا درأً وزرجداً ، وهل يليق بشيمنتنا الزاكية ، وهمتتنا العالية ، وسجيتتنا السرية ، وحميتتنا العمرية ، أن نبيعَ أولادنا بالذهب ، وأكبادنا بالنشب ، وأرواحنا بالطعامِ الذمي ، وأفراحنا بالحطامِ الدني ، لا ولكن أذية زمت إلينا ، وبلية قضيت علينا ، لعن الله ثمناً بخساً ، وزمناً نحساً ، يبعَ يوسف صلوات الله عليه به فيه ، حتى ابيضت من الحزن عينا أبيه . الدعاء الدعاء ، فإن بدعاءٍ مثله ترفعُ المشكلاتُ ، وتُدفعُ المضلاتُ ، والسلام » .

فرشيد الدين في هذا الكتاب ، يرر موقفه من بيع ابنه ، بسبب الحروب التي كان يخوضها ، في مشاركته مع الجيش الخوارزمي ، وهو وإن كان صادقاً ، في ادعائه هذا ، إلا أنَّ عذره باطل ، لأنه ليس الأب الوحيد في الجيش ، بل هناك الكثير من الجنود ، وأكثرهم آباء .

ولا نغالي لو قلنا : ربّما يكون هذا الولد الذي ذكره رشيد الدين ليس ابنه من صلبه ، وإنما هو غلام من الغلمان ، كان في خدمته ، وعلى هذا فهو في مكانة الولد .

كما يتبين لنا ظاهرة أخرى ، هي ظاهرة الأسرى في الحروب ، التي كانوا يخوضونها مع القبائل التركية ، التي سماها رشيد الدين قبل قليل ، بأهل الكفر ، وهذه الظاهرة هي ظاهرة عامة ، تتبع الحروب أينما وجدت ، وفي أي زمن كان ، وفي رسالة رشيد الدين ، إلى الخليفة العباسي المقتدي لأمر الله ، رأيناه ينوه بهذا مصوراً ما يفعله الجيش الخوارزمي بتلك القبائل ، في قوله : « يردي أبطالهم ، ويسبي أطفالهم ، ليصون بلاد المسلمين ، من بوائق مكرهم ، ويحفظ ديار المؤمنين ، من صواعق شرهم .. » . ولرشيد الدين رسائل أخرى كثيرة ، تلقي بعض الضوء ، على مشاكل عصره ، من فتن وحروب ، وما ينتج عن ذلك من تدمير المساجد والمدارس ، وسفك الدماء ، وقتل الأبرياء .

(٥٣) طلاع : ملء .

مميزات فنه الكتابي :

رشيد الدين الوطواط ، شاعر في منشوره ، كما هو شاعر في منظومه ، سلك في ثمره الطريقة التي سلكها ، أبو بكر الخوارزمي من قبل ، الا أنه غالى فيها ، حتى رأى بعضهم^(١) أنه يتصنع ويتكلف ، ويتعد عن الرقة ، ولا سيما في رسائله التي تبادلها مع الحسن القطان . ولعل التزامه السجع ، وشغفه بالمحسنات البديعية في رسائله ، هو الذي أوحى اليهم بهذا الحكم عليها .

ومن يقرأ مجموعة رسائله ، يرى أن أسلوبه يغلب عليه الاكثار ، من المحسنات البديعية ، لاسيما الجناس والسجع . كما يمتاز بأنه أسلوب واضح ، قليل الغريب والحوشي . تغلب عليه المسحة الدينية ، الواضحة في استشهاده بالآيات القرآنية ، وتغلب عليه ظاهرة استشهاده بالشعر العربي .

ونحن بعد أن عشنا فترة ليست بالقصيرة مع رسائله ، وألمنا بتنف أخرى عن حياته من خلال تراجمه ، نستطيع أن نقول ونحن مطمئنون ، إن رشيد الدين ، كان من فصحاء الاسلام ، ومن ذوي البيانين ، ومن كتّاب الدرجة الأولى في الإنشاء^(٢) ، وبهذا استحق بجدارة أن يصفه ياقوت ، بنادرة الزمان ، وفرد الدهر .

ورسائله توضح لنا ، أنه قد طرق في ثمره ، أكثر الأغراض الأدبية المعروفة ، في الشعر العربي ، من مدح وذم وهجاء ، وتهنئة وتعزية وثناء ، وتشويق وشكوى وتوصية واعتذار ، الى غير ذلك .

(١) ينظر راي الدكتور محمد زغلول سلام ، في كتابه : الادب في العصر الايوبي . ص ١٨٥ . وقد كرر رايه هذا في كتابه الاخر : الادب في عصر صلاح الدين الايوبي . ص ٢١٢ . مطبعة : مؤسسة الثقافة الجامعية - اسكندرية ١٩٥٩ م .

(٢) ذكر المستشرق براون في كتابه : تاريخ الادب في ايران . ص ٤١٧ . أن رشيد الدين الوطواط ، كان يلقب غالبا بالكاتب ، لاشتغاله بالكتابة .

فمن المدح قوله من كتاب ، بعث به الى وزير الخليفة المقتفي لأمر الله^(٣) : « .. وكيف لا أواظبُ على اقامةِ وظائفِ حمده ، وهو الذي نظمَ للخلافةِ عقودَها ، وأقامَ للإمامةِ عمودَها ، وأوضحَ للدولةِ منارَها ، وأظهرَ للملّةِ آثارَها ، وتركَ البدعةَ مقصورةَ الجناحِ .. فقلتهِ درّه من وزيرٍ ، لم يتدنسْ عِرْضُهِ بالأَوْزارِ ، ولم يتلَطَّخْ رِداؤه بالأَوْضارِ^(٤) » .

وكثيراً ما خرج مدح الوطواط ، الى حدّ التشويق للممدوح ، ذلك التشويق الذي يصوره في حالة مفارقة العاشق معشوقه ، ولنره يقول من كتاب بعث به ، الى العالم مجد الملك ، عزيز طغراني^(٥) :

« كُتِبَ الى مجدِ الملكِ ، أطالَ اللهُ بقاءَ المجدِ والشرفِ ، باطالةِ بقاءِهِ ، وأدامَ عزَّ الأدبِ بادامةِ عزِّهِ وعلائِهِ ، وفي اطباقِ عيني عيون مفجرة ، وفي احناءِ قلبي نيران مسجرة^(٦) ، شوقاً الى طلعتِهِ التي يبهائها تتحلّى المجالسُ ، ونِزاعاً الى غرَّتِهِ التي بضيائها تتجلّى الحنادس^(٧) . ولو ساعدتني السعود ، وعاضدتني الجدود ، لأطفأتُ نائرةَ الغرام ، وألَوَيْتُ أصابعي ناصية المرام ، بعزمةٍ من عزماتِ الرجال ، ونهضةٍ من نهضاتِ الأبطال .. » .

وقبل أن يختم كتابه ، نراه يستشهد ببيتين من شعر المتنبي ، يبينان لنا شدة شوقه للممدوح ، ويظهران كأنهما قيلتا في الغزل ، لا في المدح :

وما شَرَّقَني بالماءِ الا تذكراً لماءٍ به أهلُ الحبيبِ نزولُ
يحرمه وقع الأسنةِ دونه فليسَ لظمآنٍ إليه وصولُ

وأخيراً .. والحق يقال إن رشيد الدين الوطواط ، قد بلغ الذروة في كتابته ، من حيث الصنعة في فنه ، ومع ذلك فأسلوبه واضح ، ليس فيه تعقيد ولا اغراب ، وان كانت فيه الصنعة والتصنع أحياناً .

(٣) ينظر : مجموعة رسائله ١ : ٣٠ . (٦) مسجرة : أي موقدة .
(٤) الأوضار : الأوساخ . (٧) الحنادس : الليالي الظلماء .
(٥) المصدر السابق ١ : ٤٤ .

الخاتمة

بعد الجهد والصبر ، الذي يستوجبه البحث العلمي ، ويتطلبه العمل الجاد - لا سيّما إذا كان البحث شاملاً ، والأخبار عنه غامضة ، ولم يحظَ بأية دراسة سابقة تجلو هذا الغموض ، وتبدد عنه الظلام - استطعت أن أصل الى بعض الأمور المهمة ، المميزة لأدب هذا الاقليم •

ولتبيان هذا أقول : إنّ هذا الاقليم مرّ في عصور زاهرة في أدبه العربي ، وزها فترة ليست قصيرة ، في انتاجه الشعري والنثري ، ومثّل حقبة من أخصب الحقب الأدبية ، في تاريخ الدولة الاسلامية ، تمثلت في القرن الرابع الهجري ، والقرنين التاليين له • وقد استطاع هذا الاقليم ، في ظلّ الدولة الاسلامية ، أن ينهض نهضة كبيرة ، في الحياة الثقافية والأدبية ، ظهرت واضحة جلية في القرن الرابع الهجري ، ممثلة في الشاعر الكاتب ، أبي بكر الخوارزمي ، وغيره من شعراء هذا الاقليم وكتّابه •

ومن تتبعنا لمسير الأدب في اقليم خوارزم ، ومن دراسة اتجاهاته ، رأيناه أدباً راقياً ، متيناً في شعره ، فنيّاً في نثره ، متبعاً - في أكثر الأحيان - خطى الأدب العربي ، الجاهلي منه والاسلامي ، محاكياً له في نماذجه في صورها المختلفة ، مضيئاً عليه ألواناً من التجديد ، جعلته محتفظاً بشخصيته ، متميزاً عن غيره •

ومن هنا نستطيع أن نقول : إنّ هناك تيارين من الأدب ، سارا جنباً الى جنب في هذا الاقليم النائي ، هما التيّار التقليدي الذي جاء رغبة في التقليد والمحاكاة ، ومجاراتاً لروح العصبية للعرب والعربية ، والدين الاسلامي الجديد عليهم ، وتمسكهم بالمحافظة على الخط التقليدي ، الذي سار عليه الأدب العربي •

والتيار الآخر : هو التيار الذي انطلق من بيئتهم البعيدة ، وأصلهم غير العربي ، والذي يظهر واضحاً جلياً ، في ميلهم وشغفهم بالمحسنات البديعية ، وفي صورهم المستحيلة ، في مديحهم الذي يصفونه على الممدوح ، في صورة يكره العرب أن يمدحوا بها . وقد درست كل هذا مفصلاً في الاتجاهات الشعرية ، وفي دراستي للشعراء ، على أن هذا التيار يكاد يذوب ويتلاشى أمام التيار الأول ، بحيث لا تكاد نلمسه في أدبهم ، إلا بعد التمعن والتدقيق ، اذ كان لهؤلاء طريقتهم في تناولهم للأدب الجاهلي ، والأدب الاسلامي، وصياغتهم ذلك بأسلوب فني جديد ، جعل تلك الجدة — على قلتها — حافلة خصبة ، رفعت من قدر هذا الأدب في أعيننا . وقد وفّر له قائلوه ضروباً من الجهد الفني ، ظهر واضحاً في الصنعة البديعية ، التي مال إليها أكثر أدبائهم ، وتغلّبت هي على بعضهم الآخر .

ومن الجدير بالاشارة ، أن أكثر أدباء هذا الاقليم ، لم يقتصروا على فن واحد من فنون الأدب ، وإتّما هم شعراء وكتّاب ناثرون ، ثم فقهاء ومحدثون وفلاسفة . وقد حاز بعضهم قصب السبق في العلوم العقلية واللسانية ، الا أنه من الجدير بالذكر أن تشير الى أننا لم نجد للأدب في هذا الاقليم ، انعكاساً للبيئة التي ترعرع فيها ، ولعل مرد ذلك يرجع الى ضياع الكثير من اتناجهم ، نتيجة عوادي الدهر ، ونتيجة الغزو التتاري المغولي ، الذي قضى على الشيء الكثير ، حتى أباد كل شيء تقريباً . ومع هذا فقد تميز أدبهم — الى حد ما — ببعض الخصائص التي جعلته ذا خصائص فنية ، تجلّت فيها آثار النهضة الثقافية العالية ، التي كان يعيشها اقليم خوارزم ، ولا سيّما في ظلّ الدولة الخوارزمية ، وفي الحقبة التي حكم البلاد فيها ، السلطان خوارزم شاه اتسر .

ومما لاحظناه في هذا الاقليم أيضاً ، ظهور بعض الشخصيات التي لعبت دوراً كبيراً في كثير من ميادين الحياة الأدبية ، حتى انها فرضت نفسها على النتاج الأدبي بنشئ ميادينه ، فهي شاعرة ناثرة ومؤلفة في آن واحد . ويتجسد هذا في بعض مؤلفات القرن الرابع الهجري ، والقرنين التاليين له ،

إذ تظهر لنا تمكنهم من العلوم والثقافة والأدب • وخير من يمثل هذا الجانب، أبو بكر الخوارزمي ، الشاعر الناثر والكاتب المؤلف • وأبو القاسم الزمخشري • وأبو الريحان البيروني • والامام الوافد فخرالدين الرازي • ثم ابن سينا •

إن الأدب في هذا الاقليم — كما رأينا — لم يكن انعكاساً للبيئة التي ترعرع فيها ، ولكن لا يعني هذا انعدام أثر هذه البيئة ، في هذا الأدب ، فقد كان لها أثرها في الاتجاهات الأدبية التي عرفها أدبهم ، كما كان للحوادث التي مرّ بها اقليم خوارزم ، وتعاقب الدول عليه أثره الفعّال ، ومساهمته في ظهور وبروز بعض الاتجاهات الأدبية ، فظهر ذلك في تغلب فن المديح على أكثر شعرائهم وكتّابهم ، وفي تلك المغالاة في مديحهم ، وفي صورهم المستحيلة التي يصفونها على المدوحين ، لاشباع رغبة رجال الدولة في المديح • ومن هنا رأينا المنافسة الداعية الى التجويد الفني في أدبهم ، إذ يرهق الأديب نفسه ، في اتقاء الألفاظ واختيار المعاني ، لتحوز قصيدته أو قطعته النثرية ، اعجاب الممدوح ويحظى برضاه •

ومن هنا كان اتجاههم الشعري ، قد تمثل في عدة جوانب منها : الميل الى الغرابة في المعاني وفي الألفاظ • فالألفاظ — في كثير من الأحيان — تستدعي تفسيراً وتحليلاً ، ورجوعاً الى المعاجم • وتشهد على هذا حواشي هذه الرسالة ، وقد رأينا هذه الصورة التي ذكرناها ، واضحة جلية في شعر القاسم بن الحسين ، الذي ينحو منحى أبي تمام والمتنبي ، في استغراق معانيه وعمقها • كما رأيناها في مقامات الزمخشري • وعزونا ذلك لعدة أسباب ، فصلّناها في دراستنا له كاتباً وناثراً •

أما الجانب الآخر : فهو جانب منهج القصيدة ، من حيث استهلالها بالغزل التمهيدي ، ثم التخلّص الى الغرض فيها وهو المديح •

وهناك جانب آخر : هو مراعاة الشعراء الجزالة والفخامة في اللفظ، ويكاد

هذا يكون شاملاً في أشعارهم . ثم هناك جانب الأسلوب وتجميله بألوان من المحسنات البديعية ، ولا سيما الجناس والطباق والتورية والتكرير . هذا بالإضافة الى الاستعارات العذبة ، والتشبيهات الرائقة التي نجدها عند الكثير منهم . وقد غالى بعضهم في استعمال هذه المحسنات ، حتى خرج بها من الصنعة الى التصنع أحياناً ، كما هي الحال عند الشاعر الكاتب ، رشيد الدين الوطواط ، الذي تغلبت عليه الصنعة شاعراً ، كما تغلبت عليه ناثراً .

ومما يجب التنبيه اليه ، أن كثيراً من شعرهم كان خالياً من العاطفة ، ولعل مرد ذلك ، عدم اقتصار الشاعر على قرض الشعر ، وإنما كان الواحد منهم شاعراً وناثراً ، وفقياً ومحدثاً ، فابن سينا مثلاً ، كان شاعراً وفيلسوفاً في آن واحد .

وليس معنى هذا أن شعرهم كان خالياً من العاطفة ، فنحن نتلمسها في أشعارهم التي تفيض حنيناً لأوطانهم التي فارقوها . وخاصة لدى أولئك الشعراء الوافدين ، كما هي الحال عند الشاعر ، محمد بن عبد الملك الكلثومي ، وشاعر الشام ابن عنين . والشاعر رشيد الدين الوطواط وغيرهم . أو أولئك الشعراء المهاجرين والمفارقين ، كما هو الحال عند الإمام ، جار الله الزمخشري . ومن الجدير بالذكر أيضاً ، أن شعر الطبيعة — كما لاحظنا — قليل جداً في شعر شعرائهم . ولست أدري السبب في ذلك ، وإن كنت أرجح أن ضياع أكثر منتوجهم ، كان السبب الرئيس فيه ، وإن ما وصل إلينا من شعرهم كادَ يخلو لسوء الحظ من هذا الضرب من الشعر ، فيبته خوارزم — كما علمنا — لها ميزات الخاصة ، التي من الممكن أن تجذب إليها خواطر الشعراء ، فهي بيئة باردة جداً ، ووفرة الخيرات والأشجار الباسقة على اختلاف أنواعها ، ثم هناك نهر جيحون ، الذي تتجمد مياهه شتاء ، حتى يتحول الى طريق يسير عليه الناس ، والقوافل والدواب ، وهناك الحيوانات المختلفة ذوات الفراء الجميل . فمثل هذه الظواهر المتمثلة في وصف الطبيعة الحية وفي الطبيعة الصامتة ، لا بد أن تثير في نفس الشاعر أحاسيس مختلفة ، تنطلق شعراً

على لسانه ، في وصف هذه الطبيعة الساحرة ، وهذا ما لا نجد منه إلاّ النزر القليل عند بعضهم ، حتى لا يكاد يذكر . على أنه مع قلته لا يصح لنا الحكم بخلو شعرهم من وصف الطبيعة فيه ، فقد جاء في أشعارهم ، وصف للطبيعة الحية ، متمثلاً في وصفهم للريحان والطيّر والعقرب والحية ، كما في شعر أبي بكر الخوارزمي . كما وصفوا الطبيعة الصامتة ، متمثلة في النجوم والقمر وشعاعه ، كما جاء في شعر السهيلي .

وبهذا يمكننا القول بشيء من الاحتراس ، إنّ قصائدهم تستوحي الذاكرة والتراث ، أكثر مما تستوحي العصر والواقع .

والحقيقة أن شعرهم كان يمثل جانباً إنسانياً ، فيه الحبّ والحنين ، وفيه التحسر والبكاء . كما يمثل جانباً سياسياً ، فيه المدح والفخر والهجاء ، وقد تمثل هذا الجانب ، في شعر الشعراء المدّاحين ، وخاصة أولئك الذين كانوا على اتصال ببلاد الدولة الحاكمة ، كأبي بكر الخوارزمي ، ورشيد الدين الوطواط .

والقول في النثر مثل القول في الشعر ، من حيث أثر البيئة فيه ، ومن حيث سير الناشرين على الخط التقليدي ، وصياغة ثرهم بطريقة فنية ، تعطيه ميزة خاصة به ، وهذا ظاهر عندهم في النثر أكثر منه في الشعر .

لم يستحدث أهل هذا الأقليم ، مذهباً جديداً في تأريخ الأدب العربي ، وهذا لا يعني أنهم لم يأتوا بجديد ، فقد امتسّاز أدبهم بجديد من حيث الموضوعات وجديد من حيث فنون البلاغة ، من بيان وبديع . وجديد في تناوله فن المقالة ، وفن المقامة^(١) ، التي تعتبر أهم أنموذج ثري ظهر في هذا الاقليم ، على يد الامام جارا الله الزمخشري .

(١) تبلغ عدة مقامات الزمخشري خمسين مقامة ، وهي كمقامات الحريري ، من حيث انها كتبت في ظلال مذهب التصنع وتعقيده .

أما المقالة ESSAY فمن أهم صور النثر الادبي وامتعتها ، وهي انشاء نثري قصير كامل ، يتناول موضوعاً واحداً غالباً . تكتب بطريقة لا تخضع لنظام معين ، بل تكتب حسب هوى الكاتب ، ولذلك تسمح

ومن الرسائل التي حللناها ، أو التي درسناها ولم نحللها ، خرجنا بمجموعة من الخصائص التي تحلى بها النثر . ولعل أهم ما خرجنا به أنه كان نثراً متسلسل الأفكار ، منتظم الخطوات ، كثير العناية بالألفاظ ، متأنقاً في الصياغة .

والى جانب هذا ، هناك خصائص أخرى متناثرة ، في نثر كتابهم ، ولكننا لا نستطيع أن نحكم بعمومها في جميع الرسائل ، مثل ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم ، والاقتباس من الشعر ، الذي نجده في رسائل أبي بكر الخوارزمي ، ورسائل رشيد الدين الوطواط .

ولا يسود رسائل كتّاب هذا الاقليم ، تيار واحد من الإيجاز أو الإطناب ، بل نجد رسائل موجزة ، غاية في الإيجاز ، ورسائل أخرى مسهبة ، تستغرق الصفحات .

ومما لا شك فيه أنه كان للمعتزلة دورها الفعال ، في نهضة النثر العربي في هذا الاقليم ، نتيجة لاتساع المناظرات الكلامية عند هذه الفرقة . وقد رأينا أن النثر كان متعدد الفروع ، فهناك النثر الأدبي بنوعيه : الخالص والتألفي ، وهناك النثر العلمي ، والنثر التاريخي وغيره .

وعلى الرغم من هذا التفوق الذي ناله النثر ، والدقة والإتقان الذي وصل اليه ، إلا أنه كان امتداداً للنثر العربي ، في القرن الرابع الهجري ، والقرون التي قبله .

وحين نذكر الخصائص الفنية في نثرهم ، لا ننسى أن نشير الى وجود خصائص ذهنية ، نتج عنها ذلك الفن الذي رأيناه في ثوب من الجمال ، الذي

لشخصيته بالظهور . وقد مثلت مقالات أبي القاسم الزمخشري هذا خير تمثيل في كتابه : « أطواق الذهب » .

للتفصيل عن هذين الفنين ينظر : النقد الادبي ١ : ٩٩ . مط : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة . ط ٣ ١٩٥٢ م .

يخلب السامع ، فيؤثر في وجدانه وعواطفه ، كما يؤثر في عقله ، بما يحمله من قوة ومتانة ولين وسلاسة ، وبلاغة وذوق أدبي رفيع .

وما من شك بعد هذه الاستنتاجات ، أن صوت الأدب في هذا الاقليم ، قد اتضح لنا الآن بجميع خصائصه ، فهو أدب تمثلت فيه كل السمات والصفات التي تمثلت في أدب المشرق . في جنوحه الى الصنعة البديعية ، وجريه وراءها أينما وجدت ، وعلى اختلاف فنونها .

وهكذا كانت حياة هذا الأدب في هذا الاقليم ، متعددة في أغراضها وموضوعاتها ، كتعدد شعرائه وكتابه ، واختلاف أساليبهم .

وختاماً لابد لنا من القول المعروف وهو : إن الأدب في كل عصر ، صورة للحياة العقلية ، وهذا ما كان لأدباء هذا الاقليم ، في شعرهم ونثرهم . وهذا ما طبعهم بطابع خاص ، على الرغم من سيرهم على الخط التقليدي في الأدب العربي .

ومع كل ما بذلت من جهد ، فإني أحس أنه ما تزال هناك بعض الجوانب التي تحتاج الى مزيد من عناية الدارسين ، وجهد الباحثين والمحققين . فالشاعر الكاتب أبو بكر الخوارزمي مثلاً ، ما زال بحاجة الى دراسة فنية مستقلة ، تعطيه منزلته اللائقة بين كتاب عصره ، وإني لأرجو بعد هذا أن تتاح الفرصة لباحثين آخرين ، بدراسات جزئية غير شاملة ، كأن يدرس أدب هذا الاقليم ، في فترات متقطعة ، كما تدرس الجوانب الأخرى ، التي لم أتعرض لها في بحثي ، وأقصد بها الجوانب اللغوية ، والجوانب العلمية التي يمكن أن تبحث تحت عنوان : العربية في اقليم خوارزم ، لرفع الستار الذي خيم على تتاجنا العربي في هذا الاقليم .

كما أن كثيراً من مؤلفات أهل هذا الاقليم — التي سلمت من عوامل الدهر ، والغزو التاريخي المغولي ، لا تزال في حاجة الى مزيد من الجهد ، لأجل

اخراجها وتحقيقها ، وأخص منها كتب الزمخشري ، مثل ربيع الأبرار ، الذي ما زال مخطوطاً مع توفر نسخه^(٢) ، ومثله في ذلك ديوان شعره .

والآن وقد طالت رحلتنا ، مع الأدب العربي في أقليم خوارزم ، فقد آن للقلم أن يتوقف ، بعد رحلة طويلة قضاها مع هذا الأدب ، منذ فتح هذا الاقليم سنة ٩٣ للهجرة ، حتى سقوط الدولة الخوارزمية ، سنة ٦٢٨ للهجرة ، على يد التتار المغول .

واتي لأرجو أن أكون قد وفقت ، في رسم صورة مقارنة للأدب العربي ، والحياة الأدبية في هذه الحقبة ، من تاريخ أدبنا العربي في هذا الاقليم ، الذي كان في يوم من الأيام ، من أقاليم الخلافة الاسلامية .

هذا ونرجو من الله العون والتوفيق ، للقيام باحياء تراثنا العربي في هذا الاقليم ، وفي غيره من الأقاليم والأمصار الاسلامية ، ليتكون من مثل هذه الدراسات الاقليمية ، نظرة عامة عن مدى انتشار لغتنا العربية ، ومدى اهتمام أهل البلاد المفتوحة بها ، ومحافظتهم على تعلم آدابها ، وعلومها وفنونها .

هــ

(٢) علمنا أخيراً من الدكتور بهيجة الحسني ، أنها حققت الجزء الاول منه . كما علمنا من الدكتور ناجي معروف ، والاستاذ كمال ابراهيم ، انهما يقومان بتحقيقه على اصح النسخ ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي .

المصادر والمراجع

- **ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس (ت ٦٦٨ هـ) .**
عيون لانباء في طبقات الاطباء ، دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٥ م .
- **ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ) .**
الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ -
١٣٨٦ هـ / ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م (١٢) مجلد .
اللباب في تهذيب الانساب . مكتبة المقدسي ، القاهرة ١٣٥٦ - ١٣٥٧ هـ .
(٣) اجزاء في مجلدين .
- **ابن بركات ، محمد بن علي بن عبدالعزيز بن علي بن مظهر بن نظيف الحموي الكاتب الملكي المحامدي .**
تاريخ المنصوري . عنى بنشره : بطرس غريبا زينو بيج . دار النشر للاداب
الشرقية . موسكو ١٩٦٠ م .
- **ابن بطوطة ، شرف الدين ابو عبدالله الطنجي (ت ٧٧٧ هـ) .**
رحلة ابن بطوطة . دار صادر ، بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
مهذب رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب
الاسفار . الاميرية ببولاق ، القاهرة ١٩٣٤ م .
- **ابن تفرى بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ) .**
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . مط ، دار الكتب المصرية ،
القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٧٥ هـ / ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م (١٢) جزء .
- **ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) .**
المنتظم في تاريخ الملوك والامم . مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية ،
حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٥٧ - ١٣٥ هـ . المجلدة (٥ - ١٠) .
- **ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي المصري (ت ٨٥٢ هـ) .**
النكت الظراف على الاطراف (مطبوع مع كتاب تحفة الاشراف بمعرفة
الاطراف) ، للامام جمال الدين يوسف بن الزكي المزي ، المتوفى سنة
٧٤٢ هـ . بمباي ، الدار القيمة بالهند ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

- **ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧ هـ) .**
صورة الأرض . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت .
- **ابن خلدون ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي (ت ٨٠٨ هـ) .**
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون . دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨ م (٥) مجلدات .
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق المستشرق الفرنسي ا. م. كاترمير ، عن طبعة باريس ١٨٥٨ بيروت ، لجنة البيان العربي ، القاهرة . ط ١ ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- **ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) .**
ترجمات المتقدمين من الشعراء . مؤسسة فرانكلين ١٨٦٦ م .
وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان . تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مط ، السعادة بمصر . ط ١ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ٦ أجزاء .
- **ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) .**
العقد الفريد . تحقيق : محمد سعيد العريان . مط ، الاستقامة بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- **ابن عبدالحق ، صفى الدين عبدالمؤمن البغدادي (ت ٧٢٩ هـ) .**
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع . تحقيق : ت . ك . ج . جوينبول . طبعة لندن . بريل ١٨٥٢ - ١٨٦٤ ، وطبعة دار الكتب العربية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- **ابن العبري ، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥ هـ) .**
تاريخ مختصر الدول . تحقيق : الأب انطون صالحاني اليسوعي . مط ، الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت . ط ٢ ، ١٨٩٠ ، ١٩٥٨ .
- **ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحى بن أحمد الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ) .**
شذرات الذهب في أخبار من ذهب . نشر مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ . (٨) أجزاء في (٤) مجلدات .
- **ابن عنين ، أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر (ت ٦٣٠ هـ) .**
ديوان ابن عنين (مستل من مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلة ٢٣-٣٥) . تحقيق : الاستاذ عبدالعزيز الميمني . دمشق ، المجمع العلمي العربي ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- **ابن فضلان ، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (كان حيا سنة ٣٠٩ هـ) .**
رسالة ابن فضلان . تحقيق : الدكتور سامي الدهان . مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

- **ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني .**
مختصر كتاب البلدان . تحقيق : م . ج . دي غويه . طبع بالافست ببغداد ، مكتبة المثنى . وطبعة ليدن . بريل ١٣٠٢ هـ .
- **ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) .**
تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب . تحقيق : الدكتور مصطفى جواد . الجزء الرابع في (٤) اقسام . مط . الهاشمية بدمشق ١٩٦٢ م .
- **ابن قاضي شهبة ، ابو بكر تقي الدين بن احمد بن محمد بن شهاب الدين (ت ٨٥١هـ) .**
طبقات النحاة واللغويين . نسخته في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، برقم (٨١) وفي مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب - جامعة بغداد برقم (٤٣٨) تاريخ .
- **ابن قطلوبغا ، ابو العدل زين الدين قاسم (ت ٨٧٩ هـ) .**
تاريخ التراجم في طبقات الحنفية . مط . العاني ببغداد ١٩٦٢ م .
- **ابن القيسراني ، ابو الفضل محمد بن طاهر الشيباني (ت ٥٠٧هـ) .**
الانساب المتفقة . تحقيق : ب . دوجونك . ليدن ، بريل ١٨٦٥ م .
- **ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ) .**
مختصر التاريخ (من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس) . تحقيق الدكتور مصطفى جواد . مط . الحكومة ، بغداد ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .
- **ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) .**
البداية والنهاية في التاريخ . مط . السعادة بمصر (١٤) جزء . ومط . النصر ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٦٦ م .
- **ابن ماكولا ، الأمير ابو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ) .**
الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب . تحقيق : الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، أمين مكتبة الحرم المكي . مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٨١هـ / ١٩٦٢ م . (١-٦) جزء ولم يكمل بعد .
- **ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) .**
لسان العرب المحيط . دار لسان العرب . بيروت .

- ابن نقطة ، أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) .
تكملة الاكمال ، نسخة المتحف البريطاني برقم (٤٥٨٦) . ومنها مايكروفلم
في المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، برقم (م خ ٦٢-٦٣) .
- **ابوالبركات ، كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .**
نزهة الألباء في طبقات الأدباء . تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي . مط.
المعارف ببغداد ١٩٥٩ م .
- **أبو الجنب ، الشيخ نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨ هـ) .**
فوائح الجمال وفوائح الجلال . تحقيق : الدكتور فريتز ماير . مط .
فرانتر بالمانيا ١٩٥٧ م .
- **أبو السعادات ، عفيف الدين عبدالله بن اسعد اليافعي اليمني (ت ٧٦٨ هـ) .**
مرآة الجنان وغبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .
منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . ط ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م
(٤) اجزاء .
- **أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ) .**
تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين
في أخبار الدولتين . باعثناء : محمد زاهد الكوثري . مط . الاسلامية .
القاهرة . ط ١ ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- **أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي بن الملك الأفضل (ت ٧٣٢ هـ) .**
المختصر في أخبار البشر . دار الفكر . دار البحار - بيروت ١٣٧٥ هـ /
١٩٥٦ م .
- تقويم البلدان . طبع في مدينة درسدن ١٨٤٦ م ، ومطبعة دار الطباعة
السلطانية ببافيس ١٨٤٠ م .
- **أبو الفرج ، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ) .**
صنعة الكتابة . نسخته في المكتبة المركزية - جامعة بغداد برقم (٣٧٧٣٣) .
- **أدبري ، أ . ج .**
تراث فارس . مط ، دار احياء الكتب العربية ، البابي الحلبي ١٩٥٩ م .
- **الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ) .**
طبقات الشافعية . تحقيق : عبدالله الجبوري ، مط ، الارشاد ، بغداد ،
ط ١ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

- **الاصبهاني ، ابو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت ٥٠٢ هـ) .**
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء .
منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١ م (٤ أجزاء في مجلدين) .
- **الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ) .**
ذكر اخبار اصبهان . تحقيق : سفين ديدرنك . لندن ، بريل ١٩٣١ -
١٩٣٤ م (جزءان) .
- **الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي (ت ٣٤١ هـ) .**
المسالك والممالك . مط . دار القلم بالقاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، وطبعة
لندن ١٩٢٧ م ، من منشورات مكتبة الصدر - طهران
- **اغابزرك ، محمد محسن الطهراني (ت ١٨٧٥ هـ) .**
الذريعة الى تصانيف اهل الشيعة . مط . النجف ، ١٩٦٧ م .
- **الآلوسي ، محمود شكري .**
بلوغ الارب في معرفة احوال العرب . مط . الرحمانية بنصر . ط ٢ .
١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .
- **الباخرزي ، ابو الحسن علي بن الحسن (ت ٤٦٧ هـ) .**
دمية القصر وعصرة اهل العصر . تحقيق : محمد راغب الطباخ . مط .
حلب ١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠ م . وطبعة دار الفكر العربي - القاهرة . تحقيق :
عبدالفتاح محمد الحلو . والقسم المخطوط (نسخه لدى الدكتور سامي
مكي العاني) .
- **بارتولد ، و .**
تاريخ الترك في آسيا الوسطى . ترجمة : احمد السعيد سليمان . مط .
الانجلو المصرية ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- **براون ، ادوارد جرانييل .**
تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي . نقله الى العربية الدكتور
ابراهيم امين الشواربي . مط . السعادة بمصر ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- **البسنوي ، علاء الدين دده بن مصطفى السكتواري (ت ١٠٠٧ هـ) .**
محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر . مطبعة العامرة الشرقية ، ط ١ ،
١٣١١ هـ .
- **البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد الباباني (ت ١٩٢٠ م)**
هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين . مط . وكالة المعارف
استانبول ١٩٥٥ م .

- **البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ) .**
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- **البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) .**
فتوح البلدان (٥) اقسام في مجلد واحد . تحقيق : عبدالله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، وطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩ م .
- **البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠ هـ) .**
الآثار الباقية من القرون الخالية . لايزك ١٩٢٣ م .
القانون المسعودي . تحقيق : محمد نظام الدين . مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٣ - ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م .
تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن . أنقرة ١٩٦٢ م .
- **البيهقي ، أبو الفضل محمد بن حسين دير (ت ٤٧٠ هـ) .**
تاريخ البيهقي ، ترجمه الى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت . مط . دار الطباعة الحديثة . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ٩٥٦ م .
- **بيومي ، السباعي .**
تاريخ الادب العربي . مط . الانجلو المصرية . ط ٢ ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٨ م .
- **التفتازاني ، مسعود بن عمر بن عبدالله سعدالدين (ت ٧٩٣ هـ) .**
النعم السوانغ في شرح الكلم التوابغ ، مط . وادي النيل بالقاهرة . ط ١ ، ١٢٨٦ هـ .
- **التونكي ، محمود حسن .**
معجم المصنفين . مط . وزكوغراف طبارة في بيروت - سوريا ١٣٤٤ هـ .
- **تويسركاني ، الدكتور قاسم .**
عدد من بلغاء ايران في لغة العرب ونخب من آثارهم . مط . الجامعة ، طهران ١٣٣٦ هـ .
- **الثعالبي ، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ)**
اربع رسائل « منتخبة من مؤلفاته . مط . الجوائب ، القسطنطينية . ط ١ ، ١٣٠١ هـ .
- الاعجاز والايجاز . مط . العمومية بمصر . ط ١ ، ١٨٩٧ م .

- تاريخ غرر السير ، المعروف بكتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » .
تحقيق زوتنبرج . طبعة طهران ١٩٦٣ م .
- التمثيل والمحاضرة . تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو . مط . البابي
الحلبي ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- تمة اليتيمة . عني بنشره : عباس اقبال . مط . فردين ، طهران
١٣٥٣ هـ .
- خاص الخاص . مط . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦ م .
- لطائف المعارف . تحقيق : ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي . مط .
البابي الحلبي ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- يتيمة الدهر . تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد . مط . السعادة
بمصر ١٣٧٧ هـ ، وتحقيق : اسماعيل الصاوي ، مط . حجازي بالقاهرة
١٩٣٤ م (١-٤) أجزاء .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ) .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مط . المكتبة الإسلامية
والجعفري تبريزي - طهران . ط ٣ ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٤٧ م .
- حسن ، الدكتور حسن ابراهيم .
النظم الإسلامية . مط . النهضة المصرية . ط ٣ ، ١٩٦٢ م .
- حسن ، الدكتور علي ابراهيم .
التاريخ الإسلامي العام . مط . السنة المحمدية ، القاهرة . ط ٣ .
١٩٦٣ م .
- الحسيني ، صدر الدين ابو الحسن علي بن السيد أبي الفوارس ناصر بن علي .
أخبار الدولة السلجوقية . اعتناء : محمد اقبال . مط . لاهور ١٩٣٣ م .
- الحلواني ، أحمد عبدالمنعم عبدالسلام .
السمو الروحي في الأدب الصوفي . مط ، البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- حمدي ، الدكتور حافظ أحمد .
الشرق الإسلامي قبيل الفزو المغولي . مط ، الاعتماد بمصر ١٩٥٠ م .
الدولة الخوارزمية والمغول . مط . الاعتماد بمصر ١٩٤٩ م .
- الحوفي ، الدكتور أحمد محمد .
الزمخشري . مط . لجنة البيان العربي ، القاهرة . ط ١ ، ١٣٨٦ هـ /
١٩٦٦ م .

- **حويش ، الدكتور عمر الملا .**
اثر البلاغة في تفسير الكشاف ، مط . دار البصري ، بغداد ١٢٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- **الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) .**
تاريخ بغداد او مدينة السلام . مط . السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م . (١٤) جزء .
- **الخوارزمي ، ابو بكر محمد بن العباس (ت ٣٨٣ هـ) .**
المكالم والمفاخر ، مط . القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .
رسائل ابي بكر الخوارزمي . مط . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٠ م .
- **الخوانساري ، الميرزا محمد باقر الموسوي الاصبهاني (ت ١٣١٣ هـ) .**
روضات الجنات في احوال العلماء والسادات . مط . طهران . ط ٢ ، ١٣٤٧ هـ . (٤) اجزاء في مجلد واحد .
- **الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٢ هـ) .**
تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس . مط . الوهبة بالقاهرة ١٢٨٣ هـ .
- **الذهبي ، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .**
تاريخ الاسلام — نسخته المصورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، قسم المخطوطات برقم (١٦٥٨) .
دول الاسلام . مط . جمعية دائرة المعارف العثمانية . ط ٢ ، ١٣٦٥ هـ .
العبر في خبر من غبر (٥) اجزاء . ج ١ ، ٤ ، ٥ . تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد . دار المطبوعات والنشر — الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٦ م .
و ج ٢ — ٣) تحقيق : فؤاد السيد . مط ، حكومة الكويت ١٩٦١ م .
المشتبه في الرجال اسمائهم وانشابهم . تحقيق : محمد البجاوي . مط . البابي الحلبي . ط ١ ، ١٩٦٢ م . (جزآن في مجلد واحد) .
- **رضا . الشيخ احمد .**
معجم متن اللغة (٥) اجزاء . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- **الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) .**
تاج العروس من جواهر القاموس . منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت لبنان .
- **الزركلي ، خير الدين .**
الاعلام ، مط . كونستانتينوسماس ، القاهرة ١٣٧٣ — ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٤ — ١٩٥٩ م . ط ٢ . (١١) جزء مع المستدرك الثاني للطبعين . الثانية والثالثة .

— الزمخشري ، جلاله أبو القاسم ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

إطواق الذهب في المواعظ والخطب ، مذيّل بمائة حكمة لسيدنا عمر بن الخطاب (رض) مط . السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ ، ومط . الرحمانية بمصر . الطبعة الأولى . ومط . جمعية الفنون في بيروت ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م (شرح الفاظه : الشيخ يوسف أفندي الأسير) .

الكلم النوايع ، طبع في باريس ١٨٧١ م .

ديوان الزمخشري ، نسخته في دار الكتب المصرية برقم (٥٢٩) ادب ، ومنه نسخة مصورة لدى الدكتورة بهيجة الحسني .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٤٧ م . مقامات الزمخشري . مط . التوفيق بمصر ١٣٢٥ هـ .

مقدمة الأدب . تحقيق : سيد محمد كاظم امام ، طهران ١٣٤٢ هـ / ١٩٦٣ م .

— الزوزني ، أبو عبدالله حسين بن أحمد بن حسن (ت ٤٨٦ هـ) .

تاريخ الحكماء ، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي . تحقيق : يوليوس ليرت . ليبزك ١٩٠٣ م ، ومط . مؤسسة الخانجي ، مصر ١٩٠٣ م .

— زيدان ، جرجي .

تاريخ آداب اللغة العربية . منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٧ م . تاريخ التمدن الاسلامي ، مط . الهلال . ط ٤ ، ١٩٣١ م .

— سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤ هـ) .

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٠ - ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ - ١٩٥٢ م .

— السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ) .

طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي . مط . البابي الحلبي ١٣٨٣ - ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٦ م . ط ١ . صدر منه (٨) أجزاء . وطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ . ط ١ (٤) . أجزاء في مجلدين .

— السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ) .

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . تحقيق : فرانز روزنثال ، ترجم التعليقات والمقدمة : الدكتور أحمد صالح العلي . مط . العاني ببغداد ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

— سر كيس ، يوسف اليان .

معجم المطبوعات العربية والمعرية . مط . سر كيس بمصر ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨ م .

— السمرقندي ، نظام الدين ابي الحسن العروضي (ت ٥٦٠ هـ) .

جهار مقالة (المقالات الاربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب) . عليه خلاصة حواشي محمد بن عبدالوهاب القزويني . نقله الى العربية : عبدالوهاب عزام ، ويحيى الخشاب . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩ م .

— السمعاني ، ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) .

الانساب . اعتنى بنشره : د . س . مرجليوث . مط . ليدن ١٩١٢ م ، اعادت طبعه بالافوست مكتبة المثني ببغداد ، مط . دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن - الهند . ط ١ ١٣٨٤ - ١٣٨٦هـ / ١٩٦٢ - ١٩٦٦ م . صدر منه (٦) اجزاء ، ولم يكمل بعد .

— السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ) .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . مط . البابي الحلبي . ط ١ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .

تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، مط . السعادة بمصر . ط ٢ ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ م ، ومط . الميمنية ، القاهرة ١٣٠٥هـ .

طبقات المفسرين . تحقيق : ا . مورشنج ، طهران ، منشورات اسدي ١٩٦٠ م . وطبعة ليدن ١٨٣٩ .

لب الباب في تحرير الانساب . تحقيق : هنريكو انجلو ويجرز - بريطانيا لوشتمانو ١٨٤٠ . اعادت طبعه بالافوست مكتبة المثني ببغداد .

نظم العقيان في اعيان الاعيان . حرره : فيليب حتي - نيويورك ، مط . السورية الاميركية ١٩٢٧ م .

— شعيرة ، محمد عبدالهادي .

ناريخ المغول والدول الاسلامية الاسيوية (دول الثغور الشرقية منذ الفتح الى عام ٧٣٦هـ . مط . / سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .

— الشنتناوي ، احمد ، وآخرون .

دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) . مط . لجنة الترجمة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م .

- **شيخ الربوة ، شمس الدين ابو عبدالله محمد ، ابي طالب الانصاري الصوفي**
الدمشقي (ب ٧٢٧هـ) .
 نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . مط . الاكاديمية الامبراطورية
 بمدينة بطرسبورغ ١٢٨١هـ / ١٨٦٥ م .
- **شيخو ، لويس .**
 مجاني الادب في حدائق العرب . مط . الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٧ م .
- **الشيرازي ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ) .**
 طبقات الفقهاء ، تحقيق : نعمان الأعظمي . مط . بغداد ، المكتبة العربية
 ١٣٥٦ هـ .
- **الصدر ، السيد حسن .**
 تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام . مط . شركة النشر والطباعة العراقية
 المحدودة ببغداد ١٣٥٤هـ / ١٩٥١ م .
- **الصفدي ، رزق الله منقبريوس .**
 تاريخ دول الاسلام . مط . الهلال بمصر ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧ م .
- **الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ) .**
 الوافي بالوفيات . نسخة مصورة منه في المكتبة المركزية لجامعة بغداد برقم
 (٩٢٠ ص ف و) ، (٥) اجزاء . ج ١ تحقيق : هلموت ريتز . فيسبادن
 ١٩٦٢ م . ج (٢-٤) باعثناء ديدرينغ . ج ٢ طبعة وزارة المعارف ١٩٤٩ م .
 ج (٣-٤) المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٥٣ - ١٩٥٩ م . ج (٧) باعثناء
 الدكتور احسان عباس ، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن . بيروت
 ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون . مط . دار الفكر العربي والمدني
 ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .
- **طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ) .**
 طبقات الفقهاء . تحقيق : الحاج أحمد نيلة . مط . الزهراء الحديثة
 بالوصل . ط ٢ ، ١٩٦١ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . تحقيق : كامل
 كامل بكري ، وعبد الوهاب ابو النور . مط . الاستقلال ، دار الكتب
 الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ م (٤) اجزاء .

- **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٢١٠ هـ) .**
تاريخ الرسل والملوك . ليدن . بريل ١٨٨٣ - ١٨٨٥ م .
ومط ، الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م . «قوبلت هلاه الطبعة على
النسخة المطبوعة بمطبعة بريل ، بمدينة ليدن ١٨٧٩ م .
- **العالمي : بهاء الدين (ت ١٠٣١) .**
الكشكول . مط . الشرف العامرة بمصر ١٣٢٩ هـ .
- **العالمي ، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني
الدمشقي (ت ١٣٧١ هـ) .**
أعيان الشيعة . مط ، الاتقان بدمشق . ط ١ ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م
(٥٦-١) جزء ولم يكمل بعد .
- **العبيدي ، عبيد الله بن عبد الكافي بن عبد المجيد .**
شرح المضمون به على غير أهله (شرح) على الأبيات التي انتخبها عز الدين
عبد الوهاب الزنجاني . تحقيق : اسحاق بنيامين المقدسي . القاهرة .
مط . السعادة ، ط ١ ، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م .
- **العنبي ، أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٧ هـ) .**
تاريخ أبي نصر العنبي ، المعروف باليميني . هامش الجزء العاشر من
كتاب الكامل في التاريخ . مط . دار الطباعة ، القاهرة ١٢٩٠ هـ .
- **العجمي ، أحمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي الأزهري المصري
(ت ١٠٨٦ هـ) .**
ذيل لب الباب . نسخته في مكتبة الدراسات العليا ، في كلية الآداب /
جامعة بغداد ، برقم (٣٢٨) .
- **العزاوي ، المحامي عباس .**
التعريف بالمؤرخين في عهد المفلول والتركمان ، مط . شركة التجارة
والطباعة المحدودة ، بغداد ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٧ م .
- **عطية الله ، أحمد .**
القاموس الاسلامي . مط . النهضة المصرية بالقاهرة . ط ١ ، ١٣٨٦ هـ /
١٩٦٦ م .
- **العقاد ، عباس محمود .**
عرائس وشياطين . مط . البابي الحلبي . سنة الطبع \ .

- **الفرناطي ، أبو حامد الأندلسي (ت ٥٦٥ هـ) .**
تحفة الألباب (بحث مستل من كتابه تحفة الألباب) . تحقيق : سيزاري
دوبر Cesare. Duber . مدريد ١٩٥٣ م .
- **الغزي ، المولى تقي الدين عبدالقادر التميمي الداري المصري (ت ١٠٠٥ هـ)**
١٠١٠ هـ) .
- **الطباقات السنية في تراجم الحنفية . تحقيق : عبدالفتاح الحلو ، مط .**
الاهرام التجارية ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- **الفساني ، الملك الأشرف أبو العباس اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣ هـ) .**
المسجد المسبوك في ذكر الخلفاء والملوك ، المنسوب للخزرجي المتوفى سنة
(٨١٢ هـ) . نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، في كلية الآداب -
جامعة بغداد ، برقم (٨٧٢) .
- **الفيث ، عبدالله بن فتح الله البغدادي (كان حياً سنة ٨٨٣ هـ)**
تاريخ الفيثي . نسخه في مكتبة الدراسات العليا ، في كلية الآداب -
جامعة بغداد ، برقم (٦١) .
- **فروخ ، الدكتور عمر .**
تاريخ الأدب العربي . مط ، دار العلم للملايين - بيروت . ط ١ ،
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- **فياض ، الدكتور علي اكبر .**
محاضرات عن الشعر الفارسي والحضارة الإسلامية في ايران . مط ،
الإصلاح ، الاسكندرية ، مصر ١٩٥٠ م .
- **القاريء ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (ت ٥٠٠ هـ) .**
مصارع العشاق . مط . دار صادر - بيروت ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- **القرشي ، محي الدين أبو محمد بن أبي الوفاء المصري (ت ٧٧٥ هـ) .**
الجواهر المضية في طبقات الحنفية . مط ، مجلس دائرة المعارف النظامية
بالهند . حيدر آباد الدكن . ط ١ ، ١٣٣٢ هـ .
- **القرويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) .**
آثار البلاد وأخبار العباد . مط ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- **القفطي ، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني**
(ت ٦٤٦ هـ) .
- **انباء الرواة على أنباء النحاة . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط ،**
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

المحمدون من الشعراء وأشعارهم . تحقيق : حسن معمري . منشورات دار اليمامة للترجمة والنشر . الرياض ، المملكة العربية السعودية ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .

— **القفلشندي ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) .**
صبح الأعشى في صناعة الانشا . النسخة المصورة عن الطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٢٤هـ / ١٩٦٠ م (١٤) جزء .
مآثر الانافة في معالم الخلافة . تحقيق : عبدالستار أحمد فراج . مط .
الحكومة بالكويت ١٩٦٤ م .

— **القمي ، الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت ١٣٥٩هـ) .**
الكنى والألقاب . مط . الحيدرية ، النجف ١٣٧٦ - ١٣٨٩هـ / ١٩٥٦ - ١٩٧٠ م . ومطط العرفان ، صيدا ١٣٥٧هـ (٣) أجزاء .

— **القيرواني ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي المصري (ت ٤٥٣ هـ) .**
زهر الآداب وثمر الألباب . تحقيق : علي محمد الجاوي . مط ، دار
أحياء الكتب ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣ م .

— **القيسي ، الدكتور أحمد ناجي .**
عطار نامه ، أو كتاب فريدالدين العطار النيسابوري وكتابه منطق الطير .
مط ، الارشاد ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .

— **الكتبي ، محمد بن شاکر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) .**
فوات الوفيات . تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد . مط ، السعادة
بمصر ١٩٥١ م . (جزءان) .

— **كحالة ، عمر رضا .**
معجم المؤلفين . مط . الترقى بدمشق ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م . (١٥) جزء .

- - **كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش .**
تاريخ الادب الجغرافي العربي . نقله الى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم
مط ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (ق ١) ١٩٦٣ م . (ق ٢)
١٩٦٥ م .

— **لسترنج ، كي . Cuy Lestrangle .**
بلدان الخلافة الشرقية . نقله الى العربية : بشير فرنسيس ، وكوركيس
عواد . مط ، الرابطة ، بغداد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م .

— **اللكوني ، أبو الحسنات محمد عبدالحی (ت ١٣٠٤هـ) .**
التعليقات السنبة على الفوائد البهية . « هذا الكتاب هامش كتاب الفوائد

- البهية في تراجم الحنفية » . مط . مكتبة ندوة المعارف بالهند - دهلي ١٩٦٧ م .
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية . مط ، مكتبة ندوة المعارف بالهند - دهلي ١٩٦٧ م .
- مبارك ، كي .
- النثر الفني في القرن الرابع الهجري . مط ، السعادة بمصر . ط ٢ ، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤ م .
- الموازنة بين الشعراء . مط ، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦ م .
- المباركوري ، القاضي ابو المعالي طهر .
- رجال السيد والهند الى القرن السابع . مط ، الحجازية ، بومباي ، الهند ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨ م .
- المصري ، الدكتور حسين مجيب .
- في الادب العربي والتركي . مط . النهضة المصرية ١٩٦١ م .
- المصنف ، ابو بكر بن هداية الله الحسيني الروائي (ت ١٠١٤ هـ) .
- طبقات الشافعية » مطبوع مع كتاب طبقات الفقهاء لابي اسحاق الشيرازي المتوفى سنة (٤٧٦ هـ) . بغداد ١٣٥٦ هـ .
- المقدسي ، ابو بكر محمد بن احمد ، شمس الدين بن ابو عبدالله البشاري (ت ٣٨٠ هـ) .
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . طبعة ليدن ، بريل ١٩٠٦ م .
- المقدسي ، مطهر بن طاهر (ب بعد سنة ٣٥٥ هـ) .
- البدء والتاريخ » منسوب الى ابي احمد بن سهل البلخي » . مط ، برطند ، بمدينة شالون ١٩٠٣ م .
- مكاريوس ، شاهين .
- تاريخ ايران . مط ، المقتطف بمصر ١٨٩٨ م .
- م . م ، مجهول .
- العيون والحدائق في اخبار الحقائق . مط ، بريل ١٨٧١ م .
- نعمة ، العلامة الشيخ عبدالله .
- فلاسفة الشيعة حياتهم وآراؤهم . مط . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٣٠ م .

- **النسوي ، محمد بن أحمد بن علي (ت ٦٣٩ هـ) .**
سيرة جلال الدين منكبرتي . مط ، الاعتماد بمصر ١٩٥٣ م .
- **النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) .**
نهاية الأرب في فنون الأدب . مط . كوستاتسوماس ، القاهرة ، وطبعة
المؤسسة المصرية العامة . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . (١٨) جزء .
- **الهمذاني ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ) .**
تكملة تاريخ الطبري . تحقيق : البرت يوسف كنعان . مط ، الكاثوليكية ،
بيروت ط ١ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ م .
- **وجدي ، محمد فريد .**
كنز العلوم واللغة ، مط ، الواعظ بمصر ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م .
- **الوطواط ، أبو اسحاق برهان الدين بن يحيى بن علي الكتبي (ت ٧١٨ هـ) .**
غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة . مط ، الادبية ، القاهرة
١٣١٨ هـ .
- **الوطواط ، رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخي (ت ٥٧٣ هـ) .**
حدائق السحر في دقائق الشعر . مط ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، جمعها : محمد أفندي فهمي ،
مط ، المعارف بالفجالة بمصر . ط ١ ، ١٣١٥ هـ .
- **اليافي ، عبد الكريم .**
دراسات فنية في الادب العربي . مط . جامعة دمشق ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- **ياقوت ، شهاب الدين عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) .**
المشترك وضعا والمفترق صقعا . حققه : فرديناند ويستفلد . كوتنكتن ،
ديترفش ١٨٤٦ . وطبع بالاولفست ببغداد ، مكتبة المثنى .
معجم الادباء المعروف بارشاد الأريب الى معرفة الأديب . اعتناء : د. س.
مرجليوث . مط ، هندية بالموسكي بمصر . ط ٢ ، ١٩٢٣ - ١٩٣٠ م . (٨)
اجزاء . وطبعة الدكتور فريد الرفاعي ، القاهرة ١٩٣٦ م (١ - ٢) جزء ،
وطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة .
- معجم البلدان ، مط ، دار صادر - بيروت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م . ومط ،
السعادة بمصر . ط ١ ، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، وطبعة لايبزك ١٨٦٩ م .

— **اليقوي ، أبو علي أحمد بن عمر بن جعفر بن رسته (ت ٢٨٤ هـ) .**

العلاق النفسية ، طبعة ليدن . بريل ١٨٩١ م .
كتاب البلدان . تحقيق : م.ج. غويه . ليدن ، بريل ١٨٩٢ . (مطبوع
مع العلاق النفسية لابن رسته) . ومط ، النجف ، الحيدرية ١٩٣٩ ،
١٩٥٧ م .

— **اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين
البلعكي الخنبلي (ت ٧٢٦ هـ) .**

ذيل مرآة الزمان . مط ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد
الدكن — الهند . ط ١ ، ١٣٧٤ — ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٤ — ١٩٥٥ م .

المصادر الاجنبية :

— The Encyclopaedia of Islam. vol. 11, Leyden-London, Late E.J. Brill, 1927.

— Encyclopaedia-Britanica. London, 1768.

— Barthold. W.

Turkestan down to the Mongol invasion. London 1968.

— **الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت ٦٥٨ هـ) .**

تاريخ جهانكشاي — بسعي واهتمام وتصحيح : محمد عبدالوهاب قزويني .
در مطبعة بريل درليدن ، سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .

— **ذبيح الله ، الدكتور صفا .**

تاريخ ادبيات ايران . مط ، تهران ١٣٣٨ هـ . « فارسي » .

— **الرازي ، شمس الدين محمد بن قيس .**

المعجم في معايير اشعار العجم . مط ، تهران ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

— **رازي ، عبدالله .**

تاريخ مفصل ايران (از تاسيس ماد تا عصر حاضر) ش جاب دوم . تهران
١٣٣٥ هـ .

— **سامي ، شمس الدين .**

قاموس الاعلام . مط ، مهران ، استانبول . س . باب عالي . جاده
سنده نمر (٧) ، ١٣٠٨ هـ . « باللغة التركية » .

— عوفي ، محمد .

لباب الالباب . باتصحیحات جدیدة ، وحواشي وتعليقات: كامل بكوشش،
سعید نفیسی . تهران - کتابفروشی ، ابن سینا ۱۳۳۳ هـ .

— قزوینی ، حمد الله بن ابی بکر بن احمد بن نصر مستوفي (ت ۷۳۰هـ) .

تاریخ کزیده ، باهتمام دکتر عبدالحسین نوائی ، جاب این کتاب در
خرداد ماه ۱۳۳۶ . درجابخانه فردوسی آغاز .

— الوطواط ، رشید الدین محمد العمري الكاتب البلخي (ت ۵۷۳هـ) .

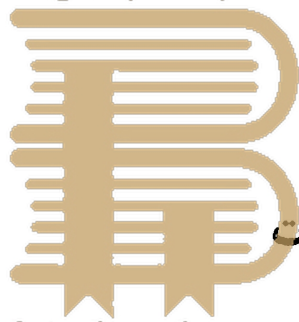
دیوان رشید الدین وطواط . مقابلة وتصحيح : سعید نفیسی . مط ،
تهران - شاه آباد ۱۳۳۹ هـ .

ملاحظة :

هناك بعض المصادر وردت الإشارة الى طبعاتها في هوامش الرسالة ، لقلة
رجوعي اليها ، ولكثرة مصادري .

وتجدر الإشارة الى أنني اعتمدت « لسان العرب » في أكثر الشروح التي
جاءت في حواشي البحث . ولجأت أحيانا الى « تاج العروس » و « معجم متن
اللفة » .

الفهَامِ



فهرس الموضوعات

الصفحة

رابط بديل < multibooks.net

٦- ٥	الاهداء
١٠- ٧	تقديم الكتاب : بقلم الدكتور جميل سعيد
١٢- ١١	خارطة لاقليم خوارزم تتضمن اشهر مدنه وانهاره
٢٠- ١٣	المقدمة
٨٤- ٢١	التمهيد ويشمل :
٢٥- ٢٣	اسم خوارزم
٤٠- ٢٦	اقليم خوارزم « لمحة جغرافية »
٤٨- ٤١	الحالة السياسية والادارية
٦١- ٤٩	الحالة الاقتصادية والاجتماعية
٧٦- ٦٢	الحالة العقلية
٨٤- ٧٧	الحالة الادبية
٣٣٨- ٨٥	الباب الاول : الشعر
١٥٣- ٨٧	الفصل الاول : الاتجاهات الشعرية :
٩٢- ٨٧	مقدمة في الاتجاهات الشعرية
١٠٨- ٩٣	المدح والشعر السياسي
١١١- ١٠٩	الفخر
١١٤- ١١٢	الهجاء
١٢١- ١١٥	الغزل
١٢٥- ١٢٢	الوصف
١٢٨- ١٢٦	شعر الخمر والمجون
١٣٢- ١٢٩	شعر الشكوى

١٣٧-١٣٣	الحنين الى الوطن
١٣٩-١٣٨	الرثاء
١٥٤-١٤٠	شعر الفلسفة والحكمة
٢١٠-١٥٥	الفصل الثاني : ابو بكر الخوارزمي :
١٥٨-١٥٧	حياته
١٧٧-١٧٢	شعره
١٩٨-١٧٨	دراسة لاغراض شعره
٢٠٨-١٩٩	سمات شعره
٢١٠-٢٠٩	مكانته في الشعر العربي
٢٥٦-٢١١	الفصل الثالث : ابو القاسم الزمخشري
٢٣٠-٢١٣	حياته
٢٥٢-٢٣١	شعره
٢٥٦-٢٥٣	شاعريته
٣٠٠-٢٥٧	الفصل الرابع : شعراء آخرون
٢٧٥-٢٥٩	محمد بن حامد
٢٩٣-٢٧٦	القاسم بن الحسين
٣٠٠-٢٩٤	الرقاشي
٣١١-٣٠١	الفصل الخامس : الشعراء الوافدون
٣٣٨-٣١١	الفصل السادس : رشيد الدين الوطواط :
٣١٩-٣١٣	حياته
٣٣٢-٣٢٥	شعره
٣٣٨-٣٣٣	سمات شعره
٤٣٦-٣٣٩	الباب الثاني : النشر
٣٤٨-٣٤١	الفصل الاول : النشر العربي واشهر النثرين

الفصل الثاني : أنواع النثر :

٣٦٧-٣٤٩

النثر الخالص

٣٦١-٣٤٩

النثر التأليفي

٣٦٤-٣٦٢

النثر العلمي

٣٦٧-٣٦٥

الفصل الثالث : أبو بكر الخوارزمي :

٣٨٢-٣٦٨

حياته ودراسة نثره

٣٧٧-٣٦٨

مميزات فننه الكتابي

٣٨٢-٣٧٨

الفصل الرابع : أبو القاسم الزمخشري :

٤١٧-٣٨٣

حياته ودراسة نثره

٤١١-٣٨٣

مميزات فننه الكتابي

٣٨٢-٣٧٨

الفصل الخامس : رشيد الدين الوطواط :

٤٣٦-٤١٨

حياته ودراسة نثره

٤٣٤-٤١٨

مميزات فننه الكتابي

٤٣٦-٤٣٥

الخاتمة

٤٤٤-٤٣٧

المصادر والمراجع

٤٦٢-٤٤٥

الفهارس :

٥١٧-٤٦٥

فهرس المحتويات

٤٦٩-٤٦٧

فهرس الاعلام

٤٩٢-٤٧٠

فهرس المواضع والبلدان

٤٩٧-٤٩٣

فهرس الاشعار

٥١٠-٤٩٨

فهرس الكتب التي وردت في متن الكتاب

٥١٤-٥١١

فهرس الشعوب والعقائد والملل

٥١٦-٥١٥

فهرس الحضارات واللغات والايام

٥١٧

فهرس الاعلام

- ١ -

- ابن الاثير ٤٤ ، ٥٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ .
- ابن الاصباغي « وزير السلطان محمد خوارزم شاه » ٨٢ .
- ابن الانباري « صاحب كتاب نزهة الالباء في طبقات الاطباء » ٨٢ .
- ابن الاهتم ١٦٤ .
- ابن بايجوك البقالي ٧٦ .
- ابن بطوطة ٩ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٢٥٥ ، ٣٤٥ .
- ابن حوقل ٩ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ .
- ابن خالويه ١٩٩ .
- ابن خلدون ٦٢ ، ٧١ .
- ابن خلكان ٣٦ ، ١٥٧ ، ٢١٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٨٤ .
- ابن الخمار ٩٠ .
- ابن دريد ٢٨٢ .
- ابن الرومي ٨٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
- ابن السمعاني ٦٥ .
- ابن سينا ٧٥ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٦٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ .
- ابن شبيب الشيببي (انظر الشيببي) .
- ابن الشجري ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- ابن شيرين ٤٠ ، ٢١٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ .
- ابن طاهر ٣٨٠ .
- ابن الطقطقا ٥٨ .
- ابن عبد ربه الاندلسي ٢٧ .
- ابن العميد ٨١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٣٧٧ .
- ابن عنين ٨٣ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤٤٠ .
- ابن عيينة ١٢٠ .
- ابن فضلان ٣٧ .
- ابن قاضي شهبة ٢١٦ .
- ابن قتيبة ٣٤١ ، ٣٨٢ .
- ابن قطلوبغا ٧٢ ، ٢٥٤ ، ٣٦٤ .

- ابن القيسراني ١١٥ .
- ابن قيس الرقيات ٣٢٤ .
- ابن لنكك البصري ١٩٨ .
- ابن ماجة ٧٢ .
- ابن ماكولا ٣٤٥ ، ٣٥١ .
- ابن مسكويه ٣٧٠ ، ٣٧١ .
- ابن المعتز ١٢٣ .
- ابن المقفع ٣٧٧ .
- ابن نقطة ٧٣ .
- ابن وهاس الحسني ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٣٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
- ابو اسحاق المنجم ٢٧ .
- ابو اسحاق المؤذني (انظر الخوارزمي) .
- ابو اسحاق الوطواط (انظر الكتبي) .
- ابو بكر الصديق ٣٩١ .
- ابو تمام ٨٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ٢٠٥ ، ٢٩٣ ، ٤٣٩ .
- ابو جعفر بن جزير الطبري (انظر الطبري) .
- ابو الجناح ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٣ .
- ابو الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام او بهنام (انظر ابن الخمار) .
- ابو الحسن الحكمي ١٥٩ .
- ابو الحسن الطوسي (انظر نظام الملك) .
- ابو الحسن اللحام ٥٦ .
- ابو الحسن المحتسبي .
- ابو الحسين بن احمد بن علي الصفار (انظر الصفار) .
- ابو الحسين المزي ١٦٧ .
- ابو حفص الادبي ٣٥٦ .
- ابو حفص السفدي ٨٨ .
- ابو حفص النيسابوري ١٠٤ .
- ابو حنيفة ٦٩ ، ٧١ .
- ابو حيّان الاندلسي ٢٤٥ .
- ابو حيان التوحيد ٢٠٩ .
- ابو الخطاب بن البطر ٢٢٧ .
- ابو ذر بن عبيد الغفاري ٣٧٧ .
- ابو زيد (شخصية مقامات الحريري) ٣٨٥ .

- ابو سـرح ٣٨ .
 ابو سعد الاسماعيلي (والد ابي العلاء السري) ٢٧٢ .
 ابو سعد الشقاني (انظر الشقاني) .
 ابو سعد الهروي (انظر الهروي) .
 ابو سعيد احمد بن ابراهيم (انظر الادبي) .
 ابو شجاع بن ركن الدولة ابي علي الحسن ابي شجاع ... (انظر عضد الدولة) .
 ابو الطمحان القيني ٢٠٤ .
 ابو الطيب اللقوي ١٩٩ .
 ابو العباس المروزي ٣٤ .
 ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي ٢٢ .
 ابو عبد الله الخوارزمي (انظر الخوارزمي) .
 ابو عبد الله محمد بن احمد بن شاه الخوارزمي البرقي ٣٥١ .
 ابو العدل زين الدين قاسم (انظر ابن قطلوبغا) .
 ابو العلاء السري بن الشيخ بن سعد الاسماعيلي ٢٧١ .
 ابو العلاء المعري ٢٩٣ .
 ابو علي (امير من امراء بلاد خوارزم) ٢٧٠ .
 ابو علي الفارسي ١٩٩ .
 ابو علي الكندي (انظر الكندي) .
 ابو عمر النسوي (انظر النسوي) .
 ابو الفتح (شخصية مقامات بديع الزمان الهمداني) ٩٥ .
 ابو الفتح الجرجاني ٢٤ ، ٢٥ :
 ابو الفداء ٢٧ ، ٥٥ ، ٢٤٧ .
 ابو الفضل بن المعتز الشيخ سوري (انظر سوري) .
 ابو الفضل سليمان ١٤٨ .
 ابو الفضل الهلالي (انظر الهلالي) .
 ابو القاسم احمد بن ابي ضرغام ٩٧ ، ١٢٦ .
 ابو القاسم الاعمى ١٦٦ .
 ابو القاسم (لم نعرف عنه شيئا) ٢٠٥ .
 ابو القاسم بن الحسين بن محمد (انظر الخوارزمي) .
 ابو القاسم النصيبي (انظر ابن حوقل) .
 ابو المحامد ٣٦٤ .
 ابو محمد (صاحب كتاب تاريخ خوارزم) ٣٥٨ .

- أبو مضر ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٤٣٣ .
- أبو المظفر خوارزم شاه (أنظر خوارزم شاه) .
- أبو المظفر الرعيني (أنظر الرعيني) .
- أبو منصور الحارثي (أنظر الحارثي) .
- أبو منصور البغوي (أنظر البغوي) .
- أبو موسى الخوارزمي ٦٤ .
- أبو المؤيد الخوارزمي ٧٢ .
- أبو النجم العجلي ٢٠٥ .
- أبو نصر الميكالي ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ .
- أبو نواس ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣ .
- أبو هلال العسكري ١٩٦ .
- أبو الهيجاء ٢٥٤ .
- إبراهيم بن العباس ١٧٦ .
- إبراهيم بن العباس ١٧٦ .
- إبراهيم بن عبدالله بن محمد ٣٧٧ .
- إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ، أبو إسحاق (أنظر الإصطخري) .
- آتسز (أنظر خوارزم شاه) .
- أحمد أمين ٢٤٨ .
- أحمد بن إبراهيم ، أبو سعيد (أنظر الادبي) .
- أحمد بن أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني ، أبو الفضل (أنظر بديع الزمان الهمداني) .
- أحمد بن اسماعيل ، ظهر الدين الخوارزمي (أنظر التمرثاشي) .
- أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد . . الكوفي ، أبو الطيب (أنظر المتنبي) .
- أحمد بن عبد الله بن سليمان (أنظر : أبو العلاء المعري) .
- أحمد بن علي ، أبو بكر (أنظر الخطيب البغدادي) .
- أحمد بن علي ، أبو العباس (أنظر القلقشندي) .
- أحمد بن علي بن شعيب الحافظ ، أبو عبد الرحمن (أنظر النسائي) .
- أحمد بن علي بن محمد ، أبو الحسين (أنظر الدامغاني) .
- أحمد بن عمر بن محمد الخيوقي المعروف بكبرى (أنظر : أبو الجنباب) .
- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (أنظر ابن فضلان) .
- أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي ، أبو بكر (أنظر البرقاني) .
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ، صدرالدين أبو طاهر (أنظر السلفي) .

- أحمد بن محمد الاندلسي (انظر ابن عبد ربه الاندلسي) .
 أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار ، أبو بكر (انظر الصنوبري) .
 أحمد بن محمد الحوفي (انظر الحوفي) .
 أحمد بن محمد ، أبو العباس شمس الدين (انظر ابن خلكان) .
 أحمد بن محمد بن يعقوب ، أبو علي (انظر مسكويه) .
 أحمد بن محمد ، أبو الحسين (انظر السميلى) .
 أحمد بن محمد ، أبو الفضل (انظر الصخري) .
 أحمد بن محمد ٩٩ .
 أحمد بن المستضيء ، أبو العباس (انظر الناصر لدين الله) .
 أحمد بن مصطفى (انظر طاش كبرى زاده) .
 أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي ، أبو العباس (انظر البلاذري) .
 الاخطل ٨٩ ، ٢٩١ .
 آدم (عليه السلام) ٥٦ .
 آدم منز (مستشرق) ٣٧٨ .
 اديب صابر ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٤٣٠ .
 الادبي ٩٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
 أربري (مستشرق) ٧٨ .
 آرثر كريستنسن (مستشرق) ٦١ .
 الارجاني ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
 الأزهرى ٧١ .
 اسماء المريّة ٤٠٠ .
 اسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن عباس الطالقاني ، كافي الكفاة ، أبو القاسم
 (انظر صاحب بن عباد) .
 اسماعيل بن أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو محمد
 (انظر الجواليقي) .
 اسماعيل بن عبد الله ، أبو المحاسن (انظر الطويلي) .
 اسماعيل الجرجاني ٤٣٣ .
 اسماعيل الدرعاني (انظر الدرعاني) .
 الاصطخري ٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥١ .
 الاصمعي ٢٨١ .
 أفضل الدين بديل بن علي الشرواني (انظر الخاقاني) .
 أفضل الدين الزبياني ٢٥٠ .
 الأوسي ٢٠٤ .

- امرؤ القيس ٧٨ ، ١٣٧ .
- أمين الخولي ٢١٨ .
- انس بن مالك الخثعمي ١٦٣ .
- انوري ٤٤ ، ٤٥ ، ٨١ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ .
- انوشتكين ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٦ .
- آنو شروان ١٠١ ، ١٠٢ .
- اوحده الدين علي بن اسحاق (انظر انوري) .
- ايل ارسلان بن آتسز ٤٦ ، ٣١٥ .

- ب -

- الباجري ٧٧ .
- البخارزي ١٧ ، ١١٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ٣٦٣ .
- باريد ٨٧ ، ٣٤١ .
- بار تولد (مستشرق) ٨٨ ، ٤٤ .
- البافي ٧٦ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ .
- باقل (مشهور بالهي) ١٦٤ ، ٢٢٢ ، ٣٩٦ .
- البحري ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٣٨١ .
- البخاري ٤٢٢ .
- البديح (مولى عبدالله بن جعفر) ٢٥١ .
- بديع الزمان الهمداني ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ .
- براون (مستشرق) ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٦٥ .
- البرغشي ٢٦٠ .
- البرقاني ٣٥ ، ٧٣ .
- البرقي ٧٢ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ .
- بريكاروق (ينظر ركن الدولة) .
- بزر جمهر ١٠١ ، ١٠٢ .
- البستي ١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ .
- البغدادى ٢٢ ، ٣٤ .
- البغوي ، أبو منصور ١٥٩ .
- البقالي ٦٨ .
- بكلباك ٤٣ .
- البلاذري ٤١ .
- بلعام بن قيس الكناني ٢٠٥ .
- البلعمي ١١٣ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٩٩ .

- بهاء الدين العاملي (انظر العاملي) .
 بهرام جور ٧٨ ، ٨٧ ، ١٧٣ ، ٣٤١ .
 البيروني ٨ ، ١٠ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٤٣٩ .
 البيهقي ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

- د -

- التاجر ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤٥ ، ٣١٦ .
 تاش الحاجب ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٩٩ ، ٢٦٠ .
 التمر تاشي ٧٢ .
 تقي الدين بن احمد بن محمد بن شهاب الدين ، ابو بكر (انظر ابن قاضي شهبة)
 تكش بن ايل ارسلان ٤٦ .
 تماضر بنت عمرو بن الشريد (انظر الخنساء) .
 التونتاشي (حاجب محمود الغزنوي) ٤٢ .
 التيتان ٧٣ .

- ذ -

- الذعاليبي ٧ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٥٣ .

- ح -

- الحافظ ٦٨ ، ١٠٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٣٨٨ .
 الجرجاني ، عبد القاهر ١٧٦ .
 الجرجاني ، علي عبد العزيز ١٩٩ ، ٢١٠ .
 جرجي زيدان ٣٨٢ .
 جريز بن عطية الخطفي التميمي ، ابو حذرة ٨٩ ، ٢٠٥ .
 الجفميني ٧١ ، ٧٥ ، ٣٦٥ .
 جلول بن اوس العنسي ، ابو مليكة (انظر الحطيئة) .
 جلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي (انظر الكرلاني) .
 جلال الدين عبد الرحمن (انظر السيوطي) .
 جلال الدين منكبرتي ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ .

- جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني ، أبو الحسن (انظر القفطي).
 جنكر خان ٤٧ .
 الجواليقي ٢٢٧ .
 الجويني ٦٣ .
 الجيهاني ٢٨٣ .

- ح -

- حاتم الطائي ٢٢٦ .
 الحارث بن سريج النقال (انظر النقال) .
 الحارثي ٢١٨ .
 حافظ حمدي ١٥ .
 حبابة « جارية يزيد بن عبد الملك » ٤٠٥ .
 حبشي « أحد أمراء الدولة السلجوقية » ٤٤ .
 حبيب بن أوس الطائي (انظر أبا تمام) .
 الحجاج بن يوسف الثقفي ٨ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ .
 الحريري ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٤٢٣ .
 حستان بن ثابت ٢٨٩ .
 حسن ابراهيم حسن (الدكتور) ١٦١ .
 الحسن بن أحمد بن عبد الفقار النسوي (انظر أبا علي الفارسي) .
 الحسن ابن أحمد النيسابوري ، أبو سعيد الطبسي (انظر الطبسي) .
 الحسن البصري ٣٨٩ ، ٣٩١ .
 الحسن بن بويه ٢٠١ .
 الحسن بن سهل ١٦٦ .
 الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (انظر أبا هلال العسكري) .
 الحسن بن العطار الهمداني (انظر الهمداني) .
 الحسن بن علي بن أبي طالب « رضي » ١٠٤ ، ١٩٦ ، ٣٧٦ .
 الحسن القطان (انظر القطان) .
 الحسن بن المظفر الادبي ، أبو حفص (انظر الادبي وأبا حفص) .
 الحسن بن المظفر النيسابوري « انظر النيسابوري » .
 الحسن بن هاني « انظر أبا نواس » .
 الحسين (الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنهم) ٤٠٤ .

- الحسين بن أحمد ، أبو عبدالله (انظر ابن خالديه) .
- الحسين بن عبدالله ، أبو علي (انظر ابن سينا) .
- الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي) ١٠٤ ، ١٩٦ .
- الحسين بن علي بن محمد الاصبهاني ، مؤيد الدين ، أبو اسماعيل (انظر —
الطفرائي) .
- الحصري (صاحب كتاب زهر الآداب) ١٧٦ .
- حسين بن ضرار ٣٩٩ .
- الحطيئة ١١٣ .
- الحكيمي ١٤٥ .
- حماد بن سلمة ٧٣ .
- حماد بن يزيد ٧٣ .
- حندج بن حجر الكندي (انظر امرا القيس) .
- الحوفي (الدكتور) ٢٢٤ ، ٤١٦ .

- خ -

- الخاصي ٦٨ .
- الخاصي ٣١٨ ، ٣٤٠ .
- خاند بن عبدالله الازهري (انظر الازهري) .
- الختيب البغدادي ٧٣ ، ٧٤ .
- الخليل (عليه السلام) ٢١٤ .
- الخنساء ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
- خوارزم شاه ، أبو العباس مأمون بن مأمون ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٨ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣٠ .
- خوارزم شاه ، أبو المظفر ٣٥ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٦٩ ، ٣٨١ .
- خوارزم شاه آتسز ١٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٢٢٥ ، ٣١٥ ،
٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
٤٣٨ .
- خوارزم شاه ، أبو عبدالله محمد بن أحمد ١٠٤ .
- خوارزم شاه ، علاء الدين تكش ٤٢ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٣١٥ ، ٣١٩ .
- خوارزم شاه ، علي بن مأمون بن محمد ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٥٩ ، ٣٠٧ .
- خوارزم شاه ، مأمون بن محمد ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٣٠ .
- خوارزم شاه ، محمد بن انوشتكين ٤٤ ، ٢٢٥ .
- خوارزم شاه (والد جلال الدين منكبرتي) ٣٠٨ .

الخوارزمي ، أبو اسحاق المؤذني ٧٤ .
 الخوارزمي ، أبو بشر المأمون بن علي بن ابراهيم ١١٨ .
 الخوارزمي ، أبو بكر ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٣ ،
 ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ ،
 ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ،
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤١٨ ،
 ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

الخوارزمي ، أو عبدالله ٧٤ .
 الخوارزمي ، أبو القاسم بن الحسين بن محمد ٨٢ .
 الخوارزمي ، محمد بن الحسن ٧٤ .
 الخوارزمي ، محمد بن موسى ٧٤ ، ٧٥ .
 الخوارزمي ، مظهر الدين محمود بن محمد ٧٢ .
 خير الدين الزركلي (أنظر الزركلي) .
 الخيوقي ٣٥ ، ٦٦ .

- د -

الدامغاني ٢٢٧ .
 داود بن رشيد الخوارزمي ٧٢ .
 الدرغاني ، الامام اسماعيل ٦٧ .
 الدرغاني ، أبو بكر محمد بن أبي سعيد بن محمد ٣٣ .
 دريد بن حرملة ٤٠٠ .
 الدقيقي (شاعر فارسي) ٨٨ .
 دولتشاه ٣٢٠ .

- ذ -

ذبيح الله صفا ٢٤٧ .
 الذهبي ، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ٧٦

- د -

- الرازي ، شمس الدين ٨٧ ، ٨٨ ، ٣٤١ .
 الرازي ، فخر الدين ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٠٤ ، ٣٦٣ ، ٤٣٩ .
 رحمة بنت ابراهيم الهزارسية ٣٤ .
 الرعيني ابو المظفر ١٦١ .
 الرستاني ٢٨٥ .
 الرستمي ٢٠٣ ، ٢٠٥ .
 رشيد الدين الوطواط (انظر الوطواط) .
 الرقاشي ١٨ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ .
 الرقائي ١٦٨ ، ١٦٩ .
 ركن الدولة ٢٠١ .
 ركن الدين ميكائيل ٤٢ .
 الرودكي ٨٨ .

- ذ -

- زرادشت ٨٨ .
 الزركلي ، خير الدين ٣٥٦ ، ٣٧٨ .
 زكريا بن محمد بن محمود (انظر القزويني) .
 زكي مبارك ١١٨ ، ١٧٤ ، ٣٧٧ .
 الزمخشري ٩ ، ١٠ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ .
 زهير بن أبي سلمى ، ٨٩ ، ٢٠٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
 الزيات ، محمد بن عبد الملك ١٧٦ .
 زياد بن معاوية ، أبو إمامة (انظر النابغة الذبياني) .

- زيد بن علي ٣٧٦ .
زيد الخيل ٢٠٥ ، ٢٢٦ .
الزيدري ٣٦٤ .

- س -

- سالم بن عبدالله ٣١٣ .
السبكي ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ .
سحبان وائل ٢٢٢ ، ٣٩٦ .
السري الرفاء ٢٧٥ .
سعيد بن محمد الكعبي (انظر الكعبي) .
سفيان بن عيينة بن ابي عمران الكوفي المكي ، ابو محمد ٧٣ .
السكاكي ١٠ ، ٧١ ، ٧٥ .
سلطان شاه بن ايل أرسلان ٤٦ .
السلفي ٢٢٧ .
سلّم بن زياد ٨ ، ٢٩ .
سليك بن سلّة السعدي ١٦٣ .
سليمان بن الربيع بن عاصم المازني ، ابو حامد بن ابي الربيع (انظر الفرناطي) .
سليمان بن موسى ، برهان الدين ، ابو الفضل بن شرف الدين المصري (انظر الكحلّال) .
السمعاني ٣٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٥٣ ، ٣٤٥ ، ٣٨٣ .
سنائي ٣١٥ .
سنجر ٤٤ ، ٤٥ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٢٥ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٠ .
السهيلي ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٥٩ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ .
سوري ، الشيخ ابو الفضل بن المعتز ٣٦٣ .
سيف الدولة الحمداني ٧٨ ، ١٥٨ ، ١٩٩ ، ٢٧٠ ، ٢٠١ ، ٣٠٣ .
سيف الدين بن عصبه ٦٤ .
السيوطي ٧١ ، ٧٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ ، ٣٨٤ .

- ش -

- الشافعي ٧٣ .
شاه بن ابراهيم ، ابو الفضل الكائي (انظر الكائي) .

- شاهنشاه ١٠١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٣ .
 الشاهي الخوارزمي ١٣٤ .
 الشيبسي ٦٠ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣١٦ .
 شرف الدين ، أبو عبدالله الطنجي (انظر ابن بطوطة) .
 الشقاني ، أبو سعد ٢١٨ .
 شمس الدين الرازي (انظر الرازي) .
 شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، أبو عبدالله (انظر الذهبي) .
 شمس المعالي قابوس ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٦١ .
 الشهاب الحوفي (أحد صدور خوارزم) ٢٨٣ .
 شهاب الدين بن عمران ٦٤ ، ٧٤ .
 شهاب الدين الخيوقي (انظر الخيوقي) .
 شيخ الربوة ٢٨ .

- ص -

- الصاحب بن عباد ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ في ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٤٢٣ .
 الصانعي ٦٣ .
 صخر بن عمرو بن الشريد ، أخو الخنساء ٢٢٩ ، ٢٣٧ .
 الصخري ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٥٢ .
 صدر الأئمة ، خطيب خوارزم ٣٢٩ .
 صدر الدين نظام الدين ٣٢١ .
 الصفار ، أبو الحسين بن أحمد بن علي ٣٥٦ .
 الصفار ، أبو الفضل أحمد بن علي الخوارزمي ٨١ .
 الصفار ، أحمد بن علي ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .
 الصفدي ٧٢ ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٦٦ ، ١٧٦ .
 صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (انظر البغدادي) .
 صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (انظر الصفدي) .
 الصناري ٦٤ ، ٧٥ .
 الصنوبري ١٩٥ .
 الصواف ٢٨٩ .
 الصولي « انظر ابراهيم بن العباس » .

- ض -

- الضبي ، محمود بن جرير ٧٥ ، ٢٧١ .
- ضياء الدين علي بن جعفر ٣٢٣ .

- ط -

- طاش كبرى زاده ٢٥٤ ، ٣٦٣ .
- طاهر بن شاري ١٦٣ ، ١٦٧ .
- طاهر السجزي ١٩٩ .
- الطبري ٥٧ .
- الطبسي ١٦٩ .
- طرفة بن العبد ٨٩ ، ٢٩٢ .
- الطفرائي ١٧٦ .
- الطويلي ٢١٩ .

- ع -

- العارضي ٦٨ ، ٧٤ ، ٨٢ .
- العاملي ١٤٠ .
- العباس بن الاحنف ٢٥٣ .
- عباس « شاعر مدح الامون في مرو » ٧٩ .
- عباس بن محمد رضا بن ابي القاسم (انظر القمي) .
- عبدالله بن ابراهيم ، أبو محمد (انظر الرقاشي) .
- عبد الله بن ابي قحافة (انظر ابا بكر الصديق) .
- عبدالله بن المتوكل العباسي (انظر ابن المعتز) .
- عبدالله بن محمد الخوارزمي ، بأو محمد (انظر الباقي) .
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي الدينوري الروزي (انظر ابن قتيبة) .
- عبد الله بن المقفع (انظر ابن المقفع) .
- عبد الله خان بهادر ٨ ، ٢٨ .
- عبد الله رازي ٤٧ .
- عبدالله محمد بن عبدالعزيز ، أبو القاسم (انظر البغوي) .
- عبد الجبار ٢٤٨ .
- عبد الخالق بن عبد الحميد بن عبد الله (انظر الوبري) .
- عبد الرحمن بن محمد ، أبو محمد (انظر الكركنجي) .

- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (انظر ابن خلدون) .
عبد الرحمن بن يحيى بن الربيع بن سليمان ، فخر الدين ، أبو محمد (انظر الواسطي) .
عبد الغفور بن لقمان الكردي (انظر الكردي) .
عبد القادر بن أبي الوفاء . . . القرشي ، محي الدين أبو محمد (انظر القرشي) .
عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أبو بكر (انظر الجرجاني) .
عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، أبو سعيد (انظر السمعاني) .
عبد الملك الباهلي (انظر الاصمعي) .
عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، أبو منصور (انظر الثعالبي) .
عبد الملك ، أبو زيد (انظر الفريضي) .
عبد الملك بن مروان ٢٩١ ، ٣٢٤ .
عبد الوهاب بن علي ، تاج الدين أبو نصر (انظر السبكي) .
عبلة (ابنة عم عنترة بن شداد العبسي) ٢٩٩ .
عبيد الله بن مسلم الباهلي ٤١ .
عبيد الله العامري (انظر ابن قيس الرقيات) .
عتبة بن شتير ٣٩٩ .
العتيبي ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ .
عزت المطار ١٧٧ .
عز الدين ، أبو الحسن الشيباني (انظر ابن الاثير) .
عصام الدين أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل (انظر طاش كبرى زاده) .
عضد الدولة ١٢٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٧ .
القطار ، فريد الدين محمد بن ابراهيم النيسابوري ٣١٥ .
علاء الدين تكش (انظر خوارزم شاه) .
علي بن أبي طالب (رضي) ٦٠ ، ١٠٤ ، ٣٧٦ .
علي بن أحمد البديهي الملقب بنقيب الشعراء (انظر الحكيمي) .
علي بن الحسن بن علي الشافعي ، بأو الحسن (انظر الشافعي) .
علي بن الحسين بن موسى . . . بن الامام موسى الكاظم ، أبو القاسم (انظر المرتضى) .
علي بن حمزة الحسني ، أبو الحسن (انظر ابن وهاس) .
علي بن العباس بن جريح ، أبو الحسن (انظر ابن الرومي) .
علي بن عبد العزيز ، أبو الحسن (انظر الجرجاني) .
علي بن عراق الصناري (انظر الصناري) .
علي بن مأمون بن محمد (انظر خوارزم شاه) .

- علي بن المظفر ، ابو الحسن النيسابوري (انظر النيسابوري) .
- علي بن محمد ، ابو حيان التوحيدي (انظر ابا حيان التوحيدي) .
- علي بن محمد ، ابو الفتح البستي (انظر البستي) .
- علي بن هبة الله ، الامير ابو نصر الميكالي (انظر ابا نصر الميكالي) .
- علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني ، جمال الدين ، ابو الحسن (انظر
- الفقطي) .
- عماد الدين اسماعيل بن علي بن الملك الافضل (انظر ابا الفداء) .
- العماد الاصفهاني ١٧ .
- عماد الدين صالح بن البلالي ٤٣٣ .
- العمراني (تلميذ الزمخشري) ٧٦ .
- عمر بن أحمد بن نجم الدين الكاوخشتواني (انظر الكاوخشتواني) .
- عمر بن الخطاب (رض) ١٩ ، ٣٣٤ ، ٤٢٤ .
- عمر بن الحسن بن المظفر (انظر ابا حفص النيسابوري) .
- عمر بن عبدالعزيز (رضي) ٦١ .
- عمر الخيام ٣١٥ .
- عمر فروخ ٢٠٠ .
- عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري ، ابو عثمان (انظر الجاحظ) .
- عمرو بن سنان بن سمي (انظر ابن الاهتم) .
- عمرو بن كلثوم التغلبي ٨٩ ، ٢٩٨ .
- عميد الملك ، ابو نصر الكندري (انظر الكندري) .
- عنتر بن شداد العبسي ٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
- عوفي (انظر محمد) .
- عيسى بن موسى العباسي ٣٧٧ .
- عيسى بن هشام ٣٨٥ .
- عيسى بن يحيى المسيحي (انظر المسيحي) .

- غ -

- الفرناطي ٧٤ ، ٨٣ ، ٣٠٣ .
- الفريض ، ابو زيد عبدالملك ٢٥٠ .
- الغزميني ٦٨ ، ٧٥ ، ٣٦٣ .
- الغزنوي ، محمود بن سبكتكين ٤٢ ، ٥٧ ، ٩٠ ، ٩٤ .
- غياث بن غوث التغلبي (انظر الاخطل) .

- ف -

- الفاروقي ، محمد سعيد الرافي ٤١٣ .
- فاطمة الزهراء ١٦١ ، ٣٧٦ .
- فخر الدولة ، محمد بن محمد بن جهر ١٧٨ .
- فخر الدين الرازي (انظر الرازي) .
- فخر الدين عبد العزيز بن عبد الجبار الكوفي (انظر الكوفي) .
- فخر الدين محمد بن نقيب النقباء ، تاج الدين (انظر ابن الطقطقا) .
- الفراهيدي ، الخليل بن احمد ٢٨٢ .
- الفراوي ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٣٦٣ .
- الفرزدق ٨٩ ، ٢٠٥ .
- الفوضى ، ابو العلاء ٧٢ .
- فرعون « ملك مصر » ٣٧٤ .
- فريد الدين محمد بن ابراهيم النيسابوري (انظر العطار) .
- الفضل بن قدامة (انظر ابا النجم العجلي) .
- الفيدي ، يوسف بن محمد ٦٧ .

- ق -

- القاسم بن الحسين ٩ ، ١٨ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ١٥٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٣٩ .
- القصاب ٨٣ ، ٣٠٩ .
- القاضي الفاضل ١٤٨ .
- قتيبة بن مسلم الباهلي ٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٥٨ .
- قدامة بن جعفر ٨ ، ٢٦ .
- القفطي ٨٠ ، ٨٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠٩ ، ٣٨٤ .
- القرشي ، محي الدين ، ابو محمد عبد القادر بن ابي الوفاء ... القرشي ١٢٦ .
- القزويني ٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ١٥٩ .
- قس بن ساعدة الايادي ١٦٤ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦ .
- القطان ، الحسن (من اصحاب الحديث) ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ .
- القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ٣٢ .
- القمي ، الشيخ عباس بن محمد رضا بن ابي القاسم ٦٠ ، ٧٠ ، ٣١٦ .

- قوام الدين سهيل بن عزيز المستوفي (انظر المستوفي) .
 قيس بن كعب بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن جملة بن عامر
 ابن صعصعة (انظر النابغة الجعدي) .
 قيس بن الملوح (مجنون ليلي) ١٣٦ ، ١٧٨ .

- ك -

- الكاثي ، أبو الحسين محمد بن ابراهيم ٦٧ .
 الكاثي ، أبو الفضل شاه بن ابراهيم ١٣٤ .
 الكاثي العقيلي ، محمد بن احمد بن سعيد ٦٨ .
 الكاوخشتواني ، عمر بن احمد بن عمر بن نجم الدين ٧١ .
 الكتبي ، ابو اسحاق الوطواط ١٦٦ .
 كثير بن احمد ١٥٩ ، ٣٧٣ .
 كثير عزة ٢٦٦ .
 الكحل ١٤٧ .
 كراستشكوفسكي (مستشرق) ٢٤٧ .
 الكردي ، عبد الغفور بن لقمان ٣٦ .
 الكركانجي ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ٦٧ .
 الكركانجي ، أبو نصر محمد بن احمد بن حامد ٣٣ .
 الكركانجي ، محمد بن احمد ١٠ ، ٦٦ .
 الكرلاني ٧٢ .
 كريستنسن (مستشرق) ٦١ .
 كسرى ابرويز ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٣٤١ .
 كشاجم ١٢١ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٩٤ .
 كعب الاشقري ٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
 كعب بن مامة الايادي ٢٨٦ .
 الكعبي ، سعيد بن محمد ٦٧ .
 الكلثومي ، محمد بن عبد الملك ٨٣ ، ١٣٦ ، ٤٤٠ .
 الكميت بن زيد الاسدي ٩ ، ٢٩ .
 الكندي ، أبو علي ١٤٦ .
 الكندي ، أبو نصر ، عميد الملك ٣٥٦ .
 كوشيار ٩٣ .

- الكوفي ، فخر الدين عبد العزيز بن عبد الجبار ٣٢٦ .
 كي لسترنج (مستشرق) ٣٩ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٣ .
 الكيا الهراسي (انظر الهراسي) .

- ل -

- اللكنوي ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٧٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .
 ليلي « صاحبة قيس بن الملوح » ١٧٨ .

- م -

- مالك بن دينار ١٤٣ .
 المأمون (الخليفة العباسي) ٥٠ .
 مأمون بن مأمون ، أبو العباس (انظر خوارزم شاه) .
 مأمون بن محمد (انظر خوارزم شاه) .
 المتنبي ٨٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٧٧ ، ٤٣٦ .
 مجد الدين الحق ، الشيخ الامام حجة الحق صاحب البخاري ٤٢٢ .
 مجد الملك عزيز الطفرائي ٤٣٦ .
 مجدد بن آدم الحكيم الفزنوي ، أبو المجد (انظر سنائي) .
 مجيب المصري (الدكتور) ٧٧ .
 مجير الدولة الاردستاني ٩٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ .
 مجير الدين ، أبو علي عبدالرحيم ، القاضي الاشرف (انظر القاضي الفاضل) .
 محمد الامام « صاحب أبي حنيفة » ٢٨٦ .
 محمد بن ابراهيم ١٦١ .
 محمد بن ابراهيم ، أبو الحسين الكائي (انظر الكائي) .
 محمد بن ابراهيم ، أبو عبد الله الصانمي (انظر الصانمي) .
 محمد بن ابراهيم ، أبو عبد الله الباجري (انظر الباجري) .
 محمد بن ابراهيم ، أبو المظفر البرغشي (انظر البرغشي) .
 محمد بن أبي طالب الانصاري ، شمس الدين ، أبو عبدالله (انظر شمس الدين) .
 محمد بن أبي عبدالله ، الحسين أبو الفضل « انظر ابن العميد » .
 محمد بن أبي القاسم الخوارزمي « انظر البقالي » .
 محمد بن أحمد ... بن حامد ، أبو نصر الكركنجي (انظر الكركنجي) .
 محمد بن أحمد بن سعيد الكائي العقيلي « انظر الكائي العقيلي » .

- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن اسماعيل بن خوارزم شاه الخوارزمي البرقي (انظر البرقي) .
- محمد بن أحمد ، أبو الريحان البيروني (انظر البيروني) .
- محمد بن أحمد ، أبو عبدالله خوارزم شاه (انظر خوارزم شاه) .
- محمد بن أحمد ، أبو عبدالله الجيهاني (انظر الجيهاني) .
- محمد بن أحمد ، شمس الدين بن أبو عبد الله البشاري ، أبو بكر المقدسي (انظر المقدسي) .
- محمد بن أحمد الكركنجي (انظر الكركنجي) .
- محمد بن ادريس بن العباس ... القرشي ، أبو عبدالله « انظر الشافعي » .
- محمد بن أرسلان ٣٥٦ .
- محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، أبو عبد الله « انظر البخاري » .
- محمد بن أنوشتكين « انظر خوارزم شاه » .
- محمد بن حامد ١٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٨٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٥٣ .
- محمد بن الحسن بن دريد الازدي القحطاني البصري « انظر ابن دريد » .
- محمد بن حسين دبیر ، أبو الفضل البيهقي (انظر البيهقي) .
- محمد بن الحسين الكاتب الملقب بصريع الكأس « انظر القصاب » .
- محمد بن سعيد الرافعي الفاروقي « انظر الفاروقي » .
- محمد بن سهل بن ابراهيم ، أبو عبد الله التاجر « انظر التاجر » .
- محمد بن العباس ، أبو بكر الخوارزمي « انظر الخوارزمي » .
- محمد بن عبدالله ، الرسول (صلى) ١٠٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ .
- محمد بن عبد الله بن طاهر ٢٧٢ .
- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن ٣٧٧ .
- محمد بن عبد الغني البغدادي « انظر ابن نقطة » .
- محمد بن عبد الملك (انظر الزييات) .
- محمد بن عبد الملك « انظر الكلثومي » .
- محمد بن عبد الحى ، أبو الحسنات (انظر اللكنوي) .
- محمد عوفي ٧٩ ، ٨٧ ، ٣٣٧ ، ٤٢٥ .
- محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي ، أبو عبدالله « انظر الفراوي » .
- محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن جهير « انظر فخر الدولة » .
- محمد بن موسى الخوارزمي « انظر الخوارزمي » .
- محمد بن نصر بن صغر الخالدي الحلبي ، شرف الدين ، أبو عبد الله (انظر ابن القيسراني) .

- محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين ، ابو المحاسن « انظر ابن عثين » .
- محمد بن يوسف ، ابو حيان الاندلسي « انظر ابا حيان الاندلسي » .
- محمد بن يزيد القزويني ، ابو عبيد الله « انظر ابن ماجة » .
- محمود بن أحمد بن أبي الحسن ، عماد الدين أبو المحامد (انظر ابا المحامد) .
- محمود بن جرير الضبي الاصبهاني « انظر ابا مضر » .
- محمود بن الحسين بن السندي بن الشاهك (انظر كشاجم) .
- محمود بن سبكتكين الفزنوي (انظر الفزنوي) .
- محمود شكري الالوسي « انظر الالوسي » .
- محمود بن عزيز ، ابو القاسم الخوارزمي « انظر المعارضي » .
- محمود بن عمر ، جار الله ، ابو القاسم الزمخشري (انظر الزمخشري) .
- محمود بن محمد بن عمر ، ابو علي ، شرف الدين « انظر الجفميني » .
- مختار بن محمود بن محمد ، ابو الرجاء نجم الدين الزاهدي « انظر الفزميني » .
- المرتضى ، ابو القاسم علي بن الحسين ١٠٤ .
- المستوفي ٣٣٢ ، ٤٢٣ .
- مسعود بن محمود بن سبكتكين ٤٢ .
- المسيح عيسى بن مريم ١٦٤ .
- المسيحي ، عيسى بن يحيى ٩٠ .
- المشاطي « من احسن الخطباء الوعظاء في اقليم خوارزم » ٦٩ ، ٣٤٥ .
- مصعب بن الزبير ٣٢٤ .
- المطري ١٠ ، ٧١ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ٢٧٦ ، ٣٦٤ .
- مظهر الدين محمود بن محمد الخوارزمي (انظر الخوارزمي) .
- مفيت الدين طغرليك ٤٢ .
- مقبل بن عطية « انظر ابا الهيجاء » .
- المقفي بالله ٣٥٠ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ .
- المقدسي ٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ .
- ملكشاه السلجوقي ٤٣ ، ٥٦ ، ٢١٣ .
- الموفق بن احمد ٣٥ ، ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٨٤ .
- الموفق بن محمد بن الحسين ، ابو المؤيد صدر الدين « انظر الخاصي » .
- المؤيد بن الموفق بن احمد ١٣٥ .
- مؤيد الدولة ٩٣ ، ١٧٨ .
- مؤيد الملك بن نظام الملك ٢١٥ ، ٢٤٣ .
- منتجع الملك ٢٢٧ ، ٢٣٢ .
- منصور « من آل عراق » ٩٤ .

- النايفة الجمدي ٢٩٤ ، ٢٩٨ .
 النايفة الديباني ٨٩ ، ١٨٢ ، ٢٠٥ ، ٣٢٤ .
 ناصر بن عبد السيد بن علي المبرز الخوارزمي ، أبو الفتح (انظر المبرز) .
 الناصر لدين الله ، أبو العباس أحمد بن المستضيء ٤٧ .
 ناصر الدين ، أبو الفتح أبي المكارم ٨٢ .
 النسائي ٧٢ .
 النسوي ، أبو عمر ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٣٥٢ .
 النسوي ، محمد بن أحمد بن علي ٤٤ ، ٦٥ ، ١١٢ ، ٣٠٦ .
 نصر بن أحمد الساماني ٨٨ .
 نصرة الدين حمزة ٦٣ .
 نظام الدين مسعود ٦٥ .
 نظام الملك ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٣ .
 النظامي العروضي السمرقندي ، أبو محمد ٨٠ .
 نظامي ، الشيخ أبو محمد الشاعر الحكيم ٣١٥ .
 النعمان بن ثابت (انظر ابا حنيفة) .
 النعمان بن المنذر ١٨٢ .
 النقتال ، الحارث بن سريج ٧٣ .
 نور الدين محمد الخراساني (انظر الزيدري) .
 النيسابوري ، أبو الحسن علي بن المظفر ٢١٨ .
 النيسابوري ، أبو المظفر ١٠٦ .
 النيسابوري ، الحسن بن المظفر ٨٤ ، ١٠٠ ، ١١٦ ، ١٤٩ ، ٣٤٩ .

- ه -

- هاشم بن حرمة ٤٥٠ .
 هاشم (لم نعرف عنه شيئاً) ٢٣١ .
 هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني البغدادي ، أبو السعادات (انظر ابن الشجري) .
 الهراسي ، الكيا ١١٩ ، ١٤٢ ، ٣٥٦ .
 الهروي ، الامام أبو سعد ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢١ .
 الهلالي ، أبو الفضل ، شاعر مأمون بن مأمون ١٠٣ ، ١٤٦ .
 الهمداني ، الحسن بن العطار ١٠٦ .
 الهمداني (لم نعرف ايّاً منهم قصد الثعالبي) ٣٩ .

الواثق ، الخليفة العباسي ٥٠ .
الواسطي ، فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن الربيع بن سليمان ٧٤ .

الويزي ، عبد الخالق بن عبد الحميد بن عبد الله ٦٩ .
الوطواط ، رشيد الدين ١٨ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ،
٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ .
الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة (انظر البحري) .

- ي -

ياقوت الحموي ١٠ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٦ ، ٥٨ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦ ،
٣٨٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٥ .

يزدجرد ٣٧٤ .

يزيد بن عبد الملك ٤٠٥ .

يزيد بن معاوية ٨ ، ٢٩ ، ٨٢ .

يزيد بن المهلب ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ .

يعقوب بن شيرين الجندي (انظر ابن شيرين) .

يمين الدولة ٢٦١ .

يوسف بن أبي بكر بن محمد ، أبو يعقوب (انظر السكاكي) .

يوسف بن محمد الفيدي (انظر الفيدي) .

يوسف بن محمد الفيدي (انظر الفيدي) .

فهرس المواضع والبلدان

- ا -

- آيسكون ٤٦
- أبيورد ٢١٩
- الاتحاد السوفيتي ٨ ، ٢٨
- اترار ٤٧
- أذربيجان ٣٠٤
- أرجان ١٥٧ ، ١٨٨ .
- أرذخوة ٣٦ .
- آسيا ٥٥ ، ٥٥ .
- أصفهان ٤٩ - ٥٣ .
- أقليم فارس ١٧ .
- آمد ٣٠٨ .
- أم القرى ٢٤٠ .
- الاندلس ٧ ، ٨ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٩ .
- الاهواز ٢٦٧
- أوريا ٥٠
- أوزبكستان ٨ ، ٢٨ .
- ايران ٦١ ، ٣٤١ .

- ب -

- بحر طبرستان ٣٥ .
- بحيرة خوارزم ٨ ، ٢٦ .
- بخارى ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ١٣٤ ، ١٥٨ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣١٦ .
- برقان ٣٥ .
- البركة المتوكلية ٣٨٠ .
- البصرة ١٤٣ .
- بغداد ٧٢ ، ٧٨ ، ١٢١ ، ٢٢٧ .
- بلاد الروم ٧٥ .
- بلاد المعجم ٧٩ ، ٩٨ ، ١٠٣ .

فهرس المواضع والبلدان

بلغ ٤٠ ، ٤٢ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٢١١ ، ٢٦١ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ .
البلغار ٥١ .

- ت -

تبالة ٤٢٠ .
تركستان ٤٠ .
تركمانستان ٨ ، ٢٨ .
تل راهط ٣٠٦ .
تمرتاش ٣٦ .

- ج -

جرجان ٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ٣٢١ .
جرجانية خوارزم (كركانج) ١٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٧ ،
٧٦ ، ٢٣٠ ، ٣١٦ .
الجزيرة المربية ٨٩ - ٣٠٤ .
الجعفرية ٣٨٠ .
جفمين ٣٦ .
جند ٤٠ ، ٤٦ .
جيحون ٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٣١٨ ، ٤٠٢ ،
٤٤٠ .

- ح -

الحجاز ٩ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ٢٥٣ .
الحطيم ١٦٣ ، ٢٢٩ .
حلب ٧٨ ، ١٥٨ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ .
الحيرة ٨٧ ، ١٢٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

- خ -

خاص ٣٦
خراسان ٨ ، ٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٠ ،
٨٣ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ،
٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٤١٨ ، ٤٣٢ ،
٤٣٣ .

خوارزم ٧، ٩، ١٠، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٦، ٣٧،
٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٦٢، ٧٢، ٨٤، ٨٩، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣،
٢٢٥، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١١،
٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٨٤، ٤٠١، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٣٠،
٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٤.

خوزستان ٧٥.

==

خيوة ٢٨.

==

خيوق ٢٨.

- د -

==

درغان او درعان ٣٣.

دمشق ٧٢.

- ر -

الري ٦٩، ٧٨، ١٦٧.

- ز -

==

الزاهر (قصر) ٣٨٠.

زمخشر ١٠، ٣٦، ١٣٣، ٢١٣، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٥٤، ٤٠٢،
١٦٣، ٢٢٩.

- س -

==

سجستان ٤٢، ٧٥، ١٦٣.

سقسين ٣٥، ٣٠٣.

سمرقند ٨، ٣١، ٣٢، ٧٢، ٢١٩، ٣١٦.

سيحون ٨٩.

- ش -

الشام: ٧، ٩، ٤٠، ٦٦، ٧٨، ٨٣، ٨٩، ١٢١، ١٥٨،
١٩٩.

- ص -

الصفد ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٦٠.

صفد خراسان ٣٨٠.

الصفاء ٢٤٠.

الصين ٤٠، ٤٩، ٥٠.

- ط -

- طبرستان ٧٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٦١ .
 طرق ٥٣ .
 طشقند ٨ .
 طوس ٣١٦ .

- ع -

- العراق ٧ ، ٩ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٥ ، ١٣٧ ، ١٥٨ ، ٣٧٤ ، ٢٢٥ ، ٣٠٤ .
 ٤٣٣ .

- غ -

- غزنوستان ٤٣ .
 غرناطة ٨٣ .
 غزني ٣٦ .
 غزني ٩٤ .
 غوطة الشام ٣٠٦ .

- ف -

- فارس (بلاد) ٦١ ، ٥٥ .
 الفسطاط ١٢١ .
 الفولجا (نهر) ٥١ .
 فيل ٣٠ ، ٣١ .

- ق -

- قاليقلا ٣٧ .
 القدس ٧٥ .
 قم ١٢٦١ .

- ك -

- كاث ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ .
 كازه ٣١ .
 كاوخواره (نهر) ٣٩ .
 كردر ٣٥ .
 كش ٣٢ .
 الكناسة ٣٧٦ .
 كنداكين ٢٩ .
 الكورة ٢٧ ، ٥٦ .

- م -

- ماوراء النهر (بلاد) ٧ ، ٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١٥٣ ، ٢٥٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٤٣٢ .
- مرو ٣٣ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٢٢٥ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٦٦ ، ٤١٨ .
- المروة ٢٤٠ .
- المشرق (بلاد) ٤٨ ، ٧١ ، ٨٩ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ .
- مصر ٨ ، ٩ ، ٤٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٩ .
- المعرف ٢٤٠ .
- المغرب ٨ ، ٧١ .
- مكة ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٣٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٢٠ .
- الممالك الشرقية ٣٤٨ .
- المملكة الاسلامية ٣٤٧ .
- منقشلاغ ٣٥ ، ١٣٥ .
- منى ٢٤٠ .
- الموصل ٧٤ .

- ن -

- نجد ١٣٥ .
- نسا ٦٣ - ٦٥ - ٨٣ .
- النظامية (مدرسة) ٧٢ ، ٣١١ - ٣١٣ - ٣١٤ .
- نوكفاغ ٣٦ .
- نيسابور ٧٥ ، ٧٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٦٤ ، ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٧٦ ، ٤١٨ .

- ه -

- هراة ٧٠ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٤١٨ .
- هزا راسب ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٨١ .
- همدان ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٥ .
- الهند ٤٩ .
- هيطل ٢٧ .

- و -

- وداك او وذاك (نهر) ٥١ .

فهرس الأشعار

صدر البيت القافية اسم الشاعر الصفحة

- حرف الهمزة -

٩٨	ابو الفضل احمد بن محمد الصخري	والهواء	اشبه البدر في السنا
١١٢	ابو الفضل احمد بن محمد الصخري	هواء	ايا الفضائل
١١٤	ابو بكر الخوارزمي	سواء	ولي والله اخوان
١٦٩	ابو سعيد احمد بن شبيب الشيببي	البقاء	ابو بكر له ادب
١٧٦	ابو بكر الخوارزمي	نراء	ساحجب عني اسرتي
٢٨٩	حسان بن ثابت	سواء	فمن يهجو رسول الله
٣٢٤	ابن قيس الرقيات	اللائماء	انما مصعب شهاب
٣٢٩	رشيد الدين الطوطا	الخطباء	بالقوة الاسلام

- حرف الباء -

٩٦	الادبي	يحجب	ومحجب بحجاب عز
١٠٤	الموفق بن احمد الكي	محراب	هل ابصرت عينك
١١٦	الحسن بن المظفر النيسابوري	لزنبا	اريا شمال
١٢١	كشاجم	بالقرب	قلت وقالوا
١٢٣	السهيلى	طرب	كانما البدر فوق الماء
١٢٦	ابو القاسم احمد بن ابي ضرغام	والشرابا	ياملكا اثر الصوابا
١٣٢	ابن سينا	الشباب	اما اصبغت عن قيل
١٣٦	الكثومي	كثيب	تقول سعاد
١٥١	رشيد الدين الطوطا	خاطب	جلالك يا خير الملوك
١٦٢	ابو بكر الخوارزمي	حاجب	فان ردني دهرى
١٧٣	ابو بكر الخوارزمي	ابوابا	مالي ارى بني الصباس
١٨٢	ابو بكر الخوارزمي	غارب	شموس لهن الغدر
٣٣١٠١٨٢	الناطقة الديباني	كوكب	فلانك شمس
١٩١	ابو بكر الخوارزمي	الخطب	وقالوا لها
١٩٤	ابو بكر الخوارزمي	الطلب	هجي من

الصفحة	اسم الشاعر	القافية	صدر البيت
١٩٤	ابو بكر الخوازمي	الاحباب	الملك هندي
١٩٦	ابو بكر الخوازمي	عجيب	وقالوا : اقق
٢٠٣	ابو الطيب المتنبي	والجلاليب	من الجاندر
٢٠٨	ابو بكر الخوازمي	خاطب	اخو كلمات
٢٢٦	الزمخشري	والابا	تصفحت اولاد الرجال
٢٢٤	ابن قيس الرقيات	اللهب	يا تلق التاج
٢٣٠	رشيد الدين الوطواط	اللب	غمام ندى
٢٣٥	رشيد الدين الوطواط	ملانب	هو الشمس قدرا
٤١٤	رشيد الدين الوطواط	والعرب	له در امام

- حرف التاء -

١١٨	ابو بشرامون بن علي بن ابراهيم الخوازمي	تكلفت	تكلفت كتماني هواء
١٤٩	الحسن بن اللطيف النيسابوري	موات	اهلا بميش
١٦٨	بديع الزمان الهمداني	ثابت	حنانيك من نفس
١٩٨	ابن التكاك البصري	الفرحات	تولى شباب
٢٦٩	محمد بن حامد	طالعات	رايتك مرة

- حرف الجيم -

١٢٢	ابو بكر الخوازمي	المرهج	والشهب تلعب
١٢٧	الطرزي	مزاج	يا خليلي اسقيني
٢٠٧	ابو بكر الخوازمي	الابلج	حسد السماء
٢٤٥	الزمخشري	التزوج	تزوجت لم اعلم

- حرف الحاء -

٢٠٤	ابو الطمعان القيني	الجوانح	الا علاني
٢٢٣	الزمخشري	جرائح	فصند مجير الدولة
٢٥٠	الزمخشري	ريح	يفوح كلوح المسك
٢٤٦	الزمخشري	والتنصح	بموه قومي
٢٨١	القاسم بن الحسين	سمحا	يا زمرة الشمرء

- حرف الدال -

٢٩	الكميت بن زيد الاسدي	وتحتصد	وبعد في غزوة
٢٨	الشاعبي	الردا	له برد خوازم

١٠٢	مامون بن مامون	اسعدا	لئن طال عهدي
١٠٨	الموفق بن احمد المكي	جند	وليس اعتراف الحاسدين
١١٧	الصخري	جواد	لئن بغلت باسمادي
١٢٣	الترمخشري	الصمد	افضيت اليك شكاة
١٣٤	الموفق بن احمد المكي	الرعذ	ابكالك لما ان
١٣٥	الموفق بن احمد المكي	الوجد	ايا برق نجد
١٤١	ابو بكر الخوازمي	يفسد	لا تصعب السلطان
١٥٢	رشيد الدين الطوط	برنا	واني يظلمني كل حر
١٦٧	ابو بكر الخوازمي	المسيد	الا ابليخ بني شار
١٨٢	ابو بكر الخوازمي	يريد	ايدري السيف
١٩٠	تنسب لاحدهم	والغواد	وزائرة بلعود
١٩٨	ابو بكر الخوازمي	لد	ليس على القلب لعلول
١٩١	ابو بكر الخوازمي	فقيذ	وما اصبحت الا
٢٠٠	ابو بكر الخوازمي	مستفاد	الا ياسالتي
٢٠٣	البحثري	اهتدى	فمن يرضى بعد السخط
٢٠٧	ابو بكر الخوازمي	الضعود	ولا اكثر الحساد
٢٢٨	الترمخشري	وليد	احب بلاد الله
٢٣٠	احد فتیان مكة	محمود	فارضى مكة
٢٣١	الترمخشري	انجدا	خليلي من علياء
٢٥٥	اوصى الترمخشري ان تكتب على قبره	الجسد	شعره امطر شمعي
٢٦٥	محمد بن حامد	حامد	اذا قيل من فرد العلى
٢٧١	محمد بن حامد	تريد	زمان جديد
٢٧١	محمد بن حامد	المستمد	قرات لمن له يصفو
٢٧٢	ابو سعد الاسماعيلي	العد	سلام على شيخ المعامد
٢٧٢	محمد بن حامد	ند	افخر وذخر
٢٧٣	محمد بن حامد	المجد	وكيف يؤدي حق
٢٧٥	ينسب لبعضهم	الاجاود	وشعر كراح البحثري
٢٩٢	طرفة بن العبد	دد	كان حذوق المالكية
٣٠٦	ابن عثين	الهند	الا يانسيم الريح
٣١٣	رشيد الدين الطوط	سعد	كتابي اليك
٣٢٨	رشيد الدين الطوط (بالفارسية)	ورزيد	شاعا فللك
٣٣٢	رشيد الدين الطوط	امدانا	لافضى قصاة

— حرف الراء —

٢٩	المهملاني	مزدور	يوم من التزمهرير
٤٦	رشيد الدين الطوط	مثاراً	ألا كان رستم
١٠٦	ابو المظفر النيسابوري	والظفر	جبينك الشمس
١١٧	البالي	اجدراً	أيا زائر البيت العتيق
١٢٢	السهيلى	الغار	فالشهب تلعب
١٢٣	السهيلى	فاتنصر	يامن يقدر
١٣١	ابو بكر الخوارزمي	الدهر	تمنيت خللات
١٣٢	ابو بكر الخوارزمي	ويحدر	وأنى لأرجو الشيب
١٣٦	قيس بن الملوح	الجدارا	أمر على الديار
١٤٣	البالي	المحشر	أصبحت لا أرجو
١٥٠	الطرزي	نفسه	وزند ندى
١٦١	دعبل الخزامي	مضر	وليس هي من الاحياء
١٦٢	منسوب لابي بكر الخوارزمي	منصور	قل للوزير
١٦٩	ابو الحسن الرقاني	الفقر	مات ابو بكر
١٧٥	ابو بكر الخوارزمي	الفقر	غريب على الأيام
١٧٦	ابراهيم بن العباس الصولي	ماقدرا	اسد ضار
١٧٩	ابو بكر الخوارزمي	والصدور	ان الاولى
١٨١	ابو بكر الخوارزمي	وتبير	ياده انك
١٨٥	ابو بكر الخوارزمي	اخضر	وضيقة الفم
١٨٨	ابو بكر الخوارزمي	العمر	واراك تشكو الشيب
١٩٨	ابو بكر الخوارزمي	كبر	كفى حزناً
٢٠٠	ابو بكر الخوارزمي	فتحقّر	عليك باظهار التجلد
٢٢٦	المتنبى	الخبر	كانت مسائلة الركبان
٢٢٦	انشدها ابن الشجري .		
٢٢٩	الزمخشري	البكر	بكاء على ايام مكة
٢٣٠	الزمخشري	بالأخرى	ا ابتاع بالفوز
٢٣٢	الزمخشري	واكثرأ	وكم للامام الفرد
٢٣٣	الزمخشري	السم	أولئك اعصاد النبوة
٢٣٦	الزمخشري	اخرى	ايا طالب الدنيا
٢٣٩	الزمخشري	سائر	سيري تماضر
٢٣٩	الزمخشري	القادر	والله اكبر

الصفحة	اسم الشاعر	القافية	نظم البيت
٢٤٠	الرمخشري	الزائر	صيفا لولي
٢٤٠	الرمخشري	مسافر	يا من يسافر
٢٥٠	الرمخشري	البقر	يامن لسعدى
٢٦٠	السهيلى	شكرا	عوالد صنع الله
٢٦٢	البستي	شمرا	سكنت الى ما قلته
٢٦٦	حاتم الطائي	قر	اولد ، فان الليل
٢٦٦	محمد بن حامد	والسمر	ليهنك الاعميان
٢٦٨	محمد بن حامد	الشمرى	سلام على نفس
٢٩١	الاخطل	الظفر	الى امام تغلاينا
٢٩٧	الرقاشي	والضرر	امن الال
٢٩٨	الناطقة الجعدي	اشقرا	وننكر يوم الروح
٣٠٤	ابن عني	مصر	فريب اذا ماحل
٣٠٧	منسوبة لابن سينا	الناظر	احلر بني من القران
٣٢٢	رشيد الدين الوطواط	منتشر	له شيل نظام الدين
٣٢٧	رشيد الدين الوطواط	القصر	صنائع فخر الدين
٣٣٦	رشيد الدين الوطواط	السحر	تحيرني من طرفه
٤١٤	رشيد الدين الوطواط	عشرا	لما كنت الهوى

- حرف السين -

١٠٩	الرمخشري	الكوانس	ايا عرصات الحي
١٥١	البروني	واقتباس	فلا يغربك مني
١٩٥	ابو بكر الخوازمي	قرطاسا	يا من يحاول
٢٣٤	الرمخشري	شامس	وقل هل فشا
٢٣٥	الرمخشري	المداعس	وهم فرسوا
٢٨٠	القاسم بن الحسين	كاس	سرى ناشدا
٢٨٦	القاسم بن الحسين	جنس	فديت اماما

- حرف الشين -

٢٧٨	القاسم بن الحسين	مشوشا	اتعمل مني
-----	------------------	-------	-----------

- حرف الصاد -

٩٦	ابو عبدالله التاجر	فاس	حكم مينيك
١٢٣	ابو عبد الله التاجر	فاس	نطق ساكت

١٣١	بناض	ابو بكر الخوارزمي	٢٥٣، ٢٩١
	ينتمى	القاسم بن الحسين	

— حرف الطاء —

١١٩	انحطا	المطرزي	
٢٨٩	خطا	القاسم بن الحسين	

— حرف الظاء —

١٠٧	الجاحظ	الموفق بن احمد المكي	
-----	--------	----------------------	--

— حرف العين —

١١٨	شعاع	ابن عنين	
١٢٩	ماصنع	الصخري	
١٢٨	والورع	الزمرخري	
١٤٠	وتضع	ابن سينا	
١٤٢	فصائح	الهراسي	
١٤٥	الهجوع	ابو عبد الله اتاجر	
١٦٧	بدائع	ابو بكر الخوارزمي	
١٨٨	طوالع	ابو بكر الخوارزمي	
٢١٢	منخدع	الزمرخري	
٢١٤	طبع	الزمرخري	
٢١٧	والوجع	الزمرخري	
٢٢٧	التزاع	الزمرخري	

— حرف الفاء —

٣١	الصلب	كعب الاشقري	
٢٢٠، ١١١	طوائفا	الزمرخري	
١٢٥	اجوف	تنسب لبعض الشعراء	
١٣٠	منتصفا	مامون بن مامون	
١٨٥	يجف	ابو بكر الخوارزمي	
٢٢٢	غطارفا	الزمرخري	
٢٤٤	الصيارفا	الزمرخري	
٢٤٤	كشاف	الزمرخري	
٢٩١	منخسف	القاسم بن الحسين	

صدر البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
إذا كان يعجبني	خلف	القاسم بن الحسين	٢٩٣
من نبا الورقاء	للخالف	ابن عنين	٣٠٤

- حرف القاف -

كم حصرنا	الفراق	البياتي	١٤٤
قول النبي وحق الله	فاهنتقا	علي بن أحمد الحكيمي	١٤٥
تنفخ بالتباعد	الفراق	البيروني	١٥١
يلف غدا	موهقا	أبو بكر الخوارزمي	١٩٣
أرق على أرق	تترق	المتنبي	٢٠٥
وإذا ابتعدت	تتلق	أبو بكر الخوارزمي	٢٠٦
مهلا أبا بكر	يزرك	يدبع الأمان الهمداني	٢٠٦
هات التي شبعت	بالشراف	أكرمخشري	٢١٤
ولكنه فيه مجال	المخانقا	أبو حيان الأندلسي	٢٤٥
سهرى لتنفيع العلوم	عناق	أكرمخشري	٢٤٧
زمان كل حب فيه خب	يداق	محمد بن حامد	٢٥٩
بنفسى اخ	فيلق	البستي	٢٦٤

- حرف الكاف -

أيها المليك (رباعية أنوري)	أشارتك	أنوري	٤٥
للشبيبي صنيعتك	لغرفتك	الشبيبي	١٢٠

- حرف اللام -

ابن شبيب أبو حروب	خل	أبو القاسم بن أبي صرغام	٩٧
فكل أمرئ	المحائل	أكرمخشري	١١١
أبا نصر رويدك	الجليل	أبو بكر الخوارزمي	١١٣
وشمس مابدت	فضول	أبو بكر الخوارزمي	١١٥
قل للذي لا أرى	مثلا	الهراسي	١١٩
فصيح إذا استنطقته	راجل	أبو تمام	١٢٤
رايت جليلا	نحل	أبو تمام	١٢٤
الاستقنا الصهباء	الترحل	السهيلي	١٢٨
وزدت من العيال	أهول	أبو بكر الخوارزمي	١٢٩
نهاية القدام القول	ضلال	فخر الدين الرازي	١٤١

الصفحة	اسم الشاعر	القافية	صدر البيت
١٤٢	الهراسي	العاقل	ان الزمان زماته
١٤٤	البلي	الاجل	ثلاثة ما اجتمعن
١٤٧	ابن عنين	الفصل	ابو الفصل وابن الفصل
١٦٧	ابو بكر الخوازمي	امثال	كلم هي الامثال
١٧٤	ابو بكر الخوازمي	وكيل	بجمله لا بجمد الناس
١٨١	ابو بكر الخوازمي	ساقلا	وانت امرؤ
١٩٠	ابو بكر الخوازمي	عجلى	اعوده من نغمة
٢٠٥	ابو بكر الخوازمي	المنقلا	اكل بناء
٢٢١	الزمخشري	جاهل	خليلي هل تجدي
٢٢٢	الزمخشري	المفاصل	وكم من آمال
٢٢٢	الزمخشري	وسائلي	وما حق مثلي
٢٢٣	الزمخشري	المجاهل	فكل امريء
٢٤٢	الزمخشري	الفصائل	من الفن ذو نقص
	اوصى الزمخشري ان تكتب على قبره	الايليل	يامن يرى مد البعوض
٢٥٦	ولاندي اهي له ام لغيره .		
٢٦٣	البستي	عجل	محمد بن حامد
٢٦٦	كثير عزة .	المال	غمر الرداء
٣٠٤	ابن عنين	الافصل	ريح الشمال عساله
٣٠٥	ابن عنين	وجل	لا تعرضن لضيق
٣١٧	الصاحب بن عباد	والعلی	تجمع فيه ماتفرق
٣١٧	رشيد الدين الوطواط	وابل	محيا جمال الدين
٣٢٤	المتنبي	عوامل	ولذا اسم اغطية العيون
٣٢٦	رشيد الدين الوطواط	هاطل	ايا شرف الدين
٣٣٥	رشيد الدين الوطواط	الفصائل	لقد حاز السام
٣٣٥	رشيد الدين الوطواط	افول	عزماته مثل النجوم
٣٨١	البحري	تنل	لئن ننى الدهر
٤٣٦	المتنبي	نزول	وما شرقي بالماء

- حرف الميم -

٣٨	ابو سرح	مسقم	النار في هملان
٥٦	ابو الحسن اللعام	بهائم	ماهل خوازم
٩٣	ابو بكر الخوازمي	انجما	وكنت سماء
٩٨	الشيببي	الكرم	يا آل ميكال

صدر البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
كم له من يد	كم	مامون بن مامون	١٠٢
لك تدريس	لام	النسوي	١١٢
إذا افتخر الإبطال	والكرم	أبو الفتح البستي	١٢٥
كتابي أبا نصر	صيفم	أبو بكر الخوارزمي	١٦٣
وما كنت في تركيك	باتوهم	أبو بكر الخوارزمي	١٦٣
لبست ثياب الصبر	والتندم	أبو بكر الخوارزمي	١٦٥
يد تراها أبدا	فهم	أبو بكر الخوارزمي	١٦٥
لا تهمدن ابن عباد	الديما	أبو بكر الخوارزمي	١٦٦
لا تهمدن حسنا	زما	أبو القاسم الأعمى	١٦٦
سألت بريدا	نعم	الصاحب بن عباد	١٦٧
حتى أشق رواق الملك	علام	أبو بكر الخوارزمي	١٧٣
أراك إذا استوت	لأما	أبو بكر الخوارزمي	١٧٦
وصفراء كالدينار	محرم	أبو بكر الخوارزمي	١٨٥
ولو أبصرت في أرجان	ذمام	أبو بكر الخوارزمي	١٨٨
وزلترتي كان بها حياء	الظلام	أبو الطيب المتنبي	١٩٠
أفرق يوم البين	باسهم	أبو بكر الخوارزمي	١٩٢
أديري لحاف القلب	معدم	أبو بكر الخوارزمي	١٩٣
ومتى شتمت الدهر	المشتوم	أبو بكر الخوارزمي	١٩٧
الست ترى السيف	أنهدم	أبو بكر الخوارزمي	٢٠١
الظل إذا عاتبت نفسي	التقدم	أبو بكر الخوارزمي	٢٠٦
وانشدت في داري	تكرم	أبو بكر الخوارزمي	٢٠٨
إذا سألو عني	اسلم	أبو مخشري	٢٤٨
بريق الرأي	الأنام	محمد بن حامد	٢٦٧
أقال بما تهوى	يترجم	محمد بن حامد	٢٧٠
البين خير	نقم	محمد بن حامد	٢٧٤
يقولون إن الأصمعي	عالم	ينسب لبعض الفضلاء	٢٨١
سنا جيتك	الكرم	القاسم بن الحسين	٢٩٣، ٢٨٢
أعيلها نظرات	ورم	المتنبي	٢٨٣
أهديك ذا منظر	مبتسم	القاسم بن الحسين	٢٨٤
أملك الملك	وصم	المتنبي	٢٨٥
كلى بنحولي	همى	الرقاشي	٢٩٧
خرجنا نهرا	مقلما	الرقاشي	٢٩٧
نفوه مثل عقد الدر	النظام	رشيد الدين الطوطا	٣٢٣

صدر البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
وجفناك ليس يدعى	الحسام	رشيد الدين الوطواط	٣٢٤
ايا من للمدى	احترام	رشيد الدين الوطواط	٣٢٥
ياباني الفخر	الخصم	رشيد الدين الوطواط	٣٣٥
يا جمال الدين يا علما	علم	رشيد الدين الوطواط	٤٣٠

- حرف النون -

واقق بالله	والحسنيين	الشيبيني	٦٠
الآن صح من الزمان	امان	أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري	١٠٠
رب ان ابن شبيب	الدولتين	الشيبيني	١٠٤
ان ذا البلغمي	وشين	أبو بكر الخوارزمي	١٥٨٠١١٣
جسمي معي	في الوطن	ابن عيينة	١٢٠
على بغداد	المتنزهينا	البائي	١٣٥
وما خلقت كفاك	يدان	أبو بكر الخوارزمي	١٦٥
رؤيت أختا	استثنى	أبو بكر الخوارزمي	١٧٨
وصاحب لي	فنن	أبو بكر الخوارزمي	١٨٤
مفت الشيبية والحببية	يزهمان	أبو بكر الخوارزمي	١٩١
سقاني الوجه	الرسن	أبو بكر الخوارزمي	١٩٦
عزل الورد	الريحان	أبو بكر الخوارزمي	١٩٦
لم لا اجانس	بانسان	أبو بكر الخوارزمي	١٩٧
اذا ما الدهر	باخرينا	أبو بكر الخوارزمي	٢٠٢
قد كنت اشفق	هانا	أبو الطيب المتنبي	٢٠٣
ومغن بارد النعمة	اليدين	كشاجم	٢٠٤
وقائلة ماهذه الدرد	سمطين	الزمخشري	٢٣٧
ياخير خالين	حالين	الزمخشري	٢٣٨
اطلب ابا القاسم	وكنى	الزمخشري	٢٤١
ان للعالمين فخرا	شين	تنسب لبعض فضلاء خراسان	٢٨١
ايا سألني عن كنه	الثقلان	القاسم بن الحسين	٢٩١
لقد تجمع في الهادي	حسن	رشيد الدين الوطواط	٣١٦
جنابك صدر دين الله	الزمان	رشيد الدين الوطواط	٣٢٢
وقال الله نائبة	الزمان	رشيد الدين الوطواط	٣٢٣

- حرف الهاء -

ان المليحة	محتاجا	الزمخشري	٩٩
------------	--------	----------	----

الصفحة	اسم الشاعر	القافية	صدر البيت
٩٢	الترمخشري	خياما	ايا حبلا سمدى
٩٩	ابو الفضل الصخري	عداتها	نفس مصدقة
٩٩	ابو الفضل الصخري	المروه	جمعت الى العلى
١٠٢	ابو الفضل الهلالي	ومرساها	للك المواهب
	ابو حفص عمر بن الحسن بن المظفر النيسابوري .	واشباها	سبحان من ليس
١٠٥	الصخري	انسابه	نسب كريم فاضل
١١٩	السهيلى	وماحظه	اوفى على الديوان
١٢١	ابو بكر الخوارزمي	بصادها	خليلي عهدي بالليالي
١٢٨	ابو بكر الخوارزمي	جمعه	مات ابو سهل
١٤٢	البالي	مدره	عجبت من معجب
١٤٤	لا نعرف قائلها	قبله	عاشق خاطر
١٤٥	البالي	فضله	ايها السائل عما
١٤٦	البالي	الفقها	هدية المهرجان
١٤٦	الهلالي	مهاها	نور ونور ونوروز
١٤٦	الصخري	وبهاه	يامن حكي
١٦٠	ابو بكر الخوارزمي	خاله	بأمل مولدي
١٨٦	ابو بكر الخوارزمي	سفره	بنت فخر
١٨٧	ابو بكر الخوارزمي	الصفه	وصفت ريعانا
١٨٧	ابو بكر الخوارزمي	لهوانه	علق غدا بياحه
١٩٧	ابو بكر الخوارزمي	لبنيه	اي خير يرجو
١٩٧	ابو بكر الخوارزمي	بالهيه	لا تشكر الدهر
٢٠٨	ابو بكر الخوارزمي	رجلاها	بجسرة قائدها
٢٠٨	ابو بكر الخوارزمي	آهله	ومن تركه الاخيصار
٢١٠	علي بن عبد العزيز الجرجاني	اصحابها	لو نفخت اشعاره
٢١٥	الترمخشري	وجلاله	اكلى الكفاة
٢١٩	يعقوب بن شيرين	مشرقه	فتى سار في الافاق
٢٢٥	الترمخشري	حجاجها	سماه كل الناس
٢٤٢	الترمخشري	بصياله	اليك عبيد الله
٢٤٣	الترمخشري	الدراسة	بني فاعلم
٢٥٢	الترمخشري	وانصرامها	حياتي وموتي
٢٥٤	الترمخشري	درد	هنا اديب فاضل
٢٦٤	تنسب لبعض اهل نيسابور	احسنه	يامن اراه

صدر البيت	القافية	اسم الشاعر	الصفحة
ولينة تنطف	يسراها	القاسم بن الحسين	٢٠٠
يهنيك عيد الفطر	حسناته	ابو حامد بن الربيع الفرناطي	٢٠٢
من رام عند الاله	طلعته	محمد بن احمد النسوي	٢٠٦
حياله من ذا الربيع	عالمه	محمد بن الحسين المشهور بصريح الكاس	٢٠٩
لقد حاز جار الله	غباره	رشيد الدين الطوطاط	٢٢٧
ثلاثة ابطال	فائدته	رشيد الدين الطوطاط	٢٢٦
اقسم بالله وآياته	وميقاته	الزمخشري	٢٨٨
هوالة اعمى	مسلكه	الزمخشري	٤٠٨

- حرف الواو -

اي امرئ	وصفوا	الزمخشري	٢١٦
اتخذ طاعة الاله	وتنحو	محمد بن احمد النسوي	٢٠٦

- حرف الياء -

وليس بقي من بردها	تواني	تنسب لبعض الشعراء	٣٩
مضى اكثر الايام	كراسيا	ابو الريحان البيروني	٩٤
واني لاستحي من المجد	اغاني	ناصر الدين الطرزي	١١٠
يا شاعرا جاوني	ادبي	ابو الريحان البيروني	١١٣
بسمت فابدت	لالتي	ابو بكر الخوارزمي	١١٦
ياحين منك	لشقاقي	البالي	١١٧
بالشام قومي	اخواني	ابو تمام	١٢١
تمامي زماني	تعايبا	ناصر الدين الطرزي	١٣٠
على مجلس الشيخ	وغرامي	ابو فضل الكائي	١٣٤
ومن حام حول المجد	وكاسيا	ابو الريحان البيروني	١٤٢
رجل توكل بي	عيني	القاضي الفاضل	١٤٨
نجر ذبول الفخر	ننتمي	ابو بكر الخوارزمي	١٥٩
شيب فرط الاسى	حالي	ابو سعيد الطبرسي	١٦٩
سريعة موت العاشقين	يحيى	ابو بكر الخوارزمي	١٩٠
انا العجار جار الله	اطنابي	الزمخشري	٢٣٠
لم ييكني الا حديث	مودعي	ابو بكر الارجاني	٢٣٧
لا تردني نظرة	نمني	تنسب لابي بكر الارجاني	٢٣٨
عليك يامكة	يجدي	الزمخشري	٢٣٨
ماالتوالب لا ينظك	والذلاي	الزمخشري	٢٤١

الصفحة	اسم الشاعر	القافية	صدر البيت
٢٥٤	أبو الهيجا ، مقبل بن عطية البكري	يهمي	وان فادر الفدران
٢٦٥	محمد بن حامد	وتردادي	ما أنسى لا أنسى
٢٦٩	محمد بن حامد	ساقيا	فما دفترني أنسا
٢٧٠	محمد بن حامد	أمانيا	كفى بك داء
٢٧٣	ابن الرومي	شعري	مدحت أبا العباس
٢٧٩	القاسم بن الحسن	سلفي	قد صبح لي
٢٩٤	الرقاشي	ثقي	أن الهوى سبب
٢٩٩	الرقاشي	ندماني	لا الفراح راحي
٢٩٩	عنترة بن شداد العبسي	دمي	ولقد ذكرتك
٣٠٠	المتنبي	شيمي	ليس التعلل
٣٠٧	محمد بن أحمد النسوي	أبي	العلم يأتي
٣١٥	رشيد الدين الوطواط	والثغيا	محاسن مولانا
٣٣٢	رشيد الدين الوطواط	منصبي	قد زرت يا ملك
٣٣٥	رشيد الدين الوطواط	كالليالي	صدغ الحبيب
٣٦٣	الباخرزي	دوري	قلت للثغيات
٣٨١	ابن المعتز	فخمي	يامحنة الدهر

فهرس الكتب التي وردت في متن الكتاب

- أ -

- الآثار الباقية عن القرون الخالية - البيروني ٦٠ ، ٦١ .
- أدب الكتاب - ابن قتيبة ٣٨٢ .
- أساس البلاغة - الزمخشري ٢٤٣ .
- أطواق الذهب - الزمخشري ٢٠ ، ٣٤٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
- أعجب العجب في شرح لامية العرب - الزمخشري ٢٤٣ .
- الاقناع في اللغة - المطرزي ٣٦٤ .
- الانساب - أبو سعد السمعاني ٣٤ .
- الانموذج - الزمخشري ٢٢٤ .
- الايضاح أو « شرح مقامات الحريري » المطرزي ٣٦٤ .

- ب -

- بدائع الملح - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .
- البحر المحيط - البديع القزويني ٣٦٣ .
- البلاغة عند السكاكي - أحمد مطلوب ١٥ .
- بلدان الخلافة الشرقية - كي لسترنج ٣٩ .

- ت -

- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ٧٣ .
- تاريخ خوارزم - أبو محمد ٣٥٨ .
- تاريخ الرسل والملوك - الطبري ٢٩ ، ٥٧ .
- تاريخ الزيدري - الخواجة نور الدين الزيدري الخراساني ٣٦٤ .
- تاريخ مفصل إيران « بالفارسية » عبد الله رازي ٤٧ .
- تحديد نهايات الاماكن - البيروني ٣٦٦ .
- التراويح - أحمد بن اسماعيل ظهير الدين التمرثاشي ٧٢ .
- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم - البيروني ٦٠ ، ٦١ .
- تقويم البلدان - أبو الفداء ٥٥ .
- التوضيح في شرح المقامات - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

- ج -

الجبّال والامكنة - الزمخشري ٢٤٣ .

- ح -

الحاوي - الفزميني ٣٦٣ .

حدائق السحر في دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٤٢١ .

- خ -

خريدة القصر وجريدة العصر - العماد الاصفهاني ١٧ .

خلاصة الحقائق - محمود بن احمد بن أبي الحسن ، أبو المحامد ، عماد الدين ٣٦٤ .

خلاصة المقامات - محمود بن احمد بن أبي الحسن ، أبو المحامد ، عماد الدين ٣٦٤ .

خلوة الرباحين في المحاضرات - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

- د -

دمية القصر وعصرة اهل العصر - الباخري ١٤ ، ١٧ .

ديوان رسائل ابي بكر الخوارزمي - أبو بكر الخوارزمي ٣٤٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ .

ديوان رسائل رشيد الدين الوطواط - رشيد الدين الوطواط ٣٢٠ ، ٣٤٤ ، ٤١٨ .

ديوان رشيد الدين الوطواط « بالفارسية » ٣٢٠ .

ديوان شعر الزمخشري ٣٤٣ ، ٤٤٤ .

- ر -

ربيع الابرار - الزمخشري ٢٤٣ ، ٤٠١ ، ٤٤٤ .

رحلة ابن بطوطة - ابن بطوطة ٣٤٥ .

رسالة الناصرية - الفزميني ٣٦٣ .

- ز -

زاد الائمة - الفزميني ٣٦٣ .

الزوايا والخبايا « في النحو » - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

- س -

السرّ في الاعراب - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

سلك الجواهر ونشر الزواهر - محمود بن احمد بن ابي الحسن ، ابو المحاسنة ،
عماد الدين ٣٦٤ .

سيرة جلال الدين منكبرتي - النسوي ٤٤ .

- ه -

شرح الابنية في النحو - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

شرح أبيات كتاب سيبويه - الزمخشري ٢٢٤ .

شرح الجامع الصغير - التمرقاشي ٧٢ .

شرح سقط الزند - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

شرح القدوري - الغزيني ٣٦٣

شرح مختصر القدوري - الغزيني ٣٦٣ .

شرح المفصل أو « التجميع » - القاسم بن الحسين ٢٩٢ .

شرح مقامات الحريري - الطرزي ٣٦٤ « انظر الايضاح » .

- ف -

الفائق في غريب الحديث - الزمخشري ٢٤٣ .

فتوح البلدان - البلاذري ٤١ .

- ق -

القانون - ابن سينا ٣٦٥ .

قبة النية لتتيم الفنية - الغزيني ٣٦٣ .

- ك -

الكامل في التاريخ - ابن الاثير ٤٤ ، ٥٧ .

الكشاف - الزمخشري ١١١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ .

الكشكول - العاطي ٤٦٠ .

الكلم النوايع أو « نوايع الكلم » - الزمخشري ٢٠ ، ٢٤٣ ، ٣٨٥ ، ٤١٠ .

- م -

المجتبى في الاصول والفرائض - الغزيني ٣٦٣ .

المحمدون من الشعراء واشعارهم - القفطي ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

مختصر اصلاح المنطق - الطرزي ٣٦٤ .

مختصر المصباح في النحو - الطرزي ٣٦٤ .

مختصر الوجوه في اللغة - ابو عبد الله الخوارزمي ٧٤ .

المستقطى من امثال العرب - الزمخشري ٢٤٣ .

فهرس الكتب التي وردت في متن الكتاب

- المشترك وضعاً والمفترق صقماً - ياقوت الحموي ٣٣ .
- المصباح وهو « مقدمة في النحو » - الطرزي ٣٦٤ .
- المطرزية - الطرزي ٣٦٤ .
- مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب « رضي » - رشيد الدين الوطواط ٣١٧ .
- معجم الادباء - ياقوت الحموي ١٩٤ ، ٣٥٨ ، ٤٢٥ .
- معجم عربي فارسي - الزمخشري ٢٤٣ .
- المغرب في لغات الفقه - الطرزي ٣٦٤ .
- المفصل - الزمخشري ٣٩٨ .
- مقامات بديع الزمان الهمداني ٣٨٥ .
- مقامات الزمخشري ٢٤٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ .
- مقدمة الادب - الزمخشري ٢٢٥ .
- المكارم والمفاخر - أبو بكر الخوارزمي ١٧٧ .
- الملخص في الهيئة - الجفميني ٣٦٥ .

- ن -

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - شيخ الربوة ٩ ، ٣٢ .

- ي -

- يتيمة الدهر - أبو منصور الثعالبي ٧ ، ١٧ ، ٢٠٦ ، ٢٥٩ .

« الكتب الاجنبية »

The Encyclopaedia of Islam. P. 9.

Encyclopaedia Britanica. P. 24 - 39.

Turkestan Down to the Moncol Invasion. P. 44.

فهرس الشعوب والعقائد والملل

- الأرثوذكس ٥٥ ، ٦٢ .
 الأسبان ٧ ، ٨ .
 آل البيت ١٠٣ ، ١٠٤ .
 آل البيت ١٠٣ ، ١٠٤ .
 آل عراق ٩٤ .
 آل ميكال ٩٨ ، ١٥٩ .
 الأمويون ٩ ، ٤١ ، ١٦١ .
 الأوزبك ٥٤
 البربر ٥٨
 بنو إسرائيل ٣٧٤ .
 بنو جرير ١٦٠ .
 بنو شار ١٦٨ .
 البوهميون ٦٢ ، ٦٩ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٠٧ .
 التتر ٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .
 الترك ١٥ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٧٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٨٩ ،
 التركمان ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٥ .
 الحمدانيون ١٩٩ .
 ٢١١-٣١٨-٣-١٨٨-٤٥٦٤٥٢٦
 الخنابلة ١٦٠ ، ٢٤٨ .
 الحنفية ٣٤ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ .
 الخزر ٥٠ .
 الخوارزميون ٩ ، ١٥ ، ١٨ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٢٢٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٤٤ .
 الرافضة ١٦٠ ، ١٦١ .
 الروس ٨ ، ٢٨ ، ٣٥ .

- الروم ٥٥ ، ٦٢ .
- الزرادشتية ٥٥ ، ٧٨ ، ٨٨ .
- الساسانيون ٤١ ، ٧٨ .
- السامانيون ٩ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٩٩ ، ٣٤٢ ، ٢٨٣ .
- السلاجقة ٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٣ .
- السنة ٢٢١ ، ٢٧٦ .
- الشافعية ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٢٤٨ .
- الشعوبية ١٠ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٩٨ .
- الشيعة ١٦١ ، ٣٧٦ .
- العباسيون ٩ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .
- العجم ٣٩٨ .
- المدنانيون ١٦١ .
- العرب ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٨ .
- الفزنويون ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .
- الفزية ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٦ .
- الفرس ١٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٣١٥ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٤١٨ .
- القبائل البخارية ٥٤ .
- القحطانيون ١٦١ .
- المالكية ٢٤٨ .
- المامونيون ٧٩ ، ٨٠ .
- المعتزلة ٩ ، ١٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ .
- المغاربة ٧١ ، ٣٣٣ .
- المغول ١٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٣٦٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .
- الممالك ٤٣ .
- النساطرة ٥٥ .
- النصاري ٥٥ .
- اليهود ٥٥ ، ٦٢ .

فهرس الايام والحضارات واللغات والمناصب

- ا -

- اجفار (احد اعيادهم) ٦١ .
- الارغجية (منصب) ٥٩ .

- ت -

- التركية (حضارة) ٣٤٦ .

- س -

- السلق (احد اعيادهم) ٦١ .
- السقيفة (يوم) ١٦١ .
- السنسكريتية (لغة) ٣٦٣ .

- ط -

- الطشت دار (منصب) ٤٣ .

- ع -

- العربية (حضارة) ٣٤٦ .

- ف -

- الفارسية (حضارة) ٣٤٦ .
- الفارسية (لغة) ٣٦٣ .

- م -

- المهرجان (احد اعيادهم) ٦١ .

- ن -

- النيروز = باو ساودي (احد اعيادهم) ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٦ .

- هـ -

- الهندية (لغة) ٣٦٣ .

تصميم الغلاف : راجحة عباس

الخطوط : بسام حمود

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١١٤٨ لسنة ١٩٧٦

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
بغداد

السعر ٤٥٠ فلسًا

دار الحرية للطباعة
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م